

نراثنا

تَشْرِيفُ الْأَيَّامِ وَالْعُصُورِ

سيرة الملك المنصور
في

وتناول القبة ما بين سنتي

٦٧٨هـ - ٦٨٩هـ

١٢٧٩ - ١٢٩٠

تأليف

محيي الدين بن عبد الطاهر

رئيس ديوان الإنشاء

راجعته

محمد علي النجاشي

حققته
الدكتور مراد كامل

١٩٦١

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

الهيئة العامة للكتاب
١٩٦١

فهرس الموضوعات

٢٧	مقدمة
٢٨	المخطوطة
٢٩ - ٣٤	المؤلف (محيى الدين بن عبد الظاهر)
٢١٢	مؤلفاته
٢٢١	من شعره في قسمة الملك الظاهر لغنايم سيس
٢٢٣	من شعره في رثاء الملك الظاهر
٢٢٥	قصيدة من شعره سيرت الى دمشق لتشهد على قبر الملك الظاهر
٢٢٦	نسخة تقليد بولاية الامير علم الدين سنجر المنصوري
٢٢٧	نيابة السلطنة الشريفة ببلاطس من انشائه
٢٢٩	نسخة تقليد الامير فخر الدين عثمان من انشائه
٢٢٩	نسخة كتاب للسلطان غياث الدين من انشائه
٢٢٩	نسخة تقليد بتولية الامير بدر الدين بكتوت شد الدواوين
٢٢٩	من انشاء القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر
٢٣٥ - ٢٤٢	نشأة المماليك
٢٣٧	كيف انتقلت السلطنة الى المماليك
٢٤٠	نظام الحكم في الدولة المملوكية
٢٤٣ - ٢٥٢	المنصور سيف الدين قلاون
٢٤٤	علاقة المنصور بالتتار
٢٤٥	علاقة المنصور بالصليبيين
٢٤٦	علاقة المنصور ببلاد النوبة
٢٤٧	علاقة المنصور بالحشة
٢٤٨	علاقة المنصور بالحجاز
٢٤٩	علاقة المنصور باليمن
٢٤٩	علاقة المنصور ببلاد المغرب
٢٥٠	علاقة المنصور بالمسيحيين من ماوك أوربا
٢٥٣ - ٢٨١	سيرة المنصور قلاون
٢٥٥	ذكر ولاية الامير حسام الدين طرنتاي المنصوري
٢٥٦	نيابة السلطنة بالديار المصرية
٢٥٦	ذكر استيلاء الملك السعيد بن الملك الناصر صاحب الكرك على الشوبك وعودها للملك المنصور صاحب مصر
٢٦١	ذكر سلطنة شمس الدين سنقر الاشقر بدمشق
٢٦٢	ذكر الحوادث في سنة تسع وسبعين وستمائة
٢٦٣	ذكر التقاء عسكري مصر والشام وهزيمة عسكر الشام
٢٦٥	ذكر تجريد العساكر المصرية الى دمشق ومحاربتهم الملك الكامل صاحب دمشق وهزيمته عن دمشق ودخول العسكر المصري اليها
٢٦٧	ذكر توجه شمس الدين سنقر الاشقر الي صهيون وتحصنه بها

الصفحة	الموضوع
٢٧١	ذكر تفويض السلطنة بدمشق للأمير حسام الدين إلاجين الصغير النصوري وشهد الدواوين للأمير بدر الدين بكتوت العلاني والوزارة للصاحب تقي الدين توبة التكريتي
٢٧٢	ذكر تفويض الأمرة على آل فضل وآل علي لفخر الدين وشمس الدين وحسام الدين
٢٧٦	ذكر قصد التتار بلاد الشام ودخولهم إلى حلب وما فعلوه ورجوعهم منها
٢٧٧	ذكر تفويض السلطنة بولاية العهد من الملك المنصور لولده الملك الصالح
٢٧٨	ذكر توجه الملك المنصور إلى الشام للقاء التتار ووصوله إلى غزة وعوده إلى الديار المصرية
٢٨٠	ذكر توجه الملك المنصور إلى الشام
٢٨٢	ذكر الحوادث في سنة ثمانين وستمائة
٢٨٤	ذكر اتفاق الأمير كوندك وجماعة أمراء على قتل الملك المنصور المنصور ومعرفته بذلك وقبضه عليهم
٢٨٦	ذكر دخول السلطان الملك المنصور دمشق
٢٨٧	ذكر انتظام الصلح بين الملك المنصور وبين شمس الدين سنقر الأشقر وما استقر بينهما
٢٨٨	ذكر انتظام الصلح بين الملك المنصور وبين الملك المسعود بن الملك الظاهر صاحب الكرك وما استقر بينهما

١ - ١٨٢

نص المخطوطة

(٦٨٠ هـ - ١٢٨١ م)

٢	ذكر هلال أبغا ورجوع الملك إلى تكدار المسمى أحمد
٥	نسخة كتاب الملك أحمد إلى السلطان الملك المنصور
١٠	نسخة كتاب قلاون إلى السلطان أحمد
١٨	حضور ولد الشريف أبو نمي أمير مكة إلى أبواب مولانا السلطان
١٩	ذكر صداق مولانا السلطان الملك الصالح
٢٠	الهدنة بين الملك المنصور وولده الملك الصالح
٢٣	ذكر أميباك ملك الكرج والظفر به
٢٤	سنة ٦٨٢ هـ
٢٥	ذكر توجه مولانا السلطان هو وأولاده وجميع العساكر إلى جهة البحيرة لخفر البحر المعروف بالطرية
٢٧	ذكر فتوح قلعة قطينا من يد العدو المخدول
٢٨	ذكر فتوح ثغر الكختا واستنقاذه من أيدي الكفار
٣٠	ذكر الاغارة على بلاد سويس من جهة المملكة الحلبية وما جرى فيها
٣٢	ذكر توجه العسكر المنصور إلى جهة الكرك ومضايقتها
٣٤	هدنة عكا
٤٣	ذكر توجه مولانا السلطان إلى البلاد الشامية
٤٤	ذكر الاهتمام بكتب مولانا الملك الأشرف ولد مولانا السلطان
٤٤	ذكر فتوح تونس
٤٦	ذكر حضور الفقهاء التفجاق رسلا من جهة الملك تمانكو قريب الملك بركة يهنون بجلوسه وإسلامه
٤٧	ذكر أميباك بطرك الحدث من بلاد طرابلس

الصفحة	الموضوع
٤٧	ذكر ما فعله الله في صاحب قبرض
٤٨	ذكر وصول الشيخ عبد الرحمن وصمداغو رسلا من جهة الملك أحمد
٥٠	ذكر حضور رسل الهند الى ابواب مولانا السلطان
٥٢	ذكر خروج مولانا السلطان الملك الصالح والمولى الاشرف للصيد وصرع مولانا السلطان لكى مبارك
٥٤	ذكر موت الاشكرى ميخائيل وقيام ولده من بعده
٥٤	سنة ٦٨٣ هـ
٥٥	ذكر تجهيز الرسل الى الملوك في البحر
٥٥	ذكر الشروع في عمارة المارستان السعيد المنصوري والمدرسة والقبعة الشريفة بالقاهرة بين القصرين
٥٧	ذكر ما فعله الله في اعداء الاسلام من الفرنج والتتار
٥٨	أخبار الفرنج
٦١	أخبار التتار
٦٧	ذكر قصد العساكر الحلبية جهة التين وما قدره الله لها من نصر
٦٨	ذكر خروج مولانا السلطان الى الشام
٦٩	نسخة الكتاب المسير على يد الشيخ عبد الرحمن وصمداغو
٧٢	ذكر حديث السيل الذي وصل الى دمشق وسلامة الخزائن منه
٧٣	ذكر وفاة صاحب حماة (الملك المنصور) واحسان مولانا السلطان الى ولده
٧٧	ذكر فتوح حصن المرقب
٨٢	شعر محيى الدين بن عبد الظاهر في فتوح حصن المرقب
٨٥	مقاله محيى الدين بن عبد الظاهر يثري في صفة المرقب
٨٥	ذكر شىء من أخبار حصن المرقب
٨٧	ذكر افتتاح مرقيا وحصنها وهدمه
٨٨	صفة حصن مرقيا
٩٠	نظم محيى الدين بن عبد الظاهر في افتتاح حصن مرقيا
٩١	ذكر متجددات بعد حصن مرقيا
٩٢	تسليم حصن بلاطس واسترجاعه
٩٢	الصلح مع التكفور صاحب سيس
٩٣	نسخة الهدنة واليمين بين الملك المنصور وصاحب سيس (ليفون بن ميتوم ابن كستنتين)
١٠٣	هدنة صور (بين الملك المنصور والملكة دام مراريت)
١١٠	ذكر متجددات
١١٥	ذكر عود مولانا السلطان من البلاد الشامية الى قلعتة بالقاهرة
١١٦	ذكر مبرة نفعا مشترك للناس (بناء قنطرة على الخليج بالقاهرة)
١١٧	ذكر حضور رسل اليمن الى ابواب مولانا السلطان
١٢٢	ذكر رحى عظمى للخلائق من جملة النعمى
١٢٢	معدلة : تقيم الحرمة وتقضى بعثوا الهمة
	سنة ٦٨٥ هـ
	ذكر توجه الامير حسام الدين طرنتاي الى الكرك وتسليمه وحضور من كان فيه
١٢٣	
١٢٦	ذكر نزول مولانا السلطان الى القاهرة
١٣٠	نظم محيى الدين بن عبد الظاهر في القبعة الشريفة

الصفحة	الموضوع
١٣٤	ذكر الاغارة على الموصل وبلادها
١٣٧	ذكر حركة مولانا السلطان الى الشام وتوجهه الى الكرك
١٤١	ذكر حضور صاحب قبرس الى عكا واستيلائه عليها وانفاذ رسله الى ابواب السلطانية
١٤٢	ذكر وفاء النيل المبارك في ثالث وعشرين مسرى
١٤٣	ذكر حضور رسل الملوك
١٤٥	ذكر تجهيز ركب الحجاز
١٤٦	ذكر حركة العساكر المنصورة وتوجهها صجبة الامير حسام الدين طرناي وما سهله الله من فتوحات على يده
١٤٦	ورود الاخبار بحركة في بغداد

سنة ٦٨٦ هـ

١٤٨	ذكر منازل صهيون
١٤٩	ذكر فتوح حصن برزية
١٤٩	اخبار صهيون
١٥١	فتوح برج الازقية
١٥٤	ذكر شيىء يتعلق بملوك النوبة
١٥٦	ذكر صلح الريدراغون البرشتونى واخوه صاحب صقلية مع مولانا السلطان
١٥٧	نسخة الهدنة بين السلطان الملك المنصور وولده وبين الريدراغون
١٦٢	نسخة اليمين التى حلف مولانا السلطان عليها للملك الريدراغون
١٦٣	نسخة اليمين التى حلف بها مولانا السلطان الملك الاشرف للملك الريدراغون
١٦٣	صلح الجنوية
١٦٥	نسخة هدنة مولانا السلطان مع الجنوية
١٦٧	نسخة خطوط من حضر حلف الجنوية
١٦٨	نسخة اليمين التى حلف بها رسل الجنوية
١٦٨	نسخة الشهادة عليهم
١٦٩	ذكر ورود رسل الحبشة الى ابواب مولانا السلطان
١٧٠	تعريب كتاب ورد بالحبشى
١٧٢	ذكر حضور رسول الغرب من جهة تونس
١٧٤	ذكر خلاص الامير طلم الدين سنجر الطبى والاحسان عليه
١٧٦	ذكر الحركة الى الشام المحروس
١٧٧	مرض مولانا الملك المنصور
١٧٨	وفاة مولانا الملك المنصور
١٧٩	رثاء محيى الدين بن عبد الظاهر للملك المنصور وتهنئة الملك الاشرف
١٨٠	تمتة
٢٥٢ - ١٨٣	

١٨٥	نسخة يمين حلف عليها العساكر للسلطان الملك المنصور قلاون في سنة ٦٧٨ هـ ولولده ولى هذه الملك الصالح علاء الدين « على »
١٨٦	نسخة كتاب كتب به الى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاون مبشرا بفتوح صلافيها من انشاء محيى الدين بن عبد الظاهر
١٩٠	نسخة تقليد الامير فخر الدين عثمان من انشاء القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر

- الموضوع
- نسخة كتاب للسلطان غياث الدين على يد شمس الدين سنقر الفتمى
وسيف الدين بلبان الخاص تركى من انشاء القاضى محيى الدين بن
عبد الظاهر
- ١٩٢ نسخة تذكرة كتب بها عن السلطان الملك المنصور قلاون بسبب قلعة
صرخد من الشام عند استقرار الامير سيف الدين باسطى نائباً والامير
عز الدين واليابها في سنة ٦٧٩ هـ من انشاء القاضى محيى الدين بن
عبد الظاهر
- ١٩٤ رسم الملك المنصور للامير بدر الدين بكتوت العلانى بأن يتولى شد
الدواوين بدمشق وكتب له التقليد محيى الدين بن عبد الظاهر
- ١٩٨ ذكر تفويض السلطنة بولاية العهد من الملك المنصور لولده الملك الصالح
وكتب التقليد محيى الدين بن عبد الظاهر
- ٢٠٠ نسخة حلف بين السلطان الملك المنصور والملك الاشكرى
- ٢٠٤ هدنة متملك طرابلس
- ٢١٠ ذكر تحليف الشريف صاحب مكة
- ٢١٢ نسخة اليمين التى حلف عليها الملك المنصور في هدنة عكا
- ٢١٣ نسخة يمين الفرنج التى حلفوا بها في هدنة عكا
- ٢١٤ نسخة تقليد لتولى الشيخ المهذب ابو الحسن بن الموفق بن النجم
ابن المهذب ابى الحسن بن صمويل المتطبب رياسة اليهود والتقليد من انشاء
ابن المكرم
- ٢١٦ تقليد آخر من انشاء محيى الدين بن عبد الظاهر
- ٢١٨ تقليد من انشاء ابن المكرم لتولى القضاة مهذب الدين وعلم الدين وموفق
الدين اولاد ابى خليفة رياسة الطب
- ٢٢١ تقليد من انشاء ابن المكرم لتولى القاضى تقى الدين بن شماس تدريس
المدرسة المباركة المنصورية
- ٢٢٥ تقليد من انشاء ابن المكرم لتولى مهذب الدين تدريس البيمارستان
المنصورى
- ٢٢٨ نسخة يمين حلف عليها ملك النوبة للسلطان الملك المنصور قلاون
- ٢٣١ تقليد من انشاء ابن المكرم لتولى الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ
جمال الدين ابى بكر بن محمد الفارسى الايكى مشيخة الشيوخ بخانقاه
سعيد السعداء بالقاهرة
- ٢٣٢ مثال الى اكابر بلاد السند والهند والصين واليمن صورة امان لمن
اختار الحضور الى الديار المصرية والبلاد الشامية . من انشاء القاضى فتح
الدين بن عبد الظاهر
- ٢٣٦ نسخة عهد كتب بها القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر للسلطان الملك
المنصور قلاون عن الخليفة الامام ابى العباس احمد الحاكم بأمر الله
- ٢٣٨ نسخة منشور كتب به عن الملك المنصور قلاون لابنه الناصر محمد في سلطنة
ابيه من انشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
- ٢٤٢ نسخة منشور كتب به للامير بدر الدين بيدرا أستاذار الملك المنصور قلاون
من انشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
- ٢٤٤ عهد عن المنصور قلاون لولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل من
انشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
- ٢٤٦ تراجم الأشهر من ورد ذكرهم في النص
- ٢٩٦ - ٢٥٣ القان ابغا بن هولاكو
- ٢٥٥

الصفحة	الموضوع
٢٥٥	— أولاد قرمان
٢٥٧	اياز بن الله الصالحى
٢٥٨	أبيك بن عبد الله التركى
٢٦٠	أيتامش بن عبد الله السعيدى التركى
٢٦١	بكتوب بن عبد الله التركى
٢٦١	بلبان بن عبد الله العلانى
٢٦٢	السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحى
٢٦٧	كتاب ملك الحبشة الى الملك الظاهر
٢٦٩	بيبرس بن عبد الله الناصرى التركى
٢٧٠	بيدرا بن عبد الله التركى المنصورى
٢٧١	القان تكدار
٢٧٢	جرمك بن عبد الله الناصرى التركى
٢٧٤	سنجر بن عبد الله التركى
٢٧٦	كيف قتل الشجاعى وذكر الخلاف الواقع بينه وبين زين الدين كتبغا
٢٨١	سنقر بن عبد الله الصالحى التجمى
٢٨٢	ذكر سلطنة شمس الدين سنقر الأشقر
٢٨٣	السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش
٢٨٤	حسام الدين طرنطاي وسبب قتله
٢٨٨	الملك الصالح على بن الملك المنصور
٢٩٠	عيسى بن مهنا
٢٩١	السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى
٢٩٢	السلطان الملك حسام الدين إلاجين المنصورى
٢٩٦	— محمد بركة قان بن الملك الظاهر
٣٠١	فهرس الاعلام
٣١٤	فهرس الاماكن
٣٢٤	فهرس الانهار والجيال والبحيرات
٣٢٥	مصادر التحقيق

المقدمة

- مقدمة .
- المخطوطة .
- المؤلف .
- نشأة الممالك .
- المنصور قلاوون .
- سيرة قلاوون من ٣ شعبان سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م -
١٠ جمادى الآخرة من سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م .

مقدمة

كنت أبحث في المكتبة الأهلية في باريس عن تاريخ الحبشة ، وعلاقتها بمصر في عصر المماليك . وفي فهرست المكتبة الذي وضعه « دوسلين » مخطوطة تحت رقم ١٧٠٤ ، عنوانها « من تشریف الأيام والعصور بسيرة السلطان الملك المنصور » . ولم يذكر لها صاحب الفهرست اسماً لمؤلف .

وقد تبين لي عند قراءة المخطوطة ، أنها سيرة السلطان الملك المنصور قلاوون ، وأن مؤلفها هو القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، صاحب ديوان الإنشاء . ووجدت أن هذا المؤلف القيم ، هو المرجع الذي أخذ عنه كل من أرخ للمنصور قلاوون .

أما إغفال اسم المؤلف على المخطوطة فسببه - على ما يظهر - هو أن المخطوطة تبدأ من الجزء الثاني من السيرة ، وتنتهى بوفاة المنصور ، أى تتحدث عن سيرته من جمادى الآخرة سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م إلى سنة ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م .

ولما كان الجزء الأول من السيرة لا يزال مفقوداً ، فقد رأينا استكمالاً للبحث ، وسدّاً للنقص أن ندون سيرة المنصور كما جاءت في ابن الفرات ، من اليوم الثالث من شهر شعبان سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م إلى العاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م .

مراد طامل

المخطوطة

ذكر « دى سلين » فى فهرست المخطوطات العربية المحفوظة بالمسكينة الأهلية بباريس تحت رقم ١٧٠٤ مخطوطة بعنوان « من تشريف الأيام والعصور لسيرة السلطان الملك المنصور » ، والواقع أن العنوان هو : الجزء الثانى من تشريف الأيام والعصور ، بسيرة السلطان الملك المنصور .

وتقع المخطوطة فى ٣٨٢ ورقة ، وحجم الورقة ٢٦ سم × ٢٠ سم ، وتحتوى كل صفحة على سبعة أسطر ، ومتوسط السطر سبع كلمات . والخط نسخ جميل ، وكتبت عناوين الموضوعات بخط كبير ظاهر .

يبدأ الكتاب بذكر أحداث سنة ٦٨٠ هجرية ، وينتهى بقصيدة للمؤلف فى مدح الملك المنصور .

بعض الأوراق بها بياض قليل : ورقة ٦٨ وجه سطر ٤ ، وورقة ٧٠ ، وورقة ١٠٦ وجه سطر ٢ ، وورقة ١١٠ وجه سطر ٨ ، وورقة ١٤٠ وجه سطر ٥ .

واستهل الورقة ١٣٥ وجه بخط نسخ كبير جميل ، وفى أعلى الجانب الأيمن فى الهامش عبارة « ما هو بقلم الطومار » ، وفى آخرها من الجانب الأيمن أيضاً عبارة « ما هو بقلم التوقيعات » . وفى الورقة ١٤٧ وجه ينتهى الجزء الثانى حيث ذكر بخط كبير « آخر الجزء الثانى من السيرة السلطانية الملكية المنصورية » ، ويتلو بياض إلى نهاية الصفحة . وأول ظهر هذه الورقة عبارة « العون ويحسن الصون ، هذه نبذة أتت على سبيل التذكرة والوصية . . »

وكثيراً ما كان المؤلف يشير عن نفسه إذا ما نظم الشعر بقوله : « وما نظمه المملوك » أويذكر اسمه : المملوك عبد الله بن عبد الظاهر ، كما فى ورقة ٩٥ .

المؤلف

محيي الدين بن عبد الظاهر

٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م - ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م

نسأته: محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر بن
نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة الجذامي المصري الضرير .

ولد بالقاهرة في التاسع من المحرم عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، وتوفي بها سنة
٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م ، كان كاتباً وشاعراً ، سمع من جعفر الهمداني ، وعبد الله بن اسماعيل
ابن رمضان ، ويوسف بن الخيلي ، وجماعة . حاكي القاضي الفاضل في أسلوبه ، والتزم
السجع ، واتبع المحسنات البديعية ، وبخاصة التورية . ويقول صاحب فوات الوفيات
أنه « وضع كثيراً من اصطلاحات الإنشاء ، ونظم الديوان ، وبقيت نظمه واصطلاحاته
معمولاً بها في مصر والشام إلى أن فتح العثمانيون مصر » .

وهو والد فتح الدين محمد ، صاحب دواوين الإنشاء ، ويظهر أنه بذ والده في هذه
الوظيفة . ومات فتح الدين في حياة أبيه سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م

حياته : لانعرف الكثير عن حياته ، ولكننا نعرف أنه كان شيعياً للاقراء بالديار
المصرية في زمانه ، كما كان بارعاً في النحو والعربية ، وكان صاحب ديوان الإنشاء لكل
من الملك الظاهر بيبرس ، والملك المنصور قلاوون ، والملك الأشرف خليل من ملوك المماليك
البحرية . وكان له شأن إبان حكم هؤلاء الملوك جميعاً .

كان أول من تولى منصب « صاحب ديوان الإنشاء » . وتذهب بعض الروايات
إلى أن ابنه فتح الدين ، كان أول من تولاه ، وتقول بعض المصادر أن هذا المنصب نشأ
قبل ذلك .

يقول صاحب النجوم الزاهرة (جزء ٧ صفحة ٢٩٣) : « وأما الملك المنصور قلاوون
فإنه في شهر رمضان (أي سنة ٦٧٨ هـ) ، عزل صاحب برهان الدين السنجاري عن

الوزارة بالديار المصرية ، وأمره بلزوم مدرسة أخيه قاضى القضاة بدر الدين السنجارى ، بالقرافة الصغرى ، واستقر مكانه فى الوزارة الصاحب فخر الدين ابراهيم بن لقمان ، صاحب ديوان الانشاء الشريف بالديار المصرية ، وتولى عوضه صحابة الديوان : القاضى فتح الدين محمد بن القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، وهو أول كاتب سر كان فى الدولة التركية وغيرها ؛ وإنما كانت هذه الوظيفة فى ضمن الوزارة ، والوزير هو المتصرف فى الديوان ، وتحت يده جماعة من الكتاب الموقعين ، وفيهم رجل كبير كئائب كاتب السر الآن ، سعى فى الآخر صاحب ديوان الانشاء . ومن الناس من قال : إن هذه الوظيفة قديمة ، واستدل بقول صاحب صبح الأعشى وغيره ممن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده . ورد على من قال ذلك جماعة آخر وقالوا : ليس فى ذكر من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الخلفاء دلالة على وظيفة كتابة السر ؛ وإنما هو دليل لـكل كاتب كتب لملك أو سلطان ، أو غيرها كائناً من كان ، فكل كاتب كتب عند رجل يقول : هو أنا ذاك الكاتب . وإذا الأمر احتمل ، واحتمل سقط الاحتجاج به . ومن قال : إن هذه الوظيفة ما أحدثها إلا الملك المنصور قلاوون ، فهو الأصح . » .

ويقول صاحب النجوم الزاهرة (جزء ٧ صفحة ٣٣٢) مستأنفاً الكلام ومدللاً بأن الملك المنصور قلاوون هو الذى أحدث وظيفة كاتب السر : « لما كان أيام الملك الظاهر بيبرس كان الدوادار يوم ذاك بلبان بن عبد الله الرومى . قال الشيخ صلاح الدين خليل الصفدى : كان من أعيان الأمراء (يعنى بلبان المذكور) ومن نجباؤهم ، وكان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه ، ويحمله أسراره إلى القصاد . ولم يؤمره إلا الملك السعيد بن الملك الظاهر بيبرس ، واستشهد بمصاف حمص سنة ثمانين وستمائة . وكان يباشر وظيفة الدوادارية ، ولم يكن معه كاتب سر ، فاتفق أنه قال يوماً لمحبي الدين بن عبد الظاهر : اكتب إلى فلان مرسوماً أن يطلق له من الخزانة العالية بدمشق عشرة آلاف درهم ، نصفها عشرون ألفاً . فكتب المرسوم كما قال له ، وجهزه إلى دمشق . فأنكروه ، وأعادوه إلى السلطان وقالوا مانع ! هل هذا المرسوم بعشرين نصفها عشرة أو بعشرة نصفها خمسة ؟ فطلب السلطان محيى الدين وأنكر عليه ذلك ، فقال : ياخوند ، هكذا قال لى الأمير سيف

الدين بلبان الدوادار . فقال السلطان : ينبغي أن يكون للملك كاتب سر ، يتلقى المرسوم منه شفاهاً .

وكان الملك المنصور قلاوون حاضراً من جملة الأمراء ، فسمع هذا الكلام ، وخرج الملك الظاهر عقيب ذلك إلى نوبة أبلستين ، فلما توفي الملك الظاهر ، وملك الملك المنصور قلاوون ، اتخذ كاتب سر . انتهى كلام الصفدى باختصار .

قلت : وفي هذه الحكاية ، دلالة على أن وظيفة كتابة السر ، لم تكن قبل ذلك أبداً ، لقوله : ينبغي للملك أن يكون له كاتب سر يتلقى المرسوم منه شفاهاً . وأيضاً تحقيق ما قلناه : أن وظيفة كتابة السر لم تكن قديماً ، وإنما كانت الملوك لا يتلقى الأمور عنهم إلا الوزراء .

قضية فخر الدين بن لقمان مع القاضى فتح الدين محمد بن عبد الظاهر فى الدولة الأشرفية خليل بن قلاوون ، وهو أنه لما توزر فخر الدين بن لقمان ، قال له الملك المنصور : من يكون عوضك فى الإنشاء ؟ قال : فتح الدين بن عبد الظاهر ، فولى فتح الدين ، وتمكن عند السلطان وحظى عنده . وفتح الدين هذا هو الذى قلنا عنه فى أول الكتاب إنه أول كاتب سر كان ، وظهر اسم هذه الوظيفة من ثم . انتهى .

وحظى فتح الدين عند السلطان إلى الغاية . فلما كان بعض الأيام دخل فخر الدين ابن لقمان على السلطان ، فأعطاه السلطان كتاباً يقرؤه ، فلما دخل فتح الدين أخذ السلطان الكتاب منه وأعطاه لفتح الدين ، وقال لفخر الدين : تأخر . فعظم ذلك على فخر الدين ابن لقمان .

كان منصب كاتب السر يتطلب من صاحبه أن يقرأ جميع الرسائل الواردة ، وأن ينشئ جميع الرسائل والوثائق الهامة .

ويظهر أن محي الدين بن عبد الظاهر قام بهذه المهمة فى عهد الملك بيبرس ، فقد حضر يمين الولاء الذى أقسمه هذا الملك للخليفة سنة ٦٦١ هـ ، وأنشأ خطبة الخليفة . وكتب عام ٦٦٢ هـ التقليد الذى رسم به الملك السعيد ولياً للعهد ، وحرر بعد ذلك عقد

الزواج بين هذا الملك ، وبين ابنة قلاوون . وكذلك كتب التقليد الذى رسم به ابن قلاوون ولياً للعهد . وفى عام ٦٦٦ هـ سحب أحد الأمراء إلى عكا لتلقى يمين الولاء من حاكمها ، ولكن دون جدوى .

وقام بتدبير شئون الدولة ، حين حكم البلاد ابن قلاوون نيابة عن أبيه الذى كان غائباً فى رحلة ، وقضى رجعاً من الزمن فى دمشق .

مؤلفاته : أرخ ابن عبد الظاهر لحكم السلاطين الثلاثة : الظاهر بيبرس ، والمنصور قلاوون ، والأشرف خليل بن قلاوون . ويعتبر تاريخه على جانب كبير من الأهمية لأنه عاصر هؤلاء السلاطين ، وكان كاتب السر عندهم ، ولأنه دون النصوص الأصلية للمراسلات والمعاهدات .

وأخذ عن ابن عبد الظاهر كل من أرخ لهؤلاء السلاطين من بعده .^(١) فسيرة السلطان

(١) استعان به القلقشندي فى صحيح الأعشى :

« المحمودية » قال القاضى محي الدين بن عبد الظاهر :

ولعلها منسوبة إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية القادمة فى أيام العزيز بالله الفاطمى إلى مصر .

« الباطلية » قال ابن عبد الظاهر :

تعرف بقوم أتوا المعز باني القاهرة ، وقد قسم العطاء فى الناس فلم يعطهم شيئاً ، فقالوا : نحن على باطل ؟ فسميت الباطلية (٣٥٧ ص) .

« البرقية » قال ابن عبد الظاهر :

اختطها قوم من أهل برقة ، قدموا بحبة جوهر ، فعرفت بهم .

« قصر الشوك » قال ابن عبد الظاهر :

كان قبل عمارة القاهرة منزلة لبني عذرة تعرف بقصر الشوك . (٣٥٨ ص) .

« الجوانية » قال ابن عبد الظاهر :

وهي صفة لمخدوف ، وأصاها حارة الروم الجوانية ، وذلك أن الروم الواسلين بحبة جوهر اختطوا حارة الروم المتقدمة الذكر ، وهذه الحارة ، وكان الناس يقولون : حارة الروم البرانية وحارة الروم الجوانية ، فنقل ذلك عليهم فأطلقوا على هذه الجوانية وقصروا اسم حارة الروم على تلك .

قال : والوراقون إلى هذا الوقت يقولون حارة الروم السقى ، وحارة الروم العليا المعروفة بالجوانية ، ثم قال : ويقال إنها منسوبة إلى الأشراف الجوانيين الذين منهم الشريف الجوانى النسابة (٣٥٩ ص) .

قال ابن عبد الظاهر :

وباب سعادة ربما ينسب إلى سعادة بنت حيان غلام المعز ، وكان قد ورد من عنده فى جيش إلى

جوهر ، وولى الرملة .

قال : وباب القنطرة منسوب إلى القنطرة التي أمامه ، وهي من بناء القائد جوهر بناها عند خوفه من القرامطة ليحجز عليها إلى المقس . والقوس الذي بالشارع الأعظم خارج باب زويلة على رأس المنجبية عند الطيورين الآن كان باباً بناء الحاكم بأمر الله خارج القاهرة ، وكان يعرف بالباب الجديد (ج ٣ ص ٣٥٤) .
قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر :

وقياس هذا السور (سور القاهرة) من أوله إلى آخره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وذراعان بالهاشمي ، من ذلك من باب البحر إلى البرج بالكوم الأحمر ، يعني رأس منشأة المهراني المتقدم ذكرها في الكلام على خطط القسطنطينية عند فوهة خليج القاهرة عشرة آلاف ذراع ، ومن الكوم الأحمر المذكور إلى قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع ، ومن مسجد سعد الدولة المذكور إلى باب البحر ثمانية آلاف ذراع وثلاثمائة واثنتان وتسعون ذراعاً ، ودائر القلعة ثلاثة آلاف ذراع ومائة وعشرة أذرع (ج ٣ ص ٣٥٤) .

قال ابن عبد الظاهر (عن السور أيضاً) :

ولذلك عتب المعز عند وصوله إلى الديار المصرية ودخوله القاهرة على جوهر لكونه لم يعمرها مكان المقس على القرب من باب البحر أو جنوبي القسطنطينية على القرب من الرصد لتسكون قريبة من النيل عذبة مياه الآبار (ج ٣ ص ٣٥٥) .

وكما كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في رسالة اقترحت عليه في هذا الباب (تصرف الكاتب في علم العربية) وهي :

حرس الله نعمة مولاي ! ولا زال كلم السعد من اسمه ، وفعله ، وحرف قلعه يأثف ، ومنادى جوده لا يرخم وأحمد عيشه لا ينصرف ، ولا عدم مستوصل الرزق من براعته التي لا تقف الوصل.... ولا عدمت نحة الجود من نواله كل موزون ومعدود ، ومن فضله وظله كل مقصور وممدود ، ولا خاطبت الأيام ملتصقة إلا بلام التوكيد ، ولا عدوه إلا بلام الجحود . هذه الغاوضة إليه أعزه الله تفهمه أنا بلغنا أت فلانا أضمر سيدنا له فعلا غدا به منتصباً للمكاييد ومعتلاً وليس موصولاً كالذي بصلّة وعائد . وما ذاك إلا لأن معرفتها داخلها التنكير ، وقدر لها من الاحتمالات أسوأ التقدير ونعوت صحبته تكررت فجاز قطعها بسبب ذلك التكرير ، وسيدنا يعلم بالعلمية المذكور الإنافة وما لإضافته إلى جلالته من الاتناء الذي يجب أن يكون لأجله عيشه به خفضاً على الإضافة . وكان الظن أن الاشغال التي جمعت له لا تكون جمع تكسير بل جمع سلامة وآية لا تكلف تعليماً على وصول لأنه في الديوان كالحرف لا يخبر به ولا عنه والحرف ليست له علامة . وحاش لله أن يصبح معرب إحسانه مبنياً ؛ وأن نزيل كرمه يكون للنكرات بأى محكا أو أن يأتي سيدنا بالماضي من الأفعال في معنى الاستقبال ، أو أن يجعل بدل غلظه الإبدال للاشتغال ، أو يدغم من مودته مظهرأ ، أو أنه لا يجعل لمبتدأ محبته مخبرأ ، أو أن لا يكون له من أبنية تدبير سيدنا مصدرأ . ولا برح سيدنا نسيج وحده في أموره ! ولا زال حلمه يتناسى الهفوات لا يشتغل مفعوله عن فعله بضميمه . (ج ١ ص ١٧٦) .

نسخة جواب كتاب ورد عن صاحب الحبشة من سلطنة الملك المظفر صاحب اليمن ، على الملك الظاهر بيبرس بطلب مطران يقيمه لهم البطرك ، مما كتب به القاضي محيي الدين (ج ٨ ص ٤٠ - ٤٢) .
ماحكا في « التعريف » عن صاحب نثر الدين إبراهيم بن لقمان فيما كتب به للظاهر بيبرس ، وذكر أن ابن لقمان ليس بحجة . ثم قال : على أن الفاضل محيي الدين بن عبد الظاهر قد تبعه فيما كتب به للمنصور قلاوون (ج ١٠ ص ٩٨) .

ولم يتعرض في التعريف لمحاكاة هذا المذهب مع كون كلام ابن عبد الظاهر حجة يرجع إليه في هذا الفن . (ج ١٠ ص ١٦٠) .

الظاهر بيبرس المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، استعان بها المقرئ في خطه^(١) ، وشافع العسقلاني

== خطاب السلطان أحمد القان بإيران إلى الملك المنصور في رمضان ٦٨١ هـ بخط ناصر الدين شافع ابن علي بن عباس أحد كتاب الإنشاء (ج ٧ ص ٢٣٧) .

نسخة كتاب إلى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور مبشرا بفتوح صافينا من إنشاء القاضي محي الدين (ج ٧ ص ٣٥٣ - ٣٥٧)

نسخة كتاب آخر إلى صاحب اليمن عن الملك المنصور جواب تعزية أرسلها إليه في ولده الملك الصالح من إنشاء القاضي محي الدين (ج ٧ ص ٣٥٧ - ٣٦٠)

نسخة كتاب كتب بها عن الملك المظفر قطز بالشارة بهزيمة التتار من إنشاء القاضي محي الدين (ج ٧ ص ٣٦٠ - ٣٦٢)

كتب محي الدين بن عبد الظاهر عن الأشرف خليل إلى صاحب اليمن بالبشرى بفتح طرابلس (ج ٧ ص ٣٦٦ - ٣٧٠)

وكما كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور قلاوون إلى صاحب اليمن في جواب تعزية أرسلها إليه في ولده الملك الصالح مع تعريضه في أمر له بأن الحروب مما يشغل عن المصائب في الأولاد مستشهداً فيه بقوله :

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهوت ما تمر به الوحول

(ج ٦ ص ٣١٠)

نسخة عهد عن الظاهر بيبرس لولده الملك السعيد ، كتبها القاضي محي الدين بن عبد الظاهر (ج ١٠ ص ١٦٣ - ١٦٦)

(١) قال ابن عبد الظاهر : وسمعت حكاية تحكي عن صلاح الدين أنه طلعها (قلعة الجبل) ومعه أخوه الملك العادل فلما رآها التفت إلى أخيه وقال : يا سيف الدين قد بنيت هذه القلعة لأولادك فقال : يا خوند من الله عليك أنت وأولادك وأولاد أولادك بالدنيا فقال : ما فهمت ما قلت لك أنا نجيب ما يأتي لي أولاد نجباء وأنت غير نجيب فأولادك يكونون نجباء . فسكت . قال مؤلفه رحمه الله : وهذا الذي ذكره صلاح الدين يوسف من انتقال الملك عنه إلى أخيه وأولاد أخيه ليس هو خاصا بدولته بل اعتبر ذلك في الدول تجميد الأمر ينتقل عن أولاد القائم بالدولة إلى بعض أقاربه . هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائم بالملة الإسلامية ولما توفي صلى الله عليه وسلم انتقل أمر القيام بالملة الإسلامية بعده إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي فهو رضي الله عنه يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ، ثم لما انتقل الأمر بعد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إلى بني أمية كان القائم بالدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية فلم تفلح أولاده وصارت الخلافة إلى مروان بن الحكم بن العاص بن أمية فتوارثها بنو مروان حتى انقضت دولتهم بقيام بني العباس رضي الله عنه فكان أول من قام من بني العباس عبد الله بن محمد السفاح (ج ٢ ص ٢٠٤)

وقال ابن عبد الظاهر : سمعت غير واحد يقول : إنه لما فرغ أحمد بن طولون من بناء هذا الجامع أسر للناس بسباع ما يقوله الناس فيه من العيوب فقال رجل محرابه صغير وقال آخر ما فيه عمود وقال آخر ليست له ميسأة لجمع الناس وقال : أما المحراب فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لي فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذي خطه لي . وأما العمود فإني بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكثر وما كنت لأشوبه بغيره وهذه العمدة إما أن تكون من مسجد أو كنيسة فنزعت عنها وأما الميسأة

المتوفى سنة ٧٣٠ هـ في كتابه الذى وضعه نثراً عن الظاهر « المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية » ، والناصرى الشافعى فيما اقتطفه من السيرة الظاهرية .

وتاريخ المنصور قلاوون الذى أسماه « تشریف الأيام والعصور فى سيرة الإمام الملك المنصور » ولم نعتز منه إلى الآن إلا على تأريخه للحوادث من عام ٦٨٠ هـ إلى وفاة قلاوون .
✓ وتاريخ الأشرف خليل بن قلاوون « الألفاظ الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية » من سنة ٦٨٩ هـ إلى ٦٩٣ هـ ، ولم يبق منه إلا جزء من سنة ٦٩٠ هـ إلى ٢٧ محرم من سنة ٦٩١ هـ . وقد نشره مويرج مع إغفال بعض الوثائق الخاصة بالوقف .

وله كتاب فى التاريخ « كتاب الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة » ، وقد استعان به المقرئى كثيراً فى خطه وبخاصة ما يتعلق بالآثار .

✓ وله مقامة فى مصر والنيل وكتاب « تائم الحائم » تناول فيه الكلام عن الحمام الزاجل ، وله رسائل كثيرة

✓ ومن رسائله ما كتبه على لسان الملك المنصور قلاوون يرد على صاحب اليمن عندما عزاه فى موت ابنه ويظهر تجلده على فقدده ، وهى طويلة ذكر منها صاحب فوات الوفيات : « ولنا والشكر لله ، صبر جميل ، لا نأسف معه على فائت ، ولا نأسى على مفقود . وإذا علم الله سبحانه ، حسن الاستنابة إلى قضائه ، والاستسكانة إلى عطائه ، عوض كل يوم ما يقول المبشر به ، مولى مولود . وليست الإبل بأغلظ أكبداً ممن له قلب لا يبالي بالصدمة ، كثرت أو قلت ، ولا بالتباريح حقرت أو جللت ، ولا بالأزمات إن هى توالى أو توات . »

= فإنى نظرت فوجدت ما يكون بها من النجاسات فظهرته منها وها أنا أبنيها خلفه ثم أمر ببنائها (ج ٢ ص ٢٦٨)

قال ابن عبد الظاهر : وعلى باب الجامع الحاكمى مكتوب أنه أمر بعمله الحاكم أبو على المنصور فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وعلى منبره مكتوب أنه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمى المنشأ بظاهر باب الفتوح فى سنة ثلاث وأربعمائة ورأيت فى سيرة الحاكم وفى يوم الجمعة أقيمت الجمعة فى الجامع الذى كان الوزير أنشأه بباب الفتوح (ج ٢ ص ٢٧٧)

ويقول فى ج ٢ ص ٣٦٥ فى الحديث عن مدرسة السيوفية : « وقد وهم القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فإنه قال : فى كتاب الروضة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة : مدرسة السيوفية » .

وكتب إلى بعض أصحابه يستدعيه إلى حمام :

« هل لك - أطل الله بقاءك إطالة تكرع بها من منهل النعيم ، وتتملى بالسعادة على الزهر بالوسمى ، والنظر بالحسن الوسيم - فى المشاركة فى حمام جمع بين جنة ونار ، وأنواء وأنوار ، وزهر وأزهار ، قد زال فيه الاحتشام ، فكل عار ولا عار ، نجوم جاماته لا يعتريها أفول ، وناجم رخامه لا يغيره ذبول . تنافست العناصر على خدمة الحال به ، تنافساً أحسن كل التوصل فيه إلى بلوغ أربه ، فأرسل البحر بماء جسده من جسده ، لتقيل أخضه إذ قصرت همته عن تقبيل يده . ولما لم ير التراب له فى هذه الخدمة مدخلاً ، تطفل وما علم أن التسريح لمن جاء متطفلاً ، والنار رأت أن لا أحد بمباشرتها يستقل ، وأن فيها معنى بفرض الخدمة لا يخل ، لأن لها حرمة هداية الضعيف فى السرى ، وبها دفع القر ونفع القرى ، فأعلمت ضدها الماء فدخل وهو حار الأنفاس ، وغلت مرآجه عليها فلاجل ذلك داخله من صوت تسكابه الوسواس ، والهوى أنه قصر من مطاولة هذا المبار ، فأمسك متميهاً ينظر ولكن من خلف زجاجة إلى تلك الدار ، ثم إن الأشجار رأت ألا شائبة لها فى هذه الخطوة ، ولا مساهمة بشيء من تلك الخلوة ، فأرسلت من الأمشاط أكتفاً أحسنت بها وجوه الفرق ، ومرت على سواد الغدائر الفاحمة كما يمر البرق ، وذلك على يد قيمٍ قيمٍ بحقوق الخدمة ، ماهر فيما يعامل به أهل النعيم من أسباب النعمة ، خفيف اليد مع الأمانة ، موصوف بالمهابة عند أهل تلك المهابة ، لطف أخلاقاً حتى كأنها عتاب بين جحظة والزمان ، وأحسن صنعة فلا يمسك إلا بمعروف ، ولا يسرح إلا تسريحاً بإحسان ، أبداً يرى من نظافته وهو ذو صلف ، ويشاهد مزيلاً لكل أذى حتى لو خدم البدر أزال عن وجهه الكلف ، بيده موسى كأنه صباح ينسخ ظلاماً ، أو نسيم ينفذ عن الزهر أكلماً ، إذا أخذ صابونه أوهم من يخدمه بما يمر على جسده أنه بحر عجاج ، لما يبدو من زبد الأعكان التى هى أحسن من الأمواج ، فهلم إلى هذه اللذة ، ولا تعد الحمام دعوة أهل الحرف ، فربما كانت هذه من بين تلك الدعوات فذة . وأمل سيدنا يشاهد ما لا يحسن وصفه قلمى ، ولا ينسق عطفه يدى ولا فى ، وإذا جمع عنان بنانى فأقول ، وأخلع للخلاعة ما تستر به ذوو العقول ، لدى - ألهمك الله - غصون قد هزها

الحسن طرباً ، بل رماح لغير كفاح قد نشرت من شعورها عذباً ، وبدور أسبلت من الذوائب غيباً ، قد جعلت بين الخصور والروادف من المآزر برزخا لا يبغيان ، وعلمنا بهم أننا في جنة تجرى من تحتها الأنهار ، وتطوف علينا بها الولدان ، يكاد الماء إذا مرّ على أجسادهم يجرحها بمره ، والقلب أن يخرج إلى مباشرتها من الصدر ، وعجيب لامرئ لا يلقى الأمور بصدده ، إذا أسدل بعضهم ذوائبه ترى ماءً عليه ظل يرف ، وجوهراً من تحت عنبر يشف ، يطلب كل منهم السلام ، وكان الواجب أن تطلب منه السلامة ، وكيف لا وقد غدا كل منهم أمير حسن وشعره المنشور ، وخاله العلامة . إذا أفاض ماء عبيره على الحضار ، قلت هذا بدر بيده نجم تقسم منه أشعة الأنوار ، وإن أخذ غسولاً ، وأمره على جسمه مفرگاً ، لم يبق عضو إلا اكتسب منه لطافة وراح مدرکاً . فما عذرك في انتهاز تلك الفرص ، واقتناص هذه الشوارد التي يعذر فيها من اقتنص . والله تعالى يوالى إليك المسار ، ويجعلها لديك دأمة الاستقرار ، بمنه وكرمه .

وكتب ابن عبد الظاهر في محضر قيم حمّام الصوفية ، جوار خانقاه سعيد السعداء
اسمه يوسف :

« يقول الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عبد الظاهر : أن أبا الحجاج يوسف ، ما برح لأهل الصلاح قيماً ، له جودة صناعة استحق أن يدعى بها قيماً ، كم له عند كل جسم من منّ جسيم ، وكم أقبل مستعملوه تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، وكم تجرد مع شيخ صالح في خلوة ، وكم قال وليّ الله : يا بشرى إنه ليوسف حين أدلى في حوض دلوه ، كم خدم من العلماء والصلحاء إنساناً ، وكم ادخر بركاتهم لدينا ، وأخرى فصل كل منهم شفيعين مؤثراً وعرياناً ، كم حرمة خدمة له عند أكابر الناس ، وكم له يد عند كل جسد ومنة على رأس ، كم شكرته بأبشار البشر ، وكم حاك رجل رجل صالح ، فتحقق هناك أن السعادة لم تخص المجبر ، قد بين بخدمة الفضلاء والزهاد أهله ، وقبله وقبيلة ، وشكر على ما يعاب به غيره من طول الفتيلة ، تتمتع الأجساد بتطيينه لحمامه بظل ممدود ، وماء مسكوب ، وتكاد كثرة ما يخرج من المپاه أن تكون أنبوباً على أنبوب . »

ومن إنشاء ابن عبد الظاهر كتاب كتبه إلى الأمير شمس الدين آقسنقر جواباً عن كتاب كتبه بفتح بلاد النوبة :

« وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ، أدام الله نعمة المجلس ، ولا زالت عزائم مرهوبة ، وغنائم مجلوبة ومحبوبة ، وخطاه هذه تكفي النوب ، وهذه تكفي النوبة ، ولا برحت وطأته على الكفار مشتدة ، وآماله لإهلاك الأعداء كرماحه ممتدة ، ولا عدمت الدولة بيض سيوفه التي يرى بها الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة . صدرت هذه الكتابة إلى ذلك المجلس تثنى على عزائم التي واتت كل أمر رشيد ، وأتت على كل جبار عنيد ، وحكمت بعدل السيف في كل عبد سوء ، وما ربك بظلام للعبيد ، حيث شكرت الضمر الجرد وحمدت العيس ، واشتبه يوم النصر بأمره بقيام حروف العلة مقام بعض ، فأصبح غزو كنيسة سوس كغزو سيس ، ونفهمه أنا علمنا أن الله بفضله طهر البلاد من رجسها وأراح العباد ، وحسم مادة معظمها الكافر ، وقد كان وكاد ، وعجل النحر بالأضحية بكل كبش حرب يبرك في سواد ، وينزل في سواد ، وينظر في سواد . ويحققنا النصر الذي شفى النفوس ، وأزال البوس ، ومحا آية الليل فجر الشموس ، وخرب دنقلة كجزيرة سوس ، وكيف لا يخرب شيء يكون فيه سوس . فالحمد لله على أن صحبتهم عزائم المجلس بالويل ، وعلى أن أوج النهار من السيف منهم في الليل ، وعلى أن رد حرب حراهم إلى نحورهم ، وجعل تدبيرهم في تدبيرهم ، وبين خيط السيف الأبيض من الخيط الأسود من فجر فجورهم ، واطلع على مغيبات النصر ذهن المجلس الحاضر ، وأورث سليمان المؤمن ملك داود الكافر ، وقرن النصر بعزم المجلس الأنهض ، وأهلك العدو الأسود بميمون طائر النصر الأبيض ، وكيف لا وآقسنقر هو الطائر الأبيض ، وأقر لأهل الصعيد كل عين ، وجمع شملهم ، فلا يرون من عدوهم بعدها غراب بين ، ونصر ذوى السيوف على ذوى الخراب ، وسهل صيد ملكهم على يد المجلس وكيف يعسر على السنقر صيد الغراب .

والشكر لله على إذلال ملكهم الذي لان وهان ، وأزاله بيأسه الذي صرح به سر

عُكِّلَ مِنْهُمْ فِي قِتَالِهِ فَأَمْسَى وَهُوَ عَرِيَانٌ ، وَأَنْهَلَ مِنْهُمْ الْأَسِنَّةَ الَّتِي غَدَا طَعْنُهَا كَفَمَ الزُّقِ عَدَاءَ
وَالزُّقِ مَلَأَنَ ، وَدَقَّ أَقْفِيَّتَهُمْ بِالسَّيْفِ الَّذِي أَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِفَأْلِهِمُ الطَّيْرَ فَقَالَ دُقْ قَفَا
السُّودَانَ ، وَرَعَى اللَّهُ جِهَادَ الْمَجْلِسِ الَّذِي قَوْمَ هَذَا الْحَادِثِ الْمُنَادَ ، وَلَا عَدَمَ الْإِسْلَامِ
فِي هَذَا الْخَطْبِ سَيْفُهُ الَّذِي قَامَ خَطِيئًا ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَلْبَسَهُ مِنْهُمْ السُّودَ ، وَشَكَرَ لَهُ
عِزُّهُ الَّذِي اسْتَبَشَّرَ بِهِ وَجْهَ الزَّمَنِ بَعْدَ الْقُطُوبِ ، وَتَحَقَّقَتْ بِلَادُ الشَّمَالِ بِهِ صِلَاحُ بِلَادِ
الْجَنُوبِ ، وَأَصْبَحَتْ بِهِ سَهَامُ الْغَنَائِمِ فِي كُلِّ وَجْهٍ تَسْهَمُ ، وَمَتَوْنَ الْفَتْوحَاتِ يَمْتَطِي السَّيْفَ
مِنْهَا كُلُّ سَيْسٍ وَتَارَةٍ كُلُّ أَدْهَمٍ ، وَلِلَّهِ الْمُنَّةُ عَلَى أَنْ جَعَلَ زَيْغَ الْعَدُوِّ بِعِزَائِمِ الْمَجْلِسِ حَصِيدًا
كَأَنَّهُ لَمْ يَغْنِ بِالْأَمْسِ ، وَأَقَامَ فِرَوضَ الْجِهَادِ بِسَيُوفِهِ الْمُسْنُونَةِ وَأَنَامِلِهِ الْحَمْسِ ، وَقَرْنَ بِنَانِهِ
بِتَوْصِيلِ الطَّعْنِ لِنَحُورِ الْأَعْدَاءِ ، وَدَقَّتِ النَّحْرُ قَيْدَ رَمَحٍ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَنَزَجُوا مِنْ كَرَمِ
اللَّهِ تَعَالَى إِدْرَاكَ الْمَطْلُوبِ ، وَرَدَّهُ عَلَى السَّيْفِ بِعَيْبِ حَرْبِهِ وَالْعَبْدِ الْأَسْوَدِ إِذَا حَرْبُ يَرِ
بَعَيْبِ الْمَرْوَبِ .

وَكَانَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ شَاعِرًا ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

قَلْتُ لِلْعَيْنِ طَيْفَ الْفِكَ سَارَى	فَتَحَى لَهُ وَلَوْ بَعْوَارَى
فَتَهَيْتُ لِقَرْبِهِ وَتَهْنَأْتُ	مِنْ دَمُوعٍ إِلَيْهِ بَيْنَ جَوَارَى
يَتَسَابَقُنْ خِدْمَةَ فَتَاهُنْ لـ	لِجَدِّهَا كَالْدَرِ أَوْ كَالدَّرَارَى
ثُمَّ لَمَّا تَحَقَّقَ الطَّيْفُ أَنَّ تَلـ	كَ دَمُوعَ خَشْيِ جَوَارِ الْبَحَارِ
بَاتَ جَارِي وَدَمَعُ عَيْنِي جَارِي	فَتَحَيَّرْتُ بَيْنَ جَارٍ وَجَارِي
يَا لِقَوْمِي بَيْنَ هَذَا وَهَذَا	كَيْفَ يَبْقَى السُّلُو حَسَنَ اصْطِبَارِي
مَعْرُوفِي جَمَالِهِ إِنْ تَبَدَّى	خَجَلْتُ مِنْهُ جَلَّةِ الْأَقْبَارِ
كَيْفَ أَرْجُو الْوَفَاءَ مِنْهُ وَعَامِلِ	مَنْ غَرِيماً مِنْ طَرَفِهِ ذَا انْكَسَارِ
ذُو حَوَاشٍ تَبْدُو وَلَنَا قَلَمُ الرِّيحِ	أَنْ مِنْ خَدِّهِ فُجْلُ الْبَارِي
فِيهِ وَجَدِي مُحَقَّقٌ وَسُلُوى	وَكَلَامُ الْعَذُولِ مِثْلُ الْغُبَارِي

ولسانى فى حبه قلم الشع
كم أكنى عنه وأكتم وجدى
حر ورق المكتوب بالطومارى
وأرى الحب هاتك الأستار
وقال متغزلاً :

ماخلت أنى من سلوى مملق
كلا ولا خلت اصطبارى كاسداً
بالرجال نصيحة من عاشق
علقتة غصناً بيدر مشعراً
لو لم تكن كالرمح قامته لما
قمر له الوجه الذى هو جنة
فعداره من سندس ورضابه
وله :

كم قلت لما بت أرشف ريقه
بالله يا ذات اللما مترويا
وأرى نقى الثغر درّا منتقى
كرّر على حديث جيران النقا
وله :

وناطقة بالروح من أمر ربها
سكمتنا وقالت للنفوس فأطربت
تعبير عما عندنا وتترجم
فنحن سكوت والهوى يتكلم
وله :

يا قاتلى بلحاظ
إن صبروا عند قابى
قتيلها ليس يقبر
فهو القتيل المصبر
وله :

لئن جاد لى بالوصل طيف خياله
ألا إنما الأقدار تجرم سائلاً
وأصبح محروماً رقيب ولائم
وأخر يأتى رزقه وهو نائم

وله :

نسب الناس للحمامة حزناً وأراها في الحزن ليست هنالك
خضبت كفه وطوقت الجيد د وغنت ، وما الحزين كذلك

وقال :

لا وأخذ الله بندق فكم وشى بي عندك
وقال عني بأني شبت بالغصن قدك
وأنت تعظم عندي أن يصلح البدر عبدك
ولست والله أرضى أن يحكي الورد خدك
فقاتل الله طرفي فكم به نلت قصدك
ولا رعى الله قايي فكم رعى لك عهدك
فمن ترى أنا حتى جعلت قتلى وكدك
وكم أطعتك جهدي وكم تجنبيت جهدي
وأنت تخلف وعدى ولست أخلف وعدك
وما عشقتك وحدي بل عشقتك وحدي
وبعد هذا وهذا وذاك لاذت فقدك

وقال محي الدين بن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر في قسمة الملك

الظاهر لغنايم سيس :

ياملك الأرض الذي عزمه كم عالم للكفر منه خرب
قلبت سيسا فوقها تحتها والناس قالوا سيس لا تنقلب

وقال أيضاً :

أى يوم بنصره قد حبيننا وبه الله قد أقر العيوننا
يوم جزنا بلاد سيس وقلنا أى نصر من ربنا قد جزينا
(٣ م تشرىف الأيام)

إذ تبدى السلطان بين نجوم
يركضون الجياد فى حلبة النص
كل شقراء كالسلاف وصفراء
وجياد من الأدام والشهب
وكميت قد راح حى كمي
فوقها من بنى الحروب رجال
كم أذلوا القروم نهبا وأسرا
فتحوا المدن والحصون وكفوا
بسطى سيد الملوك ومن قد
ركن دين الإله ببيرس الظا
أسد الله فى الوجود أتاها
وتولى ليفون منه حسيرا
وكذاك التتار خوفا ورعبا
آه لو أنهم أقاموا فقالوا
أنذروا بالجيش أبغا فولى
وترامت كل البلاد وقالت
ليت جيش السلطان وافي إلينا
ليت انا فى حكمه وفداه
ليت جيش السلطان جاء إلينا
ولو قدرنا نأتى إليه أتينا
جعل الله عمره فى امتداد
وقال أيضا :

ياويح سيس أصبحت نهبة
وكم بها قد ضاق مسلك
كم عوق الجارى بها جارية
يستوقف الماشى بها الماشية

ولما توفي الملك الظاهر رثاه مؤلف سيرته أنقاضى يحيى الدين بن عبد الظاهر بمرث
(منها) :

ما مثل هذا الرزء قاب يحمل	كلا ولا صبر جميل يحمل
الله أكبر إنها لمصيبة	منها الرواسى خيفة تنزل
ما للرماح تخولتها رعدة	ألتركها إذ ليس يعقل تعقل
لهفى على الملك الذى كانت به الـ	مدنيا تطيب وكل فقر منزل
الظاهر السلطان من كانت له	منن على كل الورى وتطول
لهفى على آرائه تلك التى	مثل السهام إلى المصالح ترسل
لهفى على تلك العزائم كيف قد	غفلت وكانت قبل ذا لا تغفل
أسفى على تلك الجيوش وقولها	أين الذى كنا به لا نخذل
أسفى على السير التى ألفتها	كيف اغتدت بوفاته تتكل
أين الذى عمر القلاع فأصبحت	من دون رفعتها السماك الأعزل
والله مات وفات منه كل ما	كنا له طول الزمان تؤمل
سهم أصاب وما روى من قبله	سهم له فى كل قلب مقتل
ثكلتك أمك يا جبان أما ترى	قرن الفوارس فى الفراش يعلل
من بعد ما قتل الألوف وصار	ع الأبطال حيلته الشديدة تبطل
ما راعه سيف تجرد حده	كلا ولا لدن قويم يعمل
بل راعه القدر الذى لم يحمه	منه الجيوش ولا الحسام المفصل
لله موقفه الذى فيه غدا	لنصر يذهب حيث كل يذهل
وإذا التتار تألفت وتألبت	فى مرج هوى والكنان تنبل
حيث العدى قد أصبحت أجسادهم	ما شاءت الفتكات فيها تفعل
فى كل رأس ضربة ما تنشى	حتى تقد بمنتهاها الأرجل
وبكل صدر طعنة تحكى فما	فيه الأسنة كالنغور تكال
كم بالسهام لها سؤال قد بدا	ولكم بقتل أصبحت تتحلل
وحيث الصفوف على الصفوف وما	له عن موقف يرضى الخليفة معذل

والسكفر قد مهتوا له إذ أبصروا حجباً عليه من الوقاية تسبيل
ولديه كل مهتد قال العدى لما بدا هذا القضاء المنزل
والسيف يشتف الدماء فكم له فى كل نحر منزل مستوبل

ومنها :

وأنى دمشق وكل قايد ججفل متدلل فى أسره متدلل
كم ذات جبل قد رأت مولاها فى القيد ما بين المواكب يحجل
قالت له هذا هو الملك الذى ما كان يحمى منه يوماً معقل

ومنها :

أنا إن بكيت فإن عذرى واضح ولئن صبرت فإنى أتمثل
خلف السعيد لنا الشهيد فأدمع منهلة فى أوجه تتهلل
للناس من هذا ربيع آخر ومن الشهيد لهم ربيع أول
هذا إلى الرضوان راح وذا له من بعة الرضوان جبل موصل
وخاية من حزن قابى أقبلت عن شرح أحوالى الخفية تسأل
أفهمتها شينى وحرزى بعد من كانت لديه مكانتى تتأثل
قالت لك القلم الذى قد طرزت سير به وقصايد وترسل
فأجبتها لا شىء من ذا نافع قلم البليغ بغير حظ مغزل
قالت نذكركم بجرمة من مضى فلعلمهم أن يحملوا أو يفضلوا
لازال يعتذر الزمان إليكم مما جنى ولديكم يتنصل

يقول ابن الفرات :

وكان القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر فى الحرم من هذه

السنة (٦٧٨ هـ) رثى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى بقصيدة وسيرها إلى دمشق
لتنشد على قبر الملك الظاهر وهى :

ياقبر من فجعت به الآنام	(تقرا) عليك تحية وسلام
هد الهدى وتأثر الإسلام	الظاهر السلطان من بمصابه
فيها تنيه على الوجود الشام	وغدت دمشق بقبره وحلوله
ما أصبحت بمسرة تشتام	(قبر) الذى لو أنصفته قلوبنا
عاشوا ومن بلغوا به ماراموا	بالله يامن فى صنایع جوده
مدار والأرزاق والأقوام	يامن به خدمتهم الأيام والأق
جيب الصباح وشقت الأفلام	لم لاشققتم مثل ما شق الدجى
عند الخلاق حرمة وذمام	أبن البكاء الذى كانت له
قرن الرجال ثوت عليه رجام	أين المدامع يا جفون أما ترى
قل يا رسول وما عليك ملام	هذا الذى قال الملوك لرعية
تفتالهم عند السكرى الأحلام	هذا الذى هزم التتار فأصبحوا
تردبهم من رعبه الأوهام	هذا الذى قهر الفرنج فكاهم
تبكى لها الأسراج والأجام	تعتت جياد بعده قد أصبحت
ملك السعيد تسكن الآلام	أستغفر الله العظيم فإن بال
مدد العزاء كأنها أحلام	وتعود أيام السرور وتنقضى
وينير بدر الملك وهو تمام	وتلوح شمس العز وهى مغيرة
شبل تأسد إذ مضى ضرغام	ويقول غيل الملك هذا للورى
فيها للملايك والملوك قيام	وأنى دمشق يزور أشرف تربة
فتح الحصون أبوه وهو غلام	هذا الذى من سعده وبوجهه
يمشى لديه الجار ليس يضام	أنا جار بابكم القديم ومثلكم
فبمثل برك يحمل الإتمام	والرأى أعلى فى رعاية خدمتى

ولابن عبد الظاهر تقاليد ذكر ابن الفرات بعضها :

وفي يوم الأحد عاشر شهر رمضان (٦٧٨ هـ) ولي الملك المنصور الأمير علم الدين سنجر المنصوري نيابة السلطنة الشريفة ببلاطنس الحروسة ، وكتب له تقليد إنشاء القاضي فتح الدين بن القاضي محي الدين بن القاضي رشيد الدين عبد الظاهر (نسخته) :

أما بعد حمد الله على نعم توالى رفدها ، ووجب شكرها وحملها ، وعذب لذوى الآمال وردها ، والصلاة على سيدنا محمد الذي رفع الله به قريش مجدها ، وعلا جدها ، وعلى آله وصحبه صلاة لا يحصى عدها ، ولا يحصر حدها ، فإنه لما كان فلان ممن قدمه تقادم خدمه ، وتعالى به إلى العلياء تسامى همه ، وترفع به حسن ولائه حتى أعلت الدولة من شأنه ، ورفعت من علمه واستكفته على مضون الحصون ، وجادت عليه بصوب إحسان روى الأمانى فأضحت نضرة الغصون ، واستأمنته فما أخلف الظن ، وقلدته فحسن في جيده ما قدم من من ، وكانت مملكة أبلاتنس الحروسة المملكة التي شمت بأنفها على الممالك علواً وسمت علواً وسامت الجوزاء سمواً ، لا يستحفظ عليها وفيها إلا من يوفى الأغراض في المحافظة ويوفى فيها ، وكان مجلس الأمير علم الدين هو عين هذه الأوصاف ، والوارد من حسن الطاعة المرد الصاف ، قد ربي في الخدمة مرى أربى بقدره وأحله من محمل التبجيل بصدوره ، اقتضى حسن الرأي الشريف أن خرج الأمر العالى بأن تفوض إليه النيابة الشريفة بهذه القلعة الحروسة ، وأن تسكون بأوانس صفاته الجميلة مأنوسة ، فلذلك فوضت إليه النيابة بها على عادة من تقدمه في النيابة ، وحسن الطاعة والإنابة ، وبذل الخدمة وصرف الهمة ، إلى كل مصلحة تجنيه ثمرات النعمة ، فليكن فيما استحفظ كفواً ، وليورد الرعية من حسن السيرة صفواً ، وإذا تعارض حكماً الانتقام والعفو وكان الذنب دون الحد فليقدم عفو ، وعليه بالعدل فإنه زمام الفضل ، ومادة للمدة الحكمة وجادة للتوفيق في نتيجة كل خير ومقدمة ، والقلعة ورجالها وذخيرها وأموالها وعملها وأعمالها وجندها وأبطالها ، فليمنع النظر في ذلك بكرة وأصيلاً ، وإجمالاً وتفصيلاً ، وتحصناً وتحصيلاً ، وتقريباً للخيرات وتوصيلاً ، وعليه بالتمسك بأذيال الشريعة المطهرة ، وأحكامها المحررة ، تمسكاً يطيب ثناؤه وينعم بالعرف آناؤه ، ويوفر من الحسنات والإحسان عناؤه ، والقلعة فهي الودعة عند أمانته ، والدرة المستحفظ عليها حسن صيانتها ، فعليه بحفظها نهاراً وليلاً ، ورجلاً وخيلاً ،

وأنواباً ونواباً ، وفتحاً وغلقاً ، ومناجح وطرقاً ، وحفظاً وحرساً ، ومقيلاً ومعرساً ، وخرجاً ودخلاً ، وخراجاً ومغلاً ، وإنفاقاً وصرفاً ، وردعاً وكنا ، وقهراً لمن سلك سبيل الفساد ، ومقابلة لمن أظهر النداء ، بما يسوس الأمر ، ويقيم حد الزجر ، ويؤمن المناهج ، ويجدد المباحج ، والوصايا كثيرة : فليكن مما ذكر من ذلك على بصيرة ، أعانه الله على ما ولاه ، ورعاه فيما استرعاه ، والخط الكريم أعلاه ، حجة بمضمونه ومقتضاه .

نسخة تقايد الأمير فخر الدين عثمان ، انشاء القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإيلاء الشريف في شهر ربيع الأول من هذه السنة (٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م) :

الحمد لله الذي خص من وإلى هذه الدولة بالتقدمة والفخر ، ورمى من عاداها بالمذلة والقهر ، ومد في عمر أيامها حتى يستنفد الدهر ، وحتى توصف أيامها وإن قصرت بالمسار بأن كل شهر يمر منها كالعام واليوم كالشهر ، (نحمده) على ما منحها به من تأييد وظفر ، ونصر ونشر دعوة من ظافرها بعد الطي ، وطوى دعوة من عاندها بعد النشر ، (ونشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة إن دخلت شواهدا تحت الإحصاء فلا تدخل فوايدها تحت الحصر ، (وأن) محمداً عبده ورسوله الذي جعل به الهداية في المبدأ والشفاعة في المعاد يوم الحشر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد بعد الشقاء وتجبر بعد الكسر ، (وبعد) فإن الله سبحانه وتعالى لما مكن لنا في الأرض ، وجعل بيدنا البسط والقبض ، وأرانا كيف نصنع الجميل ونجمل الصنع ، وكيف نجبر قلب من جعل في أيامنا جبره بعد الصدع ، وكيف تصبح أنجم ذوى الأقدار في سماء مملكتنا نيرة المطالع وكيف يلقي الخير في عراضها من رame إذا كان على الخير في غير أيامنا مانع ، وكيف نحل التقدمة في من إذا رفل في حللها قيل هذا هو أحق بمن كان ، وهذا الذي ما برحت التقدمة في بيته في صدر الزمان ، وهذا الذي إذا ذكر آل فضل وآل على كانت له مرتبة الشرف ، ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف لعثمان ، رأينا أن لا يمتطى صهوة العز إلا أهلها ، ولا ينسخ الآية لمن تقدم في التقدمة إلا خير منها أو مثلهما ، ولا يتسلم رايتها إلا من تعقد عليه الخناصر ، ولا يتسم ذروتها إلا من هو أحق بها وأهلها في الأول والآخر ، (ولما) كان المجلس السامى الأمير فخر الدين عثمان بن الأمير مانع

ابن هبة هو المراد بهذا القول الحسن ، والروح لجسد هذه المدح التي تسر السر والعلن ،
والحقيق من الإحسان بكل ما، والجدير بأن والخصيص من سوائف الخدم بما، والمفضل على
ساير النظراء ولو قيس بثمن ، اقتضى حسن الرأي الشريف أن خرج الأمر العالى ، لا زال
ذو القدر فى أيامه يرتفع، وذو الفضل فى دولته لا يعز عليه مطلب عز ولا يمتنع، وذو الاصلة
يجمع له فيها من النعماء مالا يلتئم له فى غيرها ولا يجمع ، (وأن) يفوض له التقدم على
العربان بالشام المحروس، وهم من يأتى ذكره على ما يستقر عليه الحال فى ترتيبهم، وأن يكون
منازله اللازم له حفظها، بعدا وقربا، حضرا وبدوا، عامرا وغامرا، رايحا وغاديا، من الرستن
إلى الملوحة والعرب، آل فضل وآل على ، حيث شاءوا نزلوا بمنزله المذكور، أو بمنزل الأمير
شمس الدين محمد بن أبى بكر، والخدمة واحدة، والكلمة على اتفاق المصالح متعاضدة، فليكن
للتقوى جسد روحها لابل روح جسدها، وللمجوع التبايل أوجد عددها، إذ أصبح الأول من
عددها ، وقطب فلسكها الذى على تدبيره مدارها، وعلى تقريره اقتصادها واقتصادها ، وعلى
تقدمته تعويلها ، وإلى نسبة إمارته جملتها وتفصيلها ، وليجمعهم على الطاعة فإن الطاعة ملاك
الأمر للأمير، وأس الخير للبادى والحاضر، وليعلم أن لكل منهم بيتا به يعرف، أو علمية أصالة
بها يعرف ، ومنزلة يرثها الولد عن الوالد ، ومشیخة ترجع من ذلك البيت إلى ذلك الواحد ،
فليحفظ لهم الأنساب، وليرع لهم الأسباب ، وإذا أمروا بأمر من مهام الدولة يتلو عليهم ادخلوا
الباب ، واللازم له ولهم مخايض تحفظ ومفاوز تلاحظ ، ومطارح لا تلفظ ، ومشاتى ومصايف ،
ومقانىص ومصارف ، ومرايع ومراتع ، ودنو واقتراب ، وإغارة ونهيض ، وبرق ووميض ،
فليرتب ذلك أجمل ترتيب ، وليسلك فيه خير مهذب وتهذيب ، وليردع الصادى ، ويلاحظ
الرايح والغادى ، وليؤمن ذلك تأمينا تطرب أنباؤه الحدود والحادى ، وعليهم عداد مقرر ،
وقانون محرر ، فليكن على يد شاده شادا ، ولسبب تأييدهم مادا ، ويعلم أنه وإن كان قد
أنقض من حقوقه فيما مضى ، وأعرض عنه فى الزمن الأول من انقضى ، وقدم عليه من كان
دونه ، وقد رد الله له أبكار الأمر وعونه ، فلا يجعل لقائل عليه طريقا ، ولا يدخل فى أمر
يقال عنه فيه: كان غيره به حقيقا، بل يفوق من تقدم فى الخدمة والهمة، والصرامة والعزمة ،
والله تعالى يوزعه شكر النعمة .

وفي هذا الشهر (ربيع الأول ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م) .

توجه شمس الدين سنقر الغتمى وسيف الدين بلبان الخاص تركى رسلا إلى الملك منسكودمر فى البحر وكتب على يدها كتاب للسلطان غياث الدين إنشاء القاضى فتح الدين ابن عبد الظاهر . نسخته :

(أعز) الله نصره الجنب الكريم العالى السلطانى الملكى المسعودى العالى العادلى الذخرى المظفرى المنصورى (الغياثى) ركن الإسلام والمسلمين نصره . . . شرف الملوك والسلطين وأعلى قدره وقدرته ، وحقق ظفره ونصرته ، وكبت أعداءه وحدته ، وحتم على الأيام أن تنجز من التأييد عدته ، ولا برحت الأقدار تمده بكل عون ، ونسكاؤه بكل صون ، وتخصه من حسن العناية بما يستخدم لإسعافه الكون ، أصدرناها عن سلام يتضمنخ نفسها بطييه، وحمد تتشلف الأسماع بترتيله وترتيبه ، وولاء يجمع بين الحسنين فى نسبه ونسبيه ، واستطلاع لأخباره التى هى للعيون قررة ، وللقلوب مسرة ، وتشكر من آثاره التى لها فى قلوب الأولياء أثر جميل ، وفى قلوب الأعداء أثره ، وتفهمه أنه لما جهزنا الأميرين شمس الدين سنقر الغتمى وسيف الدين بلبان الخاص تركى رسلا إلى خدمة القان الأعظم منسكودمر زيدت عظمته، وكان لهم على جنابه سرور، وبخدمة اقترابه سرور، حملناهم من المشافهة والسلام ما يعيدانه عليه، وسيرنا على يدها من الهدية ما يعرض لديه، حتى لا يكون السلام خالياً من اتحاف المسلم، ولا الحمد فارغاً من حلاوة منطق المشافهة والمتكلم، والله لا يخلى من بقائه ويزيد فى علائه وارتقائه .

وفي شهر ربيع الآخر (٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م) رسم للأمير بدر الدين بكتوت العالائى بأن يتولى شد الدواوين . وكتب للأمير بكتوت تقليد إنشاء القاضى فتح الدين ابن عبد الظاهر . نسخته :

الحمد لله رافع منازل (البدور) ، وجاعل أولياء هذه الدولة فى نعيم وجبور ، وميسر الخيرات (لمن) أصبحت مخالصته لا تتوقف من الخدم فى أمر من الأمور ، (ومختبر) أوليائه حتى تغدو آثار الموالات التى حسنت خفاء الظهور ، (نحمده) حمداً يتخير له أبداع الكلام (٤ م تشرىف الأيام)

المنظوم والمنثور، (ونشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة سعاد من هو بأمرها مأمور، وعلى طول فضلها مقصور، (ونشهد) أن محمداً عبده ورسوله المشفع في الأمة يوم البعث والنشور، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يكسب قائلها تجارة لمن تبور، (وبعد) فإن الله سبحانه لما علم من أوليائنا خلوص النية، وصفاء الطوية، نقليهم كيف شئنا، وننقلهم في الأمور على ما يرضى الله تعالى ويرضيها، ونهذبهم بأنواع التهذيب، ونتلو عليهم آيات النعم حسنة الترتيل والترتيب، فهم لا يزدادون إلا اجتهداً، ولا يرتادون غير إرادتنا مراداً، (وكان) المجلس السامي الأمير بدر الدين هو من أخص أوليائنا، وأول خلصائنا، والقريب منا، والمتنسب إلى تعبدنا، انتساباً يراه منا مناً، والذي إن خولناه شكر، وإن منعناه صبر، وإن قدمناه كان في المضاء حساماً، وإن رفعناه إلى سماء عز كان بدرًا تماماً، وكان شد الدواوين بالشام الحروس هو مدار الأمر وملاكه، وعليه تنصب حبايل التدبير وأشرأكه، لأنه هيولى تحصيل الأموال، وحل الأحوال، ومآل الآمال، والمقلد أمره لا يداخل الوهم في الوثوق به لبس، وكيف والمال كما قيل عديل النفس، اقتضى حسن الرأي الشريف، أن خرج الأمر العالى بأن يفوض إليه شد الدواوين المعمورة بالشام الحروس، على عادة من تقدمه في ذلك. فليعمل بتقوى الله عز وجل في السر والجهر، والنهى والأمر، والأخذ والإعطاء، والإسقاط والإرضاء، ولا يخرج عن سنن الحق إن قال أو فعل، أو فصل أو جمل، أو ولى أو عزل، ولا يظلم لنا مخلوقاً، فأشد الظلم من ظلم لغيره، ولا يفعل إلا ما يحمد الله والناس فيه الحسنين من سيرته وسيره، ومهما تعين لنا من مال في جهة من الجهات فلا يتركه، ولا يبق ملكاً لخلاصه إلا ويسلكه، والوصايا في الأموال كثيرة، وفي الأمور الديوانية غير محصورة، وبالمباشرة يحصل الاطلاع، وبالمطالعة للأحوال تنحسم للخونة مواد الأطماع، وأجل الوصايا حسن الضبط، ومقابلة اللفظ في تحرير الأمور للخط، بحيث يعلم كل ذى قدر وقدره، وأمر وإمرة، أنه لا مطمح سوى الحق، ولا مطمع ولا مرمى ولا منزع لتنحسم المواد، وينصح لما يتوخاه من المصالح الجواد، والخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه.

تقليد تفويض السلطنة بولاية العهد من الملك المنصور لولده الملك الصالح وهو من إنشاء

القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، أجاد فيه وأبلغ ونسخته :

(الحمد) لله الذي شرف سرير الملك بعلية ، وحاطه بوصيه ، وعضد منصوره بولاية عهد مهديه ، واسمى حاتم جوده بمكارم حازها بسبق عديه ، وأبهج خير الآباء من خير الأبناء بن سمو أبيه منه بشريف الخلق أبيه ، وغذى روحه بمتابعة سميّه ومسارة وليه ، (نحمده) على نعمه التي جمعت إلى الزهر الثمر ، وأضافت إلى نور الشمس هداية القمر ، وداركت بالبحر وباركت في النهر ، وأجملت المبتدأ وأحسنّت الخبر ، وجمعت في لذاذة الأوقات وطيبها بين رونق الآصال ورقة البكر ، (ونشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تلبس الألسنة منها في كل ساعة جديداً ، ونقفياً منها ظلاً مديداً ، ونستقرب بها من الآمال ما يراه سوانا بعيداً (ونصلي) على سيدنا محمد الذي طهر الله به هذه الأمة من الأدناس ، وجعلها بهدايته زاكية الغراس ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فهم حسن استخلافه بالأمر له بالصلاة بالناس ، ومنهم من بين الله به قواعد الدين وجعله موطن الأساس ، ومنهم من جهز جيش العسرة وواسى بماله حين الضراء والباس ، ومنهم من قال عنه صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله فحسن الالتماس بذلك والاقتراس ، وزاد في شرفه بأن طهر أهل بيته وأذهب عنهم الأرجاس ، صلاة لا تزال تتردد بتردد الأنفاس ، ولا تبرح في الآناء حسنة الإيناس ، (وبعد) فإن خير من شرفت مراتب السلطنة بحلوله ، وفوقّت ملابس التحكيم لقبوله ، ومن تزهى مطالع الملك بإشراقه ، وتتبادر الممالك مدعنة لاستحقاقه ، ومن يزدهى ملك منصوره نصره الله موطنه وولى عهده مكنه الله بانيه ، ومن يتشرف إيوان عظمته إن غاب والده في مصلحة الإسلام فهو صدره ، وإن حضر فهو ثانيه ، ومن يتجمل غاب الإيالة منه بخير شبل كفل ليثا ، ويتكامل غوث الأمة منه بخير وابل خلف غيثاً ، ومن ألهم الأخلاق الملوكية وأولى حكماً صبيهاً ومن خصصته أدعية الأبوة الشريفة بصالحها فلم يكن بدعائها شقيهاً ، ومن رفعت به هضبة الملك حتى أمسى مكانها عليها ، ومن هو أحق بأن ينبج الأمل وينجح ، وأولى بأن يتلى له اخلفني في قومي وأصلح ، من هو بكل خير ملي ، ومن إذا فوضت إليه ولاية عهد المسلمين كان أشرف من لأموهم يلي ، ومن يتحقق من والده الماضي الغرار ، ومن اسمه العالي المنار ، أن لا سيف إلا ذو الفقار

ولا فتى إلا على ، ولما كان المقام العالى المولوى السلطانى الملكى الصالحى العلانى عضد الله به الدين وجمع اذعان كل مؤمن على إيجاب طاعته لمباشرة المسلمين : حتى يصبح وهو صالح المؤمنين ، هو المرجو لتدبير الأمور ، والمأمول لصلاح الممالك والنفع ، والممدخر من النصر لشفاء ما فى الصدور ، والذي تشهد الفراسة لأبيه وله بالتحكم ، أليس الحاكم أبو على هو المنصور فلذلك اقتضت الرحمة والشفقة على الأمة أن ينصب لهم ولي عهد يتمسكون من الفضل بعروة كرمه ، ويسعون بعد الطواف بكعبة أبيه بحرمه ، ويقتطفون أزهار العدل وثمار الجود من قلمه وكلمه ، وتستسعد الأمة منه بالملك الصالح الذى تقسم الأنوار بحميمته وتقسم المبار من كراماته وكرمه ، فلذلك خرج الأمر العالى المولدى السلطانى الملكى المنصورى السيفى أخدمه الله القدر ، ولا زالت الممالك تتباهى منه ومن ولي عهده بالشمس والقمر ، أن يفوض إليه ولاية العهد وكفالة السلطنة الشريفة ولاية تامة عامة شاملة كافلة جامعة وازعة قاطعة ساطعة شريفة منيفة عطوفة رؤوفة لطيفة عفيفة فى ساير أقاليم الممالك الشريفة وعساكرها وجندها وعربها وتركاتها وأكرادها ونواحيها وولاتها وأكابرها وأصاغرها ورعاتها وحكامها وقضاتها وسارحها وسانحها بالديار المصرية وثورها وأقاليمها وبلادها وما احتوت عليه والمملكة الحجازية وما احتوت عليه ومملكة النوبة وما احتوت عليه والممالك الشامية وحصونها وقلاعها ومدنها وأقاليمها وبلادها والمملكة الحمصية والمملكة الحصنية والجبيلية وفتوحاتها والمملكة الحلبية وثورها وبلادها وما احتوت عليه والمملكة القرائية وما احتوت عليه وسائر قلاع الإسلام جميعها براً وبحراً سهلاً ووعراً شاماً ومصرأً يمناً وحجازاً شرقاً وغرباً بعداً وقرباً وأن تلقى إليه مقاليد الأمور فى هذه الممالك الشريفة وأن تستخلفه سلطنة والده خلد الله دولته لتشهد الأمة منه فى وقت واحد سلطاناً وخليفة ولاية واستخلافاً يسندها الرواة ويترنم بهما الحداة وتسمعهما الأسماع وتنطق بهما الأفواه وتقويضاً يعلن لكافة الأمم ولكل رب سيف وقلم واسكل ذى علم وعلم بما قاله صلى الله عليه وسلم لسميه رضى الله عنه حين أولاه من الفخار ما أولاه من كنت مولاه فعلى مولاه فلا ملك إلا وهذا الخطاب يصله ويوصله ولا زعيم جيش إلا وهذا التفويض يسعه ويشمله ولا إقليم إلا وجل من فيه يقبله ويقبله ويتمثل بين يديه ويمثله ولا منبر إلا وخطيبه يتلو فرقان هذا التقديم ويرتله

وأما الوصايا فقد لقنا ولدنا وولى عهدنا منها ما انطبع في ذهنه ، وسرت تغذيته في غصنه ، ولا بد من لوامع للتبرك بها في هذا التقليد الشريف تنير ، وجوامع يصير الخير بها حيث تصير ، وودائع تنبئك بها يا ولدنا أعزنا الله ببقائك ولا يذبتك مثل خبير ، فاتق الله فإنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وانصر الشرع فإنك إذا نصرته نصرك الله على عدا الدين وعداك ، واقض العدل مخاطباً وكاتباً حتى يستبق إلى الإيعاز به لسانك ويمناك وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر عالماً أنه ليس يخاطب غداً بين يدي الله عن ذاك سوانا وسواك ، وأنه نفسك عن الهوى حتى لا يراك حيث نهاك ، وحط الرعية ومسر النواب بحملهم على القضايا المرعية ، وأقم الحدود وجند الجنود ، وابعثها براً وبحراً من الغزو إلى كل مقام محمود واحفظ الثغور ولا حظ الأمور ، وازدد الاسترشاد بأرائنا الشريفة نوراً على نور ، وأمراء الإسلام الأكابر وزعماء فهم بالجهاد والذب عن العباد أصفياء الله وأحباؤه فضاعف لهم الحرمة والإحسان ، واعلم أن الله قد اصطفانا على العالمين وإلا فالقوم إخوان ، لاسيما أولو السعى الناجح والرأي الراجح ، ومن إذا فحروا بنسبة صالحة قيل لهم نعم السلف الصالح فشاورهم في الأمر وجاورهم في مهمات البلاد في كل سر وجهر ، وكذلك غيرهم من أكابر الأمراء الذين هم من خبايا الدول وذخائر الملوك الأول ، أجزهم في ذلك هذا الجرى وشرح لهم بالإحسان صدرأ ، وجيوش الإسلام هم البنان فوال إلههم الامتنان واجعل محبتك في قلوبهم بإحسانك إليهم حسنة المربي ، وطاعتك في عقائدهم وقد شغفتها حباً ليصبحوا لك بحسن نظرك إلههم طوعاً ، وليحصل كل جنس منهم من التقرب إليك بالمناصرة نوعاً ، والبلاد وأهلها فهي عندك الوديعة فاجعل أوامرك بها بصيرة ومنهم سمعية ، وأما غير ذلك من الوصايا فسنخولك منها بما ينشأ معك توءماً ونلقنك من آياته محكماً فمحكماً ، والله تعالى ينمي هلالك حتى يوصله إلى درج الأبدار ، ويقضى غصنك حتى نراه قد أينع بأحسن الأزهار وأينع الثمار ، ويرزقك سعادة سلطاننا الذي نعت بنعته تبركا ويلهمك الاعتضاد بشيعته والاستئنان بسنته حتى تصبح كتمسكنا بذلك متمسكا ، ويجعل الرعية بك في أمن وأمان وعدل وإحسان ، حتى لا تحشى سوءاً ولا تخاف دركاً .

وفي شهر رجب الفرد أحد شهور هذه السنة (٥٦٧٩ / ١٢٨٥ م) نولى الأمير بدر الدين بن درباس ولاية جينين ومرج بن عامر وكتب تقليد بذلك لإنشاء القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر نسخته :

أما بعد حمد الله على أن أطلع بدر الأولياء بعد سراره، وأقال من اصطفاه واجتباها من
عثار زلته وزلة عثاره ، وأنفذ من علم منه في الطاعة حسن اختياره واختباره ، وابتداهه
وابتداره، والصلاة على سيدنا محمد الذي هدى الله الأمة بأنواره وبآثاره، وعلى آله وصحبه الذين
لم يعدلوا عن طريقه ولا خرجوا عن إثاره ، صلاة يتساوى فيها إعلان الإخلاص بإسراره،
وأنه لما كان مجلس الأمير بدر الدين ممن له الإصالة الزكية والنفس الأبية والنسبة في الخدمة
إلى الدولة الصالحية والفضيلة التي شرف بها سيفه وقلمه ، ورفع بها علمه وعلمه ، والمعرفة التي
سارت فصارت علماً ، ووصفت من أنواع الحماد مكلماً ، رأينا أن يفوض إليه من الولايات
ماتعظم بتوليته إياها، وما إذا فخر وال بتولية فخرت هذه بمن تولاهها، فلذلك خرج الأمر أن
تفوض إليه هذه الولاية ، فليتلقى ذلك عالماً أن له من إحسان هذه الدولة ما يرفعه إلى ما هو
منها أعلى وأسمى ، وإن لفظ هذه الولايات دون قدره في المعنى ، وإنما هذا التفويض على
ما راج ، وهذه الولايات لا يداوى خطرهما في الحالة الراهنة إلا من عرف منه حسن الملاحظة
والعلاج ، ولا بد دون القطرة من وابل مدرار ومن القطرة والقطرة تجتمع أنهر وتجري بحار ،
فليعمل بتقوى الله في سره وجهره، ونهيه وأمره، وفصله وحكمه، وانتقامه وحلمه، وليعمر هذه
البلاد التي أشقتها الأهواء وأخلتها الأدواء، فقد آن صلاحها ولاح فلاحها. لاسيما وقد سميها
وسيمها ووليها وليها ، فاهتزت وربت ، وأخضلت ، واخضرت ، وأعشبت ، وليجلب إليها
أهلها من كل قطر ومكان، ويعدمهم بكل قوة وإمكان ، حتى يصبح ربعها بعد الحول مربعاً،
ومسرحها للعيون مرتعاً ، وموردها للصادر والوارد مشرعاً ، وليبعد منها أهل الفساد والعيث ،
وليحفظ غيلها حفظ من شد شدة الليث، وليكن عند حسن البظن به في الأمور كلها ، حيث
وهذه الأغوار بها أقصاب هي مدد المالك والملوك ، وإذا عدت نقود الثغور كانت دينارها
المصكوك، وليصرف إليها عناية تديرها وتوفرها وتضاعفها وتكثيرها، ويزجي ارتفاعها ويعمر
بقاعها ويقرر على الخيرات أوضاعها، وعليه بالتمسك بالشرعية الحميدة في القول والفعل والعقد
والحل والوصايا كثيرة لسن لغيره، لأنه بها أدري، لازالت طاعة هذه الدولة الشريفة له ذخراً .

نشأة المماليك

ظهرت فكرة الاستعانة بالمماليك في العالم الإسلامي منذ العصر العباسي . كان أول من استخدمهم هو الخليفة المأمون، ونحن نعرف أن طولون كان من المماليك الترك الذي أرسله حاكم بخارى في جملة من الرقيق والهدايا إلى المأمون نحو سنة ٢٠٠ هجرية ووصل إلى مركز ممتاز في البلاط .

واستخدم المعتصم فرقاً من الترك لتدعيم سلطانه ، بعد أن فقد ثقته بالعرب ، كما فقد ثقته بالجند الفرس الذين قامت على أكتافهم الدولة العباسية . وأراد أن يجمع نفسه بجيش من الجند الترك . وكانت هذه السابقة مشجعة للخلفاء والحكام الذين خلفوه . وأخذ بمبدأ استخدام المماليك ، ولاية مصر الإسلامية من الطولونيين فالإخشيديين ثم الفاطميين . فقد أكثر أحمد بن طولون من شراء مماليك الديلم ، وهم سكان جنوب بحر قزوين . وبلغت عدتهم ما يزيد على أربعة وعشرين ألف غلام من الأتراك وأربعين ألفاً من السود وسبعة آلاف من الأحرار المرتزقة ، وقد ذكر ذلك المقرئ في الجزء الأول من خططه (صفحة ٩٤) .

ولما تأسست الدولة الإخشيدية ، جعل محمد بن طغج الإخشيد جيشه من الأتراك ومن الديلم . وقد بلغت عدة ذلك الجيش بمصر والشام أربعمائة ألف جندي وذلك بالإضافة إلى حرسه الخاص الذي بلغ عدده ثمانية آلاف مملوك ، وأشار إلى ذلك أبو المحاسن في الجزء الثالث من النجوم الزاهرة (صفحة ٥٩) .

وكان الفاطميون في حاجة إلى جيش كبير يوطد أركان دولتهم في مصر ويعين في تنفيذ ما اعزموه من مد سلطانهم إلى بلاد الشرق ، وكان جيشهم في أول الأمر مؤلفاً من مغاربة كتامة ثم أضافوا إليه في مصر أتراكاً وأكراداً وغازاً وديلاً وسوداناً ورجالا من قبيلة مصمودة البربرية .

ولما آلت السلطة إلى الأيوبيين أكثروا من شراء المماليك الترك . فقد استعان

بور الدين وصلاح الدين بجنود مدرين من الممالك . واستكثر الصالح نجم الدين أيوب من شراء الممالك الترك خاصة . وبنى لهم الثكنات في القلعة التي أنشأها سنة ٦٣٨ هجرية بجزيرة الروضة . وجعل تلك القلعة بكنير من الأسلحة والآلات الحربية وأنشأ فيها جامعاً وستين برجاً . ولما تم بناؤها انتقل إليها وهو وأفراد أسرته ومماليكه ، الذين أطلق عليهم اسم الممالك البحرية . ثم اتخذ الروضة مقراً للملك .

ولكن شيئاً هاماً يجب أن ننبه إليه قبل أن نستطرد إلى ذكر الممالك البحرية ، وهو أن جميع الممالك الذين استعين بهم قبل الصالح نجم الدين أيوب كانوا من الحاربين كبار السن الذين أتقنوا فن الحرب واللعب بالسيف وعركوا المعارك وباعوا أنفسهم لمن يدفع الثمن ، ولكن ممالك الصالح نجم الدين كانوا من صغار السن الذين لا يعرفون من أمرهم شيئاً . فأقام الملك الصالح لهم في جزيرة الروضة نظاماً لحياتهم ، يتضمن تربيته المدنية والحربية . فكان الصالح يسبغ عليهم من مظاهر عطفه ورضائه بمقدار ما يظهرون من التقدم في تدريبهم ، وأكثر من هذا بمقدار ما يظهرون من الولاء له .

ولم يلبث هذا النظام أن تطور بعد الصالح نجم الدين بأن أتيح لمن يصل إلى درجة خاصة أن يستقدم لحسابه الخاص ممالك يكونون هم وصاحبهم الذي استقدمهم مواليين للسلطان لم يكن يتم إلا عن طريق ولائهم لسيدهم الأصلي . ولذا عرف هؤلاء الممالك بأسماء أصحابهم ، كالممالك الفقارية والصالحية وغير ذلك من الأسماء . وإذا ما تحول صاحبهم الأصلي عن ولائه للسلطان تحول ممالكه معه ، لأنهم كثيراً ما كانوا يحولون ولائهم الثاني بل كانوا يحاربون في صف صاحبهم دون أن يعرفوا لماذا يحاربون ومن يحاربون .

وشيء هام أيضاً وهو أن هؤلاء الممالك عاشوا في مصر يكونون عنصراً منفصلاً عن بقية سكان البلاد . ولم يحاولوا - إلا في النادر - أن يتقربوا إلى الأهالي أو يختلطوا بهم أو ينفخروا في صفوفهم . كما قصرُوا وظيفة الحرب على من يشتري منهم . أما نسايتهم فوجهوه إلى الأعمال الكتابية أو الإدارية في دواوينهم . وبذلك أصبح هؤلاء الممالك يكونون طبقة أرستقراطية حاكمة ، لا يملكون الأرض ولا يشتغلون في الحرف ، كما لا يرقى أحد من أهل البلاد أو نسل الممالك إلى مناصب الحكم .

ومهما انقسم المماليك إلى شيع وأحزاب بانقسام زعمائهم فانهم كانوا يشعرون جميعاً بأن رابطة الأرستقراطية الحاكمة تربطهم ببعضهم وتجعلهم كلاً قائماً بذاته منفصلاً عما عداه . وقليل ما عرف هؤلاء المماليك الحياة العائلية الصحيحة . ولذا كانت علاقاتهم العائلية في المرتبة الثانية من مرتبة الولاء لسيدهم . فإذا مات المملوك منح سيده جميع ممتلكاته ومنهم نساؤه ومماليكه إلى من يشاء من رجاله . وكان من الطبيعي أن يكون هؤلاء المماليك أصحاب درجات تختلف باختلاف شجاعتهم وولائهم . وكان أرقى مراتبهم عضوية الحرس السلطاني . فهؤلاء هم أصحاب الخطوة عند السلطان وأصحاب السلطة الحقيقية والمرشحون للوظائف الكبرى . ومن ثم إلى السلطنة ذاتها ، سواء بعد وفاة السلطان أو عن طريق تأمر بعضهم على قتل السلطان أو نفيه واجلاس أحدهم مكانه .

وكان غالبية المماليك الذين جلبهم الأيوبيون من شبه جزيرة القرم ، وبلاد القوقاز ، وبلاد القفجاق التي تشمل حوض الفولجا والأراضي الواقعة حول بحر قزوين ، وآسيا الصغرى ، وفارس ، وتركستان ، وبلاد ما وراء النهر ، فكانوا خليطاً من الأتراك والشراكسة والروم والروس والأكراد وأقلية أخرى من البلاد الأوربية . وكان سبيل الوافدين من أولئك الأجناس بصحبة النخاسين لا ينفك عن القدوم بسبب حاجة السلطنة الملحة إلى اقتناء المماليك لاستخدامهم في الجيش .

وكانت حالة الرخاء في مصر باعثة لكثير من أهل التركستان على بيع أولادهم وبناتهم ليكونوا في حاشية سلطان مصر . وكثر تجار المماليك وأخذوا يترددون على بلاد الشرق الأوسط بغية شرائهم ثم بيعهم في مصر . وامتدت تجارة المماليك إلى أوروبا وكان يمارسها التجار الغربيون وجنوا من ورائها أرباحاً طائلة . وكان العصر السابق لقيام المماليك عصر ازدهار لهذا النوع من التجارة نافس فيه التجار الأوربيون التجار الشرقيين . مما اضطر بعض ملوك أوروبا وباباوات روما إلى اتخاذ إجراءات مشددة ضد التجار الغربيين لاتجارهم في بيع المماليك للعرب والبنادقة .

كيف انتقلت السلطة إلى المماليك :

مات نجم الدين صالح بن أيوب وهو يقود المعركة ضد الصليبيين الذين غزوا مصر

(هـ م تشریف الأيام)

وكانت معه زوجته شجرة الدر بينما كان ابنه توران شاه في الشام فأخفت شجرة الدر خبر موته وأرسلت جثته سراً حيث دفنت في جزيرة الروضة وأخذت تخرج الأوامر السلطانية كل يوم بمهورة بتوقع السلطان ، الذي كان أحد غلمانها - وهو الخصى سلار - يقوم بتقليده . وكان من الواضح أن اخفاء موت السلطان كان لصالح البلاد والمخار بين ، وأرسلت تستقدم ولده توران شاه ، ولم يكده يصل حتى جعلت أكابر الدولة يحلفون له يمين السلطنة . ولكن الخلاف لم يلبث أن دب بين شجرة الدر وتوران شاه حين أخذ يحاسبها على أموال أبيه فأرسلت إليه من قتله .

ونودى بشجرة الدر سلطنة على مصر ، ولكن الخليفة العباسي لم يقبل ذلك فلم تجد خيراً من أن تتزوج أحد مماليك زوجها وهو الأمير عز الدين أيك وتنزل له عن السلطنة . ولكن ذلك لم يكن يعنى استتباب الأمور فإن المماليك لم يرضوا بعز الدين لأنه أقوام بل لأنه كان ضعيفاً ، هذا إلى أن أغلب المماليك نظروا إلى الأمير عز الدين بصفته وصياً على العرش الأيوبي فانتخبوا لهذا العرش الأمير صلاح الدين يوسف وبايعوه بالسلطنة سنة ٦٤٨ هـ ولكن هذا الأخير لم يكن سلطاناً إلا بالاسم فلم يلبث عز الدين أن انتهز فرصة تهديد التتار للبلاد في سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م حتى حذف اسم الأمير الأيوبي من الخطبة . وبذلك انتهى البيت الأيوبي من مصر .

ولكن انفراد عز الدين بالسلطة لم يكن معناه استتباب الأحوال أيضاً فقد عزم بعض المماليك على عزله فلم يكن أمامه إلى أن يبحث عن سند قوى فكتب إلى الخليفة العباسي في بغداد يسأله النصرة كي يحكم باسمه بينما أشاع في البلاد أنه لا يحكم مصر إلا نيابة عن الخليفة العباسي صاحب الأمر .

ولكن الخلاف لم يلبث أن دب بين عز الدين وزوجته شجرة الدر حين أراد أن يتخذ زوجة أخرى ، فأرسلت إليه من قتله في سنة ٦٥٥ هـ فقبض على السلطنة ابنه على الذي بدأ عهده بالانتقام لأبيه من شجرة الدر فأرسل لها من قتلها في سنة ٦٥٨ هـ .

واغتصب العرش من على الذي كان لا يزال صغير السن لم يتجاوز الرابعة عشرة من

عمره الأمير قطز الذى كان أتابكا لعلی ، وكانت حجته فى هذا الاغتصاب أن البلاد فى خطر يهددها التتار فهى أشد ما يكون احتياجاً إلى رجل قوى يقود البلاد فى المعركة القادمة . وخرج قطز للملاقاة التتار فقابلهم فى عين جالوت سنة ٦٥٨ وانتصر عليهم بعد أن قتل من جيشهم أكثر من نصفه .

ولكن هذا الانتصار لم يغنه عن تأمر غيره من المماليك عليه ، إذ كان الظاهر بيبرس البندقدارى قد كون من بعض المماليك حزباً يعارض السلطان وتمكنوا من قتله غدرًا قبل نهاية سنة ٦٥٨ .

ونودى بيبرس سلطاناً وأقسم له المماليك يمين الطاعة . وكتب إلى الأقطار بتوليته . إلا أن السلطان الجديد كان يدرك أنه لا يمتاز عن غيره من المماليك وأنهم لا بد فاعلون به ما فعلوا بمن سبقوه فجعل يبحث عن شيء يستند عليه .

وكان التتار قد أغاروا على بغداد سنة ٦٥٦ وخربوها وقتلوا الخليفة العباسى وشردوا عائلته فخرج أحدهم يسعى إلى حيث يجد المأوى ، فلم يجد الظاهر بيبرس خيراً من أن يستدعيه ويقيمه خليفة عباسياً فى مصر ويأخذ منه عهداً بحكم مصر ، فاستدعى الأمير الهارب وهو أحمد بن الإمام الظاهر واستقبله بمظاهر الإجلال .

ولم يلبث أن عقد الظاهر مجلساً فى قاعة الأعمدة حضره العلماء والقضاة والأمراء وأقروا جميعاً صحة نسب الأمير إلى العباس بن عبد المطلب فبايعوه ولقبوه بالمستنصر بالله . وأخذ الظاهر له البيعة من الناس ليكون أميراً للمؤمنين . ونقش اسمه على السكة بعد أن ذكر اسمه فى الخطبة .

ولم يلبث الظاهر أن أخذ من هذا الخليفة تفويضاً بحكم مصر وما تحت يده من البلاد ، وكان ذلك فى شعبان سنة ٦٥٩ .

وقتل هذا الخليفة الجديد أثناء غياب بيبرس عن البلاد فى سنة ٦٦١ ، فاستقدم أميراً جديداً هو أبو العباس أحمد فنصب خليفة وأميراً للمؤمنين ولقب بالحاكم بأمر الله وأخذ منه الظاهر تفويضاً جديداً .

وبذلك أصبح السلطان الظاهر يبيرس لا يحكم بنفسه ولا مستمدا سلطته من الممالك الذين أقاموه بل من الخليفة العباسي الذي كان يملك كل شيء بصفته خليفة للمسلمين فكأنه بذلك أرسى قواعد عرشه على أساس ديني لا يرقى إليه الشك وقطع الطريق على كل متآمر . ولذا يعتبر الظاهر يبيرس البندقداري هو المؤسس الحقيقي للسلطة المملوكية في مصر ، لا سيما وقد عرف دائماً بالبطولة والشجاعة والقوة ، ويحكي كل ذلك في أكثر من مناسبة .

نظام الحكم في الدولة المملوكية :

كان السلطان رأس الدولة ويتولى سلطاته نيابة عن الخليفة العباسي الذي لم يكن يتردد في منح تفويضه إلى كل أمير يرقى إلى منصب السلطنة .

وبمقتضى هذا التفويض يملك السلطان جميع السلطات ، من تنفيذية وقضائية وتشريعية . ولكن اختفاظه بمنصب السلطنة كان يتوقف أكثر ما يكون على قوة مملكته ومقدار إخضاعه لغيرهم من الممالك . ولذا حفل تاريخ دولة الممالك بالسلطين الذي ارتقوا إلى منصب السلطنة عن طريق القبض على السلطة وجعل السلطان الجالس على العرش ظلاً لإرادتهم كخطوة أولى تمهد للخطوة الثانية التي كانت عزل السلطان ونفيه أو قتله ، ثم إعلان نفسه سلطاناً . ولذا كان الحرس السلطاني أو الخاصكية أصحاب امتيازات كبرى في الدولة ، ولم يكن السلطان يتردد في منحهم إياها مادام وجوده في منصب السلطنة بل وجوده على قيد الحياة يتوقف عليهم . فكان دائم الهبات لهم سواء الألقاب أو المنح السلطانية من الإقطاعات . وكان رئيس هذا الحرس في الواقع هو السلطان الحقيقي الذي لم يكن السلطان الجالس على العرش يتردد في تنفيذ أي طلب له . وكان هذا الرئيس ومن يعاونه من القواد يملكون حق امتلاك ممالك تابعين لهم خاصين بهم .

وكان كل واحد من هؤلاء القواد يشغل منصباً من مناصب الدولة ، وكان أهم هذه المناصب منصب الدوا دار أي نائب السلطنة ، وكان يتولى الحكم في غياب السلطان الذي

كان كثير السفر إلى سوريا من أجل كمال إشرافه على كل أجزاء دولته . وكثيراً ما كان رئيس الحرس السلطاني هو الدوادار . وإذا استقر السلطان في القاهرة لمدة اعتمد على ما يصله من الأخبار عن طريق جهاز البريد الذي يتولى نقل البريد السلطاني بين أجزاء الدولة . فكان يشرف على عدد كبير من الخيول والمراكز البريدية وعدد هائل من الحمام الزاجل الذي يستعمل لهذا الغرض ، وكان رئيس هذا الديوان يسمى بأمير القلم الذي كان يحتفظ بالخاتم السلطاني من أجل توقيع الرسائل .

وكان هذا الديوان يتبع ديوان الإنشاء الذي يتولى أمر العلاقات الخارجية وتحرير الرسائل إلى حلفاء السلطان سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين ، وقد احتفظ هذا الديوان بصورة من صيغ خاصة كان يكتبها إلى هؤلاء الملوك والأمراء كل وفق مكانته .

وإذا لم يتول رئيس الحرس السلطاني منصب الدوادار اقتصر عمله على إمارة العسكر وسمى أتابك العساكر أو الأمير الكبير ويعتمد على عدد من (رأس النوبة) وكان رئيس القصر السلطاني يسمى الاستدار أما المشرف على السلاح فكان يسمى بالساحدار بينما يسمى رئيس الفرسان بأمير الأخور .

وكان الساقى هو الذى يحتفظ بأدوات المائدة والشراب السلطاني بينما يشرف الجاشنكير على السكرتارية وصغار الحراس . كما يشرف الجمدار على الملابس السلطانية . ويشرف أمير الشيكار على أمور الصيد .

أما المشرف على المطبخ السلطاني فكان يسمى استدار الصحبة ، كما كان يشرف على كل ما يتعلق بالاحتفالات السلطانية أمير الطباخانة وكان يشرف على عدد من أصحاب الطبول الكبيرة والصغيرة يدقونها أمام باب السلطان في دخوله وخروجه . ولم يكن هذا امتيازاً خاصاً بالسلطان بل كان الأمراء يملكون مثل هذا الطبل يدق على بابهم وإن كان عدد الضاربين دائماً أقل من الضاربين أمام باب السلطان .

وكان المشرف على ملابس الحفلات والجواهر والسيوف الخاصة بالسلطان يسمى بالطشت خاناه . كما كان المشرف على شراب السلطان يسمى بالشراب خاناه . أما المشرف على مخزن الحوائج السلطانية فكان يسمى بالحوائج خاناه . وكانت هذه الحوائج تصل في

بعض الأحيان إلى ٢٠ ألف رطل يومياً . وقد تكلفت أيام الناصر ثلاثين ألف درهم .
ومن هذا نرى أن المراسم أيام الدولة المملوكية لم تكن تقل تعقيداً عما نراه في الوقت
الحاضر في أشد البلاد تمسكاً بالتقاليد وأكثرها خضارة . كما كانت المواكب السلطانية
أكثر ما تكون أناقة وعظمة . وقد كان لكل طبقة من الممالك لباسها الخاص وقد اتخذ
من أغلى الأقمشة وزين بالذهب والفضة . وكان الأمراء يتبعون السلطان في موكبهم ويحفون به
كل حسب رتبته ويحف بكل أمير ممالكه وأمرأؤه الخاصون به .

وكان السلطان يحاول دائماً إقامة نظام للوراثة فيحصر في أولاده فيأخذ البيعة لأحدهم
ويشهد عليها العلماء والقضاة الأربعة ، ولكن هذا كله كان اسمياً ، فالأمر في النهاية يرجعه
إلى القوة وحدها التي تقرر السلطان القادم .

وكانت مصر مقسمة إلى عشرين قسماً يتولى أمرها ولاية يقيمون في عواصمهم ويكاد
كل واحد منهم يكون سلطاناً صغيراً .

المنصور سيف الدين قلاوون

توفي السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧) إثر انتهائه من موقعة قيسارية التي هزم فيها جيوش التتار . وكانت وفاته بدمشق فدفن بها ونصب الأسماء ابنه بركة مكانه ، وكان لا يتجاوز التاسعة عشرة من عمره . فكان من الطبيعي أن يتآمر عليه المماليك فخلع نفسه من السلطنة كي لا يقتل .

وتنازع المماليك الأمر واستمر نزاعهم وقتاً غير قليل ظهر في خلاله أكثر من أمير يحاول القبض على السلطة، حتى انتهى الأمر بين أغليبيتهم إلى اقرار تنصيب قلاوون الذي كان أتابكا للسلطان سلاش الذي خلف قطز وكان ذلك في سنة ٦٧٩ (١٢٧٩) أي أنه في خلال ثلاث سنوات جلس أربعة من السلاطين على العرش . ولقب بالمنصور سيف الدين وكتب له الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي التفويض المعتاد . وقد وصفه ابن فضل الله العمري فقال عنه إنه كان (رجلاً مهيباً شجاعاً) وحكم إحدى عشرة سنة عمل في أثنائها على تثبيت العرش في أولاده فأنشأ لهذا الغرض فرقة جديدة من المماليك أطلق عليها اسم المماليك البرجية . وقد بلغ عددهم اثني عشر ألف مملوك وهو عدد لم يجمعه أحد من السلاطين قبله أو بعده . تعهدهم بالتهذيب ونهاهم عن التعرض للرعية .

وقد تمكن فعلاً من اتمام غرضه ، فحكم أولاده ثم أحفاده من بعده مدة استطالت إلى مائة عام . وإن كان العرش قد اغتصب من بعض أفرادهم كما حدث لابنه الناصر محمد إلا أن ذلك كان لفترات قصيرة لا تطول حتى يعود العرش إلى أسرته .

ويعين عصر الناصر ابتداء عهد العظمة والتوسع اللذين تمتعت بهما مصر خلال العصر المملوكي ، وينتسب الناصر سيف الدين قلاوون الألفي الصالحى إلى قبيلة تركية الأصل تسمى برجوغلو كانت تعيش في إقليم كيشاك ، وسبب تسميته بالألفي أنه اشترى بألف دينار أما الصالحى فلا أنه كان من ممالك الصالح أيوب ، كسميه الظاهر بيبرس .

عرفه المنصور بالتتار :

كان الخلاف الذى وقع بين المماليك منذ وفاة الظاهر بيبرس حتى ارتقاء المنصور بل حتى استتباب الأمر له فرصة طيبة للتتار الذين كانوا يجاورون الأراضى المملوكية ويتطلعون إلى فتح مصر منذ أيام هولاكو حين هزم فى موقعة عين جالوت . وقد كرروا المحاولة أيام الظاهر بيبرس فهزمهم فى موقعة قيسارية ، فلا غرابة إذا ظل العداء قائماً بين الدولتين حتى إذا حل هذا الخلاف الذى وقع بين المماليك إثر وفاة الظاهر عبرت جيوشهم الفرات ودخلوا حلب ونهبوها . فأعد المنصور للأمر عدته وجمع جيشاً ضخماً من المماليك التركان وبدو الصحراء وعرب الحجاز حتى بلغت عدتهم ثمانين ألفاً .

وتقابل الجيشان قرب حمص ودارت الموقعة فى الخميس ٣٠ أكتوبر سنة ١٢٨١ / ٦٨٠ هـ وتمكنت ميمنة التتار من كسر ميسرة الجيش المصرى ، فقتلت منها مقتلة كبيرة وهرب الباقون إلى حمص ، حتى إذا لحقتهم فرسان التتار تابعوا هربهم جنوباً يقصدون مصر .

ولكن إذا كانت ميسرة المصريين قد هزمت هذه الهزيمة المنكرة فإن ميمنتهم المكونة من الأمراء الأيوبيين وبدو الصحراء صمدوا أمام ميسرة التتار بل أرغمتها على الهرب بعد أن قتلت قائدها . وبذلك أصبح نصف الجيش يسيران فى اتجاهين متضادين . فميمنة التتار تطارد ميسرة المصريين نحو مصر بينما كانت ميمنة المصريين تطارد ميسرة التتار نحو الشرق . وكان المنصور سيف الدين قلاوون يرقب هذا كله ومعه ألف من مماليكه ، ولم تكدم ميمنة التتار المنتصرة تعرف خبر هزيمة الجيش أمام ميمنة المصريين حتى ارتدت لتأخذ مكانها فى المعركة ، وكانوا فى عودتهم مسرعين فروا على مكان السلطان دون أن يتبينوا موقفه . ولم يكادوا ينصرفون عنه حتى لحق بهم وفاجأهم من الخلف فكانت هزيمة للتتار مابعد هزيمة . وكانت هذه المحاولة لغزو الدولة المملوكية الأخيرة من نوعها . فكان أن انتهى الأمر بين دولتى المماليك والتتار إلى هدنة لسبعة عشر عاماً . ولم يمض عام على عقد الهدنة حتى تولى عرش التتار فى فارس تكودار

خان الذي اعتنق الإسلام وسمى نفسه أحمد تسكودار فنجح إلى مهادنة الأمم الإسلامية ، فبادل السلطان سيف الدين قلاوون رسائل المودة ، وأرسل الرسل يحملون إليه الهدايا ويؤكدون له صداقة الخان ، فاستقبلهم السلطان قلاوون استقبالا وديا يحيط به ألف وخمسمائة من مماليكه ، وأرسل كتاباً يفيض صداقة ومودة رداً على ماوصله منه .

علاقة المنصور بالصليبيين :

وكانت تهديدات المغول قد ألجأت السلطان المنصور إلى عقد معاهدات لعشر سنوات مع أمراء الصليبيين في الشام ، فكانت معاهدة طرابلس في سنة ١٢٨١ ، وفرسان المعبد في تروتوزا سنة ١٢٨٢ ، وعكا في ١٢٨٣ ، وقد تضمنت هذه المعاهدات السماح للسفن المصرية بالدخول إلى موانئهم على أن يتعهد الأمراء بعدم إقامة تحصينات جديدة ، علاوة على الأمان لجميع رعايا السلطان حين يقدمون إلى الأملاك الصليبية .

فإذا ما انقضى الخطر التتارى وتبادل ملك التتار مع السلطان سيف الدين رسائل الود ثم سفارات الهدايا ، التفت إلى الصليبيين فبادر حصن مرقب بالهجوم ، وكانت غارة مفاجئة لم يملك الفرسان إزاءها إلا التسليم . وكان وقع هذه الهزيمة على الصليبيين قويا حتى بادر صاحب طرابلس فسلم للسلطان حصن مراقبة على الساحل ، رغم حصانة موقعه . ولجأت مرجريت صاحبة صور إلى التماس الصلح ودفعت له نصف دخل ولايتها جزية للسلطان ووعدا بعدم إقامة تحصينات جديدة .

وكانت هذه الانتصارات المصرية سبباً في أن يكتب امبراطور الروم ميخائيل الثامن رسالة إلى السلطان قلاوون يعرض فيها مودته ويظهر استعداداً لتسهيل السفر لرسله الذين يمرون ببلاده ، وكذلك فعل ولده اندرونيكوس الثانى فأرسل إلى المنصور أيضاً هدية هي حمل من الحرير الأطلس وأربعة أحمال من البسط .

وكان الأرمن يؤدون اتاوة معينة لسلطين الممالك بعد أن وصلت جيوش المنصور إلى أبواب الإسكندرونة سنة ٦٨٢هـ وعادت محملة بالغنائم .

عزلة المنصور بيبرس النوبة :

وكانت علاقة مصر بالنوبة قد ساءت منذ أيام صلاح الدين حين أرسل إلى هذه البلاد حملة بقيادة أخيه توران شاه . هذا في الوقت الذي كانت خلافت الأسرة الحاكمة هناك قد استفحلت فدعت بكل أمير إلى أن يطلب العون الخارجي على خصمه . فجاء إلى الظاهر بيبرس الأمير شكنديه يطلب العون على عمه الملك داود فأرسل إليه السلطان حملة أجلسه على العرش . ولكنه لم يلبث أن قتل وأجلس سمعان على العرش مكانه . فاذا ما ارتقى السلطان المنصور قلاوون العرش المصري اتجهت إليه الوسايط كما اتجهت نحو أسلافه فأرسل حملة سنة ١٢٨٧ قاربها الملك سمعان بالارتداد نحو الجنوب ولكن الجيش المملوكي لحق بجزء من الجيش المنسحب عند دنقلة وأوقع به الهزيمة . وأقيم ابن أخت سمعان ملكاً مكان خاله ، وأبقى معه فريق من الجند لحمايته وقررت عليه جزية يؤديها لسلطان مصر .

ولكن سمعان لم يلبث أن عاد على رأس جيش كبير وأوقع الهزيمة بالحامية المملوكية واستعاد عرشه .

فلما علم السلطان المنصور بذلك جهز في سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٧٩ م قوة جديدة بقيادة الأمير عز الدين أيبك الأقرم فتقدمت الحملة وانضم إليها بنو كنز القاطنون جنوبى أسوان . ولكنها لما وصلت إلى دنقلة وجدت الملك سمعان قد تقهقر نحو الجنوب ، فاكتمى الجيش المصري بذلك وأقام على العرش أميراً نوياً جديداً قبل أن يعمل في ظل النفوذ المصري . ولم يمض على رحيل الجيش المصري زمن حتى عاد سمعان زاحفاً من جديد واسترد عرشه دون عناء بعد أن قتل الملك الجديد وقضى على الحامية المصرية التي كانت تسنده . ولكنه في نفس الوقت كتب إلى السلطان قلاوون يعرض صداقته .

وكانت الأحوال في مصر قد اضطربت فلم يلتفت السلطان إلى هذه البلاد ورضى من الملك سمعان بما طلبه ، وعقدت بين الطرفين معاهدة بذلك تعهد فيها الملك سمعان أن يدفع للسلطان قلاوون نصف إيراد دولته وأن لا يقوم بأية جهود حربية يكون هدفها تهديد التخوم المصرية .

علاقة المنصور بالحبشة :

حرصت الحبشة دائماً على إقامة علاقات من الصداقة والمودة مع أصحاب السلطة في مصر إبقاء على ما بين الدولتين من روابط تجارية وثقافية ودينية ، فقد كانت الحبشة تتبادل مع مصر تجارة قوية نشطة ، كما كانت الحبشة في حاجة إلى ما تمدها به مصر من كتب دينية محرص الحبشة على ترجمتها من العربية والقبطية إلى اللغة الحبشية من أجل المحافظة على العقيدة المسيحية التي يشترك فيها الشعبان ، كما كانت الحبشة تحرص دائماً على أن يكون رأس كنيسة مطراناً مصرياً يرسله بطريرك الاسكندرية إليهم . وكان غياب هذا المطران يعرض الكثير من الشؤون الدينية والاجتماعية لخطر الانهيار . وكانت هذه الصلة قد انقطعت منذ أن اضطرب حبل الأمن في إثيوبيا في النصف الأول من القرن الثالث عشر نتيجة لضعف سلطة ملوك لاستا ، وقد حاول الامبراطور « يكونو املاك » الذي ارتقى العرش الحبشي في سنة ١٢٨٦ أن يعيد هذه العلاقات إلى ما كانت عليه من القوة ، فأرسل إلى مصر وفداً ، إلا أن الوفد لم يبلغ مقصده ، ولم يوافق السلطان الظاهر بيبرس على تنصيب المطران المطلوب ، فلم يجد الامبراطور « يكونو املاك » بداً من اللجوء إلى بطريرك آخر هو بطريرك أنطاكية فبعثت له مطراناً سورياً . إلا أن الشعب نقم على امبراطوره فشله في إدراك إعادة العلاقات مع بطريرك مصر . وكادت الأمور تسير إلى سبيل لولا أن مات الامبراطور وجلس على العرش ابنه « يجيبيا صيون » فبادر بإرسال وفد جديد إلى مصر برئاسة من يدعى عبد الرحمن بن يوسف وحمله ثلاثة كتب ، كان أولها موجهاً إلى البطريرك يؤنس الثامن يعتذر فيه عن هفوة أبيه ويطلب تعيين مطران مصري جديد ، وكان الثاني موجهاً إلى السلطان قلاوون وذكر فيه أنه يختلف كثيراً عن والده فهو ينشر حمايته على المسلمين من مملكته ويرجو أن يعامل السلطان مسيحي مصر نفس المعاملة السمحة كي تقوم بين المملكتين صداقة دائمة ، وأخيراً طلب من السلطان أن يسمح للبطريرك بإرسال مطران مع رسوله ورسول من السلطان كي يعود السلام إلى كل من المسلمين والمسيحيين في الحبشة ، وهو لن يتأخر في حالة وصول المطران عن تنفيذ كل رغبات السلطان . كما طلب أيضاً أن يسمح السلطان للوفد أن يكمل سفره إلى بيت المقدس لزيارتها .

وقد حل أعضاء الوفد معهم كتاباً ثالثاً إلى الرهبان الأحباش المقيمين هناك يطلب الملك منهم أن يذكروه في صلواتهم .

وقد وصل الوفد إلى القاهرة في سبتمبر سنة ١٢٩٠ (رمضان ٦٨٩) حيث استقبله السلطان استقبالا ودياً ورد على خطاب الامبراطور وهديته بخطاب وهدية مماثلة .

عزقة المنصور بالحجاز :

لما كان الحجاز هو الموطن الأول للإسلام ومقصد المسلمين في الحج والزيارة حرص الخلفاء العباسيون دائماً على أن يكون هذا الجزء الهام من العالم الإسلامي تحت يدهم . إلا أن ضعف الخلافة العباسية بعد أيام المأمون أضعف هذه العلاقة فإذا ما قامت الخلافة الفاطمية في مصر حرصت على أن يدخل الحجاز في حوزتها كي تكون به جديرة بمنافسة الخلافة العباسية في بغداد .

ولم تلبث مصر أن صارت منذ أيام الدولة الأموية قلب العالم الإسلامي الخفاق وقام سلاطين هذه الدولة بعبء الدفاع عنه . وإذا ما قام الحكم المملوكي وحرص الظاهر بيبرس على إحياء الخلافة العباسية وعلى أن تكون القاهرة مركزها حرص كذلك على الإبقاء على الحجاز تحت حكمه ومدته بالمال رفعا لمكانة مصر ، فأصبح الخطباء يدعون له على منابر تلك البلاد وتضرب السكة فيه باسمه ، كما حرص أمراء مكة والمدينة على إظهار ولائهم لسلطان مصر . وقد حلف الشريف أبو نعيم أمير مكة سنة ٦٨١ هـ للسلطان المنصور سيف الدين قلاوون على أن يكون مطيعاً له ، وأن يلتزم تعليق الكسوة المرسلة من مصر على الكعبة في كل عام ، وأن لا تعلق عليها كسوة غيرها ، وأن يقدم علم المنصور على كل علم ، لقاء أن يسهل أمير مكة زيارة البيت الحرام لكل قاصد ويؤمن مواسم الحج والزيارة . ويعمل على القضاء على قطاع الطرق .

وكثيراً ما تدخل سلاطين المماليك لفض كل نزاع بين الأمراء الحجازيين إبقاء على الصلات الجيدة مع الحجاز ، وكذلك إبقاء على الأمن من أن يضطرب في هذه البلاد المقدسة .

عمرقة المنصور باليمن :

حرص سلاطين مصر على إبقاء سلطتهم على اليمن كاملة منذ أيام صلاح الدين أيضاً ،
فقد استولى عليها سنة ٥٦٩ وأقام فيها الخطبة للخليفة العباسي .

إلا أن انصراف الأيوبيين إلى مقاومة الصليبيين أتاح لبني رسول فرصة الاستقلال
باليمن وتوارثوا الملك فيه ، ولكن قوة السلطان الظاهر بيبرس أعادت إلى مصر مكانتها
في اليمن أيضاً إلى جانب البلاد الأخرى / فكان صاحب اليمن لا يتصرف في أمر من
الأمر دون أن يكتب إلى الظاهر بيبرس . وقد أرسل إلى امبراطور الحبشة يكونو املاك
وفداً إلى مصر أيام الظاهر بيبرس ، فاحتجزه صاحب اليمن عنده حتى يكتب إلى مصر
في شأنه . كما حرص الملك المظفر شمس الدين يوسف على الإبقاء على علاقات الود ، فكان
يرسل إليه الهدايا السنوية تحملها سفارة كبيرة ، وكانت هذه الهدايا تحوى السيوف
والخيول المطهمة علاوة على بعض الحيوانات الغريبة مثل الفيلة والزرافة وحمار الوحش ،
فكان الظاهر يقابلها بالترحاب ويبادل صاحبها بهدايا مماثلة .

✓ وإذا ما وصلت اليمن أخبار تولى السلطان المنصور سيف الدين قلاوون أرسل له الملك
المظفر أيضاً هدية من العود والعنبر والرماح والسيوف يحملها أخوه الأمير مجد الدين وطلب
من السلطان المصري أمانا مكتوباً على قميص ، فكتب الأمان وأرسل إليه .

✓ ولم يكتب الملك المظفر بذلك ، بل أرسل هدية أخرى في سنة ٦٨٤ وكانت جملة من
الخصيان والأفراس والفيلة والبغاء والرماح والبحار والقمش والأطباق ، وقد قبل السلطان
الهدية وأنعم على صاحب اليمن ورسله بالخلع والعطايا .

عمرقة المنصور بهمدان المغرب :

حرصت البيوت المالكة المتعددة التي قامت في المغرب على أن توطد علاقتها بالعالم
الإسلامي ، فقد كان الجهاد بينها وبين ملوك الفرنجة في الأندلس متصلاً ، وكان هجوم

ملوك إسبانيا على أملاك المسلمين دائماً . ولم يتردد ملوك المرابطين ثم الموحدون في نصره
السلطين المسلمين .

✓ وحرص سلاطين المغرب على توطيد علاقتهم بالشرق ، لاسيما وأن مصر كانت
طريق حجبهم ، وكانت لسلاطين مصر منذ الدولة الأيوبية السلطة على بلاد الحجاز ،
فكان سلاطين المغرب يداومون الكتابة إلى سلاطين مصر يطلبون الإذن بحج
بعض رجالهم وخاصة نساء دولتهم من أمهات السلاطين وزوجاتهم . ولم يكن سلاطين
مصر يترددون في منحهم الأمان والحرية خلال رحلتهم الطويلة ، فكانوا دائماً يستقبلون
موكب حجاجهم ويحافظون عليه سواء داخل الحدود المصرية أو في بلاد الحجاز . وقد
حفظ لنا ديوان الانشاء كثيراً من الرسائل التي تبادلها ملوك المغرب مع سلاطين الممالك
ومنهم المنصور سيف الدين قلاوون من أجل إقامة صداقة دائمة . وكانت هذه الرسائل
مقرونة دائماً بكثير من الهدايا التي يقابلها سلاطين الممالك بهدايا مماثلة .

علاقة المنصور بالمسيحيين مع ملوك أوروبا :

✓ كذلك تبودلت الرسل والهدايا بين مصر وبعض الممالك المسيحية في إسبانيا ، فأرسل
الملك ألفونس صاحب قشتالة في سنة ٦٨١ (١٢٨١) رسولين إلى السلطان المنصور
سيف الدين قلاوون ومعهما هدية من الخيل والبغال ، فأحسن السلطان ضيافتهما وأجرل لها
العطايا . ولم تقتصر العلاقة بين قلاوون وألفونس على تبادل الرسل والهدايا ، بل أبرمت
بين الاثنين معاهدة دفاعية في سنة ٦٨١ .

✓ وكانت إمارة أرجون أيضاً من بين الامارات المسيحية التي ارتبطت مع مصر
بعلاقات المودة والصداقة . فعقد ملكها وملك صقلية معاهدة سنة ٦٨٩ تعهدا فيها بمساعدة
السلطان قلاوون ضد أية حرب يشنها عليه المسيحيون .

✓ وحرص جيمس الثاني ملك أرجون على إقامة صداقة قوية مع السلطان المنصور من
أجل رعاية شؤون المسيحيين في الشرق وتنمية موارد بلاده بفتح أسواق تجارية لها في مصر .
ويحفظ لنا أيضاً ديوان الرسائل كثيراً من الكتب التي تبادلها سلاطين الممالك مع أمراء

إسبانيا المسيحيين ، وكانوا يلقبون ملك أرجون باسم ريدارغون .
وكان حرص سلاطين مصر على تنشيط تجارة مصر باعثاً لهم على الترحيب بالتجار
الايطاليين في الموانئ المصرية . فقد كانوا حملة التجارة الشرقية إلى أوروبا ، يحملونها إلى
جمهورياتهم ومنها توزع إلى أوروبا عن طريق الممرات الكثيرة التي تخرق جبال الألب .
فقد عقد الظاهر بيبرس معاهدات تجارية عدة مع جنوة ، ومنح البنادقة عدة امتيازات سهلت
عليهم سبل المتاجرة ، فكانت لهم في الاسكندرية خاناتهم التي تخزن فيها تجارتهم ،
بل كان لهم حراسهم وقناصلهم ، بل حرص سلاطين المماليك على منح تجارهم حق التقاضي
أمام قناصلهم وفقاً لقوانينهم الخاصة .

وكذلك عقد المنصور سيف الدين عدة اتفاقات تجارية مع البندقية وجنوة وبيزا ،
فأصبح لهذه الجمهوريات قناصل في الاسكندرية ودمياط ورشيد ، مسؤولين عن سلامة
مواطنيهم وعن تنفيذهم لقوانين التجارة . فكان التجار الأجانب الذين يفدون إلى مصر
يسجلون أسماءهم في مكاتب قنصلياتهم من أجل سهولة تمتعهم بما نصت عليه المعاهدات
المعقودة من امتيازات .

وكانت هذه المعاهدات بين الملوك المسيحيين والمسلمين سبباً في إثارة غضب البابا
على الجمهوريات المسيحية ، فكان يثيرهم من وقت لآخر في سبيل نقض هذه المعاهدات
والانضمام إلى صف العالم المسيحي في جهادة ضد المسلمين ، فكانت الجمهوريات الإيطالية
تنضم إليه في بعض الأوقات وتحارب في صفه إلا أن منافعها الاقتصادية لا تلبث أن تدفعها
إلى العودة إلى صداقة سلاطين مصر حيث كانت أسواق القاهرة والاسكندرية تزخر بمواد
التجارة القادمة من الهند .

ولكن هذه الصداقة مع جمهوريات إيطاليا لم تكن تمنع سلاطين المماليك من
إخفاء مصادر التجارة الهندية عنهم . ووصلت هذه الرغبة في الإخفاء إلى حد تحريم
تجولهم في داخل البلاد المصرية كي لا يصلوا إلى شاطئ البحر الأحمر حيث كانت
ترسو مراكب التجار المسلمين حاملة للتجارة الهندية . وكان الدافع على هذا
الحرص رغبة سلاطين المماليك في جني أكبر ما يمكنهم من رسوم المرور التي يجبونها على

هذه التجارة . وقد وصلت هذه الضريبة التي كانت تجبي من التجار المسيحيين إلى خمس بضائعهم، وكان يشرف على جبايتها ديوان خاص يسمى ديوان الخمس . وقد ذكر ذلك كل من المقر يزي والقلقشندي ، بل ربما زادت هذه الضريبة عن هذا المقدار .

ومن أجل ذلك حرص السلطان المنصور على أن يحمل التجار الأجانب جوازات يبرزونها إلى السلطات المصرية كلما دخلوا منطقة من المناطق ، وكانت هذه الجوازات بمثابة أمر إلى السلطات المصرية بتسهيل سفر هؤلاء التجار وتأمينهم .

وكذلك عقدت معاهدات الصداقة بينه وبين فيليب الرابع ملك فرنسا وجيمس ملك صقلية والإمبراطور رودلف إمبراطور النمسا . فقد كان الملك فيليب الرابع يرمى إلى غرضين ظاهرين ، أولهما القضاء على سلطة الأشراف في بلاده ليجعل من الحكومة المركزية قوة كبيرة يكون على رأسها ، وثانيهما إبعاد كل أثر لفوذ أجنبي في إيطاليا ليستخلصها لنفسه ، فعمل على إبعاد سلطة البابا ، ولم يتورع عن محاربة البابا بونيفاس الثامن ، وكان عداؤه للبابا يحتم عليه أن ينضم إلى أعدائه ، ولو كان هؤلاء الأعداء من المسلمين .

سيرة المنصور قلاوون

من ٣ شعبان سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م - ١٠ جمادى الآخرة من ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م

(عن ابن الفرات)

سنة ٦٧٨ هـ

شعبان

- فى يوم السبت ثالث شعبان ٦٧٨ هـ ركب السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون بشعار السلطنة وأبهة المملكة ، وكان أول ركوبه ، وشق القاهرة المحروسة ، وهى مزينة ، وكان يوما مشهوداً ، وكتب إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر يخبره بركوبه والكتاب بخط القاضى تاج الدين بن الأثير .

- وفى شعبان من هذه السنة رسم الملك المنصور بإعفاء القاضى تقي الدين بن توبة التكريتى ناظر الخزانة بدمشق المحروسة من هذه الوظيفة وأن يسمح مما عليه من البواقي ، وفوض إليه نظر الخزانة بدمشق المحروسة .

رمضان

- وفى هذه السنة صام الناس أول شهر رمضان يوم الجمعة على اختلاف وشك شديد .
- وفى يوم الأحد ثالث شهر رمضان الشهر المذكور ولى السلطان الملك المنصور قلاون الأمير جمال الدين أفش الشريفى أمير جانداز نيابة السلطنة الشريفة بالصلت والبلقاء .

- وفى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان الشهر المذكور أفرج عن صاحب فتح الدين ابن القيسرانى وزير الشام الحروس ونزل إلى بيته بعد أن أقام فى الترسيم فى المسجد بالقلعة المنصورة نيفا وثلاثين يوماً .

- وفى يوم الأحد عاشر شهر رمضان الشهر المذكور ولى الملك المنصور الأمير فخر الدين الطنبا الزيدى نيابة السلطنة الشريفة فى القصير الذى بقرب أنطاكية .

- وفى هذا اليوم : ولى الملك المنصور الأمير علم الدين سنجر المنصورى نيابة السلطنة الشريفة ببلاطس المحروسة وكتب له تقليد إنشاء القاضى فتح الدين بن القاضى محيى الدين بن القاضى رشيد الدين عبد الظاهر .

- وفي شهر رمضان الشهر المذكور تولى الأمير فخر الدين إياز الملوحي ولاية الأعمال
العربية عوضاً عن الأمير ناصر الدين بن المحسن الجزري .

ذكر ولاية الأمير حسام الدين طرنتاي المنصوري

نيابة السلطنة بالديار المصرية

لم يزل الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب السلطنة المعظمة بالديار المصرية يحسن للملك
المنصور سيف الدين قلاون تولية مملوكه الأمير حسام الدين طرنتاي نيابة السلطنة الشريفة
بالديار المصرية عوضاً عنه إلى أن ولاه السلطان نيابة السلطنة بالديار المصرية عوضاً
عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم المذكور ، في يوم الخميس رابع عشر شهر رمضان الشهر
المذكور ، وقيل في ثالث عشر شهر رمضان الشهر المذكور وبأشر النيابة والله أعلم
أى ذلك كان .

- وفي يوم الأحد سابع عشر شهر رمضان الشهر المذكور قبض السلطان الملك المنصور
على الأمير نور الدين على بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، وعلى جماعة
من الناصرية .

- وفي سادس عشرين شهر رمضان الشهر المذكور عزل الملك المنصور سيف الدين
قلاون صاحب برهان الدين الخضر السنجارى عن وزارته بالديار المصرية . وقيل في يوم الجمعة
التاسع والعشرين من شهر رمضان الشهر المذكور قبض على صاحب شمس الدين عيسى
ابن صاحب برهان الدين السنجارى وأخذت خيولهما وخيول أتباعهما وبات صاحب
برهان الدين وولده في دار الأمير علم الدين الشجاعى واستمرا في التعويق أياماً وقبض على
حجابهما وخدامهما ، وطلبوا بما أخذوا من نقد وغيره حاصل طلاق وصدور مايتألف
وستة وثلاثون ألفاً .

شوال :

- وفي يوم الاثنين ثلثي شوال المبارك من هذه السنة ولي الملك المنصور صاحب
فخر الدين إبراهيم بن لقمان الوزارة بالديار المصرية وحمل الأمير علاء الدين كشتغدي
الشمسي استاد الدار الشريفة الخلع إليه في بيته بقلعة الجبل فامتنع امتناعاً شديداً وبكى
واستقال ، فلم يسمع منه ولبس الخلع وباشراً عوضاً عن صاحب برهان الدين السنجاري
ولزم صاحب برهان الدين مدرسة أخيه قاضي القضاة بدر الدين السنجاري بالقرافة الصغرى
بعد إطلاقه وتخليه سبيله .

وفي هذا اليوم باشراً القاضي فتح الدين محمد بن القاضي محيي الدين عبد الله بن الشيخ
رشيد الدين عبد الظاهر الدوادارية وقراءة البريد وتلقى الأجوبة الشريفة عوضاً
عن صاحب فخر الدين بن لقمان .

وفي هذا اليوم قبض الملك المنصور على جماعة من الأمراء والأعيان منهم علاء الدين
مغلطاي الدمشقي وسيف الدين بكتمر الأمير اخوري وسيف الدين طقصبا الناصري وصالح
الدين أحمد بن بركتخان وشهاب الدين قرطاي المنصوري وصارم الدين الحاجب واعتقلوا .
- وفي خامس شوال الشهر المذكور : فوض الملك المنصور تقي الدين توبة التكريتي
ناظر الخزانة بدمشق المحروسة ووزارة الشام وأخلع عليه خلع الوزراء وتلقب بالصاحب .

ذكر استيلاء الملك السعيد بن الملك الناصر صاحب الكرك

على الشوبك وعودها للملك المنصور صاحب مصر

لما اتفق الأمراء على خلع الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان بن الملك الظاهر
ركن الدين بيبرس البندقداري الصالح النجمي من السلطنة بالديار المصرية وانبلاذ
الشامية والقلاع الإسلامية والأقطار الحجازية وإقامة أخيه بدر الدين سلامش في السلطنة
عوضاً عنه ، وسيف الدين قلاون أتاكبه - كما قدمنا شرحه - أعطى الملك السعيد
الكرك وشرط أنه لا يكتب الأمراء ، ولا يفسد العساكر ولا يتطرق إلى غير الكرك .

فلما توجه الملك السعيد إلى الكرك واستقر بها ، حركه مماليكه وحسنوا له التطرق إلى الحصون وأخذها أولا فأولا فوافقهم على ذلك وكاتب النواب وسير الأمير حسام الدين لاجين رأس نوبة الجدارية السعيدية إلى الشوبك فتغلب عليها ، وأقام بها فكتبه سيف الدين قلاوون ونهاه فلم ينته ، فجرد جماعة من العساكر المنصورة ، وقدم عليهم الأمير بدر الدين بيلىك الأيدمرى فخرجوا إلى الشوبك في يوم الاثنين تاسع شوال الشهر المذكور فنزل الأمير بدر الدين على الشوبك وضايق أهلها وتسلمها في العاشر من ذى القعدة من هذه السنة ورتب بها نايبا وعاد منها ، وقيل لما خلع الملك السعيد من السلطنة أعطى الكرك ونجم الدين الخضر بن الملك الظاهر الشوبك ، فلما اتفق الأمراء على خلع الملك العادل بن الملك الظاهر من السلطنة بالديار المصرية وخلعوه وسيروه إلى عند أخيه بالكرك كما قدمنا شرحه ، واستقرت قواعد الملك المنصور كما قدمنا شرحه ، أرسل جيشا لمحاصرة الشوبك ، فلما بلغ صاحبها الملك نجم الدين خضر بن الملك الظاهر سيرهم انتقل منها إلى الكرك عند أخيه الملك السعيد ، ثم وصل الجيش إلى قلعة الشوبك وحاصرها مدة ، ثم تسلمها بالأمان . والله أعلم أى ذلك كان .

وكان رسل ألفونس وصلوا على أنهم رسل للملك السعيد بن الملك الظاهر ، فأحضرهم الملك المنصور وأعطوه الكتب ، وأعادوا المشافهة ، وأحضرها ما كان معهم من هدية ، وكانت لطيفة جداً ، وكتب لهم الجواب ، وخلع عليهم ونفق فيهم ، وتجهزوا وأعيدوا في نصف شوال الشهر المذكور .

— وفي يوم السبت الحادى والعشرين من شهر شوال ، الشهر المذكور قبض الملك المنصور على الملك الأوحى ، وأخيه شهاب الدين محمد ولدى الملك الناصر صلاح الدين داود صاحب الكرك ، واعتقلا .

وفي هذا اليوم : ولى الملك المنصور الأمير بدر الدين بيلىك الطيار نيابة السلطنة المعظمة بقلعة صفد المحروسة ، ونقل الأمير علم الدين سنجر الكرجى إلى الولاية ، ونقل الأمير سيف الدين بلبان الجوادى إلى خزندارية القلعة المحروسة .

— وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من شوال الشهر المذكور تقرر مباشرة القاضى

شرف الدين أبو طالب بن القاضي علاء الدين بن النابلسي ، نظر الدراوين المعمورة بالديار المصرية ، وأخلع عليه وباشرعوضاً عن القاضي نجم الدين بن الأصفوني في الوجه القبلي وعن القاضي تاج الدين بن السهوري في الوجه البحري .

— وفي يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شوال الشهر المذكور ، حلق الملك المنصور على النصارى خصوصاً كتاب الجيوش المنصورة ، وصرفهم وأمر أن يستخدم كتاب مسلمون ، ورتب القاضي أمين الدين شاهد صندوق النفقات في كتابة الجيش عوضاً عن الأسعد إبراهيم النصراني .

وفي هذا اليوم : رسم الملك المنصور بهدم دير الخندق ، الذي بظاهر القاهرة الجروسة خارج باب الفتوح في آخر الحسينية ، وكان يوماً مشهوداً اجتمع عليه من العالم مالا يحصى كثرة .

قال صاحب كتاب ذخيرة السكاتب : وفي هذا اليوم تولى الصدر تقي الدين توبة التكريتي نظر النظار بالشام الحروس ، وقد قدمنا أن السلطان فوض إليه الوزارة بالشام ، وخلع عليه خلع الوزراء وتلقب بالصاحب ، والله أعلم أي ذلك كان .

— وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شوال الشهر المذكور ، وصل الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود صاحب حماه إلى قلعة الجبل الجروسة وركب الملك المنصور لتلقيه وأنزل في مناظر الكباش المعمورة ، واهتم السلطان به اهتماماً شديداً .

قال صاحب كتاب ذخيرة السكاتب : وفي هذا الشهر رسم بإدارة الخمر وتضمينه ، وظهر الشرب والسكرارى ، وزال الاعراض عنهم ، ولم يقيم إلا يوميات قلائل وأبطل والحمد لله .

— وفي يوم الخميس السادس والعشرين من شوال الشهر المذكور ، رسم الملك المنصور بإبطال الخمر وتعفية أثرها ، وأن لا تضمن ولا يتظاهر بها .

— وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من شوال الشهر المذكور : كتبت تقاليد القضاة الأربعة ، واستقر الحال على أن يكون قاضي القضاة صدر الدين بن قاضي القضاة تاج

الدين بن بنت الأعز الشافعي هو الذي يولى في البلاد نواباً من جهته خاصة ، وقاضى القضاة معز الدين الحنفى ، وقاضى القضاة عز الدين الحنبلى حكماً فى القاهرة ، ومصر خاصة بغير نواب فى البلاد .

— وفى أواخر شوال الشهر المذكور : أمر الملك المنصور بإحضار الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى من دمشق تحت الاحتياط فجرد معه جماعة وأحضر ، فلما وصل إلى قلعة الجبل اعتقل بها . ورؤى هلال ذى القعدة ليلة الثلاثاء .

ذو القعدة :

— وفى يوم الأربعاء ثانى ذى القعدة من هذه السنة ركب السلطان الملك المنصور إلى الميدان بالبورجى ولعب الكرة وهو أول لعبه فيه وفرق ذلك النهار مائة ونيفاً وثلاثين فرساً بالسروج المحلاة وخلع على الأمراء خلعا سنياً .

— وفى يوم الجمعة خامس ذى القعدة الشهر المذكور سیر الملك المنصور سيف الدين قلاون إلى الملك المنصور ناصر الدين محمد صاحب حماة تقليداً بحماة على العادة ، وسیر له الصناجق السلطانية وسیر إليه أربعة صناديق ذهباً وفضة وأربعة صناديق قماشاً من سائر الأمتعة العتابة والتورى زى والسكندرى ، وسیر إليه خيلاً أصيلة . سیر ذلك مع جماعة من أكابر دولته وأخلع صاحب حماة عليهم أجمعين ، وأذن له السلطان فى العودة إلى حماة المحروسة .

— وفى يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة الشهر المذكور سافر الملك المنصور صاحب حماة وزوده السلطان بمنشور كريم بيارين ومناصفاتها وركب السلطان لوداعه وأقام ذلك النهار فى بهتيت وعاد آخر النهار إلى قلعته المنصورة .

— وفى العشرين من ذى القعدة من هذه السنة تولى القاضى شهاب الدين غازى بن الواسطى نظر الدواوين بحلب المحروسة وقرر له فى الشهر أربعماية درهم وستة مكاكى قحماً ومكوكان شعيراً وتولى معه جلال الدين بن الخطير استيفاء الديوان بها وكتب لها بذلك . وتولى الطواشى افتخار الرقيق الخدام الخزنذارية بحلب المحروسة .

— وفى هذا الشهر تولى الأمير بدر الدين بكتوت القطزى شد الدواوين بحلب المحروسة

وأعمالها وفيه فوض الملك المنصور نيابة السلطنة الشريفة بحصن الأكراد وما معه من
الفتوحات لمملوكه الأمير سيف الدين بلبان الطباخي .
روى هلال ذى الحجة من هذه السنة ليلة الأربعاء .

ذو الحجة :

- وفي يوم السبت رابع ذى الحجة من هذه السنة تولى الأمير عماد الدين داود
ابن أبي القاسم ولاية نابلس وأعمالها وأقطع لخاصه وخمسة ممالك .

- وفي يوم الثلاثاء سابع ذى الحجة الشهر المذكور سافر عز الدين أيبك الأفرم ومعه
العساكر المنصورة إلى الكرك مجزاً .

- وفي يوم الخميس تاسع ذى الحجة الشهر المذكور أخرج الأمير غرس الدين بن شاور
من الاعتقال وأخلع عليه ورسم له بالعودة إلى ولايته بالرملة واللد .

- وفي يوم السبت ثامن عشر ذى الحجة الشهر المذكور تسلم الأمير بدر الدين بيبيك
الأيدمرى قلعة الشوبك المحروسة بالأمان ووردت كتبه بذلك يوم الخميس الثالث
والعشرين منه وحلف السلطان الملك المنصور للأمير حسام الدين لاجين الخطائي رأس
النوبة النايب بها وللأمير جمال الدين الهامى والى البر بها وسيرت إليهما الخلع وضربت
البشائر بقلعة الجبل المحروسة وكتب بذلك إلى الآفاق وقد قدمنا ما قبل غير ذلك .

وفيه تولى القاضى مجد الدين عيسى بن الخشاب الحسبة الشريفة بالقاهرة المحروسة
وباشرها .

وفيه فوض السلطان الملك المنصور نيابة السلطنة بقلعة دمشق لمملوكه الأمير حسام
الدين لاجين السلاح دار المنصوري وهو المعروف بلاجين الصغير فوصل اليها وسكنها وذلك
في العشرين من ذى الحجة الشهر المذكور فتخيل منه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر
نايب السلطنة بدمشق المحروسة وكان من خروجه عن طاعة السلطان الملك المنصور
وسلطنة الشام ما ذكره ان شاء الله تعالى .

ذكر سلطنة شمس الدين سنقر الأشقر بدمشق

كان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحى النجمى فى زمن أتاكيتيه فى سلطنة الملك العادل بدر الدين سلامش جهز الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى الشام نايب السلطنة الشريفة بدمشق المحروسة عوضاً عن الأمير جمال الدين اقش الشمسى ، ونقل الأمير جمال الدين اقش الشمسى من دمشق إلى نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية ، فلما خلع الملك العادل بدر الدين سلامش وملك الملك المنصور سيف الدين قلاوون واستقل بالسلطنة - كما قدمنا شرحه - خطر ببال الأمير شمس الدين سنقر الأشقر أن يستبد بسلطنة الشام ويصير الأمر على ما كان عليه فى أواخر الدولة الأيوبية فصار يمهّد الأمور لنفسه فلما أرسل الملك المنصور مملوكه الأمير حسام الدين لاجين إلى قلعة دمشق ، ووصل إليها وسكنها وتخيل منه شمس الدين سنقر - كما قدمنا شرحه - جمع الأمراء الذين عنده بدمشق وأوهم أن الأخبار وصلت إليه أن الملك المنصور سيف الدين قلاوون قد قتل وهو يشرب القمز ودعاهم إلى طاعته واستحلفهم لنفسه فأجابوه وحلفوا له وتلقب بالملك الكامل وركب بشعار السلطنة وأبهة المملكة بدمشق وذلك فى الرابع والعشرين من ذى الحجة من سنة ثمان وسبعين هذه السنة / وفى الوقت قبض على الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالطى الصالحى لامتناعه عن اليمين / وقبض أيضاً على الأمير حسام الدين لاجين نايب قلعة دمشق الذى أرسله الملك المنصور وعلى صاحب تقي الدين توبة التكريتى ، وجهز الأمير سيف الدين بلبان الحبيشى إلى ساير الممالك الشامية والقلاع ليحلف من بها من النواب وغيرهم ويولى فيها من جهته من يريد . واستقوزر مجد الدين أبا الفداء اسماعيل بن كسيرات الموصلى وجعل وزير الصحبة الصدر عز الدين أحمد بن ميسر المصرى ، وانتقل بأهله من دار السعادة التى يسكنها نواب السلطنة بدمشق إلى قلعتها ، وأمر عند انتقال أهله بأن يغلق باب النصر وفتح باب سر القلعة المقابل لدار السعادة بجوار باب النصر ، ففعلوا ذلك ، فتطايّر الناس له بأشياء وقالوا اغلق باب النصر ، وانتقل من دار السعادة وسكن القلعة وولى وزارته ابن كسيرات فهذا لا يتم أمره فكان كذلك .

ربيع آخر :

- وغلق النيل المبارك في يوم الأحد ثالث شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين هذه السنة ستة عشر ذراعاً .

- وفي العشرين من شهر ربيع الآخر الشهر المذكور كان النوروز وهو أول يوم من توت أول شهر من الشهور القبطية وحج بالحمل السلطاني بالركب المصرى الأمير جمال الدين أقش الباخلي وخرج الحمل المبارك إلى الحجاز الشريف في يوم الثلاثاء سابع عشر شوال المبارك من هذه السنة ، وكان قاضى الركب فخر الدين عثمان بن بنت أبى سعد . والله أعلم .

سنة ٦٧٩ هـ :

ذكر الحوادث في سنة تسع وسبعين وستمائة

محرم :

- في يوم الخميس أول يوم من شهر الله المحرم من هذه السنة ركب الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر بشعار السلطنة وأبيه الملك ودخل الميدان الأخضر بدمشق المحروسة وبين يديه الأمراء والمقدمين يمشون بالخلع رجالة وسير في الميدان ثم رجع وعاد إلى القلعة .

- وفي يوم الجمعة ثانى المحرم الشهر المذكور خطب للملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر بجامع دمشق المحروسة .

ذكر التقاء عسكري مصر والشام وهزيمة عسكري الشام

وأسر من لم يذكر من أمرائه في المرة الأولى

كنا قدما أن الملك المنصور سيف الدين قلاون صاحب الديار المصرية لما بلغه عن الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر صاحب الكرك ما قدمنا شرحه من استفساد الناس وجمع العساكر جرد الأمير عز الدين الأفرم إلى الكرك على سبيل الارهاب فلما بلغ الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر صاحب دمشق أنه قد خرج من الديار المصرية في طائفة من عساكرها ظن أنه يقصده ، فكتب إليه ينهيه عن التقدم ويقول إنتهى مهدت الشام وفتحت القلاع وخدمت السلطان ، وكان الاتفاق بيني وبينه أن أكون حاكما على ما بين الفرات والعريش ، فاستناب أقوش الشمسي بحلب وعلاء الدين الكبكي بصدد ، وسيف الدين بلبان الطباخي بحصن الأكراد وآخر الحال أنه يسير إلى من يقصد مسكي واتبع سنقر الأشقر كتابه الذي أرسله إليه بتجريد عسكري من عسكري دمشق ، فلما وصل الكتاب إلى الأمير عز الدين الأفرم كتب مطالعة إلى الملك المنصور صاحب مصر وجهز الكتاب الذي أرسل سنقر الأشقر عطفها ، فلما وصلت المطالعة إلى الملك المنصور كتب إلى الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر ، وكتب إليه أيضاً الأمراء خشداشيته يقبضون عليه فعليه ويحضونه على الرجوع إلى الطاعة ، وتوجه بالكتب الأمير سيف الدين بلبان الكريمي العلائي خوشداشه ، فوصل إلى دمشق ثامن شهر الله الحرم الشهر المذكور ، فخرج إليه الملك الكامل سنقر الأشقر وتلقاه وأنزله عنده بقلعة دمشق وأكرمه ، ومع ذلك لم يصغ إلى قوله ، ولا رجع إلى ما أشار به خشداشيته . هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من الأمير عز الدين الأفرم فإنه لما وصل إليه كتاب الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر وأرسل مطالعته إلى الملك المنصور كما قدمنا شرحه رجع إلى غزة ورجع الأمير بدر الدين الأيدمرى من الشوبك بعد أن أخذها ورتب بها نايبا كما قدمنا شرحه فاجتمعوا على غزة . ووصل العسكري الذي أرسله الملك الكامل سنقر الأشقر إلى غزة ، وعند وصوله اندفع العسكري المصري من بين أيديهم ودخلوا الرملة ونزل الشاميون

غزة ومقدمهم الأمير شمس الدين قراسنقر المعزى ، وعندما نزلوا غزة واطمأنوا بها ساعة من نهار ، وكان فيهم قلة ، عاد إليهم عساكر مصر ونالوا منهم وغلبوا عليهم ، فانكسروا ورجعوا منهزمين إلى الرملة . ومن أسر من أعيان أمراءهم الأمير بدر الدين كنجك الخوارزمي وبهاء الدين يملك الناصري ، وناصر الدين باشقرد الناصري وبدر الدين بيليك الحلبي ، وعلم الدين سنجر التكريتي ، وسنجر البدرى ، وسابق الدين سليمان صاحب صهيون وغنموا أموالهم وخبولهم وأثقالهم ، ووصلت البريدية بكتب الأمير بدر الدين الأيدمرى على يد ولد الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى في يوم الخميس خامس عشر الحرم الشهر المذكور ، وخلع السلطان الملك المنصور على ولد بكتاش والبريدية ووصل الأمراء المأسورون إلى الأبواب السلطانية بقلعة الجبل فعفى عنهم السلطان وأحسن إليهم ولم يؤاخذهم وأطلقهم وأخلع عليهم وجدد مناشيرهم وأعادهم إلى العسكر المنصور فأقاموا بين العساكر المنصورة المصرية في الخدمة المنصورية وكان ما سئذ كره إن شاء الله تعالى .

وفي يوم الأربعاء رابع عشر شهر الله الحرم الشهر المذكور حضر شمس الدين سنقر الغتمى المعروف بالأشقر استاذ دار الأمير علم الدين الغتمى وطلب من الأمير علاء الدين كندغدى الحبشى تعويضه عن بعض إقطاعه فرده الأمير علاء الدين الحبشى وأغلظ له في القول فضربه سنقر الغتمى بسكين في بطنه وضرب عز الدين الغزى النقيب أيضاً فأما الغزى فالتقى الضربة بيده فجرح وسلم وأما الحبشى فشق بطنه فأحضر إليه من قطبه ومات سحرة يوم الاثنين ورسم السلطان الملك المنصور أن يسمر سنقر الغتمى فسمر يوم الخميس على باب زويلة ومات يوم السبت .

ذكر تجريد العساكر المصرية إلى دمشق ومحاربتهم الملك

الكامل صاحب دمشق وهزيمة عن دمشق ودخول

العسكر المصرى إليها

لما وصل خبر كسرة العسكر الدمشقى إلى صاحبها الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر أخذ فى الاهتمام وجمع العساكر وكتب إلى الأمراء الذين بغزة من جهة الملك المنصور يعدم ويستميلهم وعين لكل منهم قلعة ووصل إلى الملك الكامل الأمير شهاب الدين أحمد بن حجبى ملك العرب بالبلاد القبلية ووصل إليه أيضاً الأمير شرف الدين بن مهنا ملك العرب بالبلاد الشرقية والشمالية ونجدة من حلب وحماة ورجال كثيرة من جبال بعلبك واستخدم الملك الكامل الرجال وأنفق فيهم الأموال وجمع خلقاً كثيراً ، ثم وردت الأخبار إلى دمشق أن الملك المنصور جهز جيشاً من مصر وأنهم واصلين إلى دمشق وكثرت لأراجيف بذلك . هذا ما كان من هؤلاء ، وأما ما كان من أمر الملك المنصور صاحب مصر ، فإنه جرد من الديار المصرية الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، والأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح بالعساكر وقيل خرجت العساكر المنصورة إلى الشام المحروس صحبة الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ، وحسام الدين ايتمش ابن أطلس خان ، ومعهما أربعة آلاف ، ومعهما الأمير فخر الدين سنجر الباشقردى فاجتمعوا بالأميرين عز الدين الأفرم ، وبدر الدين الأيدمرى ، ومن معهما ، وساروا والمقدم عليهم الجميع الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، ولما اتصل خبر اجتماع العساكر المصرية بغزة وخروجهم منها إلى جهة دمشق بعسكر الملك الكامل الذى بالرملة تأخر قليلاً ، وصار كلما تقدم العسكر المصرى تأخر العسكر الشامى لقلتهم إلى أن وصل أوائله إلى دمشق . فلما كان يوم الأربعاء الثانى عشر صفر من هذه السنة خرج الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر صاحب دمشق من دمشق بنفسه ، وبجميع من عنده من العساكر وضرب دمليزه بالجسورة ، وخيم هناك بجميع عساكره . ووصل العسكر المصرى إلى الكسوة ،

وترتبت الأطلاب وتقدمت ، والتقى العسكران بالجمسورة فى خامس عشر ، وقيل يوم الاثنين
سابع عشر ، وقيل يوم الأربعاء تاسع عشر صفر المذكور وقت طلوع الشمس وتقاتلا أشد
قتال ، وثبت الملك الكامل وقاتل قتالا شديداً واستمر المصاف إلى الرابعة من النهار ،
ولم يقتل من الفريقين إلا نفر يسير وخامساً كثر عسكر دمشق على الملك الكامل فمنهم
من انضاف إلى عسكر مصر ومنهم من انهزم . وأما عسكر حماة وعسكر حلب فعند اللقاء
انهزموا ، وساروا إلى بلادهم وتخاذل بقية عسكر الشام وحضر أكثر أمراء العسكر الشامي
إلى العسكر المصرى وحمل الأمير علم الدين الحلبي على الملك الكامل شمس الدين سنقر
الأشقر فانهزم لوقته وصحبه من الأمراء الأخصاء به الأمير عز الدين ازدرس الحاج ، والأمير
علاء الدين الكبكي ، والأمير شمس الدين قرا سنقر المعزى ، والأمير سيف الدين بلبان
الحبيشى ، وكان سنقر الأشقر من عشية يوم الجمعة رابع عشر صفر الشهر المذكور . قد جهز
أولاده ، وحريمه ، وحواصله إلى صهيون ، فلما انهزم سلك طريق القطيعة ومعه الأمير عيسى
ابن مهنا أمير العربان ملازم لخدمته ومر به على بيوته ، ونزل به وبمن معه فى برية الرحبة
وأقام بهم وبدوابهم مدة مقامهم عنده ، وتوجه معه إلى الرحبة ، وكان من خبره
ما سذكروه إن شاء الله تعالى . هذا ما كان من أمر الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر
ومن صحبه ممن انهزم . وأما بقية عسكر الشام فمنهم من دخل بساتين دمشق واختفى بها
ومنهم من دخل حواضر دمشق ، ومنهم من ذهب على طريق بعلبك ووصل خلق كثير
إلى النصب من عمل حمص ، ومنهم من سلك طريق المخرج وعذرا والدرج الكبير على
القطيعة . ولما انهزم سنقر الأشقر غلقت أبواب مدينة دمشق مخافة أن ينهاها العسكر
المصرى وامتنعت القلعة أيضاً وساق العسكر المصرى من ساعته إلى دمشق وأحاط بها ونزلوا
فى الخيم ولم يتعرضوا إلى زحف ، ونزل الأمير علم الدين الحلبي بالقصر الأبلق بالميدان الأخضر
وبات العسكر حوله إلى اليوم الثانى ، ونادى ظاهر بالأمان ، ثم إن الأمير سيف الدين الجوكان
دار نايب القلعة من جهة شمس الدين سنقر الأشقر جاء إلى الأمير ركن الدين بيبرس
العجمى الجالقي ، والأمير حسام الدين لاجين المنصورى الذى كان نايب قلعة دمشق
والصاحب تقي الدين توبة وهم فى الاعتقال بالقلعة ، وحلفهم أنهم لا يؤذونه إذا أخرجهم

ولا يؤذوا أحداً من المستخدمين بالقلعة فحلفوا له وأخرجهم من الاعتقال ، وأمروا بفتح باب القلعة وأمنوا الناس ، ثم فتح الأمير حسام الدين لاجين المنصوري باب الفرج ووقف عليه ومنع العسكر المصرى من الدخول إلى المدينة خوفاً أن يشغبوا ، ثم نودى باطابة قلوب الناس ، وأمر بالزينة ودق البشائر فزينت دمشق ، ودقت البشائر بالقلعة وعاد أكثر الأمراء إلى دمشق ، وطلبوا الأمان من الأمير علم الدين الحلبي فأمنهم ، ودخلوا في أيام متفرقة ، ثم حضر الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي ملك العرب إلى دمشق بالأمان . وكتب الأمير علم الدين سنجر الحلبي إلى السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون بالنصر وسير الأمراء الذين قبض عليهم بسبب ما فعلوه من اتباعهم لشمس الدين سنقر الأشقر إلى مصر وتوجه بالبشارة إلى الملك المنصور الأمير ناصر الدين محسن بن الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح فأنعم الملك المنصور عليه وأمره امرة عشرة ، وأحسن إلى الأمراء الذين أرسلهم الحلبي ، ولم يؤاخذهم ، ثم كان ما سذكركه إن شاء الله تعالى . وتقررت نيابة السلطنة بدمشق الحروسة للأمير بدر الدين بكتوت العالائي بسفارة الأمراء المقدمين في دمشق واستمر صاحب تقي الدين توبة على حاله التي كان عليها قبل القبض عليه . وتولى الأمير علم الدين سنجر الباشقردى نيابة السلطنة بالممالك الحلبية .

صفر :

وفي صفر الشهر المذكور في الخامس والعشرين من أبيب أخذ قاع النيل المبارك فكان خمسة أذرع وعشرون أصبعاً .

ذكر توجه شمس الدين سنقر الأشقر إلى صهيون وتحصنه بها

كان شمس الدين سنقر الأشقر لما تغلب على الشام كاتب نواب القلاع فمنهم من أطاعه ومنهم من امتنع عليه وكان ممن أطاعه نايب صهيون وبرزيه وبلاطنس والثغر وبكاس وشيزر وعسكا وحص فلما انهزم سنقر الأشقر وسار إلى جهة الرحبة واستولى الأمير علم الدين الحلبي على دمشق كما قدمنا شرحه جهز قطعة كبيرة من الجيش نحو من ثلاثة آلاف فارس وسيرهم صحبة الأمير حسام الدين ايتمش بن أطاس خان وجماعة من الأمراء

في طلب شمس الدين سنقر الأشقر ومن معه فساروا من دمشق في يوم الاثنين رابع عشر صفر من هذه السنة .

— وفي أوائل شهر ربيع الأول من هذه السنة خرج من دمشق عسكر من الجيش المصري ومقدمهم الأمير عز الدين الأفرم ولحق بالذين كانوا توجهوا في طلب سنقر الأشقر فأدركوهم بمحصر ورحلوا بأسرهم . هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من شمس الدين سنقر الأشقر فإنه لما انهزم من دمشق كما تقدم وأقام عند الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ما أقام ثم توجه إلى الرحبة وفارق شمس الدين سنقر أكثر من كان معه وامتنع الأمير موفق الدين خضر الرحبي النايب بقلعة الرحبة من تسليمها إليه فعند ذلك كاتب شمس الدين سنقر الملك أبغا بن هولاء كوك ملك التتار يعرفه ما وقع بين العساكر الإسلامية من الاختلاف وحثه على قصد البلاد بجيوشه ووعدته الانحياز إليه والاعانة والمساعدة على ذلك وكتب الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا إلى الملك أبغا بمنثل ذلك فكان ماسنذكره إن شاء الله تعالى . ولما بلغ شمس الدين سنقر الأشقر خبر العساكر التي خرجت في طلبه فارق الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وتوجه بمن معه في البرية إلى صهيون والحصون التي ذكرناها وهي بيد توابه فتحصن بها هو ومن معه في أواخر شهر ربيع الأول . وقيل لم يفارق عيسى بن مهنا ، ولما بلغهما خبر العسكر بادر بالهرب إلى صهيون وذلك في جمادى الأولى من هذه السنة وكان في يوم المصاف انهزم الأمير عز الدين الحاج ازدمر ومن معه من حلب إلى جبل الجرديين فأقام عندهم هذه المدة وتحصن بهم فلما بلغه وصول سنقر الأشقر إلى القلاع المذكورة بجماعته وأنه بقلعة صهيون وصل إليه هو ومن معه من جماعة الحلبيين فبعثه إلى قلعة شيخند فأقام بها . وقيل كان بها الأمير عز الدين ابيك كرجي من قبل شمس الدين سنقر الأشقر . هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من العساكر المصرية فإنهم لما بلغهم دخول شمس الدين سنقر الأشقر وأصحابه القلاع واعتصامهم بها نازلوا شيزر مضايقة لا محاصرة . وكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وكان شمس الدين سنقر الأشقر لما تسلط بدمشق استفتى قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان قاضي دمشق في قتال الملك المنصور فأفتاه بجوار قتاله فولاه تدريس

الأمينية بدمشق عوضاً عن القاضي نجم الدين بن سنى الدولة فى آخر الحرم من هذه السنة فبأمر التدريس بها فى التاسع والعشرين من الحرم وكان القاضي نجم الدين ابن سنى الدولة يومئذ بحلب . فلما وصل العسكر المصرى إلى دمشق وجرى القتال بين عسكر مصر وعسكر الشام وانهزم شمس الدين سنقر الأشقر ودخل العسكر المصرى إلى دمشق ونزل الأمير علم الدين سنجر الحلبي بالقصر الأبلق بالميدان الأخضر كما قدمنا شرحه كان الأمير علم الدين الحلبي هو المشار إليه فى الولاية والعزل والعطاء والمنع ولما تحدث الأمير بدر الدين بكتوت العلأى نيابة السلطنة بدمشق كما قدمنا شرحه كان فى نيابته يلزم الأدب مع الأمير علم الدين الحلبي فرسم الأمير علم الدين بإيقاع الحوطة على صاحب مجد الدين إسماعيل بن كسيرات وزير شمس الدين سنقر الأشقر وجمال الدين ابن مصرى ناظر الدواوين بدمشق وأخذ خطوطهما بجملة ثم اعتقلهما وضرب زين الدين وكيل بيت المال ومحبي الدين بن النحاس وأخذ خطوطهما بجملة ثم اعتقلهما فشفع قاضى القضاة عز الدين بن الصايغ فى زين الدين وكيل بيت المال فأطلق ورسم على قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان وجماعة من التميميين ثم بلغ السلطان الملك المنصور أن قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان أفتى شمس الدين سنقر الأشقر بجواز قتاله فرسم بشنقه فلما ورد كتاب الملك المنصور بأمان أهل دمشق قرئ بحضور قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان فقال الأمير علم الدين الحلبي هذا كتاب أ.ان لمن سمعه وقد سمعه القاضى شمس الدين فهو آمن من القتل ثم عزله فى حادى عشر صفر من هذه السنة وعرض القضاء على قاضى القضاة عز الدين بن الصايغ فامتنع فقوض القضاء القاضى القضاة نجم الدين بن قاضى القضاة صدر الدين ابن سنى الدولة .

— وفى رابع عشرين صفر الشهر المذكور اعتقل الأمير علم الدين قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان بالخانقاه النجيبية وكتب الأمير علم الدين الحلبي المطالعات إلى السلطان الملك المنصور بجميع ما اتفق من الأمور فعادت الأجوبة من الملك المنصور فجلس الأمير علم الدين الحلبي فى دهليزه بالميدان الأخضر وجمع الأمراء والأعيان وقرئ عليهم كتاب السلطان وفيه العفو عن جميع الناس وحضر هذا المجلس قاضى القضاة نجم الدين بن سنى الدولة (٩ م تشرىف الأيام)

وقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان والشيخ شمس الدين الحنبلى والخطيب بن الحارستانى فأفرج الأمير علم الدين عن قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان .

ربيع أول

- وفى تاسع شهر ربيع الأول من هذه السنة صرف إلى منزله بالمدرسة العادلية وطالب قاضى القضاة نجم الدين بن سنى الدولة قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان بإخلاء مسكن العادلية ليسكن هو فيه فشق ذلك عليه ، ثم ان الأمير علم الدين الحلبي أمر قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان بالانتقال من العادلية وتسليمها لابن سنى الدولة وكرر ابن سنى الدولة عليه الطلب وكان قد أرسل إلى حلب لاحتضار أهله فاتفق وصولهم إلى ظاهر دمشق فى يوم الاربعاء تاسع عشر شهر ربيع الاول الشهر المذكور فخرج لتلقيهم ورسم على قاضى القضاة ابن خلكان إلى أن ينتقل من المدرسة العادلية وضيق عليه وبقي فى شدة بسبب ذلك ، وسئل ابن سنى الدولة أن يمهّل على ابن خلكان أياماً إلى أن ينتقل إلى مكان آخر فامتنع وشدد فى ذلك وصمم عليه ، وبقي قاضى القضاة ابن خلكان فى الترسيم إلى الرابعة من من النهار المذكور وهو يجمع كتبه ويعبى قماشه للنقلة وأحضر حمالاً لنقل قماشه إلى جبل الصالحية فلما نقل بعضه وهو فى الاهتمام فى نقل الباقي وإذا بجماعة من الجاندارية بالركاب حضروا فى طلبه من جهة الامير علم الدين الحلبي فظن أن ذلك بسبب خلو المكان فأراهم أنه مهتم فى النقلة فقالوا له انك لم تطلب لذلك وانما قد حضر بريدية من باب السلطان فطلبت لذلك فظن أن الطلب لأمر هو أشد من النقلة وخاف وتوجه إلى نايب السلطنة فإذا بكتاب السلطان الملك المنصور قد ورد على الأمير علم الدين الحلبي وهوينكر ولاية ابن سنى الدولة القضاء وهو أطروش ويقول : إنا قد عفونا عن الخاص والعام وما يليق أن يخص بالسخط أحداً على انفراده وغير خاف ما يتعلق بحقوق القاضى شمس الدين بن خلكان وقديم صحبته وخدمته ، وأنه من بقايا الدولة الصالحية . وقد رسمنا بإعادته إلى ما كان عليه من القضاء . فخلع عليه الأمير علم الدين الحلبي ، وركب من ساعته وسلم على الأمراء ، ورجع إلى المدرسة العادلية قاضياً ، ونزل وقت الظهر وباشركم واستقر بالعادلية . وعدت هذه الواقعة من واقعات الفرج بعد الشدة ، ويقال إن ابن سنى الدولة كان

قد أعطى الأمير الحلبي على ولايته القضاء ألف دينار . وكان قاضي القضاة نجم الدين ابن سنى الدولة قد استناب عنه في الحكم القاضي نجم الدين السابى عوضاً عن القاضي جمال الدين بن عبد الكافي فكانت مباشرته عشرين يوماً ، ثم أعيد ابن عبد الكافي بإعادة قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ، وقيل كانت إعادة شمس الدين بن خلكان المذكور في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول الشهر المذكور ، ولما استقر قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في القضاء كتب كتاباً إلى السلطان الملك المنصور يدعوه فيه ويعتذر ، فورد عليه الجواب بالشكر وقبول العذر والله أعلم .

ذكر تفويض نيابة السلطنة بدمشق للأمير حسام الدين لاجين

الصغير المنصوري وشهد الدواوين للأمير بدر الدين بكتوت

العلائى والوزارة للصاحب تقي الدين توبة التكريتى

كنا قد مننا أن الملك المنصور سيف الدين قلاون صاحب مصر المحروسة استناب بقلعة دمشق المحروسة للأمير حسام الدين لاجين الصغير مملوكه واستوزر الصاحب تقي الدين توبة التكريتى بدمشق فلما تسلطن شمس الدين سنقر الأشقر بدمشق قبض عليهما واعتقلهما ، فلما انكسر وانهزم أفرج عنهما نايب قلعة دمشق وأقر الأمير علم الدين الحلبي الصاحب تقي الدين توبة ، وأقام الأمير بدر الدين بكتوت العلائى يتحدث في نيابة السلطنة بدمشق إلى أن يأتى مرسوم السلطان الملك المنصور من مصر . فلما كان اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الأول من هذه السنة ورد إلى دمشق من الباب السلطانى المنصورى سبع نفر على خيل البريد ومعهم تقليد للأمير حسام الدين لاجين الصغير المنصورى بنيابة السلطنة بدمشق المحروسة ، وتقليد الأمير بدر الدين بكتوت العلائى بشد الدواوين وتقليد للصاحب تقي الدين توبة التكريتى بوزارة الشام ولكل منهم تشريفاً ، وتشريفاً لصاحب حماة . فلما كان اليوم الثانى عشر من الشهر المذكور اجتمع سائر الأمراء بالميدان الأخضر ولبس الأمير حسام الدين لاجين تشريف النيابة والأمير بدر الدين بكتوت تشريف ، وركب الأمير علم الدين الحلبي والأمير عز الدين الأفرم والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى وسائر الأمراء والعساكر المصرية والشامية وساقوا كلهم فى خدمة الأمير حسام

الدين ، فلما انتهوا إلى باب سر القلعة ترجلوا بأجمعهم ، وقبل الأمير حسام الدين عتبة باب السر ثلاث مرات ، ثم تقدم الأميران علم الدين الحلبي وعز الدين الأفرم ليعضداه حتى يركب ويمشيان في خدمته إلى دار السعادة فسلك سبيل الأدب معهما وامتنع من الركوب واستمر ماشياً ، والأمير علم الدين الحلبي عن يمينه ، والأمير عز الدين الأفرم عن يساره وبقية الأمراء والعساكر بين يديه ، وكذلك القضاة والأعيان والأكابر ، ولم يزل ماشياً إلى أن دخل دار السعادة وجلس بها في رتبة النيابة وقرى تقليده ، وقيل قرى تقليده في يوم الأربعاء الحادي عشر ، وكان الأمير لاجين في ذلك الوقت شاب خير كثير الديانة والكرم والشجاعة يحب العلماء والصلحاء وسجيته العدل في الرعية والإنصاف لهم والتواضع مع الحرمة العالية والكلمة النافذة .

- وفي يوم الخميس ثاني عشر ربيع الأول الشهر المذكور بعد الظهر أخلع على صاحب تقى الدين توبة التكريتي وأعطى دواة الوزارة بدمشق المحروسة واستمر على حاله .
- وفي شهر ربيع الأول الشهر المذكور ورد إلى الأبواب السلطانية بقلعة الجبل كتاب الأمير علم الدين سنجر الحلبي يشفع في الأمير علاء الدين على بن حسام الدين كربك ابن بركتخان وأفرج السلطان الملك المنصور عنه .

ذكر تفويض الإمرة على آل فضل وآل على لفخر الدين

وشمس الدين وحسام الدين

قد شرحنا مافعله الأمير شرف الدين عيسى بن مهنمان العصيان وسيره صحبة شمس الدين سنقر الأشقر فلما بلغ السلطان الملك المنصور صاحب مصر ذلك أخرج أقطاعه للأمير فخر الدين عثمان بن مانع بن هبة والأمير شمس الدين محمد بن أبي بكر والأمير حسام الدين دراج بن الطاهر واستقر الحال أن يكون الأمير فخر الدين والأمير شمس الدين أميرى آل فضل وآل على وأن يكون منزلة فخر الدين عثمان من الرستن إلى الملوحة ومنزلة شمس الدين محمد بن أبي بكر من الملوحة إلى الشط إلى الفرات وأن يكون حسام الدين دراج أميراً على آل عامر وأن يكون منزلته من الرستن إلى العقايات وكتبت مناشيرهم وتقاليدهم بذلك .

— وفي هذا الشهر : توجه شمس الدين سنقر الغتمى وسيف الدين بلبان الخالص تركى رسلا إلى الملك ، منكودمر فى البحر وكتب على يدهما كتاب للسلطان غياث الدين إنشاء القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر .

— وفيه : توجه الأمير ناصر الدين بن المحسنى الجزرى والبطريك أنبا سيوس رسلا إلى الملك الأشكرى .

ربيع آخر :

— وفى يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر من هذه السنة وصل أبو عبد الله المغربى إلى الأبواب الشريفة بقلعة الجبل بكتب الغرب من تونس .

— وفى يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر الشهر المذكور وصل الأمير عز الدين ازدمر العلائى إلى الأبواب الشريفة بقلعة الجبل وأنعم السلطان عليه بمنزلة الأمير قيران البندقدارى الذى انتقل إليه عن علم الدين سنجر الدويدارى وكتب منشوره بذلك .

— وفى يوم الثلاثاء منتصف شهر ربيع الآخر الشهر المذكور وصل الأمير بدر الدين بكتوت بن الأتابك إلى الأبواب الشريفة .

— وفى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر الشهر المذكور أمر السلطان على لسان الأمير سابق الدين لاح الدوادار أن يكتب توقيع بأن يستقر للشيخ محمد الموله فى كل سنة على حكم البر والصدقة ادراراً مستمراً وإطلاقاً مستقراً من غلات الديوان بدمشق المحروسة من القمح عشر غراير . قال صاحب كتاب ذخيرة الكتائب : وفى شهر ربيع الآخر رسم للأمير بدر الدين بكتوت العلائى بأن يتولى شد الدواوين بدمشق المحروسة ، وقد قدمنا أن ذلك كان فى شهر ربيع الأول من هذه السنة والله أعلم أى ذلك كان . وكتب للأمير بكتوت تقليد إنشاء القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر .

— وفى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر الشهر المذكور كسر خليج الذكر المبارك .

— وفى يوم الأربعاء ثالث عشرين ربيع الآخر الشهر المذكور وصل المفرد المبارك .

- وفي يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر الشهر المذكور وهو أول أيام النبیء وفي النيل المبارك ستة عشر ذراعاً وركب السلطان الملك المنصور إلى المقياس السعيد وخلفه العمود المبارك وركب في الحراريق المنصورة وكسر الخليج المبارك وكان يوماً مشهوداً، ونودي في نهاره على الماء المبارك أصبعان من سبعة عشر ذراعاً وكتب بوفاء النيل بشاير إلى ساير البلاد على العادة وكتب إلى الأمير علم الدين الباشقردى بذلك .

- وفيه : صرف الأمير جمال الدين أفض البدرى وإلى قلعة الشوبك المحروس ورتب عوضه الأمير علم الدين سنجر الحسونى الأبنانى . وفيه طلب الصغى الكاتب من الشوبك إلى الباب العزيز بقلعة الجبل .

- وفي يوم الأحد السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر الشهر المذكور توفى الأمير سيف الدين أبو بكر بن اسباسلار وإلى مصر المحروسة واحتيط على تركته وتولى بعده الأمير عز الدين أيبك الفخرى .

- وفيه : زاد النيل أصبع واحد لتتمة ثلاثة أصابع .

- وفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر الشهر المذكور : زاد النيل أصبعان لتتمة خمسة أصابع .

- وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه : الزيادة أصبعان لتتمة سبعة أصابع .

- وفي يوم الأربعاء : الزيادة أصبعان لتتمة تسعة أصابع من سبعة عشر ذراعاً .

جمادى الأولى :

- وفي يوم الخميس أول يوم من جمادى الأولى ، وهو أول توت يوم النوروز عن سنة سبع وتسعين وتسعمائة : الزيادة فيه أصبعان لتتمة أحد عشر أصبعاً من سبعة عشر ذراعاً .

- وفي يوم الجمعة ثانيه : الزيادة أصبعان لتتمة ثلاثة عشر أصبعاً .

- وفي يوم الثلاثاء سادسه : أصبع واحد لتتمة ثمانية عشر أصبعاً من سبعة عشر ذراعاً .

- وفي يوم الجمعة ، تاسعه : وصل الأمير سيف الدين الحبيشى إلى الخدمة الشريفة بقلعة الجبل .

- وفي يوم الثلاثاء ، ثالث عشره : الزيادة أصبع واحد لتتمة عشرين أصبعاً من سبعة عشر ذراعاً .

- وفي يوم الاثنين ، تاسع عشره : الزيادة أصبع واحد لتتمة أحد وعشرين أصبعاً من سبعة عشر ذراعاً .

- وفي يوم الخميس ، ثاني عشره : كتب السلطان مساححة اشمس الدين عثمان العجوى بما يجب عليه من زكاة وحقوق ديوانية على ما جملته ثمانية آلاف درهم يبتاع بها أصناف التجارة والبضائع صادراً سفرة واحدة لا غير بورقة صغيرة بخطه وخط القاضي فتح الدين ابن عبد الظاهر .

- وفي يوم الأحد ، خامس عشره : الزيادة أصبع واحد لتتمة ثلاثة وعشرين أصبعاً من سبعة عشر ذراعاً وهو نهاية مد النيل المبارك لهذه السنة المباركة .

- وفي هذا الشهر : أعطى الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى تسكعة مائة فارس وكتب له منشوراً كبيراً في القطع الكبير الثلثين .

- وفيه : احتيط على الصاحب تقي الدين توبة وزير الشام الحروس وعلى موجوده وحبس بالشام وصرف من الوزارة ووجد له موجود كثير .

- وفيه : توجهت طائفة من العسكر المصرى من دمشق ولحقوا بشيرز مصممين على محاصرتها وترددت الرسل بينهم وبين شمس الدين سنقر الأشقر في تسليم شيرز .

جمادى الآخر :

- وفي يوم الاثنين ، ثالث جمادى الآخرة من هذه السنة : وصل الأمير علم الدين سنجر الحلبي من الشام الحروس بعد استقرار أمرها وصلاح أحوالها .

- وفي يوم الخميس ، سادسه : أخلع السلطان الملائك المنصور على الأمير سيف الدين بلبان الرومى وجعله دواداراً للعلامة لا غير والقاضى فتح الدين بن عبد الظاهر على حاله .

ذكر قصد التتار بلاد الشام ودخولهم إلى حلب وما فعلوه ورجوعهم منها

كنا ذكرنا أن شمس الدين سنقر الأشقر والأمير شرف الدين عيسى بن مهنا كتبوا إلى الملك أبقا بن هولاء كوك ملك التتار ما بين عساكر المسلمين من اختلاف الكلمة فلما وصل إليه ما كتبوا به إليه جهز العساكر وخرجوا قاصدين البلاد الشامية وافترقوا على ثلاث فرق: فرقة من جهة الروم ومقدمهم صفار وتنجي وطرنجي وفرقة من جهة الشرق ومقدمهم بيدوا بن طرغاي بن هولاء كوك وصحبته صاحب ماردين والفرقة الثالثة فيها معظم العسكر وشرة المغل صحبة منكوتمر بن هولاء كوك، ووردت الأخبار بذلك إلى الشام في أوائل جمادى الآخرة من هذه السنة فخرج ممن كان في دمشق ممن العساكر المصرية عسكر ومقدمه الأمير بدر الدين بكتاش النجمي فلاحق بهم واجتمع الجميع على حماة وأرسلوا كشافاً إلى التتار وأرسلوا إلى شمس الدين سنقر الأشقر: قد دهمنا هذا العدو وما سببه إلا الخلف فيما بيننا وما ينبغي أن نهلك المسلمين في الوسط والمصلحة أننا نجتمع على دفعه، فنزل عسكر شمس الدين سنقر الأشقر من صهيون والحاج أزدمر من شيزر، وخيمت كل طائفة تحت قلعتهما ولم يجتمعوا بالمصريين واجتمعوا على اتفاق الكلمة ودفع العدو.

— وفي العشر الأوسط من جمادى الآخرة الشهر المذكور وصل إلى دمشق وبلغك خاق كثير من جفل حلب وبلادها وما والاها ومن حصص وحماة والبلاد الشمالية جافلين من التتار ولم يتخلف إلا من عجز عن السفر وأخلت حلب من العساكر والتحقوا بحماة وعزم كثير من أهل دمشق والبلاد الشامية على التوجه إلى الديار المصرية واضطرب الناس اضطراباً شديداً.

— فلما كان اليوم الحادي والعشرين من جمادى الآخرة الشهر المذكور وصلت طوائف كثيرة من عساكر التتار إلى حلب بعد أن ملكوا عين تاب وبغراس والدر بساك فوجدوا حلب خالية وقد جفل العسكر وأهالها منها فقتلوا من كان تأخر بها ظاهراً ونهبوا وسبوا وأحرقوا الجامع والمدارس المعتمدة ودار السلطنة ودور الأمراء والأكابر وأفسدوا فساداً كثيراً وكان أكثر من تخلف بها قد استتر في المغاير. وأقام التتار بحلب يومين.

— وفي يوم الأحد، ثالث عشرين جمادى الآخرة الشهر المذكور رحل التتار من حلب راجعين إلى بلادهم بعد أن تقدمتهم الغنائم التي كسبوها ونقلوا من الغلات شيئاً كثيراً إلى أماكنهم، وكان سبب رجوعهم من حلب ما بلغهم من اتفاق الكلمة بين المسلمين على دفعهم، ولما بلغهم من اهتمام الملك المنصور صاحب حلب وخروجه بالعساكر من الديار المصرية. وقيل كان ذلك في العشر الأوسط من جمادى الآخرة الشهر المذكور. ولما رجعوا من حلب تفرقوا في مشاتهم.

هذا ما اتفق من التتار، وأما أهل حلب فإن التتار لما رجعوا عن حلب ظهر من كان مستتراً بها ورجع من جفل عنها وحصلت الطمأنينة للناس والله أعلم.

ذكر تفويض السلطنة بولاية العهد

من الملك المنصور لولده الملك الصالح

— في يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة من هذه السنة فوض السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحى النجمى ولاية عهده وكفالة السلطنة لولده الملك الصالح علاء الدين، وذلك عندما عزم على التوجه إلى الشام للقاء التتار، ونعته بالملك الصالح، وركب الملك الصالح بأبهة الملك وشعار السلطنة وشق القاهرة وخطب بالسلطان وولى العهد وخطب له على سائر المنابر بعهد والده وكتب تقليده بذلك وهو من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر أجاد فيه وأبلغ.

ووصل البريد إلى دمشق بكتاب الملك المنصور يخبر بما وقع من ولاية عهد ولده.

— وفي يوم الجمعة ثامن عشرين جمادى الآخرة الشهر المذكور قرئ كتاب السلطان بجامع دمشق عقيب صلاة الجمعة يتضمن أنه جعل ولده الملك الصالح علاء الدين ولى عهده وأنه قادم لدفع التتار، وعقيب الفراغ من قراءته وردت البشائر برجوع التتار من حلب إلى بلادهم فحصل للناس سرور عظيم وطمأنينة وتباشروا بولاية الملك الصالح. وقيل فوض الملك المنصور سيف الدين قلاوون ولاية عهده لولده الملك الصالح فى شهر رجب من هذه السنة والله أعلم أى ذلك كان.

— وفي أواخر جمادى الآخرة الشهر المذكور عزل الملك صاحب فخر الدين إبراهيم لقمان عن الوزارة بالديار المصرية فعاد إلى ديوان الإيلاء وكتب من جملة الكتاب وتصرف عن أمر صاحب الديوان . وولى السلطان وزارته صاحب برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى بعد عزل صاحب بن لقمان وهى توليته الثانية والله أعلم .

ذكر توجه الملك المنصور إلى الشام للقاء التتار

ووصله إلى غزة وعوده إلى الديار المصرية

لما بلغ الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية حركة التتر ودخولهم إلى البلاد الشامية ، أمر العساكر فتجهزوا وخرج من مصر متوجهاً إلى الشام وصحبته العساكر الإسلامية بالديار المصرية لدفع التتار عن البلاد الشامية ووصل إلى غزة المحروسة . هذا ما كان من الملك المنصور . وأما ما كان من التتار والعساكر الإسلامية المجردة ، فإن التتر لما بلغهم اتفاق كلمة العساكر الإسلامية على دفعهم وحركة السلطان وخروجه لقتالهم رجعوا إلى بلادهم من حلب ، ولما بلغ من الشام من العساكر المجردة رجوع التتر عن حلب تفرقوا في طلبهم ثم رجعوا ، وأقام الجيش الشامى ببلاده وتوجه الجيش المصرى إلى خدمة الملك المنصور بغزة ، لأنه لما وصل إليها بلغه رجوع التتار فأقام بها وتوقف عن الوصول إلى دمشق لعدم الحاجة وقصد التخفيف عن البلاد الشامية .

وفى هذه الأيام هرب جماعة من أمراء سفقر الأشقر ودخلوا فى طاعة الملك المنصور وتوجهوا إلى خدمته .

شعبان :

— وفى يوم الخميس عاشر شعبان من هذه السنة رحل الملك من غزة راجعاً إلى الديار المصرية والله أعلم .

رجب :

- وفي شهر رجب الفرد أحد شهور هذه السنة تولى الأمير بدر الدين بن درباس ولاية جينين ومرج بني عامر وكتب له تقليد بذلك إنشاء القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر .

- وفي هذه السنة ظهر شخص يعرف بالجاموس ادعى الشطارة والدعارة وصار منفرداً يحمل سيفاً سمطارة [أى سيف قصير معقوف] وينفرد بمن عساه أن يصادفه بظاهر القاهرة المحروسة فيأخذ منه ما أراد ، تخاف الناس منه ونزل على جماعة من الناس بيوتهم فيها بوه وأعطوه ما أراد تخاف الناس منه ولهجوا بذكره وكثروا عنه القول وضر بوا به المثل ، وقتل جماعة ورصد من جهة الولاية في عدة أمكنة ، وكان أكثر ما يقال عنه إنه في جهة اللوق والبورجى وتلك النواحي ، وظهر معه شخص آخر يقال له المحوجب وأقاما مدة . فأحضر السلطان الملك المنصور وإلى مصر والقاهرة وتهدهما إن لم يحضراهما وأغلظ لهما القول ، فاتفق أن بعض مماليك الأمير علم الدين سنجر المسرورى الخياط وإلى القاهرة حضر من بعض القرى بظاهر القاهرة المحروسة ، فرأى شخصاً فأنكره ثم عرف أنه هو الجاموس ، فرماه بالنشاب فهرب ودخل بعض البساتين فقبض عليه وأحضر معه المحوجب ، فأمر السلطان بتسميرهما فسمرا على باب زويلة أحد أبواب القاهرة المحروسة وأقاما أياماً وماتا .

وفيها : تولى الأمير نجم الدين إبراهيم بن نور الدين بن السديد ولاية مصر المحروسة عوضاً عن الأمير عز الدين أيبك الفخرى .

وفيها : تقرر أن يكون الأمير سيف الدين باسطى نائباً في قلعة صرخد المحروسة والأمير عز الدين والياً بالقلعة المذكورة وتوجها من مصر المحروسة إليها . قال القاضي أبو عبد الله محمد بن المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصارى الكاتب : كتبت على يدهما تذكرة إملاء مولانا فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء الشريف .

رمضان

- في يوم السبت ، سادس عشرين شهر رمضان المعظم قدره من شهور هذه السنة عزل الملك المنصور صاحب الديار المصرية قاضى القضاة صدر الدين عمر بن قاضى القضاة .

تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز الشافعي قاضي القضاة بالديار المصرية ، وكان قد سلك في ولايته طريق الخير والصالح والصلافة وتحري الحق والعدل في أحكامه . وولى السلطان بعد عزل قاضي القضاة ابن بنت الأعز قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي وأعادته إلى قضاء القضاة بالديار المصرية .

— وفي هذه السنة : جرد السلطان الملك المنصور الأمير بدر الدين بكتاش النجمي إلى حمص . وجرد الأمير علاء الدين أيديكين البندقداري الصالحى إلى الساحل لحفظ البلاد من الفرنج .

— وفيها : كتب الأمير سيف الدين بلبان الطباخي نايب السلطنة الشريفة بحصن الأكراد إلى السلطان الملك المنصور يستأذنه في غزو الفرنج بالمرقب لأنهم لما بلغهم قدوم التتار قويت نفوسهم ، وامتمد طمعهم فأذن السلطان له في ذلك فجمع جيوش الحصون وأمراء التركان والرجالة واستصحب المجانيق وآلات الحصار وتوجه إلى حصن المرقب ، ونزل بالقرب منه فاخفى أهله ولم يتحركوا في مبدأ الحال ، فقوى طمع العسكر فيهم وتقدموا إلى جانب الحصن فرشقهم الفرنج بالسهم من أعلى الحصن وسهام المسلمين لا تصل إليهم فاضطرب العسكر ، وأمرهم الطباخي أن يتأخروا عن الحصن فظنوها هزيمة وولوا فما أمكنه إلا أن يتبعهم ، وخرج الفرنج في أعقابهم ونالوا من المسلمين وجرحوا منهم جماعة ونهبوا وأسروا جماعة من الرجالة وبلغ السلطان الملك المنصور ذلك فأنكره وكبر لديه وعزم على السفر إلى الشام ، وكان ما سذكركه إن شاء الله تعالى .

ذكر توجه الملك المنصور إلى الشام

ذو الحجة

— في أول يوم من ذى الحجة من شهور هذه السنة ، وقيل في ثلثه : خرج السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون من قلعة الجبل بمصر الحروسة متوجهاً إلى الشام المحروس بالعساكر كلها ، وخيم بمسجد التين وترك بالقلعة ولده ولى عهده الملك الصالح علاء الدين على ورثته في خدمته الأمير علم الدين سنجر الشجاعى المنصورى لاستخراج الأموال وتديير أمور

المملكة الشريفة ، والوزير إذ ذاك صاحب برهان الدين الحضرمي بن الحسن ، وقعد في القاهرة المحروسة لقراءة البريد وتنفيذ الأشغال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر واستقر في نيابة السلطنة بالديار المصرية الأمير زين الدين كتبغا المنصوري . وكتب القاضي أبو عبد الله محمد بن المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري الكاتب للأمير زين الدين كتبغا المنصوري تذكرة مباركة صورتها في ذي الحجة سنة تسع وسبعين وستائة .

— وفي ذي الحجة من هذه السنة : وصل الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا من العراق إلى خدمة الملك المنصور سيف الدين قلاوون صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية وعاون الخدمة وسأل الصفح عما فرط من ذنبه من إغانة شمس الدين سنقر الأشقر ، وما كان غزم عليه من الانضمام إلى التتار ، وكان اجتماعه بالملك المنصور بمنزلة الروحاء ، ولما وصل إلى الخدمة ركب السلطان إليه وتلقاه وأكرمه ، وبالغ في إكرامه وأحسن إليه .

ذكر الحوادث في سنة ثمانين وستمائة

- رؤى هلال الحرم المبارك أول شهور هذه السنة ليلة الثلاثاء

ذكر ما تقرر من المهادنات مع الفرنج

وصل إلى الملك المنصور وهو بمنزلة الروحاء رسل الفرنج يسألون تقرير الهدنة والزيادة على الهدنة الظاهرية الركنية بيبرس البندقداري الصالحى النجمي ، وما زالوا يترددون إلى أن تقررت الهدنة بين الملك المنصور وولده الملك الصالح علاء الدين على معاً وبين مقدم الاسبتار وجميع الإخوة الاسبتارية بعكا لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات ، أول ذلك يوم السبت عشر الحرم الشهر المذكور الموافق لثاني -وقيل ثالث- شهر ايار سنة ألف وخمسمائة وثلثين وتسعين للاسكندر بن فيليبس اليوناني ، وهو سابع بشنس سنة سبع وتسعين وتسعمائة لدقلاطيانوس على جميع بلاد السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون وولده الملك الصالح علاء الدين على ، وما اشتملت عليه من الأقاليم والممالك والقلاع والحصون والمدن والبلاد والقرى والمزارع والأراضي والموانئ والبحور والمزاسي والنغور وسائر البلاد من الفرات إلى النوبة ، وعلى التجار المسافرين في البر والبحر والسهل والجبل في الليل والنهار ، وعلى قلعة المرقب والربض المرقبي بحقوقه وحدوده .

وتقررت الهدنة مع متملك طرابلس الشام بيمند بن بيمند ملك الفرنج لمدة عشر سنين كوامل متواليات ، أولها السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمانين هذه السنة الموافق للخامس من شهر تموز سنة ألف وخمسمائة واثنين وتسعين للاسكندر اليوناني . وذلك على بلاد الملك المنصور والملك الصالح ولده قريشها وبعيدها سهلها وجبلها غورها ونجدها قديمها ومستجدها ، وما هو مجاور لطرابلس ومحاذ لها من المملكة البعلبكية وجبالها وقرائها الرحلية والجبلية وجبال الضنيين والقصبين ، وما هو من حقوق ذلك وعلى الفتوحات

المستجدة وهى حصن الأكراد وافليس والقليعات وصافينا وميعار واطليعا وحصن عكار ومرقية ومدينتها وبلادها ومناصفاتها ، وهى بلاد الملكية وجميع بلاد هذه الجهات التى ذكرناها ومناصفات المرقب التى دخلت فى الصلح مع بيت الاسبتار وبلده ومدينته ، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى وبلاد الست وبلاتنس وبلادها وقرقص وبلادها وجبله ولاذقية وأنطاكية والسويدية وبلاد ذلك وحصن بغراس وحصن ديركوش وصهيون وبرزيه وحصون الدعوة ، وغير ذلك من سائر الممالك الإسلامية ، وما سيفتحه الله تعالى على يد الملك المنصور ويد ولده وعلى الموانى والسواحل والأبراج ، وغير ذلك وعلى بلاد الابرنس وعلى طرابلس ، وما هو داخل فيها وانفه والبترون وجبيل وبلاد ذلك وعرقا وبلادها المعينة فى الهدنة وعدتها أحد وخمسون ناحية ، وما هو للخيالة والكنائس وعدتها أحد وعشرون بلداً ، وما هو للفارس روجار دلا لولاي من قبلى طرابلس يكون مناصفة وعلى أن يستقر برج اللاذقية ومينائها فى استخراج الحقوق والجبليات والغلات وغيرها مناصفة ويستقر مقامهم باللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية الركنية وعلى أن يكون على جسر ارتوسيه من غلمان السلطنة لحفظ الحقوق ستة عشر نفراً وهم : المشد والشاهد والسكراتب وثلاث غلمان لهم وعشر رجالة فى خدمة المشد ويكون لهم فى الجسر بيوت يسكنونها ولا يحصل منهم أذية لرعية الابرنس ، وإنما يمنعوا ما يجب منعه من الممنوعات ولا يمنعوا ما يكون من عرقا وبلادها من الغلات الصيفية والشتوية وغيرها لا يعارضهم المشد فيه ، وما عدا ذلك بما يعبر من بلاد السلطان تؤخذ عليه الحقوق ، ولا يدخل إلى طرابلس غلة محمية للابرنس ولا غيره إلا ويؤخذ الموجب عليها وعلى أن البرنس لا يستجد خارج ما وقعت الهدنة عليه بناء يدفع ولا يمنع ، وكذلك السلطان لا يستجد بناء قلعة ينشئها من الأصل فى البلاد التى وقعت الهدنة عليها وعلى الشوانى من الجهتين أن تكون آمنة كل طائفة من الأخرى ، ولا ينقض ذلك بموت أحدهما ولا بتغييره وأن لا يحسن لأحد من أعداء السلطان ولا يتفق عليه برمز ولا خط ولا مراسلة ولا مكتابة ولا مشافهة ، وتقررت الحال على ذلك وعادت الرسل وتوجه الأمير فخر الدين إياز المقرى الحاجب ليخلف الفرنج ومقدم الاسبتار على ما انعقد عليه الصلح ، فحلفهم .

ذكر اتفاق الأمير كوندك وجماعة أمراء على قتل الملك المنصور

ومعرفته بذلك وقبضه عليهم

محرم :

كان الأمير سيف الدين كوندك من مماليك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى النجمى، وتنقلت به الأحوال إلى أن صار باب السلطنة بالديار المصرية فى سلطنة الملك السعيد ابن الملك الظاهر، ثم وقع بينه وبين خاصكية الملك السعيد ما غيره عليه وأوقع بينه وبين الأمراء الأكابر ما أوجب اتفاقهم على خلعه، فخلعوه وولوا بعده الملك العادل بدر الدين سلامش بن الملك الظاهر، ثم خلعوه لصغر سنه وولوا بعده الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى - كما قدمنا شرح ذلك جميعه - وعزل الأمير سيف الدين كوندك من نيابة السلطنة بالديار المصرية واستمر فى الإمرة، فلما توجه السلطان الملك المنصور إلى الشام - كما قدمنا شرحه - ووصل إلى منزلة الروحاء واستقر بها بلغ الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى فى أوائل المحرم من هذه السنة أن الأمير سيف الدين كوندك الظاهرى السعيدى وجماعة من الأمراء الظاهرية والسعيدية اتفقوا أنهم عند وصولهم إلى حمرة بيسان والمخاضة يقتلوا الملك المنصور، فضى الأمير بيسرى إلى الملك المنصور وعرفه ما بلغه. ثم وصلت إلى السلطان كتب المناصحين من عكا يقولون له احترز على نفسك، فإن عندك جماعة من الأمراء قد اتفقوا على قتلك وكتبوا الفرنج وقالوا لهم لا يصالحوا فالأمر لا يبطى، فاحترز السلطان على نفسه. وعزم كوندك ومن معه أن يهجموا بالليل والسلطان فى الدهليز ويغتالونه، ووافقهم جماعة من الظاهرية الجوانية، فوجدوا السلطان قد احترز ورحل من الروحاء وتقدم ولاطف الأمر حتى اجتمع الأمراء عنده بحمرة بيسان فوبخ كوندك ومن معه وذكر لهم ما اعتمدوه من مكاتبة الفرنج فاعترفوا بذلك وأقروا به وسألوا العفو، فأمر السلطان بالقبض عليهم فقبضوا على كوندك وأيدغمش الحكيمى وبيبرس الرشيدى وساطم شى السلاح دار الظاهرى فى الدهليز، وسير إلى الخيام فقبض على من كان قد وافقهم من الأمراء البرانيين والمماليك

بدمشق المحروسة . وفوض قضاء قضاء الشافعية بدمشق عوضاً عنه لقاضى القضاة عز الدين بن الصايغ الشافعى بعد أن اشترط شروطاً وأجيب إليها . وفوض أيضاً قضاء قضاة الحنابلة بدمشق لقاضى القضاة نجم الدين أحمد بن قاضى القضاة شمس الدين عبد الرحمن الحنبلى ، وكان القضاء على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه . قد شغل منذ عزل قاضى القضاة شمس الدين نفسه من القضاء وتوجه إلى الحجاز فى سنة ثمان وسبعين وستماية ، ففوضه السلطان الآن لولده نجم الدين المذكور بإشارة والده وأخلع على القاضيين .

— وفى المحرم من هذه السنة بعد وفاة قاضى القضاة صدر الدين عمر بن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف الشافعى الشهير بابن بنت الأعز بمصر المحروسة ولى نظر التربة الصالحية التى بخط بين القصرين بالقاهرة المحروسة الطواشى حسام الدين بلال المغيقى اللالا ، وولى بعده نظر المشهد الحسينى داخل القاهرة المحروسة القاضى برهان الدين ابن الطرايى كاتب الإنشاء الشريف . ثم حضر بعد ذلك مرسوم شريف من السلطان الملك المنصور من العسكر المنصور من الشام بتولية الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى استناد الدار العالية نظر المشهد الشريف الحسينى ، وورد أيضاً المرسوم الشريف بأن يتولى القاضى تقي الدين عبد الرحمن أخو القاضى صدر الدين المدرسة والتربة الصالحيتين نظراً الجوانية وكانوا ثلاثة وثلاثين نفرأ ، وخاف جماعة فهربوا فساق بعض العسكر خلفهم فأحضروا بعضهم من جبال بعلبك وبعضهم من ناحية صرخد . هذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من الأمير كوندك وغيره من الأمراء أيدغمش وبيبرس وساطلمش فأمر السلطان بإعدامهم ، فتسلم الأمير كوندك الأمير حسام الدين طرنطاي المنصورى نايب السلطنة بالديار المصرية وذهب به إلى بحيرة طبرية وغرقه فيها وقيل إنه ضرب عنقه أولاً ثم غرقه بعد أن جرى بينهما فى الطريق مفاوضات . وأما أيدغمش وبيبرس وساطلمش فكان آخر العهد بهم . ولما علم الأمير سيف الدين أيتامش السعدى والأمير سيف الدين بليان المارونى وجماعة من الأمراء ومن البحرية الظاهرية والتتار — يقال كانوا نحو ثلاثماية فارس — بالقبض على الأمير سيف الدين كوندك وأصحابه ركبوا وساقوا على حمية وتوجهوا إلى صهيون ولحقوا بشمس الدين سنقر الأشقر — وهو ينعت بالملك الكامل — فأقاموا عنده .

ولما فارقوا العسكر المنصوري جرد الملك المنصور خلفهم الأمير بدر الدين بكتاش الفخري والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا الناصري وجماعتهم فلم يدركوهم وعادوا ، وأمر الملك المنصور بإيقاع الحوطة على جميع موجود الأمراء المقفزين إلى شمس الدين سنقر الأشقر فأخذ موجودهم الجميع بكاله .

ذكر دخول السلطان الملك المنصور دمشق

— لما قبض الملك المنصور على الأمير سيف الدين كوندك والأمير سيف الدين أيدغمش ومن معهما ، وهرب الأمير سيف الدين ايتمش السعدي وسيف الدين بلبان الهاروني ومن معهما إلى شمس الدين سنقر الأشقر — كما قدمنا شرحه — رحل السلطان وسار إلى دمشق ووصل إليها في تاسع عشر الحرم ، وقيل كان وصوله في العشرين من المحرم الشهر المذكور ، وهو أول دخوله إليها ، وخرج الناس لتلقيه وكان يوماً مشهوداً ونزل القلعة ، وكان ما سئذ كره إن شاء الله تعالى .

— وفي الثاني والعشرين من المحرم الشهر المذكور والملك المنصور بدمشق عزل السلطان قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلـكان الشافعي عن قضاء القضاة الشافعية عوضاً عن أخيه صدر الدين مضافاً إلى ما بيده من نظر الخزائن المعمورة ، وأن يكتفى بمعلوم المدرسة والتربة والمناصب التي كانت بيد أخيه ويتوفر معلومة عن نظر الخزائن المعمورة للديوان المعمور .

ربيع أول :

— وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة عزل السلطان صاحب برهان الدين الخضر السنجاري عن وزارة الديار المصرية ، وقبض عليه وعلى ولده والزامه واعتقل هو وولده بالقلعة المحروسة .

ذكر انتظام الصلح بين الملك المنصور وبين شمس الدين

سنقر الأشقر وما استقر بينهما

كان الملك المنصور في أوائل صفر من هذه السنة جرد قطعة جيدة من العساكر المصرية والشامية ، ومقدمهم الأمير عز الدين أيبك الأفرم ومعه الأمير علاء الدين كشتغدي الشمسى إلى شيزر ، فخرجوا من دمشق وقصدوا شيزر ، ثم ترددت الرسل بين الملك المنصور وبين شمس الدين سنقر الأشقر في الصلح في العشر الأوسط من صفر الشهر المذكور ، ومضمون الصلح أن شمس الدين سنقر الأشقر يسلم شيزر لنواب الملك المنصور ، ويعوضه عنها الشجر وبكاس وكانت قد أخذتا منه ومعهما فامية وكفر طاب وأنطاكية وعدة ضياع متفرقة ، وأن يقيم شمس الدين سنقر الأشقر على ذلك وعلى ما بيده قبل ذلك من البلاد وهي صهيون وبلاطنس وبرزيه واللاذقية ستاية فارس لنصرة الإسلام ، وأن الأمراء الذين معه إن أقاموا عنده يكونون من أمرائه وإن حضروا إلى الملك المنصور يكونوا آمنين ولا يؤاخذوا ، فلما كان يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول من هذه السنة حضر من عند شمس الدين سنقر الأشقر الأمير علم الدين سنجر الدوادارى ومعه خزندار شمس الدين سنقر الأشقر بنسخة اليمين على ما تقرر ، فحلف الملك المنصور على ذلك وكتب له تقليداً بالبلاد ، وسأل سنقر الأشقر أن ينعت بلفظة الملك فما أجاب الملك المنصور إلى ذلك ، ونعت بالإمرة وخوطب في المكتابات بالمقر العالى المولوى السيدى العالى العادلى الشمسى . ونودى بدمشق الحروسة باجتماع الكلمة ، ورجع الذين حضروا من جهة شمس الدين سنقر الأشقر إليه ، وسير الملك المنصور صحبتهم من جهته الأمير فخر الدين اياز المقرى الحاجب ، والأمير شمس الدين قرا سنقر الجوكندار المنصورى ، فحلفا شمس الدين سنقر الأشقر على ذلك أيضاً وعادا إلى دمشق يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الأول الشهر المذكور ، فضربت البشائر بقلعة دمشق وسر الناس بذلك ، وسير الملك المنصور إلى شمس الدين سنقر الأشقر من الأقمشة والأوانى والأنعام شيئاً كثيراً ، وانتظم الصلح والاتفاق وعادت العساكر الشامية والمصرية من شيزر إلى دمشق الحروسة للاستغناء عنهم بالصلح والله أعلم .

١٤٤٠
١٤٤١
١٤٤٢
١٤٤٣
١٤٤٤
١٤٤٥
١٤٤٦
١٤٤٧
١٤٤٨
١٤٤٩
١٤٥٠
١٤٥١
١٤٥٢
١٤٥٣
١٤٥٤
١٤٥٥
١٤٥٦
١٤٥٧
١٤٥٨
١٤٥٩
١٤٦٠
١٤٦١
١٤٦٢
١٤٦٣
١٤٦٤
١٤٦٥
١٤٦٦
١٤٦٧
١٤٦٨
١٤٦٩
١٤٧٠
١٤٧١
١٤٧٢
١٤٧٣
١٤٧٤
١٤٧٥
١٤٧٦
١٤٧٧
١٤٧٨
١٤٧٩
١٤٨٠
١٤٨١
١٤٨٢
١٤٨٣
١٤٨٤
١٤٨٥
١٤٨٦
١٤٨٧
١٤٨٨
١٤٨٩
١٤٩٠
١٤٩١
١٤٩٢
١٤٩٣
١٤٩٤
١٤٩٥
١٤٩٦
١٤٩٧
١٤٩٨
١٤٩٩
١٥٠٠

- وفي يوم الخميس أول يوم من شهر ربيع الأول الشهر المذكور وهو الخامس والعشرون من يؤونة نيل سنة سبع وسبعين وستماية كان القاع المبارك ستة أذرع وثمانية عشر أصبعا .

✓ ذكر انتظام الصلح بين الملك المنصور وبين الملك المسعود

ابن الملك الظاهر صاحب الكرك وما استقر بينهما

وردت إلى الملك المنصور سيف الدين قلاون صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية رسل الملك المسعود الخضر بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحى النجمى فى طلب الصلح والزيادة على الكرك ، وأن يكون له ما كان للملك الناصر صلاح الدين داود الأيوبي صاحب الكرك ، فلم يجبه الملك المنصور إلى ذلك ولا إلى إقامته بالكرك بالإصالة، وترددت رسائله إلى السلطان وسأل أن يقر بيده الكرك وأعمالها من حد الموجب إلى الحساء، والتمس شروطاً منها تجهيز الإخوة الذكور والإناث أولاد الملك الظاهر إلى الكرك ورد الأملاك الظاهرية عليهم، فأجابهم الملك المنصور إلى ذلك، وتم الصلح وحلف السلطان عليه وتوجه الأمير بدر الدين بيليك الحسنى السلاح دار والقاضى تاج الدين بن الأثير إلى الكرك وحلفا الملك المسعود ، وكوتب من ديوان الإنشاء كما يكتب صاحب حماة وانبرم الصلح بينهما فى العشر الأول من ربيع الأول الشهر المذكور وأشهر النداء بذلك فى دمشق المحروسة والله أعلم .

ربيع آخر

- وفى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الآخر من هذه السنة وصل إلى ظاهر دمشق زوجة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحى النجمى من الكرك ومعها ولدها الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان بن الملك الظاهر ميتاً فى تابوت . فلما كان ليلة الخميس العشرين من الشهر المذكور رفعوا التابوت بالحبال من أعلى السور ودلوه من الجانب الآخر ، ولم يدخلوا به من باب المدينة ودخلوا به إلى تربة والده الملك الظاهر

ليلاً ووضعوه في قبره مع والده في لحده وألحده قاضى القضاة عز الدين بن الصايغ ، كما ألحد والده ، والملك المنصور يوم ذاك بدمشق المحروسة ، فلما كان صحبة دفنه حضر الملك المنصور إلى التربة الظاهرية ومعه أعيان الأمراء وأعيان الدولة والقضاة والعلماء والقراء والوعاظ وقرأ القراء ووعظ الوعاظ وأظهر الحزن عليه . وقيل وصلت والددة الملك السعيد به ميماً إلى دمشق في ثامن عشر شهر ربيع الآخر الشهر المذكور والله أعلم أى ذلك كان . وأنزلت والددة الملك السعيد في دار صاحب حص وأكرمت غاية الإكرام وأجرى لها الإقامات والله أعلم .

— وفي يوم الخميس العشر من شهر ربيع الآخر الشهر المذكور غلق النيل المبارك ستة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع وهو رابع عشر مسرى وغلق المقياس وكسر الخليج المبارك وكتب بوفاء النيل المبارك البشائر إلى الملك المنصور سيف الدين قلاون وهو بدمشق المحروسة وإلى سائر البلاد .

— وفي شهر ربيع الآخر الشهر المذكور بعد وفاة رشيد الدين بصاقة الاسكندري ناظر الاسكندرية تولى نظر الاسكندرية القاضى كمال الدين بن سلامة .

جمادى الأولى :

— وفي جمادى الأولى من هذه السنة مر بعض السقاين بالقاهرة المحروسة بشخص فزحه بالراوية فوسخه فتقاولا وتماسكا فضرب ذلك الشخص السقاء بسكين فقتله وكان له صورة فأمر به فشنق . وفيه : مر بعض الجندين بخياط يطالبه بنجاز شيء يخيطه له وتقاولا فضر به الجندي فقتله فأمر به فشنق . وفيه : توفى رسول مرسيانية الفرنجي واحتيط على موجوده . وفيه : قبض على شخص يعرف بالكريدى فى مصر المحروسة قيل عنه إنه يتشلىح وأنه معروف بالسرقات والدعارة ، فأمر بتسميره فسمر على جمل وأقام أياماً يطاف به بمصر والقاهرة . ومن أعجب ما حكى عنه أن الموكل به قطع عنه الأكل والشرب ليهون عذابه ويقصر أجله ، فقال له : لاتفعل فإن شر الحياة خير من الموت ، فأطعمه وسقاه ثم وقعت فيه شقاعة فخلى سبيله وأطلق حياً ، وسجن ومات بعد يوميات قلایل فى السجن .

جمادى الآخرة :

- وفي جمادى الآخرة من هذه السنة : وصل إلى القاهرة المحروسة مرسوم الملك المنصور بإعفاء علاء الدين بن القاضي تاج الدين من الطلب ، وظهر بعد اختفائه مدة طويلة بشفاعة والدته : كتبت ورقة إلى السلطان فقبل شفاعتها فيه وأطلقه .

وفيه : تولى القاضي علم الدين بن القماح تدريس مدرسة زين التجار بمصر بجوار الجامع الكبير عوضاً عن القاضي شمس الدين بن الصاحب برهان الدين .

- وفي عاشره ، وهو التاسع والعشرون من شهر توت أول الشهور القبطية انتهت زيادة النيل المبارك إلى ثمانية عشر ذراعاً وأربعة أصابع وبلغ الله به المنافع .

إلى هنا ينتهى النص من الكتاب ، وهو الجزء الأول الذى أوحى به المخطوطة التى بين أيدينا حين بدأت بالعنوان : « الجزء الثانى » ، مما دل على أن هناك جزءاً أول مفقوداً هو هذا الذى زدناه نقلاً عن ابن الفرات ليتصل الحديث .

الروم والرومانيون

وبه أثقُ

٢٨

وفي هذه السنة^(١) وردت الأخبار من حلب^(٢) الحروسة بأن الغيَّارة^(٣) توجهت إلى الروم^(٤) وكانوا في ستمائة راكب أو سبعمائة راكب وأتتهم صادفوا قافلة تقدير مائتي جمل خارجة من بلاد سيس^(٥) إلى الروم فنبهوها وكانت موسقة سكرًا وصابونا وفتقا ورصاصًا / وقطنًا، فركب إليهم أكبر أمراء الروم المعروف بابن قطنى ومعه ثلثمائة راكب فقتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه تقدير مائتي فارس وجرحوا أكثرهم ووصلوا إلى أركلنا^(٦) فهرب النائب

(١) أى سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) .

(٢) مدينة مشهورة بالشام واسعة ، كثيرة الخيرات ، طيبة الهواء — وهى قصبة جند قنسرين ، ومشرب أهل حلب من صهاريج فى بيوتها تمتلئ بماء المطر وعلى بابها نهر يعرف بقويق يعد فى الشتاء وينضب فى الصيف . ويجانب منها قلعة كبيرة محكمة بها جامع وكنيسة وصيدان ، ودور كثيرة وبها مقام لآبراهيم الخليل . ومن حلب إلى قنسرين يوم وإلى المعرة يومان وإلى منبج وبالس يومان . ومدينة حلب على نهر القويق الذى يصب فى بركة صغيرة . ويحكم هذه المدينة قلعة حصينة وقد كانت هذه المدينة زاهرة زاهرة فدمرتها زلازل سنة ١٨٢٢ و١٨٢٣ م إلا أن بها جوامع كثيرة كبيرة وأسواقا عامرة وأهم تجارتها الأقمشة المصنوعة من القطن والحريز ثم الصوف وسلوك الذهب والصابون والدخان وبها يجتمع القوافل الآتية من بغداد ودمشق والموصل وديار بكر وبعض مدن آسيا الصغرى .

(٣) أى الطوائف المغيرة .

(٤) الروم : قال ياقوت جبل معروف فى بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال « بلاد الروم » ومشارق بلادهم وشمالهم الترك والروس والجزر وجنوبهم الشام والاسكندرية ومغارهم البحر والأندلس وكانت الرقة والشامات كلها تعد فى حدودهم أيام الأكاسرة . وكانت أنطاكية دار ملكهم إلى أن تقام المسلمون إلى أقصى بلادهم .

(٥) ذكرها ياقوت « سيسيه » وعامة أهلها يسقطون الماء . وهى حصن من أكبر حصون بلاد الأرمن وهو بين أنطاكية وطرشوس على عين زرية . بها مسكن الأرمن ولا تزال قاعة حتى اليوم مركزاً لأحد الألوية وللأرمن بها دير عظيم يقيم به بطريركهم (قاموس الأمكنة والبقاغ) . وسيس هى أرمينية الصغرى .

(٦) أركلنا : ذكرها قاموس الأمكنة والبقاغ « أرك » وهى مدينة صغيرة فى طرف برية حلب مقرب تدمر وعرض ، ذات نخيل وزيتون .

بها وحضر إليهم شجاع الدين حوخدى ومبارز الدين صاروا أصحاب ابن قرمان^(١) فاجتمعوا وساقوا إلى جبل بلغار فوق مندى وعادوا سالمين بين // الجبال بين طريق سيس وبلاد الروم . وفى يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الأول وصل رسول الفنس^(٢) وهو الفارس الحكيم ياىستر فلب^(٣) الاسبنيولى ورفيقه القس بينيستنت ومعهم تقادم إلى مولانا السلطان ، من جملتها خيل وبنغال وغير ذلك من الهدايا ، واجتمع بهم السلطان وأكرمهم .

ذكر هلاك أبغا^(٤)

ورجوع الملك إلى تكدار^(٥) المسمى أحمد^(٦) .

(١) تأسست دولة بنى قرمان (*Karaman Oyhlu*) بجهات أرمنك وقسطمونى بجنوبى آسيا الصغرى ، فى أواسط القرن السابع الهجرى . ومن أهم الدول التركمانية التى نشأت زمن تفكك دولة الروم السلاجقة ، ومؤسسها كريم الدين قرمان بن نورا صوفى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) وقد تولاها بعده ابنه محمد بن قرمان .

(السلوك - هامش ج ٢ ص ٦٣٠) نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة .

(٢) الفنس : كذا فى الأصل وهى التسمية العامة لكلمة « أدفونش » وتطلق على كل من ملك الأندلس وعاصمتها طليطلة وبرشلونة (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٨٤) ويعرف بالفونس .

(٣) كذا فى الأصل وفى السلوك ج ٣ ص ٧٠٦ وزبدة الفكرة « مايشتر فلب الاسبنيولى واسمه الفارس الحكيم وهو أحد ملوك الفرنج .

(٤) أبغا هو أبغا خان (*Abaga*) أو أبغا اباخان وهو ابن هولاكو بن تولوى بن جنكيزخان من ملوك التتر تولى بعد وفاة أبيه هولاكو البلاد التى كانت بيده سنة ٦٦٣ هـ (١٢٦٥ م) وكان عاقلا ذا كفاية وعلم ودراية . ويقول الذهبى أنه كان سفاكا للدماء . ولد فى جمادى الآخرة سنة ٦٣١ هـ ، وتزوج أولا ابنة قطب الدين محمد بن تايىنكو قتلغ خان الكرماني ، ثانيا إحدى بنات الامبراطور ميخائيل باليولوجس .

توفى مسموما فى بغداد فى المحرم سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) وله من العمر ٥٠ سنة وتملك بعده أخوه أحمد خان تكودار .

(٥) تكدار *Takudar*

(٦) كان اسم هذا السلطان فى الأصل « تكدار » وقد اتخذ اسم « أحمد » عندما اعتنق الإسلام قبل سلطنته وهو الذى خلف أبغا على مملكة ايلخانات المغول بفارس (انظر هامش السلوك ج ٣ ص ١٧٠٧) وأبو الغداء : المختصر فى أخبار البشر ص ٢٦٠ . اغتاله أرغون فى ٢٦ جمادى سنة ٦٨٣ هـ .

وفي هذه السنة تواترت الأخبار بموت أبغا بن هلاون وذلك لما ناله عقيب كسرة
مَنْكُوتَمَر^(١) من رعب وخوف ولما شاهدته^(٢) من هول بقتل عساكره وأكابر المفل
وينما هو في هذا الحال إذ بلغه أن خزائنه وخرائن أبيه كانت // في بُرْج من قلعة على
البحر ، وأن ذلك البرج خسف الله به ، وغارت الأرض به في البحر بجميع ما فيه ، ولم
يسلم إلا قطعة من البرج .

قيل : إن أبغا دخل إلى الحَمَّام^(٣) وخرج منها ، فسمع أصوات جُملة كبيرة من
الغِرْبَان وهي تنعق ، فقال : هذه تقول : أبغامات ، أبغامات . وركب من الحمام ، فإذا كلاب
صيده كلها عوت في وجهه / فتشام بذلك . ومات أبغا في نصف ذي الحجة سنة ثمانين وستمائة
في قرية من قرى هَمْدَان^(٤) اسمها نايل - وقيل في بلد اسمها كرماشاهان من بلد هَمْدَان .

وسبب موته أنه لما عاد من جهة الرحبة تصيّد وساق وراء غزال ، فتقنطر من
الفرس ، فزل في خَرْكَاة^(٥) . ودخلت السَحْرَة عليه فقال : أي شيء هؤلاء //
اللابسون الأسود ، وحمل فمات كما ذكرنا ، ودفن في قلعة تلا عند أبيه . ومات بعده يومين
أخوه أجاى^(٦) .

(١) تولى سنة ٦٦٤ هـ بعد وفاة بركة خان الذي لم يترك ولدا قال ملكه إلى منكوتمر *Mongku Timur*
وكان منكوتمر مكروها لدى أمراء مصر حتى إنهم أخذوا على السلطان لاجين أن عينه نائباً للسلطنة
فطنى وبقي . وكان تعيينه في منصبه إيذاناً بزوال حكم لاجين . هزم بحمص سنة ٦٨٠ . تزوج أبيش بنت
سعد الأميرة السلغرية .

(٢) ولا شاهده في الأصل « والمشاهدة » وهو تصحيف .

(٣) أن الحمام فأعاد ضمير المؤنث عليها بقوله : خرج منها وهو جار في عصر المماليك .

(٤) هَمْدَان : مدينة ببلاد الجبال من فارس ، اسمها عند الآشوريين « هَمَّاتَانَا » وعند اليونان
« إكباتان *Ecbatan* » وكانت قاعدة مملكة ميديا القديمة وبها توفي الرئيس علي بن سيناسنة ٤٢٨ هـ ،
وهي وطن أبي الفضل بديع الزمان صاحب الرسائل والمقامات (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ بمدينة هراة)
وطائفة من أهل الفضل والعلم . (فهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية ص ١٠٥)
وهي مدينة من الجبال ، كثيرة الزهور والرياحين في الربيع (عن ياقوت) . ويقول ابن حوقل إن لها أهمية
تجارية وصناعية ، أو تكثر بها صناعة البسط والأشعة المتخذة من الصوف والقطن ثم صناعة الجلود ،
وفي ضواحيها تكثر الكروم .

(٥) هي بالفارسية *Khar-gāh* أي خيمة .

(٦) أجاى بن هولاون وهو أخو أبغا واسمه تراغاي .

ومات مُنْكَوْتَمَر بن هَلالون ، وهو متوجه من بلاد الجزيرة إلى الأُرْدُو (١)
في مكان يعرف بتل بوخنزير دون الحُصْكَوْنة وكُفْر زَمَار ، وحمل تابوته إلى الجزيرة .
وذكر أن سبب موت مُنْكَوْتَمَر ما ناله في المضاف من جراح مُنْخِنة ، وَرَعَبَات متمكنة .
وما مات حتى أكل لسانه بأسنانه ، وأتى على أكثر من نصفه . وكفن في أربعة
أثواب من النسيج ، وجعل في تابوت ، وسُيِّر إلى تَلا ، فدفن بها .

ولما مات أُنْبا بن هَلالون وقع الاختلاف فيمن يقعد في التخت فتمعَّصَب // جماعة لأحمد
ابن هَلالون . واسمه الحقيقي تَكْدار ، واسم أمه قُتُوْخاتون ، وهي نصرانية .
واتفقوا على إقاعده في تخت المُلْك . وما هان على بعض الغل قعودُ أحمد ؛ لأنه
ادَّعى أنه مسلم . فحضر أخوه قُنْغَرطاي ، وقال لأرْغُون بن هَلالون : إن أُنْبا شرط
في الياسة (٢) أَنَّهُ إذا مات مُلْك ما يقعد عوضه إلاَّ الأكبر من أولاده . وقد / رتبنا أحمد ،
ومن خالف يموت . فأطاعوه . وسيروا الأُلْجية (٣) لإحضار الملوك ليكتبوا خطوطهم
بالارتضاء بالملك أحمد .

ولما جرى ذلك تحدَّثوا فيما بينهم في أن قدرتهم قد ضعفت ، ورجالهم قُتِلَتْ وأن
المسلمين كلما راحوا ، في قوة (٤) ، وأنه لا حيلة في هذا الوقت أتم من إظهار الإسلام
والتقرب إلى مرضى مولانا السلطان // واكتفاء بأسه بذلك . وإشاعة هذا الأمر فسير
كتابا إلى بغداد مضمونه :

== كتب معين الدين البرواناه إلى السلطان الملك الظاهر يحرضه على دخول بلاد الروم وذلك أنه لما
ضاق ذرعه من أجاي بن هولاون وهو أخو أُنْبا وعزم أجاي على قتله فحمله الخوف على مكاتبه السلطان
في السنة الحالية وسير أيضا إلى أُنْبا ، وذكر له أمورا توجب أن يستدعى أجاي إليه ، فسير أُنْبا وطلب أجاي
فتوجه نحوه فوافق خروجه من البلاد دخول السلطان إلى الشام . فأفاق البرواناه على نفسه ، فسير يقول
للسلطان « اقصد هذه السنة سيس وفي السنة الآتية أملكك البلاد . (السلوك - ١ ص ٦١٧)

(١) الأُرْدُو Urdu : لفظ تركي معناه المعسكر أو جيش ، والمراد به معسكر سلطان الدولة المغولية .

(٢) الياسة : قانون التناز فيه نظام حياتهم ومعاقد أحكامهم (المقریزی - ٣) . الياسة : مغولية
بمعنى مرسوم ملكي ، أو أمر ملكي أو قانون ، أو مجموعة قوانين .

(٣) الأُلْجية السفراء ، وبالتركية Jilchī السفير .

(٤) كلما راحوا في قوة كذا في الأصل . أي كلما راحوا كانوا في قوة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وإنا جلسنا على كرسي
 الملك ، ونحن مسلمون . فيتلقون أهل بغداد هذه البشرى ، ويعتمدون في المدارس
 والوقوف وجميع وجوه البر ما كان يعتمد في أيام الخلفاء العباسيين . ويرجع كل / ذى حق
 إلى حقه في أوقاف المساجد والمدارس ، ولا يخرجون عن القواعد الإسلامية . وأتم يا أهل
 بغداد مسلمون . وسمعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تبرح هذه العصاة
 الإسلامية مستظهرة إلى يوم القيامة . وقد عرفنا أن هذا الخبر خبر صحيح ، ورسول صحيح .
 ورب واحد // أحد فرد صمد . فتطيبون قلوبكم وتكتبون إلى البلاد جميعها ^(١) . وشرع
 الملك أحمد في تجهيز رسل إلى أبواب مولانا السلطان . فسير قاضي القضاة قطب الدين
 محمود ^(٢) الشيرازي قاضي سيواس ^(٣) ، والأمير بهاء الدين أتابك ^(٤) السلطان مسعود
 صاحب الروم ، والأمير شمس الدين بن الصاحب ^(٥) أحد / خواص صاحب ماردين ^(٦) .
 ومعهم جماعة كبيرة من أتباع وأشباع وغللمان وماليك وخواص وتجمل ^(٧) عظيم . فوصلوا

(١) « وتكتبون إلى البلاد جميعها » . الظاهر أن هذه الجملة ليست من الكتاب السابق ، وإنما
 هي من المؤلف يريد أنهم كتبوا — أي التار — بهذا إلى البلاد .

(٢) محمود الشيرازي ، كذا في الأصل والواجب في العربية : محمود الشيرازي .

(٣) سيواس : بلد بآسيا الصغرى يمر بواديها نهر قزل إزمك وهي واقعة على سبتم ميلامن قيسارية .
 وعلى مسيرة يومين من توقات (ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٨٩٥) .

(٤) أتا : كلمة تركية معناها أب تدخل في تركيب بعض الأسماء مثل أتابك وكانت في الأصل صيغة
 مألوفة تطلق على الوصي أو المؤدب لأمرأ الأتراك الذين كان يعهد بأمر تربيتهم بالنسبة لحدائق سنهم في
 أيام السلاجقة إلى بعض الأمراء البارزين الذين يمتنون إليهم بصلة القرابة من جهة الأب ومن ثم كان لقباً
 تاجاً يطلق على الأمراء الأقوياء . وفي عصر المماليك في مصر كان يطلق هذا اللقب على الأمير الذي كانت
 تعهد إليه إمارة العسكر أتا بمعنى أب ، بك سيد ، ومنه شاع لقب « أتابك العساكر » .

(٥) هو شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين التتبي المعروف بابن الصاحب وزير ماردين .

(السلوك ج ١ القسم الثالث ص ٧٢٣)

(٦) ماردين : قال ياقوت « قلعة على قلة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين ،
 وذاك الفضاء الواسع : تحتها ريبض عظيم فيه أسواق وفنادق ومدارس وربط فيه كالدرج كل درج
 يشرف على ما تحته من الدور . وليس دوت سطوحهم مانع ، والماء عندهم ، وأكثر شربهم من ضهاريج
 مغلدة في بيوتهم . ومدينة ماردين قائمة في جهة الشرق من الرها (أرفة) على رأس جبل مسمى باسمها
 يصعد إليها بدرج منقور في الصخر . يزيد عدد سكانها على عشرة آلاف نفس ما بين مسلمين ونصارى .
 (قاموس الأمكنة والبقاع ص ١٧٨)

(٧) وتجمل : كذا في الأصل والمناسب « في تجمل » .

البيرة^(١) وكان ذلك ، لما بلغ مولانا السلطان كتب إلى النواب بالاحترار عليهم ، وأن أحداً من خلق الله لا يراهم ، ولا يجتمع بهم ، ولا يتحدث معهم بكلمة ، ولا يُسارُ بهم إلا في الليل . فدُخِلَ بهم إلى حلب في ليلة السبت الحادي // والعشرين من جمادى الآخرة وأنزلوا بها خفية من غير أن يعلم بهم أحد // ثم أحضروا إلى دمشق ، ومنها إلى مصر وأدخلوا بالليل وأحضروا بين يدي مولانا السلطان . فقبَّلوا الأرض بين يديه . وأحضروا بين أيديهم كتاباً ومشافهة تحدَّثوا بها .

٨

ونسخة الكتاب المذكور / الوارد على يد رُسُلِهِ : القاضي قطب الدين الشيرازي ، والأتابك بهاء الدين ، وشمس الدين بن صاحب وهو بغير عنوان ولا ختم . وفيه طمغات^(٢) حمر ثلاث عشرة طمغة : بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى ، بإقبال قا أن^(٣) ، فرمان أحمد // إلى سلطان مصر : أما بعد ، فإن الله سبحانه وتعالى بسابق عنايته ، ونور هدايته ، قد كان أرشدنا في عنفوان الصِّبا ورِيعان الحداثة ، إلى الإقرار بربوبيته ، والاعتراف بوحدانيته ، والشهادة بمحمد عليه أفضل الصلوات والسلام ، بصدق نبوته ، وحُسن الاعتقاد في أوليائه الصالحين من عباده في بريته . « فمن يرد الله / أن يهديه يشرح صدره للإسلام »^(٤) . فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين ، وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين ، إلى أن أفضى بعد أئبنا الجيّد وأخينا الكبير نوبه المُلْك إلينا ، فأفاض علينا من جلايب الطافه ولطائفه ، ما حقَّق به آمالنا في جزيل آلائه وعوارفه . وجلا هذى المملكة علينا . وأهدى عقيلتها

٩

(١) البيرة : بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الراء المهملة وألف في الآخر وهي قلعة في البر الشرقي في الشمال عن الفرات في الشرق عن قلعة الروم والفرات بينهما ، وقد عدّها في « تقويم البلدان » من جند قنسرین من أعمال الشام . (صبيح الأعشى ج ٤ ص ١٣٨) .

(٢) طمغات : تمنع كلمة مغولية معناها خاتم ودخلت التركية في صيغة (تمغة) ومنها أخذت العربية تمغة أو (دمغة) . وكان هذا الخاتم مربعا في الشكل يحمل كتابة صينية يستخدم في مكاتبات حاكم الصين إلى حاكم الفرس ، وكانت الرسائل صغيرة في العرض ، طويلة ، وتتكون من ورق يلصق بعضه ببعض ويتمنع عند كل النحام باللون الأحمر وهو اللون الإمبراطوري في الصين . وهذا ما يفسر عدد التمغات ولونها في النص .

(٣) قَأَن : قَان = خان .

(٤) الآية ١٢٥ من سورة الأنعام . ويدل أول الخطاب على أن أحمد خان اعتنق الإسلام منذ حداثة .

- إلينا . فاجتمع عندنا // في قوريلتاي ^(١) المبارك — وهو الجمع الذي تنقذ فيه الآراء — ١٠
جميع الإخوان ^(٢) والأولاد ^(٣) والأمراء الكبار ، ومقدمو العساكر وزعماء البلاد .
واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير ، في إقناذ الجَمِّ للغير من
عساكرنا التي ضاقت الأرض برُحبتها من كثرتها ، وامتلات الأرض رُعباً لعظيم
صورتها ، وشديد بطشهم إلى تلك الجهة ، بهمة تنخضع لها شَمُّ الأطواد وعزيمة
تتلين لها صَمِّ الصلاد . (فسكرنا فيما تمخضت زبدة عزائمهم عنه . واجتمعت أهواؤهم
وآراؤهم عليه . فوجدناه مخالفاً لما كان في ضميرنا من اقتناء الخير العام ، الذي هو
عبارة عن تقوية شعار الإسلام . وألا يصدر عن أوامرنا — ما أمكننا — إلا ما يوجب
حَقْنُ // الدماء ، وتسكين الدهاء ، وتجري به في الأقطار رُخاءً نسائم الأمن والأمان ،
١١ ويستريح به المسامون في سائر الأمصار في مهاد الشفقة والإحسان ، تعظيماً لأمر الله ، وشفقة
على خلق الله . فألهمنا الله — تعالى — إطفاء تلك النائرة ، وتسكين الفتن النائرة . وإعلام
من أشار بذلك / الرأي بما أرشدنا إليه : من تقديم ما يُرجى به شفاء مزاج العالم من
الأدواء ^(٤) . وتأخير ما يجب أن يكون آخر الدواء ، وأتينا لا نحبّ المسارعة إلى هزّ النصال
للنبضال ، إلا بعد إيضاح المحجة ، ولا نأذن لها إلا بعد تبين الحق وتركيب الحجة .
١٢ ووقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعي الصلاح . وتنفيذ ما // ظهر لنا به وجه النجاح .
إذ كَارُ شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين ، عبد الرحمن ^(٥) الذي هو نعم العون لنا

(١) قوريلتاي : قوريلتاي (كما وردت بعد ذلك في النص : وهي في التركية *quriltay*) هو الإس
المغولي لمجلس السلطنة الذي يختار المحكام ويدرس المسائل العويصة التي لا يريد الحاكم أن يفصل فيها وحده .

(٢) الإخوان : ترجمة للتعبير المغولي « أقاوايني *aqawaini* » أي الإخوة الكبار والصغار ، أو
أمراء البيت المالكة والتي نجدتها في النصوص الفارسية التي تتحدث عن تاريخ خلفاء جنكيزخان وفي المغولية
أقا *aqā* أي الأخ الأكبر أو شيوخ القبيلة أو رأس الأسرة ، أيني *ini* أي الأخ الأصغر .

(٣) الأولاد : ترجمة للفظ المغولية « أوغول » أي ولد ويضيفها المغول إلى اسم الملك للدلالة على أن
المنسب من العائلة المالكة وبذلك يكون معناها هنا : الأمراء .

(٤) الأدواء : أي الحرب .

(٥) كمال الدين عبد الرحمن شيخ الإسلام قدوة العارفين ، لم ير لولى قبله كرامة (السلوك — ملاحق
الجزء الأول — قسم ٣ ص ٩٨٢) .

في أمور الدين . فأصدرناه رحمة من الله لمن دعاه . ونعمة على من أعرض عنه وعصاه .
وانقذنا أقصى القضاة قطب الملة والدين ، والأتابك بهاء الدين ^(١) ، اللذين هما من ثقات
هذه الدولة / الزاهرة ، ليعرفاهم ^(٢) طريقتنا .

ويتحقق عندهم ما تنطوي عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا . ويُبَيِّنُنا ^(٣) لهم أننا من الله
على بصيرة ، وأن الإسلام يَجِبُ ما قبله ، وأنه تعالى ألقى في قلبنا أن نتبع الحق وأهله ،
ويشهدون عظيم نعمة الله على الكافة بما دعانا إليه : من تقديم أسباب الإحسان ، ولا
يحرموها بالنظر إلى سالف // الأحوال فكل يوم هو في شأن . فإن تطلعت نفوسهم إلى
دليل تستحكم بسببه دواعي الاعتماد ، وحُجَّةٍ يثقون بها من بلوغ المراد ، فلينظروا إلى
ما ظهر من مآثرنا ، مما اشتهر خبره ، وعمَّ أثره ، فإننا ابتدأنا — بتوفيق الله تعالى —
بإعلاء أعلام الدين وإظهاره ، في إيراد كل أمر وإصداره تقديمًا ، وإقامة نواميس /
الشَّرع الحمديّ على مقتضى قانون العدل الأحدي إجلالا وتعظيما . وأدخلنا السرور على
قلوب الجمهور وعفونا عن كل من اجترح سيئة أو اقترف ، وقابلناه بالصفح وقلنا عفا الله
عما سلف . وتقدّمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس ، وعمارة
بقاع البرّ والرُّبُط // الدوارس ، وإيصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة إلى مستحقيها
لشروط واقفيها ^(٤) ، ومنعنا أن يلمس شيء مما استُحدث عليها ، وألّا يغيّر أحد
مما قرّر أولا فيها (وأمرنا بتعظيم أمر الحاجّ وتجهيز وفدها ، وتأمين سبلها وتسيير قوافلها .
وإنّا أطلقنا سبيل التجار المترددين إلى تلك البلاد / ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن .

(١) هو الأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم (السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٠٣) .

(٢) يوجه أحمد الخطاب هنا إلى قلاوون في صيغة الغائين وهي صيغة فارسية للخطاب أي ليعرفكم .

(٣) بيننا لهم . في الأصل : « بيناهم » .

(٤) لشروط واقفيها : كذا في الأصل . والمناسب كمشروط واقفيها ليوافق في السجم القرينة التالية .
وآخرها : فيها . وقوله : مستحقيها واقفيها في الأصل : مستحقيها واقفيها .

قواعدهم ، وحرّمنا على العساكر والقراغول^(١) والشحاني^(٢) في الأطراف^(٣) التعرّض
بهم في مصادرهم ومواردهم ، وقد كان صادف قراغولنا جاسوساً في زيّ الفقراء كان
سبيل مثله أن يهلك ، فلم يهزق دمه لحُرمة ما حرّمه الله تعالى ، وأعدناه إليهم .
ولا يخفى عنهم ما كان في إنفاذ الجواسيس // من الضرر العام للمسلمين ، فإن عساكرنا
٩٥ ظالماً رأوهم في زيّ الفقراء والنسك وأهل الصلاح فسأت ظنونهم في تلك الطوائف
فقتلوا منهم من قتلوا ، وفعلوا بهم ما فعلوا (وارتفعت الحاجة بحمد الله تعالى إلى ذلك
بما صدر إذتنا به من فتح الطريق وتردد التجار وغيرهم . فإذا أمعنوا الفكر في هذه الأمور
وأمثالها لا يخفى عنهم أنها أخلاق جبليّة طبيعية وعن شوائب التكلف والتصنع عريّة . وإذا
كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي المضرة التي كانت موجبة الخالفة ، فإنها كانت
بطريق الدين ، والذب عن حوزة المسلمين : فقد ظهر بفضل الله تعالى في دولتنا النور المبين .
وإن كانت // لما سبق من الأسباب^(٤) فمن تحرّى الآن طريق الصواب ، فإن له عندنا
٩٦ الزلفى وحسن مآب . وقد رفعنا الحجاب ، وأتيننا بفضل الخطاب وعرفناهم ما عزمنا عليه
بنية خالصة لله تعالى على استئنافها ، وحرّمنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها ، لنرضى
بها الله والرسول ، وتلوح على صفحاتها / آثار الإقبال والقبول . وتستريح من اختلاف
الكلمة هذه الأمة ، وتنجلي بنور الائتلاف ظلمة الاختلاف والغمة . فتسكن في سابع
ظلم البوادي والخواضر ، وتقرّ القلوب التي بلغت من الجهد الحناجر ، ويعفى عن سالف
٩٧ الهتات والجرائر (فإن وفق الله سلطان مصر لاختيار ما فيه صلاح العالم ، // وانتظام أمور
بنى آدم ، فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى ، وسلوك الطريقة المثلى بفتح أبواب

(١) القراغول : عند المغول تطلق على حراس الطريق .
(٢) الشحاني : ضباط البوليس أو الحكام ومفردها شحنة . (وجاء في القاموس : الشحنة في البلد
من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان) وهو جمع غير قياسي . والشحن هو الذي على الهجاء أو على
المناءات .

(٣) الأطراف : ومعنى أطراف في الأصل النواحي المتطرفة . ومقاطعات الحدود وأنت بمعنى العامة
أو الطبقة الدنيا من الناس . جاء في الكامل « رجل من أطراف الناس » وجاء في المنهل الصافي « كان
من الأطراف الذين قدمهم الملك المؤيد » وجاء في النويري « يتجنبون الفقهاء والعلماء والأدياء والعقلاء
وكانوا يطلبون أطراف البلاد » أي العامة .

(٤) وإن كانت لما سبق من الأسباب أي الحضرة .

الطاعة والاتحاد ، و بذل الإخلاص بحيث تنعم^(١) تلك الممالك والبلاد ، وتسكن الفتنة
 الثائرة ، وتعمد السيوف البائرة ، وتحل الكافة أرض الهوينى وروض الهدون^(٢) ،
 وتخلص رقاب المسلمين / من أغلال الذل والهون . وإن غلب سوء الظن بما تفضل به
 واهب الرحمة ، ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة ، فقد شكر الله مساعينا وأبلى عذرنا ،
 ومنا كنا معذبين حتى نبعث رسولا^(٣) ، والله الموفق للرشاد والسداد ، وهو المهيم على
 البلاد والعباد ، وحسبنا الله وحده .

كتب في أواسط جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين // وستائة بمقام الإطاق^(٤) .
 وكتب مولانا السلطان جوابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى بإقبال دولة السلطان الملك المنصور :
 كلام قلاون / إلى السلطان أحمد :

أما بعد حمد الله الذى أوضح بنا ولنا للحق منهاجا ، وجاء بنا فجاء نصر الله والفتح
 ودخل الناس في دين الله أفواجا . والصلاة على سيدنا ونبيينا محمد الذى فضله الله على كل
 نبي ، نجى به أمته ، وعلى كل نبي ناجى ، صلاة تنير ما دجا وتبهر من داجى . فقد وصل
 الكتاب الكريم // ، المتلقى بالكريم ، المشتمل على النبأ العظيم : من دخوله في الدين ،
 وخروجه عن خلف من العشرة والأقربين^(٥) .

(١) تنعم ، كذا وكثيرا ما يأتي في هذا الكتاب مثل هذا مما لا يوجد في العربية .

(٢) وتحل الكافة أرض الهوينى وروض الهدون أى الدعة والطمأنينة .

(٣) اقتباس من الآية ١٥ من سورة الإسراء .

(٤) كتب . . . سنة . . . بمقام الأطاق *utag* وتكتب أيضاً أوطاق *otaq* كلمة تركية بمعنى غرفة —
 خيمة أو مجموعة خيام أو معسكر ، والمعنى هنا معسكر السلطان .

(٥) خطاب السلطان قلاون إلى السلطان أحمد كتب بإنشاء محي الدين بن عبد الظاهر ، كما ورد في

كتاب التهج السديد للمفضل بن أبى الفضائل ص ١٠٥ .

ولما فتح هذا الكتاب ففتح بهذا الخبر للمعلم المعلم^(١). والحديث الذي صحح عند أهل الإسلام إسلامه ، وأصح الحديث ما روى عن مسلم . وتوجهت الوجوه بالدعاء إلى الله سبحانه في أن يُثبته على ذلك بالقول / الثابت ، وأن يُذبت حبّ هذا الدين في قلبه كما أثبت أحسن النّب من أحسن^(٢) النبات .

وحصل التأمل للفصل المبتدأ بذكره من حديث إخلاصه النية في أول العمر ، وعنقوان الضبا إلى الإقرار بالوحدانية ، ودخوله في الملة الحمديّة ، بالقول والعمل والنية . فالحمد لله على أن شرح صدره للإسلام ، وألهمه شريف // هذا الإلهام ، كحمدنا الله على أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا المقال والمقام^(٣) ، وثبت أقدامنا في كل موقف اجتهد وجهاد تنزل دونه الأقدام . وأما إفضاء التوبة في الملك وميراثه بعد والده وأخيه الكبير إليه ، وإفاضة جلايب هذه المواهب العظيمة^(٤) عليه ، وتوقله الأسرة التي طهرها إيمانه ، وأظهرها / سلطانه ، فلقد أورثها الله من اصطفاه من عباده ، وصدق المبشرات له من كرامة أولياء الله وعبيده .

وأما حكاية اجتماع الإخوان والأولاد والأمراء الكبار ومقدمي العساكر وزعماء البلاد في مجمع قوريلتاي الذي تتقدح فيه زبدة الآراء ، وأنّ كلمتهم قد اتفقت على ما سبقت به كلمة أخيه الكبير في // إنفاذ العساكر إلى هذا الجانب ، وأنه فكر فيما اجتمعت عليه آراؤهم ، وانتهت إليه أهواؤهم فوجده مخالفا لما في ضميره ؛ إذ قصده الصلاح ، ورأيه الإصلاح ، وأنه أطفأ تلك النائرة وسكن تلك النائرة فهذا فعل الملك المتقي ، المشفق من قومه على من بقي ، المفكر في العواقب ، بالرأى الناقب ، وإلا فلو / تركوا وآراءهم حتى تحملهم الغيرة ، لكانت تكون هذه الكثرة هي الكثرة . لكن هو كمن خاف

(١) للمعلم المعلم : في « النهج السديد » المعلم العظيم ص ٥١١ .

(٢) أحسن : كتاب النهج السديد ص ٥١٢ أوردها « أحسن » .

(٣) المقال والمقام : كتاب « النهج السديد » أوردها : إلى هذا الدين ، وإلى هذا المقال والمقام

ص ٥١٢ .

(٤) المواهب العظيمة : في « النهج السديد » : النعمة .

مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، ولم يوافق قول من ضلّ ولا فعل من غوى . وأما القول منه : إنه لا يجب^(١) المسارعة إلى المقارعة إلا بعد إيضاح المحجة ، وتركيب^(٢) الحجة ، فبانتظامه في سلك الإيمان صارت حجتنا // وحجته المترتبة : على من غدت طواعيته^(٣) عن سلوك هذه المحجة متنكبة . فإن الله تعالى والناس كافة قد علموا أن قيامنا إنما هو لنصرة هذه الملة ، وجهادنا واجتهادنا ، إنما هو على الحقيقة لله^(٤) . وحيث قد دخل معنا في الدين هذا الدخول ، فقد ذهبت الأحقاد وزالت الدخول^(٥) ، وبارتفاع المنافرة / ، تحصل المضافرة . فالإيمان كالبنیان يُشَدُّ بعضه ببعض ومن أقام مناره فله أهل بأهل في كل مكان ، وجيران بحيران في كل أرض ، وأما ترتب هذه القواعد الجمّة^(٦) على إذكار شيخ الإسلام ، قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن — أعاد الله من بركاته — فلم تُر لولى قبله كرامة كهذه الكرامة // ، والرجاء ببركته وبركة الصالحين أن تصبح كل دار للإسلام دار إقامة^(٧) ، حتى تتم شرائط الإيمان ، ويعود شمل الإسلام مجتمعاً كأحسن ممّا كان . ولا ينكر^(٨) لمن لكرامته ابتداءً هذا التمكن في الوجود ، أن كل حق ببركته إلى نصابه يعود .

وأما إنفاذ أقصى القضاة قطب الملة والدين ، والأتابك بهاء الدين / الموثوق بنقلهما في إبلاغ رسائل هذه البلاغة ، فقد حضرا وأعادا كل قول حسن من حوالى^(٩) أحواله وخطرات خاطره ومنتظرات ناظره . ومن كل ما يشكر ويحمد ، ويعنعن حديثهما فيه عن مسند أحمد .

(١) يجب : أبو الفضائل : يجب .

(٢) تركيب : وفي الأصل : « ترتيب » وما أثبتناه عن أبي الفضائل .

(٣) غدت طواعيته : أبو الفضائل : عدت طواعيته .

(٤) « على الحقيقة لله » يقضى السجع بعدم مد اللام الثانية في لفظ الجلالة ، وهذا مغتفر في مثله .

(٥) الدخول : كذا في أبي الفضائل : وفي الأصل : النحول .

(٦) الجمّة : أبو الفضائل : الحميدة .

(٧) « أن يصبح كل دار للإسلام دار إقامة » : أبو الفضائل : أن تفتح دار السلام وكل دار للإسلام ومى دار إقامته .

(٨) « لا ينكر ... » في الأصل : لا تنكر .

(٩) حوالى أحواله : حوالى جمع حالية أى نقائس أحواله .

وأما الإشارة إلى النفوس إن كانت لها تطلع إلى إقامة دليل ، تستجكم
بسببه دواعي الودّ الجميل // فليُنظر إلى ما ظهر من مآثره ، في موارد الأمر ومصادره ،
ومن العدل والإحسان ، بالقلب واللسان ، والتقدم^(١) بإصلاح الأوقاف والمساجد والربط
وتسبيل السبيل للحجّ إلى غير ذلك . فهذه صفات من يريد للملكه الدوام . فلمّا ملك
عدل ، ولم يعل إلى لؤم من عدا ولا لؤم من عدل . على أنها وإن كانت / من الأفعال
الحسنة ، والمثوبات التي تستنطق بالدعاء الألسنة ، فهي واجبات تؤدّي ، وقُرُبات
بمثليها يُبدّى^(٢) ، وهو أكبر^(٣) من أنه ياجراء أجر غيره يفتخر أو عليه يقتصر ، أو له
يدّخر . بل إنما تفخر الملوك الأ كابر برّد ممالك على ملوكها ، ونظمها على ما كانت عليه
في سلوكها . وقد كان والده فعل شيئاً // مع الملوك السلجوقية وغيرهم وما كان أحد منهم
يدينه بدّين ، ولا دخل معه في دين . وأقرّهم في ملكهم ، وما زحزحهم عن ملكهم
ويجب عليه ألا يرى حقاً مغتصباً ويأبى إلا ردّه ، ولا باعاً ممتداً بالظلم ويرضى إلا صدّه .
حتى إن أسباب ملكه تقوى ، وأيامه تزيّن بأفعال التقوى .

وأما تحريمه / على العساكر والقراغولات والشجاني^(٤) بالأطراف التعرّض إلى أحد
بالأذى وإصفاء موارد الواردين والصادرين^(٥) من شوائب القذّي^(٦) فمن حين بلغنا^(٧)

(١) التقدم : في الأصل : « المتقدم .. » والمناسب ما أثبتنا ، إلا أن يكون « المتقدم » مصدرا ميميا .

(٢) بثلها يبدى ، كذا ورد بهذا الضبط والسجع يقتضيه أى يتبدا .

(٣) وهو أكبر : كذا في أبي الفضائل . وفي الأصل « أكثر » .

(٤) الشجاني : في الأصل : الشجاني .

(٥) الصادرين ، في الأصل : الصادتين .

(٦) القذّي : أبو الفضائل : القدى .

(٧) فمن حين بلغنا قدمه : كذا في أبي الفضائل ، وفي الأصل : فمن خير . . .

تقدّمه بمثل ذلك تقدمنا أيضاً بمثله إلى سائر نوابنا بالرحبة^(١) والبيرة وعينتاك^(٢) ،
وإلى مقدّمى العساكر بأطراف تلك الممالك وإذا اتحد الإيمان وانعقدت الأيمان تحتم // هذا
الإحكام ، وترتب عليه جميع الأحكام .

وأما الجاسوس الفقير الذى أمسك وأطلق ، وأنّ بسبب من يتزيّا من الجواسيس
يزيّ الفقراء قتل جماعة من الفقراء الصلحاء رجماً بالظن فهذا باب من تلقاء ذلك الجانب كان
فتحه ، وزيد من ذلك الطّرف كان قدّحه . وكمن من متزيّ بفقير من ذلك الجانب سيّروه / ،
والى الاطلاع على الأمور سيّروه . وأظفر الله منهم بجماعة كبيرة فرفع عنهم السيف ،
ولم يكشف ما غطّوه بحرقّة الفقر بلّم ولا كيف . وأما الإشارة إلى أنّ باتفاق الكلمة
تنبجلى ظلم^(٣) الاختلاف ، وتدرّ بها من الخيرات الأخلاف ، ويكون بها صلاح العالم ،
وانتظام شمل بنى آدم ، فلا رادّ لمن فتح أبواب الاتحاد // وجنّح إلى السلم وما حاد ولا حاد^(٤) .
ومن ثنى عنّاه عن المسكافة ، كان كمن مدّ يد المصالحة للمصالحة . والصلح وإن كان سيّد
الأحكام فلا بدّ من أمور تبني عليه قواعده ، ويعلم من مدلوله فوائده . فالأمر المستورة

(١) الرحبة : قال ياقوت : رحبة بضم أوله وسكون ثانيه وياء موحدة ، ماء لبنى فريز بأجأ .
والرحبة أيضاً قرب القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة . وقد خربت .
ورحبة : قرية قريبة من صنعاء اليمن على ستة أميال منها وهى أودية تنبت الطلح وفيها بساتين وقرى .
والرحبة : ناحية بين المدينة والشام من وادى القرى وفى طرف النجاة من أعمال صرخد قرية يقال لها
الرحبة . وورحبة بالفتح هو الموضع المتسع بين أفنية البيوت والرخاب كثيرة . والمنسوب منها رحبة جابر
ورحبة خالد بدمشق ينسب إلى خالد بن أسيد ، ورحبة خنيس محلة كبيرة بالكوفة وتنسب إلى خنيس
ابن سعد ورحبة دمشق قرية من قرأها ورحبة الزرقعة وعانة أحدثها مالك بن طوق فى خلافة المأمون ورحبة
المدار باليمامة صحراء مستوية ورحبة يعقوب ببغداد تنسب إلى يعقوب بن داود وزير المهدي ورحبة بضم
وفتح ثانية موضع ورحب بغيرهاء : موضع . (قاموس الأمكنة والبتاع ص ١١٨) . والمقصود بها هنا :
رحبة مالك بن طوق

(٢) عينتاب : مدينة بالشام ، شمال منبج ينسب إليها قاض القضاة « بدر الدين العيني » ، تقلب فى المناصب
حتى تولى الحسبة بالقاهرة خلفاً لتقى الدين المقرئى المؤرخ المعروف . وتوفى سنة ٨٥٥ هـ . وله مصنفات
جليلة . والنسبة إليها عيتابى أو عيني . (فهرست معجم الخريطة التاريخية للمالك الإسلامية ص ٧١) .
(٣) ظلم : كذا فى الأصل . أبو الفضائل : ظلمة .

(٤) وما حاد ولا حاد : كذا فى الأصل . أبو الفضائل : فقد جاد ولا حاد .

في كتابه هي كليات لازمة يُعَمَّرُ بها كل مغنى ومعلم ، إن تهياً صلح أو لم . وثم أمور لا بد وأن تُحَكَّم ، / وفي سلكها عقود العهود تُنظَّم . قد تحملها بلسان المشافهة التي إذا أوردت أقبلت إن شاء الله عليها النفوس ، وأحرزتها صدور الرسائل كأحسن ما تحرزها سطور الطروس . وأما الإشارة إلى الاستشهاد بقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ^(١) فاعلى هذا النسق من الورد ينسج ولا على هذا السبيل // ينهج .

٢٨ بل لفضل المتقدم في الدين ونصره عهود تُرعى ، وإفادات تُستدعى . وما برح الفضل للأولية وإن تنأى العدد للواحد الأول ، ولو تأمل مؤرد هذه الآية في غير مكانها لتروى وتأول :

وعند ما اتينا إلى جواب ما لعله يجب عنه الجواب من فصول الكتاب ، سمعنا المشافهة التي / على لسان أقصى القضاة قطب الدين فكان منها ما يناسب ما في هذا الكتاب : من دخوله في الدين ، وانتظام عقده بسلك المؤمنين ، وما بسطه من معدلة وإحسان ، مشكورة بلسان كل إنسان فالمنة لله عليه في ذلك فلا يدئنها منه بامتنان . وقد أنزل الله على رسوله في حق من آمن بإسلامه : « قل لا تمنوا على إسلامكم // بل الله يمين عليكم أن هذا لكم للإيمان ^(٢) » .

٢٩

ومن المشافهة أن الله قد أعطاه من العطاء ، ما أغناه عن امتداد الطرف إلى ما في يد غيره من أرض وماء ، فإن حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالأمر حاصل . فالجواب أن ثم أموراً متى حصلت عليها الموافقة ، ابتنى على ذلك حكم المصاحبة والمصادقة / ورأى الله والناس كيف يكون تصافينا ، وإذلال عدونا وإعزاز مصافينا . فكم من صاحب وجد حيث لا يوجد الأب والأخ والقراية ، وما تم أمر هذا الدين واستحكم في صدر الإسلام إلا بمضاهرة الصحابة . فإن كانت له رغبة مصروفة إلى الاتحاد وحسن الوداد ، وجميل

(١) آية ١٥ سورة الإسراء .

(٢) آية ١٧ سورة الحجرات .

٣٠٠ الاعتضاد ، وكبت الأعداء والأضداد // ، والاستناد إلى من يشتد الأمر به عند الاستناد فالرأى إليه في ذلك .

ومن المشافهة أنه إن كانت الرغبة ممتدة الأمل إلى ما في يده من أرض وماء فلا حاجة إلى إنفاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود . فالجواب عن ذلك أنه إذا كَفَّ العُدوان وترك المسلمين وما لهم من ممالك سكنت / الدهاء ، وحُققت الدماء وما أحقه بالآل ينهى عن خُلُق ويأتى مثله ^(١) ، ولا يأمر ببرٍّ وينسى فعله . وقنغرُ طائٍ ^(٢) بالروم ، وهى بلاد في أيديكم وخراجها يُجبي إليكم ، وقد سفك فيها وفتك ، وسبى وهتك . وباع الأحرار ، وأبى إلا التماذى على الإضرار والإصرار .

٣١٠ ومن المشافهة أنه حصل التصميم // على ألا ^(٣) تبطل هذه الغارات ولا تفتر ^(٤) عن هذه الإثارات ، فيعين مكانًا يكون فيه اللقاء ، ويعطى الله النصر لمن يشاء . فالجواب عن ذلك أن الأماكن التى اتفق فيها ملتقى الجمعين مرّة ومرّة ومرة قد عاف مواردّها منّ سلم من أولئك القوم ، وخاف أن يعاودها فيعاوده مصرعُ ذلك اليوم . فوقت اللقاء / علمه عند الله فلا يقدر وما النصر إلا من عند الله لمن أقدر لا لمن قدّر . ولا نحن ممن ينتظر فلتة ، ولا ممن له إلى غير ذلك لفتة . وما أمر ساعة النصر إلا كالساعة لا تأتى إلا بغتة . والله الموفق لما فيه صلاح هذه الأمة والقادر على إتمام كل خير ونعمة // . ٣٢٠

ولما انقضى شغل الرُّسل من أبواب مولانا السلطان وشمّلتهم الخلع والإنعام التام ، توجّهوا على الصورة التى حضروا عليها تحت الحفظ والاحتراز التام ، لم يجتمع بهم أحد ولم ينظر إليهم ولا رآهم . وتوجهوا فوصلوا إلى حلب فى سادس من شوال سنة إحدى وثمانين وستمائة . وتوجهوا منها إلى بلادهم / .

(١) وما أحقه بأن لا ينه عن خلق (كذا فى الأصل) وقد جعل لا ناهيه ، والأقرب لا ينهى . . . وهو تلميح إلى قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك إذا فعلت عظيم

(٢) قنغر طائٍ Kongorfaī : كونغورا داي .

(٣) على أن لا تبطل : كذا بالأصل . المناسب : على أنه لا . أو على : إلا . . .

(٤) تفتر : كذا فى الأصل . والمناسب : يفتر .

وفي ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وستمائة وردت كتب رُسُل مولانا السلطان الذين كانوا توجهوا إلى منكوتمر بالهدايا إلى بيت بركة^(١) وهم الأمير شمس الدين سنقر الغُتمى^(٢) والأمير سيف الدين بلبان الركنى^(٣) الخالص تركى ومعهم الهدايا^(٤). وهى ستة عشر تعبئة منها ماهو للملك منكوتمر، ومنها ماهو //لنوغازى^(٥)، ومنها ماهو للملك أو كجى أخى الملك منكوتمر، ومنها ماهو لتوتامنكو أخى منكو، وهو الذى أخذ الملك. ومنها ماهو لبلاغا^(٦) أخى منكوتمر.

(١) بيت بركة : أى أسرة بركة . وهو بركة بن جوحى تولى الملك سنة ٦٥٥ هـ ومات سنة ٦٦٤ هـ
(٢) هو شمس الدين سنقر الأشقر الروى حاكم دمشق المسمى بالملك الكامل . نودى به سلطانا بدمشق سنة ٦٧٨ هـ مناوأة لقلاون .

(٣) هو سيف الدين بلبان الركنى (بلبان بالتركية الشرقية بمعنى الصقر) الطباخى . ذكره التويرى فى نهاية لأرب باسم « الأمير سيف الدين بلبان الكرىمى الملائى » . وذكره ابن أبى الفضائل باسم « سيف الدين المعروف بالله كريم » وأظنه تحريفاً . كان والياً على حلب من سنة ٦٩١ هـ إلى سنة ٦٩٩ هـ وتوفى سنة ٧٠٠ هـ

(٤) كانت تلك الرسالة قد توجهت إلى منكوتمر خليفة بركة خان فى دولة القيقاق الغربى ، فوجدت أنه توفى فى جمادى الآخرة سنة ٦٨٠ هـ . وقد جلس بعده أخوه تودا منكو الذى امتد حكمه حتى سنة ٦٨٦ هـ .

انظر : (Lane-Poole ; Muh. Dyns p. 230)

وأبا الفداء : المختصر فى أخبار البشر ص ١٦٠ ، فى ١. Rec Hist. Or.

(٥) وارد فى بىرس التنصورى (زبدة الفكرة ج ٩ ص ١١٧٤) برسم « نوغيه » وفى المراجع الأوربية برسم Nogai وكان هذا الأمير من سلالة جنسكرخان مؤسس الفرع التترى المعروف باسم القفجاق بجنوبى روسيا الحالية . وكان جده نفال بن دوشى قد ورث الحكم بعد أبيه دوشى على الجهات التى سكنتها قبائل البشنج Pechenegs بحوض نهر البج (Bug) ، على أن يكون تابعا لإخوته خانات القفجاق . وتولى نوغازى بدوره على تلك البلاد ، وظل كسفه تابعا للخانات ، وصار قائداً عاما لجيوش بركة ومنكوتمر وتودامنكو وتولابوغا . وكان على يديه معظم انتصاراتها وفتوحاتها بالعراق الأعلى وأرمينية وبلاد البلاءر والمجر وليتوانيا فعمم قدره حتى نافر تولابوغا وأتمر به مع بعض أولاد عمه منكوتمر ومنهم طقطنغا (وهو تقتو أو توختاغيات الدين ، والصواب أو توختوغو) ، وتمكن منه وقتله .

(٦) لبلاغا : الصواب : أرغبنا

ومنها ما هو للخواتين

جيجك^(١) خاتون^(٢) ، والحى خاتون ، ولتوتلين خاتون ، ولتايون خاتون ، ولسطان خاتون ، ولخطابو خاتون .

وما هو لماو أمير التيسرة وما هو لطيرا^(٣) أمير الميمنة / وما هو لقليق زوجة كوجى وما هو للسلطان غياث الدين بن السلطان عز الدين صاحب الروم .

وذلك من كل شىء يهدى مثله : من الأقمشة الفاخرة ، والحلل الزاهرة ، والتحف الثمينة ، والقسي والجواشن ، والحوذ^(٤) كل أحد على مقداره .

قالوا : فلما وصلنا وجدنا القان منكوتر قد مات // وجلس مكانه تتامنكو^(٥) وذلك فى جمادى الآخرة سنة ثمانين وستائة ، فسلموا إليه التقادىم ، فقرحوا بها وأحسنوا إلى الرسل إحساناً كثيراً . واجتمعوا بنوغاى وبجميع من سيروا إليه بالإقبال والقبول . وقالوا : إن الكسرة التى كانت على حصص بلغتهم فى شعبان ، وكانت فى رابع عشر رجب .

وكانت وفاة منكوتر / المذكور بموضع يعرف بأقلوقية^(٦) فى شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وستائة . وسبب موته أنه طلع له دمل فى حلقه فبطله فمات .

وفى هذه السنة ورد إلى أبواب مولانا السلطان ولد الشريف أبى نيمى أمير مكة^(٧) شرفها الله ومعه جماعة كبيرة من الأشراف والأهل والأقارب وزعماء الحجاز ومعهم قود^(٨) وهدايا ، فركب السلطان لتلقيهم ، وأحسن كرامتهم ، وأنزلوا وخدّموا . وأقطعهم

(١) جيجك : ومعناها بالمغولية : زهرة .

(٢) خاتون : يطلق على امرأة الأمير أو امرأة القائد .

(٣) لطيرا : هكذا من غير نقط .

(٤) الحوذ : فى الأصل : الحود ، والحوذ جمع خوذة ، وهى ما يوضع على الرأس وقت الحرب

يتقى به الرمى .

(٥) هو توتامنكو . وانظر صفحة ١٧ وصوابه تودامنكو .

(٦) بأقلوقية : صوابها بأقتوقية .

(٧) هو الأمير نجم الدين أبونمى أمير مكة محمد بن أبى سعد على (شوال سنة ٦٥٢ هـ - صفر سنة ٧٠١ هـ)

(٨) القود : الخيل .

الإقطاعات العظيمة ، لكل شريف منهم ومشروف ، وأمير ومأمور . وأجرى وقوفهم التي كانت من عدة سنين مُعَوَّقة عنهم . وأعطاهم مجلًا من الأموال والإقطاعات والخلع . وسير النفقات لجميع من في الحرم الشريف ومكة / . من الشرفاء والعلماء والقضاة وأصحاب المناصب والزوايا . وقرّر لهم المرسوم ، وجَهَّز الركب والكسوة . فتوجهوا على العادة صحبة الأمير الأسفهلار ناصر الدين الطنبغا الخوارزمي . وتوجه في الركب الأمير علاء الدين البندقي دار ، وجماعة . وكان حَجًّا مشهوداً^(١) . وإنما أبو نُمي أمير مكة قابل الإحسان // بِضَدِّهِ والنعم بكفرانها ، فسكاد يهلك ويتاف . فأذعن وأظهر الخدمة ٣٦ وشكر النعمة . وإنما حركاته ما خفيت على ملاحظ ، وما شوهد في صورة محافظ . وجَهَّز ركباً من الشام مقدّمه الطواشي بدر الدين بدر الصوابي^(٢) ، ومعه جماعة من الجند والحلقة^(٣) .

ذكر صدّاق مولانا السلطان / الملك الصالح

وفي هذه السنة اهتمّ مولانا السلطان الملك المنصور بزواج^(٤) مولانا السلطان الملك

(١) في سنة ٦٨١ هـ خرج من القاهرة بالحمل الأمير ناصر الدين الطنبغا الخوارزمي ومعه كسوة الكعبة ، وسار بالسبيل حسام الدين مظفر أستاذ دار الفارغانى ، وحج الأمير علاء الدين البندقدار في ركب كبير .

(السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧١٠)

(٢) سير السلطان الطواشي بدر الدين الصوابي إلى الكرك نائباً بها وبالشوبك فتسلمها . ثم تلقى مع عسكره في دمشق نائب السلطنة الأمير حسام الدين طرناي .

(السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٣٣٨ وقسم ٣ ص ٧٣٠)

(٣) الحلقة : هم قسم من الجند . والقسم الآخر جند الممالك . (أنظر حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٣ . والمفريزي - الخطط . في الكلام على قلعة صلاح الدين) .

(٤) تزوج الملك الصالح على بن السلطان بخوند منكب ابنة الأمير سيف الدين نوويه ، وكانت تحت الأمير زين الدين كتبغا المنصوري ، فرآها الملك الصالح يوم حضرت مع نساء الأمراء بهم أشلون يوم زفت إلى السلطان ففتنه حسننها حتى كاد يهلك . فما زال السلطان بطرناي النائب حتى ألزم كتبغا بطلاقها ، فطلقها وأفرج السلطان عن أبيها نوويه من سجن الإسكندرية وأحضر إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة وعقد العقد على خمسة آلاف عينا عجل منها ألفا دينار .

(السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧١٠)

الصالح . ولما كان التاسع عشر من شهر رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة عقد العقد على بنت الأمير سيف الدين نوكيه ^(١) بن بيكان بن قطووغان أحد الأمراء المغل في خدمة السلطان وحضر // جميع الناس على اختلاف طبقاتهم من أصحاب السيوف والأقلام ، والعلوم والأعلام . واحتفل الاحتفال العظيم بالشموع والغوالي ^(٢) والبخورات ، وغير ذلك من المطعومات التي جرت العادة بها في مثل ذلك . وكان الوكيل عن مولانا السلطان الملك الصالح الأمير حسام الدين طرُنطاي ^(٣) نائب السلطنة المعظم ، / والوكيل عن الزوجة الأمير سيف الدين محمد بن أيْدُمُر أستاذ الدار الشريفة . وكان الصداق خمسة آلاف دينار ، قُدِّم منها ألفا دينار . وحضر مولانا السلطان العقد وعقد بين يديه . وانفصل هذا اليوم على سرور تام . ودخل بيته مكتما ، من غير رَهْج ولا إشاعة ولا تكليف أحد تقدمه ولا شيئا // من الأشياء .

وفي هذه السنة استقرت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين على ، وبين المقدم أفرير ^(٤) كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية ^(٥) ، بمعكا والساحل ، وبين جميع الإخوة الديوية ^(٦) بأنطراطوس ^(٧) ، لمدة عشر / سنين كوامل متواليات متتابعات وعشرة شهور ، أول ذلك يوم الأربعاء خامس الحرم سنة إحدى وثمانين وستمائة للهجرة النبوية الحمدية ، الموافق للخامس عشر

٦٨١ هـ

(١) نوكيه ، الأصل : نوكيه .

(٢) الغوالي : جمع غالية وهي ضرب من الطيب .

(٣) الأمير حسام الدين طرُنطاي العزيزي : كان نائب السلطنة بمصر . تولى سنة ٦٧٨ هـ وقتله السلطان خليل سنة ٦٨٩ هـ

(٤) أفرير كليام ديباجوك : هذا اللفظ ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (frère) ومعناها الأخ عامة . Frère Guillaume de Badjouk .

(٥) مقدم بيت الديوية : لقبه بالفرنسية Grand-maître de l'ordre des templiers

(٦) الأخوة الديوية Les frères templiers

(٧) أنطراطوس Antartous

من نيسان سنة ألف وخمسمائة ثلاثة وتسعين للاسكندر بن فيلبس اليوناني ، على بلاد
 ٣٨ مولانا السلطان الملك المنصور ، وبلاد ولده // السلطان الملك الصالح علاء الدين على ،
 وعلى كل ما هو داخل في مملكتيهما من الديار المصرية وأعمالها وثورها وموانئها ،
 والبلاد الشامية وثورها وحصونها وقلاعها وسواحلها وموانئها ، والمملكة الحمصية
 وبلادها وأعمالها وقلاع الدعوة^(١) وبلادها وأعمالها ومملكة ضهيون وبلاطنس ، وجبل
 واللاذقية وما أضيف / إلى ذلك ، والمملكة الحموية وبلادها وأعمالها ، والمملكة الحلبية
 وأعمالها وبلادها ، والفرائية وبلادها وأعمالها ، والفتوحات الساحلية ، وبلاد حصن
 الأكراد وبلادها وأعمالها ، وما هو داخل فيها ومنسوب إليها ومحسوب منها ، حين استقرار
 ٣٩ هذه الهدنة ، من بلاد وقرى ومزارع ومراج وأراض وأبراج وطواحين // وغير ذلك ،
 ومملكة صافينا وبلادها وأعمالها وقراها وأسوارها ، وما استقر لها وانضاف من القرى
 والبلاد إلى آخر وقت ، وميعاز وأعمالها ، والعريمة وأعمالها ، وما هو مستقر لها ومنسوب إليها ،
 وجلبا وأعمالها ، وعرفا وأعمالها وطيبوا وأعمالها ، وقلة حصن الأكراد وأعمالها وبلادها ،
 والقليعات / وأعمالها وبلادها ومرقية بكملها وبلادها ، وما وقع الإتفاق عليه في مناصفات
 بلاد المرقب ، وكل ما تضمنته الهدنة معهم المستقرة في الأيام المنصورية ، وكل ما في هذه
 البلاد القريب منها والبعيد ، والجناد ، والجاور وغير ذلك من عامر ودائر ، وسهل ، ووعر ،
 وبر وبحر ، وموان وسواحل ، وما هو في هذه البلاد من // طواحين وأبراج وبساتين
 ٤٠ وأنهار ومياه وشجريات ودخل^(٢) ، وكل ما سيفتحه الله على يد مولانا السلطان الملك
 المنصور ويد ولده السلطان الملك الصالح ، وعلى يد مقدسي جيوشه وعساكره : من حصون
 ومدن وقلاع وقرى وما يتخلل ذلك من سهل وجبل وعامر ودائر وأنهار وبساتين وموان
 وسواحل وبرور ، / وعلى أنظرطوس الجارية في يد بيت الديوية ، وعلى بلادها المستقرة
 إلى آخر وقت عند استقرار هذه الهدنة المباركة وما انضاف إلى بلادها من بلاد العريمة

(١) قلاع الدعوة : أي قلاع الاسماعيلية .

(٢) الدخل : من معانيه الصهرج يجمع فيه الماء .

٤١ وميَّمار بمقتضى الهدنة الظاهرية^(١) التي تُحِلُّ الأمر على حكمها . وهى سبعة وثلاثون ناحية على ما فُصل في الهدنة ، على كل ما تحويه بلاد مولانا السلطان جميعها ، من المقدم أفزير كليم ديباجوك // مقدم بيت الديوية ومن سائر الإخوة بأنطراطوس من جميع الحيالة والتركيكية^(٢) والفرسان ، وسائر أجناس الفرنجية لا يتخطى أحد من أنطراطوس وبلادها ومينائها وسواحلها إلى بلاد مولانا السلطان الملك المنصور وبلاد ولده السلطان الملك الصالح ولا إلى قلاعها ولا إلى حصونهما ولا إلى بلادها ولا إلى أراضيها ، ما عين في الهدنة وما لم يعين / وتكون أنطراطوس وبلادها المعينة في الهدنة ، ومن بها من الإخوة والفرسان والرعايا وغيرهم القاطنين والمتردين آمنين مطمئنين من مولانا السلطان الملك المنصور ، ومن ولده ومن عساكرها^(٣) ومن هو داخل في حكمها^(٤) ، لا يتخطى أحد إلى أنطراطوس ولا إلى بلادها ولا رعاياها بمكره ولا غارة ، إلى إنقضاء الهدنة وعلى أن المنوعات تستمر على قاعدة // المنع ، وعلى أنه متى انكسر مركب أو انعاب من بلاد مولانا السلطان ومن المتردين إليها وغيرها من سائر البلاد والأجناس والناس ، في ميناء أنطراطوس وسواحلها وبرورها^(٥) الداخلة في هذه الهدنة يكون كل من فيها آمنين على النفوس والأموال والتاجر والبضائع والرجال . فإن وُجد صاحب الذى إنكسر أو إنعاب يسلم إليه / مركبه وماله ، وإن عُدِم بموت أو غرق فيحتفظ بموجوده ، ويسلم لنواب مولانا السلطان . ويكون هذا الحكم لما ينكسر في بلاد مولانا السلطان من مراكب أنطراطوس وعلى أنه لا تجدد في بلاد أنطراطوس المعينة في هذه الهدنة قلعة ولا بُرج ولا حصن ولا ما يتحصن به من حفر خندق ولا غير ذلك // .

٤٢

٤٣

(١) الظاهرية : نسبة إلى الظاهر بيبرس .

(٢) التركيكية : من جميع الحيالة والتركيكية والفرسان وسائر أجناس الفرنجية . ورد هذا التعبير عدة مرات فيما بعد . والتركيكي مفردة ، ومعناها أصحاب الصنعة . ودية الفارس ١٢٠٠ درهم صورية والتركيكي ٢٠٠ درهم والفلاح مائة دينار . الفارس بفارس والتركيكي بتركيكي والتاجر بتاجر والراجل براجل والفلاح بفلاح .

(٣) عساكرهما . في الأصل : عساكرها .

(٤) حكمهما . في الأصل : حكمها .

(٥) برورها . في الأصل بروزها .

ذكر إمساك ملك الكرج^(١) والظفر به بقوة الله تعالى

في هذه السنة بلغ مولانا السلطان أن ملك الكرج^(١) قد خرج من بلاد ليحضر إلى القدس الشريف ويعود ولا يعلم به أحد وهو من محالقي التتار^(٢) ومشايعهم ومتابعيهم وإسمه توتا سوطينا بن كلياري وهو^(٣) مجروح بنشاب/في رقبته، وفي يده اليمن حلقة ذهب. وتقدير عمره أربعون سنة، مصفر اللون، أسود العينين، ضيق الجبهة. وإسم بلده حصود^(٤). وكان ركوبه من ساحل بوط^(٥) ورفيقه طيغاً بن أنكوار^(٦). وصفته: مدور الوجه، يكسر على عينه اليمن والشمال، طويل اللحية، شقراء بجمرة غليظ // القطعة طويل القامة. ٤٤

فلوقت سائر مولانا السلطان إلى كل مكان، وحفظه عليه. وصار لا يحضر إلى جهة إلا والأخبار ترد إلى مولانا السلطان بأمره. فلما وصل القدس الشريف أمسك هو ورفيقه وترجمانه، وهو صاحب أبحاز^(٧). وأحضر إلى الديار المصرية فاعتقل بها، فكان

(١) الكرج *Kurdj* (ومنها جورجيا) وهي بين جبال القيق من الشمال وأرمينية وأران من الجنوب واسمها مشتق من نهر الكبير (*Cyrus*) وهي إقليم القوقاز الآن.

(٢) التتار: غير موجودة بالأصل، إضافة بعد كلمة (محالقي).

(٣) اسمه... توتا سوطينا بن كلياري وصحته «توما سوطا *Touma-Souta*» بن كلياري *Kaliari* والمقصود بهذا الاسم أحد كبار الكرج إذ المعروف أن ملك تلك البلاد إبان ذلك هو ديمتري الثاني *Dimitri II* الذي امتد عهده من ١٢٦٩ - ١٢٨٨ م.

انظر: Allen: *A History of the Georgian People* p. 118.

بلغ السلطان أن ملك الكرج توما سوطا بن كلياري خرج من بلاده ومعه رفيق له اسمه طيغاً ابن أنكوار يريد زيارة القدس سراً فحفظت عليه الطرقات من كل جهة فلم يصل إلى موضع منذ خرج من بلده إلى أن قدم القدس إلا ويصل خبره وهيئة حاله إلى السلطان فقبض عليه بالقدس وأحضر إلى قلعة الجبل هو ورفيقه واعتقلا.

(السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧١٠)

(٤) حصود: ربما كانت جفكيتي.

(٥) بوط: ميناء على البحر الأسود تعرف الآن ببوطي.

(٦) طيغاً: طيغاً بن أنكوار هو طيغيان بن أنكوار.

(٧) اسم ناحية في جبل القيق المتصل بباب الأبواب وهي جبال صعبة المسالك وعرة لا مجال فيها للتخيل يسكنها الكرج من النصارى.

المذكور / أكبر معين على المسلمين ، وأشد الكفار في قتالهم ، وأعظمهم نجدة للنتار
فكفى الله شره وأباده .

وفي هذه السنة حضرت رُسُل الدعوة ^(١) المسيرون إلى صاحب سِيسَ من جهة نواب
الدعوة وصحبتهم القَرَار عليه لمدّة سنتين ، وأحضروا من جهته أحد عشر ألف درهم وستائة
درهم رَسْمًا عليه للدعوة . وحملت // إلى الخِزَانة الشريفة . ٤٥

ثم استهلّت سنة إثنيتين وثمانين وستائة .

ففي يوم الخميس مستهلّ المحرم وصل السلطان الملك المنصور صاحب سخّاءة إلى خدمة
السلطان بالقاهرة . وركب مولانا السلطان لتلقيه على العادة في الخير والإحسان : وأنزله /
بمناظر الكُتُب على عادته ، وأكرم وفادته . وحلت إليه الإقامة على إختلافها من كل
شيء يليق إكرام مثله بمثله ، ممّا يحسن ويَجْمَل بكرم أصله وعظيم تجلّته وشمل ذلك كل
من حضر معه من أمرائه وخواصّه والملوك من أهله . ولما استقرّ قدّم جُملّة من الخيول
المسوّمة ، والأقشّة والأمتعة وكل شيء // حسن ، فقبّل ذلك منه ، واستمّل خاطره
بكل شيء ، وبقي في خدمة مولانا السلطان في كل ركوب ونزول ، وحضور
وحلول . ٤٦

ولما توجه مولانا السلطان إلى جهة البحيرة لحفر الخليج المعروف بالطيرية ^(٢) توجه في
خدمته ، وحضر العمل بنفسه وبأصحابه ، وعاد في خدمة مولانا السلطان إلى القاهرة ،

(١) رسل الدعوة . كان المراد رسل الاسماعيلية ، وكانوا في بعض قلاع الشام .

(السلوك ج ١ ص ٥٥٠)

(٢) كانت ترعة الطيرية تخرج من النيل قرب قرية مسماة بهذا الاسم وهي الآن ترعة الحاجر .

وهي قرية تعرف بهذا الاسم إلى الآن ، تابعة لمركز كوم حمادة بمحيرة .

ثم / بالإِنعام والخلع الثمين له ولأخيه ولولده السلطان الملك المظفر ، ولأمرائه ولجميع أصحابه
وحمل إليه جُملاً^(١) من التحف والذخائر العظيمة . وتوجه محبوا محبوراً فرحاً مسروراً ، في يوم
الاثنين رابع صفر ، بعد ما شُرف بالخلع مراراً هو ومن معه . وحمل إليه في مجلس واحد
مائة ألف وعشرون ألف درهم ، غير ما أعطى // من الخيول بالسروج المصوغة في يوم ٤٧
لعاب الكرة له ولمن معه جملةً من عراب الخيل وجيادها .

ذكر توجه مولانا السلطان

هو وأولاده وجميع العساكر إلى جهة البحيرة لحفر البحر المعروف بالطيرية
وذلك لعمارة البلاد وشمول منفعتها .

ولما استقر مولانا السلطان هذه المدة بالديار المصرية لم تشغله مصلحة عن مصلحة ،
ولا بعيد عن قريب ، ولا نازح عن دانٍ فما زال يفكر في مهمات بلاد البحيرة ، وأنها
كانت في الزمن الأول مستغل الديار المصرية وميرتها وأن الشراق والبور والخرس^(٢)
استولى عليها ، وصارت مراعى لجمال العربان // ولمواشيهم وأهملت . وحُدث بمحدث هذا
المكان المعروف بالطيرية ، وأنه قد عُمى واستدّ على طول الزمان ولا بقي يقدر على عمله
واللارعية ، وأنه متى عمل على التراخي لم يفرغ منه في سنة ، فيجىء النيل وهو لم ينبز
فيتربى الطين فيه وتبطل المصلحة . فسير إلى ولاية الوجه البحرى بإحضار الرجال
والعمالين / والأبقار . فواعدهم على الخروج بنفسه السكرية وعساكره . فخرج وصحبته الملك
المنصور صاحب كحاة - كما ذكرنا - والملوك أولاده ، وجميع الأمراء والخواص ، والجنود
والجيوش . وتوجه في خامس الحرم ، فوصل إلى المكان في يوم الخميس ثامن . وفي
الوقت باشر العمل بنفسه ، والركوب بنفسه ، وقسم العمل على جميع الناس ، بالقصبة . //

(١) « حمل إليه جملاً » ضبط في الأصل (حمل) بالبناء للمفعول والواجب على هذا « حمل » بالرفع .

(٢) الخرّس : هى الأرض التى لا تثبت كما فى التاج .

٤٩ واجتمع كل أمير وكل مقدّم بجماعته ومماليكه . واستأجروا جماعة قصداً منهم في المسابقة وإظهار الجمة والنهضة . وبذل السلطان العطاء والافتقار والإحسان . وعملت المطعومات لجميع من يباشر العمل المختص بمولانا السلطان . وباشر العمل بنفسه وبالسلاطين وأولاده ومماليكه الخواص . وكانت من الأيام / المشهودة من اجتماع العالم والرهج بالطباخانة عند كل مكان . وحضرت مغاني العرب وغيرهم من كل جهة . فنجز العمل في أسبوعين مدة . فكان ما عمل في مدة عشرة أيام ستة آلاف وخمسمائة قصبة طولا ، وثلاثة أقصاب (١) وأربعة عرضاً ، وقصبتان وأكثر نزولا على قدر الأماكن . وعاد في يوم الأحد ثامن // عشر الحرم . وأعطى العساكر دستوراً ليتوجهوا إلى إقطاعاتهم . ووصل السلطان إلى قلعته في يوم الأربعاء حادى وعشرين الحرم . وبلغ الله بعمل ذلك المنافع ، وروى الشراقي . ورغب الناس في الحضور إلى الزرع فجاءوا من كل جهة . وعمرت بذلك بلاد واتسعت مزرعات . وذلك ببركة هذه الحركة الطيبة / .

٥٠ وفي هذه الأيام حضر الملك المنصور صاحب كحاة إلى خدمة مولانا السلطان بدمشق . وذلك في سادس وعشرين جمادى الآخرة . وأكرم على العادة ، وخدّم وشرف بأنواع التشاريف له ولمن معه . وعاد إلى مملكته في تاسع شهر رجب من هذه السنة . وشرع مولانا // السلطان في الخروج إلى جهة المَرْج والإقامة به ، والصيد وبذل الخلع والإنعام . فعمت هباته ومعروفه جميع الناس ، وما بقي من لا وصله إنعام أو بر وأقام كذلك مدة مقامه في الشام وخروجه إلى متصدياته في عدة جهات .

(١) في السلوك (ج ١ قسم ٣ ص ٧١٢) : وثلاث قصبات عرضاً وعمق أربع قصبات .

وفي تاريخ ابن الفرات (ج ٧ ص ٢٦٠) أن عمقه أربع قصبات بالقصبة الحماكية ، وكان يجازه في عشرة أيام .

ذكر فتوح قلعة قطينا^(١)

من يد العدو الخذول

وفي هذه القلعة ثغر عظيم ، وحصن حصين ، كان في الزمان الأول محسوباً من جملة قلاع آمد ، ثم صارت في يد ملوك الروم ، ثم صارت إلى العدو الخذول وفيها نوابهم ، وهي مقاعد قتالهم . وما أخذ بمحاصرة قط ، وما كان على حصن كركر^(٢) أضر ولا أضرى منها // ومنذ عاد الملك إلى مولانا السلطان ما برح مفكراً في هذه الثغور وإضعافها ومضايقتها واستمالة من بها . وبقى النواب تارة يلاطفونهم ويخاسنونهم ، وتارة يخاشنونهم ، ومرة يرهبونهم ، حتى تحقق خلوه من غلة . فجرد إليها من أجناد كركر نحو ، من مائة راجل بالنوبة فنارلوها / واحترزوا عليها لقر بها منهم ، ولأنها على جانب الفرات من بر الشرق . فلما أبصر أهلها المضايقة وتحلى العدو عنهم ، وأنهم ما بقي لهم من ينجدهم ، وأقاموا مدة بالثغر يأكلون الجلود لعدم القوت ، فما وجدوا سبيلاً إلا طلب المراحم الشريفة السلطانية . فحصلت الإجابة إلى ذلك . وتسلم نواب مولانا // السلطان الثغر منهم في يوم الخميس التاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة . وجردت جماعة من كركر إليها وطلبت لهذا الثغر من كل ثغر جماعة من الرجال ؛ مثل البيرة وعينتاب والراوندان يحضرون للإقامة في هذا الثغر ، (وجهز لهذا الثغر كل ما يحتاجه من العدة والغلة والزيت / والنشاب والطوانت^(٣) والرماح وغير ذلك من العدد والآلات . وشرع في الاستخدام لهذا الثغر من يحفظه من الرجال الثقات الأمناء الشُّطار لأجل الغارات على آمد والسويدا وغيرها . وسيرت التشاريك لأكابرها ، وجعل من الدراهم لإرضائهم . فاعتمد جميع ذلك . وكثرت الغلات

(١) قطينا : كذا في الأصل والصواب قطينا . وكانت هذه القلعة في الزمن الأول محسوبة في جملة قلاع آمد ، ثم صارت في يد ملك الروم ، وصارت في يد العدو الخذول من التتار وفيها نوابهم وكانت مضررة لقلعة كركر والثغور المجاورة لها . (تاريخ ابن الفرات ج ٧ ص ٢٧٢)

(٢) حصن كركر : على الضفة الغربية للفرات وهو يقع في مكان مرتفع .

(٣) الطوانت : ضرب من السلاح .

٥٤ في هذا الحصن // وجهاز المجردون ونفق (١) فيهم سلف شهرين من جامكية (٢) وجراية .
وجهزت خزائن السلاح لهم من دمشق والزردخات (٣) من جنويات وقسى وسيوف
والنشاب والحبال وآلات المنجنيقات (٤) والمنجنقية والسرباقات وغير ذلك من كل صنف .
واستقرت من حصون الإسلام المانعة / وذخائرهم النافعة ، ومقاعد قتالهم الجامعة .

ذكر فتوح ثغر الكختا (٥)

واستنقاذه من أيدي الكفار

٥٥ هذا الحصن من أعظم الحصون وأشمخها ، وأسمقها ، وأحصنها ، وأتقنها ، على
صخر شاهق في الهواء ، لا يلحقه رام ، وإذا رمى من تحته رام // لا يصل سهمه إلا إلى
بعض الصخر . وهو من سائر جوانبه حصين . وله باشورة لاصقة به . وبه دار
لنائب السلطنة الذي يحكم في هذا الثغر . وحوله آدر وطيّارات وشبايك تطلّ
على القلعة . وبها بيوت ومساكن نحو سبعين مسكناً وهو ثلاث طبقات : طبقتان
مقبية (٦) وطبقة مسقوفة / . وبها أمكنة الزردخانات فسيحة وسيدة . وبها أهراء
الغلة مقبية . وبها صهاريج عظيمة المياه . وعدة الأبرجة (٧) إلى القلعة والباشورة
ستة أبرجة . وعشرة بدّئات (٨) ، طول البدنة ثمانية عشر باعاً ، يُغلق على الجميع باب صغير

(١) نفق فيهم : كذا في الأصل . والمراد : أنفق وهذا الفعل يستعمل ثلاثياً في هذا العصر .

(٢) جامكية : أي مرتبات .

(٣) الزردخات : الضواب : الزردخانات ، وزردخانه *Zarad-khānah* وتسمى السلاح خاناه . ومعناها
بيت السلاح والمراد السلاح نفسه .

(٤) آلات المنجنقات : والمنجيق هو آلة تقذف بها الحجارة أو الحديد أو القذور المصنوعة
من الفخار أو من الزجاج تملأ بالنفط والزرنينخ والأفيون .

(٥) الكختا : وهو حصن بالقرب من كر كر على الشاطئ الغربي للفرات . وهو من أمنع الحصون وأعلاها

(٦) مقبية : كذا في الأصل . والواجب : مقبستان .

(٧) أبرجة : كذا في الأصل ، وهو جمع برج على غير قياس .

(٨) بدّئات : جمع بدنة .

٥٦ عال عن القلعة بنحو عشرين درجة في الصخر، ثم ينزل إلى القلعة // الكبرى؛ وطولها من تحت القلعة إلى آخرها المسماة القلعة الجديدة مائتان ^(١) وخمسون باعاً. وبها بيوت ومساكن نحو مائتين وسبعين بيتاً ومسكناً وهي ثلاث طبقات أيضاً: مقببة طبقتان ومسقوف ^(٢) واحدة؛ والجميع على الصخر العالي الشاهق ليس له قرار، في واد عميق فيه الماء. ومنه ينزل سراب ^(٣) إلى / قبو معمول بأبرجة وشراريف، نحو أربعائة وسبعين درجة ينزل إلى الماء، ويغلق عليه بابان. وفي أول المدينة التي من تحت القلعة برجان، وفي آخرها برجان وبدنات طوال الشراريف، وعدة الشراريف من تحت القلعة إلى آخر القلعة مائتان وخمسون شرافة من حد الغرب، وكذلك في الشرق. ولهذه القلعة // دركاه ^(٤) بثلاثة ^(٥) أبواب، وبابها يفتح إلى الشمال، وداخل الدركاه زردخانة. ٥٧ ثم تخرج من الباب الذي للدركاه طالباً النزول إلى أسفل: إلى حوش لاصق بالقلعة على صخر بخندق نحو عشرة ^(٦) باعات، وستة أبرجة وسبع بدنات، ويغلق عليها بابان. ولها جسر يخرج منه إلى الربض التحتاني.

ولما كانت هذه القلعة على هذه الصورة في الحصانة والقوة، وأنها في صدر الكفار على هذه الصورة، اشتدَّ عمل مولانا السلطان على تحصينها، وبالغ في ذلك بكل ممكن. فتقدم إلى النواب بالعمل عليها، والوعود الجميلة لمن بها. إلى أن قامت جماعة بها وانفقوا على قتل الشجاع موسى النائب بها، وإقامة شخص عوضه يسمى بدر الدين. // وعند ٥٨

(١) مئتي: كذا في الأصل: والصحيح «مائتين».

(٢) مسقوف: كذا في الأصل. والواجب: مسقوفة.

(٣) سراب أي سرداب، وهو السرب.

(٤) البدنة badanat ستائر (في التحصينات) وهي تستخدم في الفارسية وربما كانت من أصل عربي. أما dargāh دركاه ففارسية ومعناها: حوش القصر.

(٥) في الأصل ثلاث.

(٦) عشر باعات: كذا في الأصل.

ذلك جَهَّزوا ثلاثة أنفار^(١) إلى النائب بحلب المحروسة، منهم أخو الوالي . فتقرر الحال على إقطاعات وتشاريف وجمل من المال ، وإنفاذ زردخانات وذخائر تكون في القلعة . وتوجه لتسليمه الأمير جمال الدين الصروي^(٢) ، والأمير ركن الدين بيبرس السلاح دار ، والأمير شمس الدين أقش الشمسي / العينتاي ، ومعهم التشاريف والخلع والخزانة والخيل . وتوجه من يحلفهم خلفوا مولانا السلطان الملك المنصور ولولده السلطان الملك الصالح ، وتسلم الحصن المذكور وسير الذين كانوا به ليضمنهم الإغنام جماعة بعد جماعة ، فحضرُوا وأحسن مولانا السلطان إليهم ، وأقطع منهم من يستحق الإقطاع // وجَهَّز إليها الزردخانات والآلات من كل شيء وسيرت إليها الرجال ، وجَهَّز إليها النائب من الأبواب الشريفة السلطانية وذلك في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وستائة .

واستمرت غصة في صدور الكفار وشجاً في حلوقهم . وصارت هذه القلاع - وهي كركر وقطينا والكحختا - متأنسة / بعضها ببعض والكلمة واحدة ، والعزائم متساعدة وثُلث وطأة هذه الحصون على بهسنا وعلى صاحب سيس وعلى الروم وعلى كل جهة . ورتب مولانا السلطان لهذه الحصون ما تدعو حاجتها إليه من غلات وذخائر وزردخانات ورجال . وصارت النصرة منها متجاوبة ، والغارات على الأعداء راتبة والحمد لله على هذه // التي حكمت كلمة الإسلام في حصون العدو المخدول ، وقررت إليها خطو كل نصر مأمول ، وحصل منها بجميل التدبير ما لا كان يحصل مثله بمحاصر ولا نزول ، والفتوحات تهيئاً إن شاء الله وتكون الأول فالأول وبذلك إن شاء الله تعالى الجميع إلى حكم مولانا السلطان يثول ومن الله التوفيق /

ذكر الاغارة على بلاد سيس

من جهة المملكة الحلبية وما جرى فيها .

كان مولانا السلطان قد رسم للنائب بحلب بالتوجه بوجه الغارات إلى بلاد سيس ،

(١) في الأصل « ثلاثة نفر » وهو لا يستقيم والصحيح ما أثبتنا .

(٢) كذا في الأصل وفي تاريخ ابن الفرات ج ٧ ص ٢٧٤ « الصرصرى » .

نكائية في حق صاحبها ليفون^(١) ، لما إرتكبه في حلب - كما ذكرنا - من / العدوان على جامعها بالإحراق وغير ذلك . فركب العسكر المنصور إليها من حلب . فلما كان ثالث وعشرين^(٢) // صفر من هذه السنة وصل كتاب النائب بحلب - وضمنه كبار الأمراء الجردين إلى سيس - بأنهم توجهوا إلى بلاد سيس ودخلوها بالسيف وقصدوا مدينة أياس^(٣) ، فوجدوا أهلها قد تحصنوا بها . وذلك في ليلة الأحد عاشر صفر . وبقيت رجالهم ومقاتلتهم بظاهر المدينة يمانعون عنها ويحامون . فحملت العساكر المنصورة عليهم / فكسرتهم وحشرتهم إلى المينا ، وقتلوا جماعة على الباب وحصروهم هناك . وعاث العسكر في المدينة فتمبوها وخرّبوها جميعها . وباتوا بالقرب من هناك ، وأصبحوا عازمين على الخروج . فلما كان يوم الإثنين وصلوا إلى قريب المنقب ، وكانوا قد سيروا كشافة ، فحضرت الكشافة وقالوا : إنهم شاهدوا سواداً عظيماً // من جهة تل حمدون . وكان أولئك العسكر قد وصلوا إلى باب إسكندرونة^(٤) : وكان في الساقة الأمير جمال الدين الصروي ، والأمير شهاب الدين مروان ، والأمير سيف الدين بلبان الصروي وجماعة ، فتوقفوا ليحققوا صورة الحال . فإذا عسكر سيس قد أقبل يطلب العسكر ، فاحتزوا ووقفوا بالقرب من باب / الإسكندرونة ، وتناوشوا القتال . فكسروهم المسلمون بقوة الله تعالى . وإقتلوا جماعة من خيالتهم ، وساقوا

(١) ليفون بن التكنورهيثوم بن قسطنطين بن باسال ملك الأرمن واسمه الملك ليون (Leon III)، الثالث وقد امتد حكمه من ١٢٧٠ إلى ١٢٨٩ م (٦٦٩ - ٦٨٨ هـ) .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) مدينة أياس من بلاد سيس أو سيسية في أرمينية .

(٤) الاسكندرونة : قال ياقوت هي مدينة في شرق أنطاكية على ساحل بحر الشام بينها وبين بفراس أربعة فراسخ وبينها وبين أنطاكية ثمانية فراسخ . وقال صاحب تاريخ سوريا « إن مدينة الاسكندرونة الآن ليست بذات أهمية على أنها لو وقعها فرضة حلب أمست تجارتها في رواج وفيها كثيرون من الأجانب وتم عليها أكثر البواخر التي تأتي الموانئ السورية وهي تابعة لقضاء بيلان . أما مناخها فغاية في الرداءة وفيها قناصل لأكثر الدول الأجنبية وهي قائمة حتى اليوم على خليج باسمها معدودة ضمن ولاية حلب وهي على مائة وعشرين كيلو مترا منها جهة الغرب » . وهي تابعة الآن لتركيا .

٦٣ خلفهم إلى البيئات ^(١) إلى تل حمدون . وأمنى الوقت ، فوقف العسكر ، وتبعت فرقة من العسكر جماعة من الأرمن ، فوقعوا على طُلب ^(٢) من الأرمن تقدير خمسمائة مقاتل . فلما رأوهم وراء أصحابهم منهزمين انهزموا . وذلك // بعد العشاء الآخرة . وبات العسكر على باب إسكندرونه وأصبحوا يوم الأحد مطالبين متطالبين وكان الأرمن قد بلغتهم حركة العسكر المنصور من مدة عشرة أيام . فجمع ليفون صاحب سيس وحشد واستعان واستخدم وأمسك في جملة من أمسك رجل كبير من أصحاب صاحب سيس في هذه النوبة/، فقال أنهم كانوا عشرة آلاف مقاتل . وضربت رقبة هذا الأسير . وضربت رقبة شخص فقال : أنا أمير كبير لا تفرطوا في . فما التفت على قوله . ووصلت الغيارة إلى نهر جهان ولما خرجوا صادفوا بعض عسكر للأرمن فقتلوه ؛ وأخذوا خيلهم وتبعوهم مسيرة نصف يوم وغادت العساكر المنصورة بالغنى والغنائم . ولم // يعدم أحد من العسكر المنصور .

٦٤ وفي يوم الخميس سادس عشرين شهر ربيع الأول جلس مولانا السلطان بدار العدل الشريف بقلعة الجبل ، وحضر الأمراء والأكابر والقضاة والأئمة - وكل من جرت عادته بحضور دار العدل الشريف . ونودي في القاهرة ومصر بأن من كانت له شكوى فليحضر . فحضر/ الناس ، وقرئت القصص بين يدي مولانا السلطان . وأمر فيها ونهى ووقع عليها وعلم في وقته . وسلمت لأربابها . ورفعت إليه شكوى المتظلمين فقرئت عليه ، وكشفها بنفسه ، وتحدث فيها بعدله وإنصافه . وعمت البركات وأنصف كل أحد من نفسه ، ومن كان له غريم أرضاه . وكل أمير رفعت // فيه قصة أعطيت له وأمر باعتماد الحق فيها والإنصاف . وانفصل هذا اليوم على حسنات وإحسان ، وخيرات حسان .

ذكر توجه العسكر المنصور

إلى جهة الكرك ومضايقتها

قد ذكرنا جميل اعتماد مولانا السلطان مع ذرية المرحوم الملك الظاهر وما عاملهم /

(١) من غير تقطاف الأصل . وفي المنهج السديد لابن أبي الفضائل « بهسناه » ص ٥٣١

(٢) طلب : وهو الكتيبة من الجيش وجمعه أطلاب (النجوم الزاهرة - ص ٧ ص ٨٩١) .

به من جمع شمل ، واجتماع أهل ، وما كان تقرر مع الملك المسعود بن الملك الظاهر من صلح وسكون حال ، واستقرار أمر ، وإنفاذ أخيه سلامش ^(١) وولد الملك السعيد إليه ، وجماعة من أخواته ووالدته ومن يتعلق بهم ^(٢) . فما كان بأكثر من أن حصل لهم الأمن والطمانينة ، وحملت إليهم حمول أملاكهم من الشام ومصر // وهى خزائن أموال ، شرعوا ٦٧ في الأمور الأول ، وفى أثناء الحال حضر الأمير علاء الدين أيدُ غدى الحراى نائب السلطنة بالكرك ، وكان حضوره فى (العشر الأول من شهر ربيع الأول من السنة) ^(٣) فتحدث بما هم عليه من أمور فاسدة ، وأحوال متضادة وذكر أشياء غير واحدة ، وكتب مولانا السلطان وهو ينهى عن تلك الأمور ، / ويصبرهم بعواقب البغى الذى منه سياء المحافظة تمور ، فما ازداد الأمر منهم إلا عناداً ، والمواثيق إلا فساداً . هذا ومولانا السلطان ينذرهم ، وبالله ينشدهم . فلما زاد أمرهم واستفحل ، جرد مولانا السلطان عسكرياً قدم عليه الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح . فتوجهوا فى ثالث شهر ربيع الأول من هذه السنة // فتوجهوا فى صورة ٦٨ منازلين لامضايقين ، لعلهم أن يرجعوا ، وأمره بأن يعظمهم ليسمعوا ، فوعظهم وخوفهم فما سمعوا . وأظهروا العناد والمشاقة ، وما أصغوا إلى الحاققة . فأقام العسكر بتلك الجهات مدة ومتجرّمهم ينزلون ويفتكون ، ويتحشون ثم يشتكون . ومولانا السلطان ينتظر منهم إنابة ، وإلى خير إجابة . فلما / زاد الاعتداء منهم ، رعت العساكر ماحولهم من زرع ، وداموا على المنازلة إلى حيث توجه مولانا السلطان إلى الشام ، وسير ، طلب جماعة منهم ، وجرد جماعة فى جهة الشوبك من العسكر المنصور ؛ على ماسيدكر .

(١) اسمه الملك بدر الدين سلامش ، مات بالقسطنطينية سنة ٦٩٠ هـ وأحضر فى تابوت مصر ودفن بقرافة مصر .

(٢) كان سبب إخراج الملك المسعود والملك العادل بدر الدين سلامش أن السلطان الملك الأشرف تولى منهما « أوهماً أخطرت بباله إبعادهما عن البلاد الإسلامية وإخراجهما من الديار المصرية فأخرجهما ووالدتهما معهما » .

(٣) بياض بالأصل وما بين القوسين زيادة عن ابن الفرات ص ٧ ص ٢١٠

هدنة عكا

٦٩

وفي هذه السنة أجاب مولانا السلطان مسألة أهل عكا^(١) ، عندما // تكررت رسالهم إلى خدمته في الشام ومصر ، بسبب الصلح ، ومنعهم من الحضور في البر ، وأنهم لا يحضرون إلا في البحر إن أرادوا الحضور ، فحضرُوا في البحر . وآخر الأمر أنهم نزلوا على حكمه بعد أن كانوا اشتطوا عند انقضاء الهدنة الظاهرية .

ولما كان في صفر^(٢) من هذه السنة حضرت رسالهم وأكابرهم ، وعقدوا الهدنة ، وحلف مولانا السلطان عليها بحضور رسل الفرنجية / وهم نفران من بيت الديوية إخوة ، ونفران من بيت الإسبتار إخوة ، ومن الملوكية فارسان كليام والى الولاة ، والوزير فهد ، وهى :

استقرت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين وعلي — خلد الله سلطانهما^(٣) — // وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها التى انعقدت عليها^(٤) هذه الهدنة . وهم السنجال^(٥)

٧٠

١٢٨٢

(١) في خامس ربيع الأول سنة ٦٨٢ هـ (٣ يوليو ١٢٨٢ م) استقرت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدين أبى الفتح قلاوون الملك الصالحى وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين على وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها التى انعقدت عليها الهدنة وهم : السنجال أود كفيل المملكة بعا وحضرة المقدم الجليل إفربر كليام ديبا جول مقدم بيت الديوية والمقدم إفربر نيكول للورن مقدم بيت الاسبتار والمرشان الأجل إفربر كورات نائب مقدم بيت الاسبتار الأمن لمدة عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشرة ساعات أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة النبوية ، الموافق للثالث من حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربعة وتسعين لاسكندر ابن فيلبس اليونانى .

(السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٩٨٦) ، صبح الأعشى ج ١٤ ص ٥٢ .

(٢) ولما كان في صفر من هذه السنة حضرت رسالهم وأكابرهم وعقدوا الهدنة : هذه العبارة ناقصة في الأصل أضيفت فى هامشه .

(٣) « سلطانهما » كذا في الأصل : فى صحيح الأعشى « سلطنتهما » .

(٤) زيادة من الصحيح .

(٥) السنجال : هذا اللفظ ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (*sénéchal*) المأخوذة من اللفظ اللاتينى (*senescallus*) والجرماني *siniscale* وهو الأقرب إلى لفظ السنجال ومعناها هنا النائب — أو الكفيل ، على حد التعبير العربى فى ذلك العصر — المقصود به أودوبولشيان (*Odo Poilechier*) نائب المملكة بعا .

أود ، كفيل المملكة بعكا ، والمقدم إفريز كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية ، والمقدم
 إفريز نيكول للورن^(١) مقدم بيت^(٢) الأسبتار ، والمرشان إفريز كورات نائب بيت مقدم
 اسبتار الأمن لمدة عشر سنين كوامل ، وعشرة شهور ، وعشرة أيام ، وعشر / ساعات ،
 أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستائة للهجرة النبوية ،
 الموافق الثالث من حزيران سنة ألف وخمسمائة (و) أربعة وتسعين [لغلبة^(٣) الإسكندر]
 ابن فيلبس اليوناني ، على جميع بلاد مولانا السلطان الملك المنصور ، وولده السلطان
 الملك الصالح علاء الدنيا والدين علي ، جميع القلاع // والحصون والبلاد
 والممالك والأعمال والمدن والقرى والمزارع والأراضي ، وهي مملكة الديار المصرية
 وما بها من الثغور والقلاع والحصون الإسلامية ، وثغر دمياط^(٤) وثغر الاسكندرية ونستروة
 وسنترية وما ينسب إلى ذلك من الموانئ والسواحل والبرور ، وثغر فوة وثغر رشيد^(٥) والبلاد

(١) للورن : مقدم بيت الاسبتار ، والمقصود بهذا الاسم Fr. Nicholas Le Lorgne .

(السلوك - ١ قسم ٣ ملحق رقم ٨ ص ٩٨٥)

(٢) « الأسبتار والمرشان إفريز كورات نائب بيت مقدم » .
 هذه الجملة ناقصة في الأصل أضيفت في هامشه .

(السلوك - ١ قسم ٣ ص ٩٨٦)

(٣) زيادة من صبح الأعشى - ١٤ ص ٥٢ وفي الأصل : للاسكندر .

(٤) دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل مخصوصة الهواء الطيب
 وعمل الشرب الفائق ، وهي ثغر من ثغور الإسلام . ومن شمالي دمياط يصب ماء النيل إلى البحر الملح في
 موضع يقال له الأشتوم (الفم) عرض النيل هناك نحو مائة ذراع وعليه من جانبيه برجان بينهما سلسلة
 حديد عليها جرس لا يخرج مركب إلى البحر ولا يدخله إلا بإذن ومن قبليها خليج يأخذ من بحرهما سم
 القيلة إلى تنيس .

ودمياط ثغر من الثغور المشهورة بمصر على نهاية الفرع الشرق من النيل وكانت بلدة بحرية مهمة جداً
 فإن من كان يريد الإغارة على مصر من الروم والإفرنج احتلوها عدة مرات وأخرجوا منها وقد خربت
 في سنة ٤٦٧ هـ أيام الملك الأشرف باتفاق الممالك البحرية لمنع الإفرنج عن محاربتهم فيها ، وردم فم البحر
 الظاهر ببيرس لمنع السفن الكبيرة من العبور وهي من عافظات مصر .
 (قاموس الأمكنة والبقاع - مادة الدال والميم) .

(٥) رشيد .

كانت ثغراً من أشهر الثغور المصرية بناه العرب سنة ٢٥٦ هـ . ولما اتصلت الإسكندرية بالنيل بعد
 فتح الترعة المحمودية قلت أهمية رشيد كثيراً وفيها حصلت موقعة حربية سنة ٣٠٦ هـ بين أسطول
 المقتدر بالله العباسي وأسطول القائم العلوي ، وكان النصر للأول .
 (فهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية ص ٤٨) .

الحجازية / وثمر غزة^(١) المحروس وما معها من الموانى والبلاد ، والمملكة الكركية والشوبكية وأعمالها ، والصّلات وأعمالها ، وبصرى وأعمالها ، ومملكة الخليل صلوات الله وسلامه عليه ، ومملكة القدس الشريف وأعمالها ، والأردن وبَيْت لَحْم^(٢) وأعماله ، وبلادها وجميع ما هو داخل فيها ومحسوب منها ، وبَيْت جَبْرِيل^(٣) ، ومملكة نابلس^(٤) // وأعمالها ، ومملكة الأطرون وأعمالها ، وعسقلان^(٥) وأعمالها وموانئها وسواحلها ، ومملكة يافا^(٦) والرملة^(٧) ومينائها وأعمالها ، وأرسوف وأعمالها ومينائها ، وقيسارية^(٨) ومينائها

٧٢

(١) غزة : مدينة شهيرة بالشام على مقربة من حدود مصر ، وإسمها بالمصرى القديم « جازاتو » وفيها ولد الإمام الشافعى رضى الله عنه سنة ١٥٠ هـ وينسب إليها أبو إسحاق الغزى ، توفى فى خراسان سنة ٥٣٤ هـ .

(فهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية ص ٧٣) .

(٢) بيت لحم : بلدة بالشام ولد بها سيدنا عيسى عليه السلام وكانت تسمى قديماً Ephrata ولذلك تسمى بيت لحم أفراثة تمييزاً لها عن قرية أخرى تسمى بيت لحم زبولون فى جنوب الشام فيما بين الناصرة وعكا وغزة .

(قاموس الجغرافية القديمة ص ٢٨) .

(٣) قال ياقوت بيت جبرين : لغة فى جبرين بليدة بين بيت المقدس وغزة .

(٤) مدينة بفلسطين كانت تسمى Neapolis ولكنها كانت مشهورة أيضاً أكثر من ذلك بإسمها الأول القديم « شكيم » Sicheim ينسب إليها الإمام عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ . وبقربها قرية تسمى « جاعيل » ولد فيها تقي الدين الجماعلى صاحب « معجم المحدثين » توفى سنة ٦٠٠ هـ .

(٥) مدينة مشهورة بالشام وتسمى عسقلون فى التوراة وكذلك عند الإفرنج Ascalon وتسمى عند المصريين والآشوريين « عسكالونا » .

(٦) مدينة مشهورة على ساحل الشام وإسمها المصرى « يافو » والآشورى « يوپو » واليونانى جوبي Joppe وبه تعرف الآن عند الإفرنج ولكن المتداول بينهم هو Jaffa .

قاموس الجغرافية القديمة ص ٨٦ . وانظر : قاموس الأمكنة والباق - حرف الياء ص ١٤ . وانظر : فهرست معجم الخريطة الإسلامية حرف الياء ص ١٠٩ .

(٧) الرملة : فى أرض فلسطين قريبة من بيت المقدس ، بنيت فى عهدسايمان بن عبد الملك وقد خربت . وانظر : معجم البلدان .

(٨) قيسارية Césarée مدينة ببلاد الروم كانت كرسى مملكة آل سلجوق رهى بولاية أقطره بآسيا الصغرى ، وأخرى من بلاد السواحل الشامية ، فتحها معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عمر بن الخطاب .

فهرست معجم الخريطة التاريخية مادة القاف ص ٨٥ ، وراجع أيضاً : قاموس الأمكنة والباق مادة القاف والياء ص ١٧ .

وسواحلها وأعمالها ، وقلعة قاقون وأعمالها وبلادها ، ولد وأعمالها ، وأعمال العوجا وما معها
من الملاحه وبلاد الفتوح السعيد وأعمالها ومزارعها ، / ويسان^(١) وأعمالها وبلادها ،
والطور وأعماله واللجون وأعماله ، وجنين وأعمالها ، وعين جالوت وأعمالها ، والقيمون^(٢) وأعماله ،
وما ينسب إليه ، وطبرية^(٣) وبحيراتها^(٤) وأعمالها وما معها ، والمملكة الصفدية^(٥) وما ينسب
إليها ، وتبنين^(٦) ، وهونين^(٧) ، وما معها من البلاد والأعمال ، والشقيف المعروف بشقيف^(٨)
أرنون وما معه // من البلاد والأعمال ، وما هو منسوب إليه ، وبلاد القرن وما معه خارجا
عما عين في هذه الهدنة ، ونصف مدينة إسكندرونة ، ونصف ضيعة مارن بقراها^(٩)

٧٣

(١) مدينة بالشام إسمها القديم سكيثو يوليس Scythopolis أى مدينة السكيثيين وإسمها الأقدم في العربية
بيت شان وعنه الإسم العربي .
(قاموس الجغرافية القديمة مادة الباء ص ٢٩ ، وراجع فهرست معجم الخريطة التاريخية حرف الباء
ص ٢٩) .

(٢) في السلوك ص ٩٨٨ « وفي صبح الأعشى ج ١٤ ص ٥٢ « القيمون » .
(٣) طبرية Tibériade مدينة بفلسطين كانت قاعدة الأردن وعلى جانب عظيم من الشوكه إلا أنها
قد تحطمت وتخربت وهى على بحيرة تنسب إليها وعندما حصلت واقعة عظيمة بين الصليين وصلاح الدين
وكانت من الوقائع التى انتصر فيها المسلمون وفيها قبر نبي الله شعيب وقبر ابنته زوج الكليم موسى
وقبر ينسب إلى نبي الله سليمان بن داود ، عليهما السلام بجامعها المعروف بجامع الأنبياء ويقال إن في القرب منها
جب يوسف واسمها من اسم طيباريوس (Tiberius) أحد قياصرة الروم الأوائل ومنها أبو القاسم الطبراني
الحافظ المحدث المتوفى سنة ٣٦٠ هـ (فهرست معجم الخريطة الإسلامية ، مادة الطاء ص ٦٦ . وراجع
قاموس الأمكنة والبقاع مادة الطاء مع الباء ص ١٤٤) .

(٤) في صبح الأعشى ج ١٤ ص ٥٢ « بحيرتها » .
(٥) صفدية نسبة إلى صفد مدينة بجلال عاملة شرق مكة بإقليم صفد المسمى قديماً « الجليل »
(Galilée) أو بلاد البشرى . وفيها ولد صلاح الدين الصفدى المؤرخ الفقيه الأديب صاحب المؤلفات
العديدة المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (فهرست معجم الخريطة التاريخية ص ٦٢)

(٦) تبنين (Tebnin) وهونين (Hounin) راجع صبح الأعشى ج ١٤ ص ٥٢ « تبنين وهونين » .
(٧) شقيف أرنون من أعمال دمشق بينها وبين الساحل بالقرب من باناس ، وأرنون هنا اسم
أعجمي نسبت إليه . وهى قلعة حصينة على ليطة . وقد استعمل الظاهر فى الاستيلاء عليها حيلة غريبة
ذكرها صاحب نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٩٢ - ٩٣) وأبو الفضائل فى النهج السديد ص ١٦٤ ،
وصبح الأعشى ج ١٤ ص ٥٢ .

(٨) وفي صبح الأعشى ج ١٤ ص ٥٢ « القرن » .
(٩) في صبح الأعشى ج ١٤ ص ٥٢ « ونصف ضيعة مأرب بفدنهما » .

وكرمهم وبساتينهما وحقولهما^(١)، وما عدا ذلك (من أعمال اسكندرونة المذكورة)^(٢) يكون جميعه بمحدوده وبلاده لمولانا السلطان ولولده والنصف « الآخر »^(٣) لملكة عكا، والبقاع العزيزى / وأعماله، ومشغرا وأعمالها، وشقيف تيرون وأعماله (والعامر جميعها في لايا وغيرها وبانياس وأعمالها)^(٤)، وقلعة الصيبية وما معها من البحيرات وأعمالها، وكوكب وأعمالها، وما معها، وقلعة عجلون وأعمالها، ودمشق والملكة الدمشقية وما لها من القلاع والبلاد والممالك والأعمال، وقلعة بعلبك^(٥) وما معها وأعمالها، وملكة حصص وما لها من الأعمال والحدود، // وملكة حماة ومدينتها وقلعتها وبلادها وحدودها، وبلاطنس وأعمالها، وصهيون وأعمالها، وبرزية وأعمالها، وفتوحات حصن الأكراد وأعماله، وصافينا وأعمالها، وميعار وأعمالها والعريضة وأعمالها، وقدفيا وأعمالها^(٦) ومرقية وأعمالها، وحلب وأعمالها، وحصن^(٧) عكار وأعماله وبلاده، والقلعة^(٨) وأعمالها، / وقلعة شيزر^(٩) وأعمالها، وأفامية^(١٠) وأعمالها، وجبله^(١١)

٧٤

- (١) « حقوقيهما » في صبح الأعشى ج ١٤ ص ٥٢
 (٢) ما بين القوسين زيادة على الهامش .
 (٣) « الآخر » زيادة من صبح الأعشى ج ١٤ ص ٥٣ .
 (٤) ما بين القوسين زيادة من المصدر السابق ص ٥٣ .
 (٥) ما بين القوسين زيادة من نفس المصدر .
 (٦) بعلبك أى مدينة المعبود « بعل » عند الأشوريين والفينيقيين مدينة بالشام فيها آثار يونانية ورومانية من عصر الإسكندر المقدوني سميت (Heliopolis) أى مدينة « الشمس » خربت تلك الآثار بالزلازل التي وقعت في سنة ١١٧٠ هـ وسنة ١٧٥٠ م . ومنها قسطا بن لوقا ، من كبار نقلة العلم في عصر المأمون وبهاء الدين العاملى صاحب « الكشكول » المتوفى سنة ١٠٠٧ هـ ، وبغيرها قرية « كرك نوح » بها قبر سيدنا يعقوب عليه السلام .
 (فهرست معجم الخريطة التاريخية ص ٢٣)
 (٧) في الأصل « حصن عكا » وصوابه « حصن عكار » من عيون التواريخ ونهاية الأرب والسلوك والنهج السديد . وهو حصن مبنى على جبل يسمى بنفس الاسم وموقعه شمالى طراباس .
 (٨) القلعة : ألقاب القلاع . والقلاع وصافينا والمجدل قلاع حصن الأكراد (راجع خريطة كتاب « الصليبيون في المشرق لاستيفن سوف » . طبع كبريدج سنة ١٩٠٧) .
 (٩) شيزر (بفتح الشين المعجمة وسكون الياء) مدينة من جند حصن غربى حاب وهى ذات أشجار في بساتين وفواكه كثيرة ، ولها ذكر في شعر امرئ القيس .
 (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٣ . وتقويم البلدان ص ٢٦٣)
 (١٠) أفامية : مدينة حصينة في ساحل الشام من كور حصن ويسمى بعضهم « فامية بغير همز » (عن معجم البلدان لياقوت) .
 (١١) جبلة (Djebelah) . قال ياقوت اسم لعدة مواضع ، موضع ينسب إليه وقعة للعرب =

وأعمالها ، وأبو قيس وأعماله ، والمملكة الحلبية ، وما هو مضاف إليها من القلاع والمدن والبلاد والحصون ، وأنطاكية وأعمالها وما دخل في الفتوحات المباركة ، وبغراس^(١) وأعمالها ، والدربسك وأعماله ، والراوندان وأعمالها ، وجازم وأعمالها ، وعينتاب وأعمالها ، وتيزين وأعمالها ، وسبخ الحديد وأعماله ، وقلعة نجم وأعمالها ، وشقيف ديركوش وأعمالها ، والشجر وأعماله ، وبكاس وأعماله ، والسويداء وأعمالها ، والباب وبزاعا وأعمالها ، والبيرة وأعمالها ، والرجية وأعمالها ، وسلمية وأعمالها ، وشميميس^(٢) وأعمالها ، وتدمر وأعمالها وما هو منسوب / إلى جميع ذلك ماعين وما لم يعين^(٣) من الحكام بمملكة عكا . وهم كفيل المملكة ، والمقدم إفريز كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية ، والمقدم إفريز نيكول للورن مقدم بيت الاسبتار ، والمرشان إفريز كورات نائب مقدم بيت اسبتار الأمن ، ومن جميع الفرنج الإخوة والفرسان الداخلين في // طاعتهم وتحويه مملكتهم الساحلية ، ومن جميع الفرنج على اختلافهم ، الذين يستوطنون عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه المدة من كل واصل إليها في بر وبحر على اختلاف أجناسهم وأنفارهم لا ينال بلاد مولانا السلطان الملك المنصور وبلاد ولده السلطان الملك الصالح ولا حصونهما

= يقال له شعب جبلة وهي هضبة حمراء بنجد بين شرف وهو ماء لبني كلاب . والشريف وهو ماء لبني غير ، وجبلة أيضاً موضع بالحجاز . وجبلة قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال اللاذقية قرب حلب . وجبلة أيضاً حصن في وادي البشارة بين بطن مرو عسقلان عن يسار الذهاب إلى مكة . وجبلة أيضاً قرية لبني عامر بالبحرين . وجبلة بالكسر ، ثم السكون ذو جبلة مدينة باليمن تحت جبل صبر وتسمى ذات النهرين (قاموس الأمكنة والبقاع حرف الجيم) .

✓ (١) قال ياقوت : مدينة في خلف جبل بالسكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على عين القاصد إلى أنطاكية من حلب . وعندها ابن حوقل من بلاد العواصم ولها قلعة مشهورة في التاريخ . وقال بعضهم : إن أرض بغراس كانت لمسلمة بن عبد الملك فوقها على سبيل البر .

(٢) شميمس : الصواب شميميس (Scheumimis) .

(٣) يضيف ابن الفوات (مخطوطة في فينا > ٧) وكذلك (صبح الأعش > ١٤ ص ٥٣) بعد « وما لم يعين » وعلى جميع العساكر وعلى جميع الرعايا من سائر الناس أجمعين على اختلافهم وتغاير أنفارهم وأجناسهم وأديانهم القاطنين فيها والمترددين إليها ومنها من سائر بلاد المسلمين وعلى جميع التجار والسفار والمترددين في البر والبحر والسهل والجبل في الليل والنهار يكونون آمنين مطمئنين في حالتي صدورهم وورودهم على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وحرعهم وبضائعهم وغانماتهم وأتباعهم ومواسيهم ودوابهم وعلى جميع ما يتعلق بهم وكل ما تحوى أيديهم من سائر الأشياء على اختلافها .

ولا قلاعهما ، ولا بلادها ولا / ضياعهما ، ولا عساكرهما ، [ولا جيوشهما] ^(١) ولا عربهما ،
ولا تركمانهما ولا أكرادها ، ولا رعايتهما على اختلاف الأجناس [والآنفار] ^(٢) ولا ماتحويه
من النواشى والأموال والخلال وسائر الأشياء (منهم) ضرر ولا سوء ولا غارة ولا تعرض ولا أذية
أيديهم وكذلك كل ما يستنتحه مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك // الصالح ٧٧
على يدهما ويد عساكرهما ونوابهما من بلاد وحصون وقلاع وملك ولايات برأ وبحراً ،
سهلاً وجبلاً . وكذلك جميع بلاد الفرنج التي استقرت الآن عليها [هذه] ^(٣) الهدنة من البلاد
الساحلية وهي مدينة عكا وبساتينها وأراضيها وطواحينها وما يختص بها من كرومها ومالها
من حقوق / حولها ، وما تقرر لها من بلاد في هذه الهدنة ، وعدتها بما فيها من مزارع
ثلاثة وسبعون ناحية خاصاً للفرنج . وكذلك حيفا والكروم والبساتين والعدة بحيفا سبع
نواحي ^(٤) . وكذلك مارسا بأرضها المعروفة بها تكون للفرنج . وكذلك دير السياج ^(٥)
ودير مارلياس ^(٦) يكون للفرنج // ويكون لمولانا السلطان من بلاد الكرمل خاصاً عفا ٧٨
والمنصورة وباقي بلاد الكرمل ^(٧) ، وهي ثلاث عشرة ناحية للفرنج ، وعثليت القلعة والمدينة ،
والبساتين التي قطعت والكروم وفلاحتها وأراضيها تكون لها . ويكون لها من البلاد ست
عشرة ناحية وتكون خاصاً لمولانا السلطان ما يذكرك : وهو قرية المراميس ^(٨) بكاملها وحقوقها /
ومزارعها ، وباقي بلاد عثليت تكون مناصفة خارجاً عما للخاص الشريف ^(٩) وعما للخاص
عثليت يكون مناصفة : وهي ثمان نواحي ^(١٠) . وفلاحة الاسبتار بعمل قيسارية يكون خاصاً
للفرنج بما فيها . ونصف مدينة إسكندرونة ونصف قرية مارن بما فيها للفرنج وما عدا ذلك
يكون // خاصاً لمولانا السلطان . ومهما كان في إسكندرونة وقرية مارن ^(١١) من الحقوق ٧٩

(١) ما بين المربعين زياد : عن صبح الأعش - ١٤ ص ٥٤ .

(٢) نواحي ، كذا والاسم المعروف نواح .

(٣) دير السياج (Soñadj) . أنظر (Quatrm ; vol. II, P. 577) .

(٤) مارلياس (Mar-Elias) . انظر : المصدر السابق والصفحة .

(٥) وباقي بلاد الكرمل : أضيفت هذه العبارة على الهامش .

(٦) المراميس (Ha-âmis) .

(٧) للخاص الشريف : أى أملاك الدولة .

(٨) مارن (Marina) .

والغلة يكون مناصفة . وصيداً القلعة والمدينة والكروم وضواحيها وجميع ما ينسب إليها يكون خاصاً للفرنج ، ويكون لها من البلاد خاصاً خمس عشرة ناحية ، وما في الوطأة من أنهار ومياه وعيون وبساتين وطواحين / وقنى ومياه جارية وسكور لهم بها عادة قديمة تسقى أراضيهم يكون خاصاً لهم . وما عدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها تكون لمولانا السلطان ولولده بكاملها .

- وتكون هذه البلاد العكاوية وما عين في هذه^(١) الهدنة^(٢) آمنة من مولانا السلطان ومن ولده ومن عساكره وجيوشه (وتكون هذه البلاد المشروحة الداخلة في هذه الهدنة المباركة)^(٣) ما هو خاص وما هو مناصفة // آمنة مطمئنة ومن بها . وليس للفرنج أن يحددوا في غير عكا وعثليث وصيدا بما هو خارج عن الأسوار في هذه الجهات الثلاث سوراً ولا قلعة ولا برجاً ولا حصناً قديماً ولا مستجداً . وعلى أن شواني مولانا السلطان وشواني ولده متى عثرت وخرجت لا تتعرض لأذية البلاد الساحلية / التي انعقدت الهدنة عليها . وإذا قصدت الشواني المذكورة جهة غير هذه الجهات وكان صاحب تلك الجهة معاهداً للحكام بمملكة عكا فلا تدخل إلى البلاد التي انعقدت الهدنة عليها ولا تنزود منها . وإن لم يكن صاحب تلك الجهة التي تقصدها الشواني معاهداً للحكام بمملكة عكا فلها أن تدخل إلى بلادها وتنزود منها // وإن انكسر شيء من هذه الشواني - والعياذ بالله - في ميناء من الموانئ التي انعقدت الهدنة عليها وسواحلها فإن كانت قاصدة إلى من له مع مملكة عكا عهد أو مع مقدمها فيلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمي البيوت حفظها ، ويمكن رجالها من الزوادة وإصلاح ما انكسر فيها والعود إلى البلاد الإسلامية^(٤) . ويبطل حركة / ما ينكسر منها أو يرميه البحر فإن لم يكن للذي تقصده
- ٨٠
- ٨١

(١) أضاف المقرئ بعد كلمة في « هذه » .

(السلوك - ١ قسم ٣ ص ٩٨٩) .

(٢) يضاف بعد كلمة الهدنة « المباركة من البلاد الساحلية » المصدر السابق .

(٣) ما بين القوسين زيادة أضيفت من المصدر السابق .

(٤) زاد مصحح صبح الأعشى « لا » .

الشواني معهم عهد وانكسرت فلما أن تزود وتعمر رجالها من البلاد المنعقدة عليها الهدنة «
وتتوجه إلى الجهة المرسوم بقصدها . ويعتمد هذا الفصل من الجهتين / وعلى أنه متى تحرك
٢٨ أحد من ملوك البحر الفرنجية وغيرهم من جوا البحر لقصد الحضور لمضرة مولانا //
السلطان أو مضرة ولده في بلادها المنعقدة عليها هذه الهدنة فليلتزم نائب المملكة
والمقدمون بعكا تعريف مولانا السلطان بحركتهم قبل وصولهم إلى البلاد بمدة شهرين وإن
وصلوا بعد انقضاء مدة شهرين فيكون كفيل المملكة بعكا والمقدمون براء من عهدته
اليمن في هذا الفصل . وإن تحرك / عدو من جهة البر من التتار وغيرهم فأى من سبق إليه
من الجهتين فيعرف الجهة الأخرى وعلى أنه إن قصد البلاد الشامية - والعياذ بالله - عدو
من التتار وغيرهم في البر وانحازت العساكر قدامهم ، ووصل العدو إلى القرب من البلاد
الساحلية الداخلة في هذه الهدنة وقصدها بمضرة فكفيل المملكة بعكا // والمقدمين
٨٣ بها أن يداروا^(١) عن نفوسهم ورعيتههم وبلادهم بما تصل قدرتهم إليه .

فإن حصل جفل^(٢) - والعياذ بالله - من البلاد الإسلامية إلى البلاد الساحلية الداخلة في
هذه الهدنة فيلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين حفظهم والدفع عنهم ومنع من يقصدهم بضرر
ويكونون آمنين مطمئنين بما معهم وعلى أن نائب المملكة / بعكا والمقدمين يوصون
في سائر البلاد الساحلية التي وقعت الهدنة عليها أنهم لا يمكنون حرامية البحر من الزوادة
من عندهم ولا من حمل ماء وإن ظفروا بأحد منهم يمسكوه ، وإن باعوا عندهم بضائع
يمسكوا حتى يحضر صاحبها وتسلم إليه . وكذلك يعتمد مولانا السلطان في أمر الحرامية
٨٤ هذا الاعتماد . وعلى أن تكون كنيسة / الناصرة وأربع بيوت من أقرب البيوت
لزيرة الحجاج وغيرهم من دين الصليب كبيرهم وصغيرهم على اختلاف أجناسهم وأقاربهم من
عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة . ويضلى بالكنيسة الأقساء والرهبان -

(١) في صحيح الأعرش « يدروا » :

(٢) أى انتقال : يقال : جفل البعير : تدوشرد ، وجفلت النعامة : هربت :

وتكون البيوت لزوار كنيسة الناصرة خاصة ، ويكونون آمنين مطمئنين / في توجههم
وحضورهم إلى حدود البلاد الداخلة في هذه الهدنة . وإذا نقت الحجارة التي
بالكنيسة ترمى براً ولا يحط منها حجر على حجر لأجل بناء ، ولا يتعرض إلى الأقسام
والرهبان في ذلك على وجه الهبة بغير حق . وتضمنت الهدنة تقرير الشروط الجاري
بها العادة .

وما حلف^(١) مولانا السلطان على هذه الهدنة // توجه الأمير فخر الدين أياز أمير حاجب
والقاضي بدر الدين بن رزين لتحليف الفرنج فحلفوا واستقر ذلك .

ذكر توجه مولانا السلطان

— عز نصره — إلى البلاد الشامية المحروسة في هذه السنة

ثم إن مولانا السلطان — خلد الله سلطانه — / رسم بحضور الأمراء والجند للخروج
إلى الشام المحروس لمصالح البلاد والعباد ، ولأنه رحمة حيث حل . ولما في ذلك من تسكين ثواب
العدو ، ولما يترتب على ذلك من الهدوء . فلما كان النصف من جمادى الأولى ركب مولانا
السلطان — خلد الله نصره — من قلعته ، وخيم ظاهر باب النصر ، ورحل في ثامن عشره
موسار // فنزل غزة في سابع جمادى الآخرة ، ورحل منها في يوم الثلاثاء ثامن وعشرينه
ودخل دمشق في يوم الجمعة ثامن شهر رجب فأقام بها مصلحاً أحوال جندها ، وموقعاً
العرب في كل جهة من بلاد العدو قريتها وبعيدها ، وعينه متطلعة تارة إلى جهة العجم
والعراق والشرق ، وتارة إلى جهة الروم وجهة سيس / وتارة إلى جهة الغرب واليمن والهند
وأوامره تتصرف بكل منفعة ومصلحة ، وبلغه حضور الشيخ عبد الرحمن رسولاً إلى أبوابه
من جهة الملك أحمد فتثبط لأجله مدة ليحضر ، فلما لم يحضر ثنى العنان إلى الديار المصرية في
سلامة وحفظ ونصر ، وعز وبسطة ونفاذ أمر ، كما ينتقل البدر من منزلة إلى منزلة // والشمس
من فصل إلى فصل ، فدخل قلعته في خامس وعشرين شهر رمضان من هذه السنة .

(١) راجع نسخة اليمين التي حلف السلطان المنصور عليها وكذلك نسخة يمين الفرنج التي حلفوا بها
في تاريخ ابن الفرات ج ٧ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

ذكر الاهتمام بكتب كتاب مولانا

الملك الأشرف ^(١) ولد مولانا السلطان

وفي هذه المدة حصل الاهتمام بزواج مولانا الملك الأشرف صلاح الدين خليل ،
على / بنت الأمير سيف الدين توكيه صهر أخيه ، فلما كان سادس عشر شوال اجتمع الناس
كاجتماعهم في عقد أخيه المولى السلطان الملك الصالح علاء الدين ، واحتفل بالأمور
والشموع والغوالى والبخورات والمطاعم والسكرج ؛ كما احتفل في ذلك . وعقد العقد بحضور
مولانا السلطان // ودخل إلى بيته على عادة أخيه من غير رهج ولا تكليف أحد .

٨٨

وفي هذه المدة وصل الشيخ عبد الرحمن ^(٢) وصمداغو إلى دمشق في يوم الثلاثاء ثانى
ذى الحجة وأنزلوا بالقلعة المحروسة .

ذكر فتوح تونس ^(٣)

بشعار مولانا السلطان / واسمه الشريف

لما عاد مولانا السلطان من غزاة التتار المباركة وجد رسلا في أبوابه قد حضروا من جهة

(١) جلس على تخت الملك بقلعة الجبل يوم الأحد ٧ من ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ وجدد العسكر له الحلف
يوم الإثنين ٨ منه .

وهو ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى التجمى .
(السلوك = ١ قسم ٣ ص ٧٥٦) .

(٢) أصل الشيخ عبد الرحمن تلميذ شيخ الإسلام موفق الدين الكواشى ، رياه واشتغل عليه وخدمه
تألفت بينه وبين السلطان أحمد أغا ألفه منذ الصغر . ولما كبر أحمد أغا استسلمه وصار له قدوة ولما تسلطن
على التتر حكم الشيخ عبد الرحمن في ساير ممالكه وبلغ منه مبلغا عظيما . (ابن الفرات = ٧ ص ٢٧٨) .

(٣) تونس : قال ياقوت مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل البحر ، عمرت من أنقاض قرطاجنة ،
وهى على ميادين منها ولها ميناء على البحر في شرقها . وذكر ابن حوقل في المسالك والممالك (٤٩ - ٥٠)
أنها مدينة أزلية كان اسمها في قديم الزمان « ترشيش » فلما أحدث المسلمون فيها البنيان واستحدثوا
البياتين والحيطان سميت تونس : وتقلت دائرة المعارف للبستاني في (ص ٢٧٢ = ٦) عن ابن دنيار
أن مدينة تونس أحدثت بعد الثمانين للهجرة وكان يطلق عليها اسم القيروان تعظيما لها وكانت قاعدة
لإفريقية وحضرة بالسلطين من الخلفاء الحفصيين وبها جرى أهل الأقطار من الأندلس والمغرب وغيرها ويقال لها
تونس الحضرة لكثرة زيتونها ، ولم يكن لها ذكر مع القيروان ولمعما ابتدأت في الزيادة لما سكن
فيها الأغلب .

الأمير مرغم بن صابر أمير طرابلس الغرب وبلادها ، وإليه تجتمع ألوف الألوف من عربانها
 ٨٩ قد حضروا إلى أبواب مولانا السلطان ومعهم هدايا من خيل // سوابق ومعهم كتاب
 من الأمير مرغم يعرض على مولانا السلطان فتوح بلاد الغرب ، ويسأله إنفاذ صنjq
 شريف يفتح به البلاد . فأكرم مولانا السلطان رُسله ، وأحسن بُزلهم وسير إليه مولانا
 السلطان الخلع الفاخرة ، والأقشّة ، وتعايى الأمتعة ، من كل ذى قيمة . وأفهمه مولانا
 السلطان الاشتغال / بجهد التتار ، وحثّه على القيام ، وأن عزائم مولانا السلطان وإسمه
 سيفتح به كل مستعلق . فتوجهت رُسله إليه يكتب مولانا السلطان ومشافهاته . فاتفق
 هو وثائثرار بتلك الجهة يعرف بالفضل بن الخلوع من أولاد أبي زكريا^(١) يحيى ابن
 ✓ صاحب تونس ، وجمع إليه الأمير مرغم العربان ، وقصدوا // تونس وألبسه تشریف مولانا
 السلطان المسير إلى مرغم بن صابر ونشر على رأسه صنjq مولانا السلطان المسير إلى مرغم ،
 وأظهروا إسم مولانا السلطان ، فافتتحوا تونس وكان بها أبو إسحاق صاحبها ، فأنحاز
 إلى نجابة عند ولده أبي فارس ، فجمع الأمير مرغم الحشود وسار / إلى نجابة
 فالتقاء أبو فارس فى جيش كبير ، فانهزم أبو فارس وقتل هو وأخوه وأبوه
 وقتل أبوه فى نجابة^(٢) . وأحضرت رؤوسهم فعُلقت على باب المنارة - أحد أبواب تونس -
 وتم الأمر للفضل بن الخلوع فى تونس وبلادها باسم مولانا السلطان وتشريفه وصنjqه الذى
 هو خلق النصر ، وبشير منصور العصر // وكان الخمر بتونس مضمناً فأبطله . وأمر ببناء
 ٩١ الفندق الذى كان الخمر يباع فيه مدرسة للمم . وكل ذلك ببركة إسم مولانا السلطان ،
 وبسعادة علمه الشريف .

يا من قضى الله أن الأرض تملكها عجل فى كل قطر أنت تنتظر
 فلما استقام حال الفضل بن الخلوع فى تونس / أحسن إلى من نصره . وهم الأمير مرغم

(١) الأمير أبو زكريا يحيى الوائق بن أبي عبد الله محمد المستنصر بن السعيد أبي زكريا يحيى
 ابن عبد الواحد بن أبي حفص كان مملوكا تونس وخلق منها فى غرة ربيع الآخر سنة ٦٧٨ هـ
 وكانت ولايته عليها لمدة سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً وقام بعده عمه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى
 ابن عبد الواحد .

(السلوك ١ - قسم ٣ ص ٦٧٤)

(٢) بجاية : بالكسر وتخفيف الجيم . مدينة على ساحل البحر بين إفريقية فى المغرب .

(معجم البلدان لياقوت)

٩٣ واميرلاً أبو مروان ابن مكي شيخ فاس ، وكنى أبا مروان أبا الفتح ، وكنى الأمير مرغم^(١) بأبي الوفاء ، وكتب له منشوراً بطرابلس الغرب قرىء تاريخه السابع والعشرين من ذى القعدة سنة إحدى وثمانين وستمائة ، وأمسك أبا اليل بن أحمد شيخ عوف // ومائة نفر من مشايخ العربان والله يجعلها أول سعادة وأحسن إرادة . وكان ورود الخبر بذلك في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستمائة .

ذكر حضور الفقهاء

القفجاق رسلا من جهة الملك . تنامنكو^(٢) قريب الملك بركة يهنون / بجلوسه وإسلامه .

٩٣ وفي جمادى الآخرة وصلت رسل قفجاق فقهاء . أحدهم الفقيه مجد الدين أطا^(٣) ورقفته : نور الدين ورفيق آخر وأحضروا من أيديهم كتاباً بالمغلي^(٤) من تنامنكو مضمونة أنه أسلم وقعد على التخت وأقام شرائع الإسلام . وقال هؤلاء الفقهاء : إنه // سيرنا نطلب له من مولانا السلطان نعتا يسمى به من أسماء المسلمين ، وعلمنا من الخليفة ، وعلمنا من السلطان ونقارات ؛ ليركب بذلك ويقابل أعداء الدين . وعرض في الكتاب بالوصية بهؤلاء الفقهاء وأنهم يحبون ، فاهتم مولانا السلطان بأمرهم ، وجهزهم إلى مكة صحبة الركب بما يحتاجون إليه / ولما حضروا كتب الأجوبة على أيديهم وأحسن إليهم غاية الإحسان ، وسفرهم فيما بعد ذلك على أتم حال وأحسنه .

(١) كذا في الأصل . والواجب : مرغماً .

(٢) في السلوك - ١ قسم ٣ ص ٧١١ « تدان منكو » وهو خليفة بركة خان في دوله القفجاق ، وقد تولى الملك في سنة ٦٨٠ هـ بعد وفاة الملك بركة ، واستمر حكمه إلى سنة ٦٨٦ هـ .

(راجع السلوك - ١ قسم ٣ ص ٧٠٨)

(٣) كانت هذه السفارة مكونة من اثنين من فقهاء القفجاق ، وهما مجد الدين أطا ونور الدين .

(النويرى - نهاية الأرب - ٢٩ ورقة ٢٨٢ أ . مخطوطة بدار الكتب .)

(٤) أى باللغة المغولية .

ذكر إمساك بطرك الحدث

من بلاد طرابلس^(١)

اتفق أن في بلاد طرابلس بطركا عتا وتجبر وإسطنال وتسكبر وأخاف صاحب طرابلس // وجميع الفرنجية ، واستغوى أهل تلك الجبال وأهل تلك الأهوية من ذوى الضلال . واستمر أمره حتى شابه كل مجاور . وتحصن في الحدث^(٢) وشمخ بأنفه ، وما قدر أحد على التحيل عليه من بين يديه ولا من خلفه . ولولا خوفه من سطوة مولانا السلطان لخرب تلك البلاد ، وفعل ذلك أو كاد . فاتفق أن النواب ترصدوه / مراراً فما وجدوه . فقصده التركان في مكانه وتحميلوا عليه حتى أمسكوه وأحضروه أسيراً حسيراً . وكان من دعاة الكفر وطواغيتهم واستراح المسلمون منه وأمنوا شره وكان إمساكه فتوحاً عظيماً أعظم من افتتاح حصن أو قلعة وكفى الله مكروه .

ذكر ما فعله الله في صاحب قبرص^(٣) //

وكيف أمكن الله منه ومن أصحابه .

كان لصاحب قبرص في عكا آمال وأنه سيحضر إلى بلاد الساحل وينصره مولانا

(١) طرابلس : يريد طرابلس الشام .

(٢) قال ياقوت : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور يقال لها الحمراء لمرّة تربتها وقامتها على جبل يقال له الأحيدب ..

(٣) قبرص : جزيرة كبيرة في الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط على مسافة قريبة من آسيا الصغرى وسوريا ، حيوانها ونباتها كنبات وحيوان سوريا . أما جوها فيشبه جو آسيا الصغرى اعتاد أهلها الحياة البحرية الساذجة ، واشتهرت بغاباتها العظيمة التي كانت تعد الملاحاة القديمة بأحسن الأخشاب . لذا كان تاريخها مشاعاً بين آسيا الصغرى وسوريا ومصر وبلاد اليونان ، تنافس الكل في امتلاكها وصار أهلها خليطاً من اليونان والترك والعرب ، وانتشرت فيها المسيحية والإسلام . احتلها معاوية سنة ٢٨ هـ / ٦٤٨ م وأدخل فيها الإسلام هارون الرشيد ، ثم احتلها اليونان إلى آخر القرن الثاني عشر إلى أن سقطت عكا في يد المسلمين سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م ، ثم تملكها ملوك أورشليم فتعاقب عليها ثمانية عشر أميراً من أسرة لوزينيان إلى أن فتحها الأشرف بارسبای سنة ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦ م وأسر ماسكها وفرض عليه الجزية كل عام ، وكانت ممر التجارة بين أوروبا وـ

السلطان على أهل عكا . فلما انعقدت الهدنة بين مولانا السلطان وبين أهل عكا بقي ذلك في خاطره . فاستصحب جموعه وحضر ، فاتفق أن الربح رمته إلى جهة بيروت^(١) ، فخرج / منها وقصد غارة على تلك الجهات ، وبلغ مولانا السلطان ركوبه في البحر ، فسبق إلى النواب بحفظ الأماكن جميعها عليه ، كأن الله قد كاشفه بذلك . فاهتموا بأمره ، وحفظوا عليه كل مكان . فلما حصل في جهة بيروت كمن له في جبل الخروب ، فقتلوا من جماعته وأسروا ثمانين بطلا . وأخذوا شيئاً كثيراً له من مال وخيل وبغال // ولولا أنه ركب البحر لكان أسيراً أو قتيلاً ، وتوجه إلى صور مذعوراً ، وكان ذلك أكبر الأسباب في موته وهلاكه بغير ذلك ، وأراح الله البلاد والعباد منه ومن شره .

ذكر وصول الشيخ عبد الرحمن

وصمد اغو رسلا من جهة الملك أحمد بن هلاون .
قد سبق ذكر هذا الشيخ عبد الرحمن ، وأنه قدوة الملك أحمد ومشيده ، وأنه هو المشير عليه بالإسلام خديعة ومكرراً ، حتى يطمئن إلى هذه الجهة ويكتفى أمر السلطان ، ويتفرغ لقتال قومه وأقاربه وإخوته وولد أخيه أرغون . وتحكم هذا الشيخ عبد الرحمن // في البلاد ، وتحدث في الأوقاف جميعها في العجم وبلاد العراق والشرق والروم . وجيبت إليه وأظهر للمغل أشياء أخذ عقولهم بها . وهو موصل . ويقال : إن أصله مملوك ، ويعرف بعبد الرحمن النجار . وما بقي من لا أطاعه . وصار الملك أحمد [وعشيرته] من المغل يقفون بين يديه

== وآسيا ، ثم استولى عليها الأتراك سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧٦ م . وفي سنة ١٨٣٢ م احتلتها جيوش محمد علي . وفي سنة ١٨٧٨ م تنازلت عنها الدولة العلية لانيجلترا في مقابل دفاعها عن شواطئ تركيا الآسيوية وهي الآن تابعة لها ، وإدارتها مسئولة بمشور سام تعينه لندن ، يساعده مجلس تشريعي من أهل الجزيرة .

(النجوم الزاهرة ٧ ص ٣٢٨ . هامش ٢)

(١) بيروت : نقر من ثور الشام ، له شهرة الآن ، وإنكته كان صغيراً في الأزمنة الأولى بجانب عكا وأنطاكية وغيرهما ، فتجه المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب . وبقرية نصب نهر الكباب (Lycus) . (فهرست معجم الخريطة التاريخية ص ٣١)

ويستمعون إشارته . وأطاعه / كل من في بغداد ^(١) والعراق ، وخرق عقولهم بأنواع من التارخيات ، واستولى على عقولهم : وأفهم الملك أحمد أنه يصلح له مولانا السلطان ، واعتقد أن أمره تتم عند مولانا السلطان كما تمت هناك ، وأنه سيحضر فتكون له صورة في البلاد وعظمة واسم ، وتجتمع إليه الناس : فكان الأمر بخلاف ذلك .

- وذلك // أنه لما بلغ مولانا السلطان خروجه من الأردن صارت أخباره تصل إلى ٩٨ مولانا السلطان منزلة فمثلة ، ومرحلة فرحلة . فوصل إلى ماردين في الرابع من شهر ربيع الآخر ثم وصل إلى البيرة المحروسة وصحبته من أكابر المغل صمداغو ^(٢) ، ومعه جماعة من كتاب وفقهاء وقراء ومغل لخدمته يحملون جتراً يرفع على رأسه وسلاح دارية / وأرباب سلاح وغير ذلك من غلمان وجواش وأرباب أشغال وذوى خدمة ، عالم كثير . وكان مولانا السلطان قد سير بإزالة هذه النواميس وإزالة زحم العجم الذي يقصدون إقامته في بلاد مولانا السلطان . فلما ركبوا من البيرة المحروسة تلقاهم الأمير جمال الدين أقش الفارسي أحد الأمراء بحلب المحروسة ، فممنهم // من حمل الجتر وحمل السلاح وركوب المغل خلفه ، ٩٩ وركبهم في الليل من غير رهج ولا إعلام أحد بأمرهم . وساق بهم منكبا عن الطريق السلوكية . فعز عليهم ذلك وانزعجوا ، فما التفت إليهم جمال الدين أقش الفارسي ولا شال بهم رأساً . وقرر أن أحداً من المجردين معه لا يكلمهم ولا يحدثهم / ولا يساقونهم ولا يملأ منهم عيناً ولا نظراً . ووصل بهم إلى حلب في سادس عشرين شوال من هذه السنة . وأخفى أمرهم حتى لم يعلم بهم أحد ، ولم يحسر أحد أن يكلمهم ولا يتحدث في أمرهم بشيء . ثم أخرجوا من حلب في الليل ، وعدل بهم عن الطرقات السلوكية . وصاروا يسوقون جملة والمجردون بعيد منهم // بحيث لا يسمعون كلامهم وهم ينزعجون ويجردون ١٠٠

(١) أظنه يقصد العجم وقد أوردها ابن الفرات ج ٧ ص ٢٦٢ « العراق والعجم » .

(٢) صمداغو التتري كان رفقة الشيخ عبد الرحمن النجار والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين التتري المعروف بابن الصاحب وزير ماردين ، وهم الذين حضروا فقدموا للسلطان تحفاً منها ستين جبلاً لؤلؤاً كبيراً وحجر ياقوت أصغر زنته ما ينيف على مائتي مثقال ، وحجر ياقوت أحمر وقطعة بلخش زنتها اثنتان وعشرون درهما . وهم رسل السلطان أحمد آغا . (السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٢٣)
ويذكر ابن الفرات ج ٧ ص ٢٧٩ أن عدد من كانوا بحبة الشيخ عبد الرحمن نحو مائة وخمسين قرناً .

ولا يلتفت أحد عليهم ، حتى وصلوا إلى دمشق^(١) - كما ذكرنا - فدخل بهم في الليل إلى القلعة وأنزلوا في دار رضوان وكثرت الإقامات عليهم من كل شيء من سائر الأصناف^(٢) . وجرى الأمر على أن أحداً لا يكلمهم ولا يتحدث معهم بشيء ، بل يسمع / ما يقولون ولا يرد عليهم جواب . وجعل غلمانهم وحواشيهم وأرباب الخدم ناحية في أماكن محفوظة . وأقيمت لخليهم ودوابهم غلمان يدورون بها ويخدمونها ، وحفظت عددها وآلاتها . واستمر حالهم على ذلك إلى حيث حضور مولانا السلطان إلى الشام . على ما سيذكر //

ذكر حضور رسل الهند

١٠١

إلى أبواب مولانا السلطان

وفي هذه السنة حضر رسول من جهة أبو بكبا^(٣) صاحب سيلان ملك الهند اسمه الحاج أبو عثمان^(٤) ، ورفيقه^(٥) . وقالوا : إن صاحبهم سقرهم على طريق هرمز^(٦) في مركب السيلاني إلى بندر هرموز بعد أن جهزهم إلى سيلان / فأقاموا عشرة أيام وسافروا إلى جزيرة الجاشك ، إلى أسناس ، ومنها إلى كرستان ، ومنها إلى تاوانه ، ومنها إلى فنس ، ومنها إلى هزوا ، ومنها إلى الصبر ، ومنها إلى الآء ، ومنها إلى الأندراوى ، ومنها إلى قلعة أحمد نكر ، ومنها إلى قلعة الزنج ، ومنها إلى تحيلو ، ومنها إلى نابند ، ومنها إلى سراف ، // ومنها إلى برداستان ، ومنها إلى بيرم ، ومنها إلى أبو سهر ، ومنها إلى خور السدف ، ومنها إلى

١٠٢

(١) يذكر ابن الفرات ج ٧ ص ٢٧٩ أن وصولهم إلى دمشق كان في ليلة الثلاثاء ثاني عشر ذى الحجة من سنة ٦٨٢ هـ .

(٢) رتبوا له ولئن معه في كل يوم ألف درهم نفقة وأطعمة وحلوى وفاكهة وغير ذلك بألف أخرى (ابن الفرات ج ٧ ص ٢٧٩) .

(٣) كذا في الأصل . وفي غيره اسمه أبو نكبا (أنظر زبدة الفكرة ج ٩ ص ١٤٢ « ١ ») مخطوطة بدار الكتب ، وورد في النويري (نهاية الأرب ج ٢٩ ص ٢٨٢ « ١ » مخطوطة بدار الكتب) « أبو نكبا » ، وفي السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧١٣ « أبو نكبه » .

(٤) في ابن الفرات ج ٧ ص ٢٦١ « أمين الدين أبو عثمان » .

(٥) يذكر ابن الفرات ج ٧ ص ٢٦١ اسم رفيقه « الشيخ على لوكنتي »

(٦) هرمز : بوغاز بيلاد فارس اسمه عند الأفرنج Ormuzd .

جزيرة خارك ، ومنها إلى حبابه ، ومنها إلى مهروان ، ومنها إلى أرض عبادان ، ومنها إلى
 الحررى ، ومنها إلى الأبله^(١) ، ومنها إلى البصرة ، ومنها إلى الخيلة^(٢) ومنها إلى دير الدير ،
 ومنها إلى المطارة ، ومن المطارة / إلى البرية ، ومنها إلى الجواهر ، ومن الجواهر إلى أم عبدة
 إلى بدن مزيه ، ومنها إلى الفاروت^(٣) ، ومنها إلى قرية عبد الله ، ومنها إلى واسط^(٤) ،
 ومنها إلى أبو معيط ، ومنها إلى المباركة ، ومنها إلى حيرانه ، ومنها إلى سايس ، ومنها إلى
 جبل ، ومنها إلى النعمانية ، ومنها إلى قم الدرب ، // ومنه إلى الجديدة ، ومنه إلى السكيل ، ١٠٣
 ومنه إلى المدائن ،^(٥) ومنها إلى بغداد .

ولما حضر هذا الرسول بين يدي مولانا السلطان أحضروا كتاباً في حق من ذهب وفيه

(١) الأبله : بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي تطل عليه مدينة البصرة ، وهي أقدم
 من البصرة .

(ياقوت - معجم البلدان ج ١ ص ٩٦ وما بعدها)

(٢) كذا في الأصل بدون نقط وأظنها « الخلة » وهي مدينة بالعراق .

(٣) الفاروت : قرية على شاطئ دجلة بين بلدتي واسط والمذار .

(ياقوت - معجم البلدان ج ٣ ص ٨٤٠)

(٤) واسط : سميت بهذا الاسم ، لأن منها إلى البصرة خمسين فرسخاً ، ومنها إلى الكوفة خمسين
 فرسخاً ، ومنها إلى الأهواز خمسين فرسخاً ، ومنها إلى بغداد خمسين فرسخاً . اختطها الحجاج في سنة ٨٤ هـ ،
 وقرع منها سنة ٨٦ هـ .

(أبو الفداء - تقويم البلدان ص ٣٠٦)

وذكر القزويني في آثار البلاد ص ٣٢٠ أن الحجاج سكنها في سنة ٩٥ هـ . وتوفي في تلك السنة .

وذكر صاحب « مرصد الاطلاع » أن هناك موضعاً قبل عمارتها كان يسمى واسط القصب ، فلما عمر
 الحجاج مدينته سماها باسمه (ج ٢ ص ٢٦٩) .

وذكر ياقوت أنه رآها مراراً : بلدة عظيمة ذات رساتيق ونخيل بقوت الحصر ، وكان الرخص
 موجوداً بها من جميع الأشياء ، وصارت واسط قرية صغيرة ذات أطلال تقع ما بين كوث العمارة على دجلة
 وكوث الحمى على نهر الفرات المتشعب من دجلة ويسمى شط الحمى .

(٥) المدائن أو مدائن كسرى هي قاعدة مملكة الفرس لعهد الفتح الإسلامي ، وتعرف عند اليونان
 باسم (Ktésiphon) ومنه اشتق اسمها عند العرب « طيسفون » على الشاطئ الأيسر من نهر دجلة
 وأطلالها على بعد ٢٦ كيلومتراً من بغداد جنوباً . وفيها آثار ايوان كسرى أنوشروان . ويجانبها
 بالشاطئ الأيمن أطلال مدينة سلوقية (Séleucie) قاعدة مملكة السلوقيين ومن جاء بعدهم من الفرطانيين
 (Parthes) فتحها سعد بن أبي وقاص سنة ١٦ هـ .

شيء يشبه التور^(١) قيل : إنه قشر الجوز وقالوا : هذا الكتاب بخط الملك . وطلب من يحسن قراءته فلم يجد أحداً ، وقالوا : إن فيه / مكتوباً : سيلان مصر ، ومصر ، سيلان ، وإنه ترك مصاحبة صاحب اليمن مرة واحدة ، وذلك في محبة مولانا السلطان . وفيه مكتوب : أريد رسولاً يحضر إلى عندي صحبة رسولى ، ورسولاً يقيم في عدن^(٢) ، والجواهر عندي كثيرة ، والياقوت عندي ، والأؤلؤ ، والمرآكب عندي ، والفيلة عندي // والقماش عندي من البر وغيره ، والبقم ، والقرقة ، وجميع ما يجلبه الكارم عندي ، والرماح ونشأتها عندي . ولو طلب مولانا السلطان كل سنة عشرين مركباً عندي أسيرها إليه . ويطلق تجار مولانا السلطان إلى البلاد . ورسول صاحب اليمن جاء إلى عندي رددته محبة في مولانا / السلطان . وأنا لى سبعة وعشرون قلعة خزائنها كلها مملوءة جواهر وياقوت . والمغاصات لى ، وكل ما يحضر منها فهو لى .

١٠٤

فأكرم مولانا السلطان هذا الرسول وأحسن إليه ، وكتب جوابه وجهره .

ذكر خروج مولانا السلطان

الملك الصالح والمولى الملك الأشرف //

للصيد وصرع مولانا السلطان لى ، مبارك

١٠٥

وفى رابع وعشرين شوال من هذه السنة خرج مولانا السلطان الملك الصالح وأخوه

(١) وصف ابن الفرات هذا الحق بقوله « صفيحة ذهب رقيقة عرض ثلاثة أصابع فى طول نصف ذراع أو حوله مدورة حلقة وداخلها شيء شبيه بالخوص أخضر عليه كتابة تشبه الخط الرومى أو القبطى (ابن الفرات ج ٧ ص ٢٦١) .

(٢) عدن : أهم ميناء فى جنوب بلاد العرب ، تبعد عن باب المندب زهاء مائة ميل وخمسة . وهى قلعة حصينة تقع على جبل طارق فى الغرب ، دخلت فى حوزة الإنجليز سنة ١٨٣٥ م ، واستخدمت مستودعاً للفحم لتكوين البواخر الإنجليزية : وقد تضاعفت أهميتها بعد فتح قناة السويس ومرور البواخر بالبحر الأحمر ، وهى فوق ذلك مرفأً تجارى لحاصلات بلاد العرب (الصمغ والبن وغيرها) .

(القاموس الجغرافى - طبع ليدن سنة ١٩٠٥ م) .

الملك الأشرف للصيد في جماعة من الأمراء والخواص والأكابر إلى جهة العباسية^(١) .
 فلما كان بكرة يوم الأربعاء^(٢) تاسع وعشرين شوال / قريب العباسية عند الجسر ،
 صرع مولانا السلطان الملك الصالح كُتياً^(٣) مباركا ، وادعى للمولى^(٤) الملك المنصور صاحب
 حماة ، لأن مولانا السلطان الملك المنصور لم تحصل له عناية بذلك ، لاشتغاله بأموره الجدّية ،
 والأحوال الحربية ، وسير الطائر المبارك - بعد أن حمله أكابر الرماة - على ما ينبغي ، فعمل له
 ما جرت العادة به من زركش ومصوغ وجوهر في رجليه ومنسره . وسير به الأمير ركن الدين ١٠٦
 فييرش الفارزاني السلاح دار ، ومعه زام آخر ، فتوجهوا به إلى حماة ، فتلقاهم صاحبها
 بالابتهاج العظيم والقبول التام . وعمل البشائر بذلك والتهاني مدة ، وكتب بالقبول ،
 ولأنه قدمته صالحية^(٥) لمولانا السلطان / الشهيد الملك الصالح نجم الدين أيوب - رحمه الله -
 واستبشرت بمبشرة بهذه المنائح . وقال أنا غلام بين بين ، وإلا من صالح إلى صالح . وسير جميع
 ما جرت العادة به : من البنادق الذهب والقسي الكندانات وغير ذلك والتقدم . وجرى
 الحال على ذلك . ورمى لمولانا السلطان الملك الصالح جماعة في هذه السنة قبلهم وشرفهم //

(١) عند ما خطبت قطر الندى بنت خارويه بن أحمد بن طولون إلى الخليفة المعتضد بالله أحمد بن الموفق
 طلحة العباسي ، خرجت العباسية بنت أحمد بن طولون مع قطر الندى بنت أخيها لوداعها عند سفرها من
 مصر إلى بغداد في أواخر سنة ٢٨١ هـ ، وقد أقيم في المكان الذي وقع فيه الوداع فساطيط (خيام)
 نزلت بها العباسية ومن معها . وهذا المكان كان في ذلك الوقت في نهاية الأراضي الزراعية بأرض مصر
 من الجهة الشرقية ، وفي أول حدود الصحراء الفاصلة بين مصر والشام ، فلما نزلت العباسية هناك أعجبها
 موقع هذا المكان وأمرت ببناء قرية فيه ، فبنيت في سنة ٢٨٢ هـ وسميت العباسية نسبة إليها ، وكانت
 العباسية في ذلك الوقت أول قرية يلقاها القادم من الشام إلى مصر بوادي السدير الذي يعرف بوادي
 الطميلات نسبة إلى جماعة من العرب يعرفون بالطميلات .

(٢) ياقوت - معجم البلدان . والمقريزي - الخطط ج ١ ص ٢٣٢ .

(٣) في النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٤١ « بكرة يوم الاثنين في العشرين من المحرم » .

(٤) البكي : طائر وهو البجعة .

(٥) إدعى لصاحبه حماة في الصيد أي انتسب في الصيد له ، وكان من عادتهم أن ينتسب من يعانى
 الصيد إلى أستاذ في الصيد .

(٥) المقدمة : رسالة تشتمل على حالة الرمي بالبندق وما يتعلق بذلك .

(صبح الأعشى ج ١٤ ص ٢٨٢) .

وإلا من صالح إلى صالح . أي الهدية من الصالح بن فلاوون إلى الصالح نجم الدين أيوب .

ذكر موت الأشكري مخائيل^(١)

وقيام ولده من بعده^(٢)

لما توجهت رسل مولانا السلطان إلى الأشكري - وهم نجم الدين الشويحي - المقدم ذكره - وجدوا الأشكري قد مات ، وقام بعده ولده الكمينيوس الدوقس^(٣) الانجالوس البالاولوغس واسمه الاندرونيقوس / وقعد مكان والده وتزوج وقعد على التخت . فلما حضرت رسل مولانا السلطان المتوجهين بنسخة الأيمان إلى ولده ، بذل الطاعة ، وأخذ نسخة الأيمان وحلف بها لمولانا السلطان وحضرت الرسل بطاعته ، وبذل الخدمة ، فأجابه مولانا السلطان إلى ذلك وحلف له في رابع عشر جمادى الآخرة //

ثم استهلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

(١) كان امبراطور الدولة البيزنطية (*Michael VII. Palaeologus*) . كان السلطان قلاوون قد بعث إليه وإلى غيره من ملوك الدول المجاورة يخبرهم بسلطنته ويعد إليهم يد الصداقة والحلف ، فأرسل الامبراطور المذكور رسولا من عنده لعقد حلف مع السلطان . وفيما يلي نص ما جاء في يبرس المنصوري (زبدة الفكرة ج ٧ ص ١٢٣ «ب» - ١٢٤ «ا») بصدد من راسلهم السلطان للأغراض المذكورة : « وفيها وصلت رسل الملك الأشكري صاحب القسطنطينية بهدايا كثيرة إلى الأبواب السلطانية ، لأن السلطان لما جلس في الملك ونظر في أحواله (ص ١٢٤ «ا») وبدأ بما يجب أن تبدأ به الملوك بفعاله ، أرسل إلى كل جهة يتعين الإرسال إليها رسولا ، فأرسل إلى بيدو ملك التتار بالبلاد الشرقية ، وهو فيدو ابن يحيى بن طلوين بن جنكيز خان يغريه بأعدائه ويحرضه على مغازبه وأرسل إلى منكوتمر ملك التتار بالبلاد الشمالية يخبره بمجاوله على الرتبة الملوكية واستقراره في سلطنة الممالك الإسلامية ويجدد معه المودة ويحرضه على قتال الكفرة والمرتدة ، وأرسل إلى الأشكري ملك القسطنطينية لأنه الحاكم على تلك الجهات والممالك لتلك الطرقات . ولا يتوصل رسل الأبواب إليها إلا من جهته ولا يبلغوا مقاصدهم فيها إلا بعنايته ، فأعاد الأشكري الجواب ببذل الوداد والمساعدة على كل ما يراد من توصل الرسل والعناد ، وسأل السلطان عينا يتمسك بها ، فحلف له وسير رسلا لتحليفه ، وكان الرسول إليه نجم الدين الشويحي .

(٢) بعد أن مات الأشكري متملك القسطنطينية ، ملك بعده ابنه الدوقس وهو *Andronicus II Palaeologus* من سنة ١٢٨٣-١٣٣٢ ويسميه أبو الفداء في كتابه « المختصر في أخبار البشر » من ١٦٠ « أندرونيكوس وتلقب بالدوقس » .

انظر *Camb. Med. Hist. IV., p. 599*

(٣) في صبح الأعشى ج ١٤ ص ٧٦ « مير اندرونيقوس الدوقس » .

ذكر تجهيز الرسل إلى الملوك في البحر في ثاني المحرم

منها تجهيز الأمير ناصر الدين بن الحجي الجهرى^(١) رسولا إلى الملك الأشكرى وعلى يده المكاتبات الشريفة ، وصحبته هدية من الخيل الجياد وغير ذلك وسافر .
وسافر الأمير سيف الدين بلبان الحلبي^(٢) الكبير ومظفر الدين موسى بن تمرس الاس رسلا إلى الملك تنامنكو قريب الملك بركة وإلى نوغاي وإلى قيدو ، ومعهم الأمير قطعان وشمس الدين محمد بن أبي الشوارب .

١٠٩ وفي تاسع وعشرين شهر ربيع الأول نزل مولانا // السلطان ، والمولى الملك الصالح ولده إلى التربة الشريفة المستجدة الإنشاء لولادة السلطان الملك الصالح ، فزارها وترحم عليها ، وشاهد حسن العمارة وسرعة عملها^(٣) في أقرب مدة على يد الأمير علم الدين الشجاعى وكانت الوفاة (في سادس عشر شوال من سنة ٦٨٢ هـ)^(٤) وتصدقوا وأحسنوا ، والله يحزى / المتصدقين .

ذكر الشروع في عمارة المارستان السعيد^(٥) المنصوري

والمدرسة والقبة الشريفة بالقاهرة بين القصرين

ولما ترك مولانا السلطان لزيارة التربة الشريفة ، كما ذكرنا - وشاهد حسن العمارة فيها ، تشوقت // نفسه الشريفة إلى فعل الخير ، تشوقت والشئ بالشئ يذكرك ، فاختار بناء

١١٠

(١) في السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٦٦٥ « الأمير ناصر الدين يليك بن الحسنى الجزرى » . وأيضاً في ابن الفرات ج ٧ ص ١٧٩ « الأمير ناصر الدين بن الحسنى الجزرى » وأن الذى توجه معه إلى الملك الأشكرى « البطرك أنثاسيوس » (يقصد أنثاسيوس الثالث الملاكى ١٢٧٦ - ١٣٠٨) .

(٢) « الحبشى » في النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٠ . وفي ابن الفرات ج ٧ ص ١٧٩ « سيف الدين بلبان الخاص تركى » وكان برفقته « شمس الدين سنقرالتمى » .

(٣) كان انتقال سكان الدار القطبية منها إلى قصر الزمرد ثانياً عشر ربيع الأول من سنة ٦٨٢ هـ .

(السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٩٩٨) . و (ابن الفرات ج ٧ ص ٢٧٨)

(٤) يبااض بالأصل . وما بين القوسين إضافة عن السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٢١ .

(٥) المارستان : ويقال البيمرستان والبيمارستان أيضاً : مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم ، وهو لفظ فارسى مركب من « بيمار أى مرض وستان » أى محل ، ويقال له بالتركية « خسته خانه » أى محل المرضى ، ويطلق البيمارستان على المحل المعد لإقامة المجانين أيضاً (محيط المحيط) .

مارستان عظيم الشأن لاتصل همة ملك إلى ابتناء مثله ، ومدرسة للعلوم^(١) وقبة شريفة مباركة لقراءة القرآن وتلاوته ، فلم يوجد لذلك إلا الدار المعروفة بالقبطية ، وكان قد بقي بها من لاتصاح لسكنه كبيرا واتساعاً / فعوضهم مولانا السلطان عنها القصر المعروف بقصر الزمرد . فأقاموا به ، وتقدم مولانا السلطان بتقويم هذه الدار وبيعها فاشتراها الأمير حسام الدين طرنتاي المنصوري المن وكيل بيت المال المعمور . وشرع في العمارة في مستهل ربيع الآخر ، وحصلت الأصناف من كل جهة ، وكتب إلى البلاد // بانفاذ ذلك وتحصيل العمدة الرخام ، و ١١١ و باشر الأمير علم الدين سنجر المنصوري^(٢) ذلك بنفسه في كل يوم . وما سمع أن بناء اهتم فيه كما اهتم بهذه العمارة .

وما أهل شهر رمضان من هذه السنة حتى فرغ المارستان بأواوينه الأربعة ومياهاه الدافقة من كل صوب ، وشاذرواناته ،^(٣) ورخامه وأنهاره ، / وبستانه . وما شوهدت دار

= و يوجد في التويرى - نهاية الأرب ج ٢٩ ص ٢٨٢ « ١ » وما بعدها - تفصيلات إضافية عن هذه المباني وخاصة المارستان .

وهذا المارستان بخط بين القصرين من القاهرة . كان قاعة ست الملك لبنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد ، ثم عرف بدار الأمير غر الدين جهاركس بعد زوال الدولة الفاطمية ، و بدار موسك . ثم سرف بالملك الفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وصار يقال لها الدار القبطية ، ولم تزل يبدسريته إلى أن أخذها الملك المنصور قلاوون من مؤسسة خاتون لبنة الملك العادل المعروفة بالقبطية وعوضت عن ذلك قصر الزمرد برجة باب العيد في ١٨ ربيع الأول سنة ٦٨٢ هـ بسفارة الأمير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الممالك ، ورسم بعمارتها مارستانا وقبة ومدرسة ، فتولى الشجاعى أمر العمارة وأظهر من الاهتمام والاحتفال ما لم يسمع بمثله حتى تم الغرض في أسرع مدة وهى أحد عشر شهرا وأيام . وكان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع . (المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤٠٦) .

(١) وأما المدرسة المباركة المنصورية ، فإنه رتب بها إمام شافعى المذهب ، له في كل شهر ثمانون درهما ، ورئيس ومؤذنون يعلنون بالأذان بالثلاثة الكبرى المذكورة ، هم ومؤذنو القبة بالقربية ، وهم رئيس وأربعة مؤذنون ، لهم في كل شهر نظير ما لمؤذنى القبة . ورتب بها متصدر لإقراء كتاب الله عز وجل ، رتب له في كل شهر أربعون درهما ، ورتب بها دروس للمذاهب الأربعة : الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة ، لكل طائفة مدرس له في كل شهر مائتا درهم ، وثلاثة معيدين لكل منهم خمسة وسبعون درهما ، وخمسون طالبا ، لجمعهم في كل شهر سبعمائة وخمسون درهما ، وغير هؤلاء من القومة والقراشين وبواب واحد . (المقرئى : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ١٠٠١) .

نلاحظ من هذا أن نظام هيئة التدريس المعمول به الآن في جامعات الجمهورية العربية المتحدة ! كان سائداً في مصر في القرن السابع الهجرى .

(٢) في ابن الفرات ج ٧ ص ٢٧٧ : الأمير علم الدين سنجر الشجاعى .

(٣) الشاذروان : أساس يوثق حول القناطر ونحوها .

ملك في الشام ولا في مصر ولا في غيرها كذلك^(١) . وسيأتي وصف ذلك في مكانه عند نجاز الجميع إن شاء الله في خير وسلامة .

ذكر ما فعله الله في أعداء الإسلام

من الفرنج والتتار

ببركة مولانا السلطان وبوجهه السعيد الميمون الطلعة من // هلاك ملوكهم واشتغالهم ١١٢
بنفوسهم .

قد ذكرنا ما سئل الله لهذا السلطان وعلى يديه من نصره غالبه ومعوته راتبة ، وأن الله ما اختاره سدى ، ولا جعله إلا رحمة وهدي ، والسعادة منها مقصور ومتعد . فالقصور ما يلزم

(١) من هذه القبة المباركة المنصورية وهي الثرية ، فإنه رتب فيها خمسون مقرئاً يقرءون كتاب الله تعالى ليلاً ونهاراً بالنوب وجعل لكل منهم في كل شهر عشرون درهما . ورتب بها إمام على مذهب الإمام أبي جنيمة - رحمه الله تعالى - وله في كل شهر ثمانون درهما من أصل الوقف . وفي كل سنة في ليلة ختم صلاة قيام رمضان خلعة من خزانة السلطان كاملة مسخية مقتدرة . ورتب بها رئيس ومؤذنون يفلتون الأذان بالثنية الكبرى ، وقيمون الصلاة ويبلغون خالف الإمام ، وهم سبعة نفر : الرئيس وله في كل شهر أربعون درهما ، والمؤذنون ستة لكل منهم في كل شهر ثلاثون درهما . ورتب بها درس تفسير لكتاب الله تعالى فيه درس يلقيه مدرس ، ورتب له في كل شهر أربعون درهما ، وطلبة عدتهم ثلاثون ، لهم في كل شهر ثلثائة درهم ودرس حديث يذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له مدرس ومعيد وطلبة ، لهم في كل شهر نظير ما للمدرس التفسير ومعيده وطلبته ، وزيادة على ذلك قارئ يقرأ الحديث بين يدي المدرس في أوقات الدروس ، ويقرأ ميعاداً للعوام تين يديه أيضاً في صبيحة كل يوم أربعاء ، ورتب له في كل شهر ثلاثون درهما . ورتب لخازن كتبها في كل شهر أربعون درهما ، وخزانة كتبها من الختمات الشريفة والربعات المنسوبة الخط ، وكتب التفسير والحديث والفقه واللغة والطب والأديان ودواوين الشعراء شيء كثير . ورتب بها الخدام اللازمة ، يقيمون بالقبة لحفظ حواصلها ومنع من يعبر إليها في غير أوقات الصلوات ، وهم ستة ، لكل منهم في كل شهر خمسون درهما ، وغير هؤلاء من القومة والفراشين والبوايين .

وأما مكتب السبيل فإنه رتب فيه فقيهان يعلمان من كان صغيراً من أيتام المسلمين كتاب الله تعالى . ورتب لها جامكية في كل شهر وجراية في كل يوم ، وهي لكل منهما في كل شهر ثلاثون درهما ، وفي كل يوم من الخبز ثلاثة أرطال وكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف ، ورتب للأيتام لكل منهم في كل يوم رطلان خبزاً وكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف .

(المقرري : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ١٠٠١) .

الملك في نفسه ومن يلوذ به . والمتعدّي ما يعود نفعه على القريب والبعيد / والبلاد والعباد .
وهي السعادة التي تهلك الأعداء بنفسها ، ويكفي الله المؤمنين بها القتال ، ويستغنى بها
في أكثر المواطن عن المال والرجال ، فيكون صاحبها منصوراً ، ويقول كما قال الله : ﴿ إِنَّمَا
نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾^(١) فكم سعادة كانت كالشمس تضيء
أنوارها في المغرب والمشرق ، // وهي في السماء الرابعة ، وأشعتها في الأرض تحرق ، وسعادة
مولانا السلطان لها هذا التأثير العظيم الجليل ، ولا بد في ذلك من إقامة دليل ، وذلك أنه
مُذ قام مولانا السلطان في مهمّات الأمة الإسلامية ما برحت الأعداء في نقص ولا نُصرت
لهم راية ، وصاروا لمن خلفهم آية .

فأما الفرنج /

فقد توالّت الأخبار في هذه السنة وما قبلها بغزو بعضهم في بعض ، وأنهم ما بقيت
تسعمهم أرض ، وأنهم تقاتلوا بالحروب والملاحم ، وما بقي لهم منهم راحم .
فمن ذلك : هلاك صاحب صور^(٢) وموته ، وهلاك أول ملك قبرص^(٣) وموته ، وموت ولده .
ومن ذلك : ورود الأخبار في سادس وعشرين صفر من هذه السنة بأن // ملك أفرنسة
هلك ومات ، وكذلك أنبروز الألمانية هلك ومات ، وأن الري جار أخا فرنسيس^(٤) توجه
إلى أفرنسة ليلكها عوض ولد أخيه . وترك ولده مكانه في بربوليه ، وأن الريدرغون

(١) سورة الإنسان آية ٩ .

(٢) صور (Tyr) آخر ثغور فلسطين من الشمال . كانت في أيام الفينيقيين من أشهر مدن الدنيا ثروة
وتجارة ، ولا يعلم من بناها . وكان لها المقام الأول والسيادة في التجارة والملاحة بالبحر الرومي ، وصلت
سفنها إلى تونس وأسبانيا وبلاد الغالة وبريطانيا . والفينيقيون هم الذين أسسوا مدينة « قابس »
و « قرطاجنة » وأول من ساحوا حول قارة أفريقية . فتحها المسلمون في خلافة عمر سنة ٧٣٨ م ، وهي
وطن لأقليدس الفيلسوف اليوناني المشهور . (فهرست معجم الخريطة التاريخية ص ٦٤) .

(٣) يذكر ابن الفرات ج ٧ ص ٢٧٧ « خرج ملك الفرنج بقبرص لقصد الساحل غازيا فرمته الريح
إلى جهة بيروت فخرج منها وقصد الإغارة على تلك الجهات فكمن له أهل جبل الخروب وخرجوا عليه
فقتلوا من أصحابه وأسروا ثمانين رجلا وأخذوا له شيئاً كثيراً من المال والحيل والبغال فركب في البحر
وتوجه إلى صور ولم يلبث أن هلك وصارت روحه إلى جهنم وبئس المصير .

(٤) الانبروز تحريف انبرور أي إمبراطور والقصود به هنا هو رودلف الأول الهابسبرجي إمبراطور
ألمانيا ١٢٧٣ - ١٢٩١ . والري جار : هو روجار طاغية صقلية .

البرشونى^(١) عند ذلك عدّى إلى قلورية^(٢) وهى مدينة من البرى الطويل قبالة صقلية^(٣) وأخذها لأن ملك أفرنسة ولد الميت / هو ولد أخت البرشونى . فخاف الري جار من أنه إذا ملك ابن صاحب أفرنسة عوض أبيه يميل مع خاله البرشونى وينزعون الملك من شرلون وهو الري جار ، فسارع إلى ذلك وشاع هذا الخبر .

ولما كان يوم الثلاثاء حادى عشر شهر ربيع الآخر وردت الأخبار إلى مولانا السلطان فى مركب عهدها عن مسينا^(٤) خمسة عشر يوماً // بأن البرشونى كان مقيماً فى مسينا ، وأنه ١١٥

(١) يسميه القربزى فى السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٩٥٠ « الريدرا كون البرشلونى أى ملك أرجون واسمه Jamymell وكانت قاعدته برشلونة .

(٢) قلورية أو قفريقية هى القسم الجنوبى من بلاد إيطاليا الآن المعروف باسم Calabria . وقلورية مدينة بجزيرة صقلية : كان إبراهيم بن أحمد بن الأغلب صاحب القيروان وأعمالها غزا صقلية بنفسه وفتح فيها مدناً منها طبرمين ، وحاصر قلورية هذه ، فقتل وسبى ، فهربوا منه ، ثم مضى لشقته فلم يزل يتعرفه الفتح والنصر حتى عرض له المرض الذى مات منه فحمل إلى مدينة بلرم فدفن بها .
(الروض المعمار فى خبر الأقطار) .

(٣) صقلية Sicilia .

جزيرة فى قطعة من البحر الشامى ، بينها وبين أقرب بر من مالطة ثمانون ميلاً . إفتحها المسلمون فى صدر الإسلام ، وغزاها أسد بن الفرات الفقيه ، أميراً وقاضياً سنة لائنتى عشرة ومائتين ، بنزع قبة البطريق النصرانى ، قائد صاحب صقلية ، والظفر بها . فولى زيادة الله أسد بن الفرات ، القاضى الفقيه على جيش أفريقية من قريش والعرب والبربر وغيرهم .
(الروض المعمار فى خبر الأقطار) .

(٤) مسينا Messina .

هى مدينة فى ركن جزيرة صقلية فى شرقها ، والجبال من الناحية الغربية محيطة بها وهى إحدى قواعدها . ساحلها بهيج وأرضها طيبة المنابت وبها جنات وبساتين ذات ثمار كثيرة وعليها أنهار غزيرة ، عليها أرحاء كثيرة وهى من أجل البلاد وأكثرها عمارة . والسفر منها وإليها قصداً . وهى دار الإنشاء وبها حط وإقلاع من جميع بلاد الروم الساحلية وبها يجتمع السفن الكبار ، والمسافرون والتجار من بلاد الروم والإسلام وأسواقها رائقة وسلعها نافقة وقاصدوها كثير . وفى جبلها معدن الحديد الذى يتجهز به إلى جميع البلاد المجاورة لها ومرساها عجيب مشهور ترسى به السفن العظام ، وتكون من الشاطئ بحيث يتناول ما فيها من البر بالأيدي وبها المجاز الذى يعبر منه إلى بلد قلورية وبحره صعب المجاز لا سبيل إذا التقت المياه الداخلة والخارجة فى وقت واحد لا يكاد يسلم مركب إلا أن يشاء الله تعالى . ومسافة الواسع من هذه المجاز عشرة أميال . وسعة الضيق منه ثلاثة أميال . وبينها وبين طبرمين مرحلة وهى مشهورة بالبحر الطيبة وفى مطلع قصيدة لابن قلاؤس « من ذا بمسنى على مسينى » .
(الروض المعمار فى خبر الأقطار) .

عمر خمسة وثلاثين شينياً^(١) وقصد بها ميناء نابل^(٢) أحد بلاد الري جار الذي ولده الأبرنس
والسكندسندرت نائبه مقيم بها .

وكان في ميناء نابل هذه ثمانية وعشرون شينياً مركزة بها . فلما طرقتهم شواني الريدرون
البرشونوني لم يجسر أحد من أهل نابل أن يطلع إلى الشواني المركزة في مينائها . فطلع الأبرنس
ابن الري جار القائم مقام أبيه وطلع معه السكند نائبه وجماعة كبيرة من الأكناد ومن الخيالة ،
لأنهم قالوا لولد الري جار : متى لم تطلع أنت ، وإلا ما يطلع أحد . فلما طلع طلعوا وقصدوا
شواني البرشونوني التي حضرت لقتالهم . فلما خرجوا من ميناء نابل قدر ثلاثة أميال اندفعت
شواني البرشونوني // قدامهم إلى داخل البحر لأن الرياح كانت غربية ، وخافوا أن تحشرهم
الرياح في البر . فلما اندفعوا طلبتهم شواني الري جار وهي متفرقة في البحر ، فرجعت عليهم
شواني البرشونوني وقابلتهم ، فأخذت منهم عشرة شوان . وكان ولد الري جار والأكابر في
شينى مستعدّ بالرجال والعُدَد ، فقاتلهم قتالاً عظيماً ، وإن شخصاً ممن كان في شواني
البرشونوني التزم أنه إن أعطى خمس أواق ذهب أن يتلف شينى ولد الري جار ، فغطس
وخرق الشينى المذكور ، فعمل الماء فيه وأشرف على الفرق . فعند ذلك رموا سيوفهم وطلبوا
الأمان ، فأخذوا الملك ومن كان معه من الأكناد والخيالة والأعيان ، ثم أخذوا عشرة
شوان آخر خارجة عن العشرة // الأول ، وأحضروا الملك وأصحابه إلى مَسِينا ، وعائنه أهل
المدينة ، وسيروا أعلموا البرشونوني بما تجدد ، وقالوا : إن هذه الواقعة كانت في العشرين من
شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستمئة .

(١) ضرب من السفن ، مفردة شانى أو شينى وتجمع على شوانى . ويسمى أيضاً الغراب ، وهو يجذف
بجناحه وأربعين مجذافاً وفيه المقاتلة والمجذافون .

(٢) نابل *Napoli* عمل عظيم في البر الكبير من بلاد الروم . وبينها وبين مرسى مسينى من جزيرة
صقلية اثنتان وثلاثون ميلاً . ومدينة نابل هذه حسنة أولية عامرة ذات أسواق نافقة السلع وافرة البضائع
والأمنعة . وبين نابل وإسطانة جبل نار لا يتوصل إلى بركانه لأنه دائم الدهر يرمى بالنار .

(الروض العطار في خبر الأقطار) .

ومن ذلك ورود الأخبار بأن المَريني صاحب الغرب حاصر الفونش ، وأن الفونش مات / وترتب في ملكه ولده الذي كان يختلف معه وملك بلاده عوضاً عنه . هؤلاء هم الفرنج .

وَأَمَّا التتار

فحالفهم أظهر ، وخبرهم أشهر . وذلك بموت أبغا^(١) ، وأجاي^(٢) أخيه ، ومنكوتر^(٣) ، وقتل قنغرطاي الذي كان دخل الروم . ومات من أكابرهم لو كاهادر . ومات // سكينتر ١١٨ بخاتين وهو يتصيد . ومات سونج نائب منكوتر مجروحاً . ومات حرمي صهر أبغا ، ومات جيبا آرحي بن أخى أبغا ، ومات منكسر ، ومات قنجي بن كتبغا ، وجماعة لا يحصى عددهم ، لاسيما من أفنانهم السيف نوبة حص . وفي الطرقات ممن مات عطشاً وغرقاً وتعباً وخوفاً ، فأكثر من أن يعدّ وحالفهم لا توصف ولا / تحدّ . وآخر الأمر أن الملك أحمد بن هلاؤن استحكمت العداوة والبغضاء^(٤) بينه وبين أرغون ولد أخيه أبغا وانعزل كل منهم

(١) توفي أبغا بن هولاكو بن تولى خان بن جنكيز خان ملك التتار في سنة ٦٨٠ هـ . كان ملكاً طاغية جليل القدر على المهمة . شجاعاً مقداماً خبيراً بالحروب ، لم يكن بعد والده مثله ، وكان على مذهب التتار واعتقادهم ، وملكته واسعة جداً وعساكره كثيرة ، وكانت مع ذلك كلته مسبوغة في جنده (النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٤٨) .

(٢) في النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٩٨ « الأمير ركن الدين إياجي » . وفي المنهل الصافي « سيف الدين إياجي » ، وذكر أن وفاته سنة ٦٨٦ هـ . وفي السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٦٩٣ « الأمير ركن الدين إياجي » .

(٣) مات منكوتر بن هولاكو بن طاو بن جنكيز خان بجزيرة ابن عمر مكوداً عقب كسرتة على حص ، وله من العمر نحو خمسين سنة ، وقيل ثلاثين والثاني أرجح .

(السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٠٤) و (النجوم ج ٧ ص ٣٤٨) .
وراجع أخبار هذه الوفاة في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ص ١٦٠) .
وأيضاً كتاب (التهج السديد ص ٣٣٤) .

(٤) في جمادى الأولى خرج أرغون بن أيبغا على عمه تكدار المسمى أحمد سلطان بخراسان فسار إليه وقتله وهزمه ثم أسره .

(السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧١٤) .

إلى جهة ، و بقيت جماعة مع الملك أحمد ، و جماعة مع أرغون فاتفق أن أحمد قصد جهة أرغون بعساكره ، و اغتتم الفرصة في أن رسله الشيخ عبد الرحمن و صمداغو حضروا // إلى خدمة مولانا السلطان و إلى أبوابه بطلب الصلح ، و أنه بذلك يأمن هذا الجانب . و اعتقد أنه بذلك ينجز أمر أرغون بن أبغا و يعود إلى ما في نيته الفاسدة . ١١٩

ولما كثرت المقاولات بين الملك أحمد و بين أرغون و تطاول أرغون إلى أنه يشور على الملك أحمد سير ، الملك أحمد عسكراً كبيراً نحواً من أحد عشر ألف مقاتل / و قدّم عليه المسمى بعلي ناك^(١) أحد خواص الملك أحمد ، فقصدها أرغون ، و نزلوا قريباً منه . فركب أرغون و كبسهم فقتل منهم ألفي راكب ، و باغ ذلك الملك أحمد ، فركب في أربعين ألف راكب ، و قصد جهة خراسان^(٢) فالتقى هو و أرغون ، فقتل من عسكر أرغون أكثر من النصف ، و أكثر من فعل ذلك // الأكراد اللور . و ضربت البشائر في بلاد العجم . و وصلت زوجة أرغون و ولده و خواتين كثيره للدخول على الملك أحمد . و ردّ الملك أحمد طالباً جهة توريز^(٣) فوصل إلى ١٢٠

(١) كانت ألتاق هذا قائداً عاماً لجيوش تكدار ، و قد وكل به حراسة أرغون في سجنه . و لما نارت المغول على الملك أحمد تكدار طوقوا ألتاق ليقنطوه ، ففر منهم فأدركوه و قتلوه و قتلوا تكدار أيضاً . (القريزي : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧١٤) .

(٢) خراسان بضم الخاء المعجمة و فتح الراء المهملة و ألف ثم سين مهملة و ألف و تون . و هي بلاد كثيرة .

و يقول أهل العراق أنها من الرى إلى مطلع الشمس و بعضهم يقول من حلوان إلى مطلع الشمس . و في « تقويم البلدان » و يحيط بها من جهة الغرب المغارة التي بينها و بين بلاد الجبل و جرجان ، و من جهة الجنوب مغارة فاصلة بينها و بين فارس و قوس ، و من الشرق نواحي سجنستان و بلاد الهند و من جهة الشمال بلاد ما وراء النهر و شيء من توسكتان .

(٣) تبريز بكسر المثناة من فوق و سكون الباء الموحدة و كسر الراء المهملة ثم مشاة من تحت و في آخرها زاي معجمة . و الجارى على ألسنة العامة « توريز » بالواو بدل الموحدة — و موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .

و قال بن سعيد « و هي قاعدة آذربيجان في عصرنا و هي أشهر بلدة بها » . (صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٥٧) .

و فتحها نعيم بن مقرن المرزى في خلافة عمر بن الخطاب — توفي فيها ناصر الدين البيضاوى صاحب التفسير سنة ٦٨٥ هـ و إليها ينسب أبو زكريا التبريزى إمام اللغة و الأدب المتوفى سنة ٥٠٢ هـ . (فهرست معجم الخريطة التاريخية ص ٣٢) .

أهرو راى يكون مسيرة يومين من توريز . وكان أحمد لما انتصر أمسك خمسة من الأمراء في المصاف وقرّرهم ، فاعترفوا بأن أرغون / طلب العبور إلى إياخان فمنعته جماعة من أصحاب الملك أحمد ، ومنعوا أرغون من الدخول في طاعة أحمد فأمسك أحمد اثني عشر أميراً من كبراء المغل وقيدهم وسلسلهم . فعند ذلك قام المغل على الملك أحمد وجأهروه . واختلفت الأخبار . فمن النصحاء من يقول : إن أحمد قتل ، ومنهم من يقول : إنه هرب هو وصاحب الديوان ، ثم أخذ وأحضر ^(١) أرغون // فقتله ، وقتل صاحب الديوان . ولا شك في أن الملك أحمد ١٢١ قتل حقيقة . واستبد أرغون بالأمر ، وامتلاّت بلاد ماردين وغيرها بالمنكسرين من أصحاب أحمد . وساق أرغون المسمّى بعلي ناك ، وأحرق بيت والدته الملك أحمد ، وهي قتوخاتون وهي فيه . وقيل : إن الملك أحمد قتل في دعوى كان المغل اجتمعوا فيها / وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وستائة . واستقل أرغون بالملك مع قلة مال ورجال . وبقي حوشكب أخو أحمد في بلاد الموصل والجزيرة بمائتي فارس لا غير ولا يزالون مختلفين أبداً إن شاء الله ، يقتل البعض منهم البعض ، حتى يطهر الله منهم الأرض . والله يجعل كل عدو لمولانا السلطان هالكا // ويجعل اسمه أينما كان مباركا . ١٢٢

وورد إلى مولانا السلطان مترجم ^(٢) من أكبر المطلعين على بواطن القوم ، مضمونه : أن الاختلاف شمل العدو ، وتفرقوا شذّر مذر ، وأن أحمد جرت بينه وبين أرغون مصافات . وآخر الأمر أن عليا المعروف بناق أمسك أرغون وأحضره إلى أحمد . فتركه في الخيمة ووكل به في / كل ليلة عشرة آلاف فارس تحرسه . وثمّ أمير يقال له برّبعّا وهو كبير عندهم . وكان أحمد قد جعله رأس العسكر . وكان أحمد في بعض الأيام قد قال له في وقت : لا بدّ وأن أقطع رأسك ، فبقيت هذه الكلمة في قلب هذا الأمير . فلما أمسك أحمد أرغون وجعله في الخيمة ووثق بالانتصار عليه ، // وأنه قد وقع في يديه ، ركب في ١٢٣

(١) أى إلى أرغون .

(٢) أى مكتوب بكتابة سرية كالشفرة في عصرنا .

مائة فارس وترك العسكر وإخوته وأرغون في المكان الذي أمسكه فيه . وطلب أردو أمه فريحا بالنصرة ، ففكر ذاك الأمير في كلام أحمد له ، وعمل هذا الكلام في خاطره . فركب إلى حوشك ، وقال له : أنا مملوك بيت ألقان وما أنا لكم بخائن . واعلم أن الملك أحمد قد جعل أمر / العساكر إلي . ولما ركب إلى أمه تقدم إلي وقال : كلما رحلت مرحلة أقتل من القوم واحداً وادفنه موضعه ، حتى لا تخلي من الإخوة أحداً حتى تصلوا إلى عندي . فقال له حشك : « أحقاً ما تقول ؟ » فقال : هذا كلام أخيك ، وإنما أنتم ما تصدقون حتى تموتوا » . فسير حوشك طلب أرغون في تلك الساعة // ١٢٤ فامتنع وقال : « ما طلبني إلا ليقتلني » . فحلفوا له أنه ما طلبه إلا لشغل . فحضر أرغون إلى حوشك . فلما حضر إليه ركب خلفه على فرس تحته ، وانعزل عن الناس وحدته الحديث الذي قاله له ذلك الأمير . وقال « يا عني : أنا مالي جواب ولا كلام أنا الساعة أسيركم والأمر إليكم . ثم سير حوشك وراء قرانوقاي ، وهولاجو ، وبايدو ، وأولاد القان ^(١) / كلهم وعملوا مشوراً على أن كل واحد منهم يمضي إلى أمير يقتله . فراح أرغون إلى بيت علي ناق فقتله .

وما أصبح الصبح إلا أن قتلوا من وقع الاتفاق عليه . وجهزوا تقدير ثمانية آلاف فارس لابسة من عسكر أرغون ممن يعتمد عليهم ، وتوجهوا لإمساك أحمد ، ونهب الأردو الذي له ، وأردو // أمه وبيوتهم . فلما ركبوا ، ركب ذلك الأمير الذي أقام الفتنة وهو برّبعاً ، فسبق إلى أحمد يعلمه بما جرى ، وأن العسكر مخبط . فلما سمع أحمد هذا الكلام جدّ في السوق إلى أن وصل إلى أمه وعرفها الحال . ففكرت في الحال : فصاح أحمد لسكتور ولأمرائه ، ليجمعوا له عسكراً يلتقي به أرغون فدخل / سكتور على قوتي خاتون أم أحمد ، وانفقوا على إمساك أحمد . وقال سكتور لأحمد : « أخرج برّا البيت حتى تعرض العسكر . فلما خرج أمسكوه وتركوه في خيمة . وبعد يومين كبستهم الثمانية آلاف فارس المسيرة من جهة أرغون ونهبوا ، أردو أم أحمد

(١) القان هو غازان محمود بن أرغون بن أبغا (آباغا) ملك التتر (٦٩٤ - ٧٠٣ هـ) كان يوذيا ثم اعتنق الإسلام عند إعتلائه العرش وقد استهل عهداً جديداً لإسمه العهد الإيلخاني يبدأ من ١٣ رجب سنة ٧٠١ هـ

وأخذوا شيئاً لا يُعدّ ولا يُحصى وبقى أحمد // سبعة وعشرين يوماً ممسوكاً، ثم قتلوه ^(١) رفساً . ١٢٦
وبعد عشرين يوماً سيرا رغون بر بغا وسكتور إلى عند أم أحمد، وقالوا : إن ابنك
ضربه الحرفات ، ووصّاهم بأن يحفظوا ما تقوله لهم . فقالت : « لو كان ابني سمع كلامي
ما أصابه شيء ، وإنما هو خرج عن الياسة وما سمع كلامي . وإنما يعيش بقية / أولادي :
أرغون وحوشكب وهو لاجو .

ولما خرجوا من عندها تنصّتوا : هل يسمعونها تبكي أو تقول شيئاً فما قالت شيئاً .
ولا أعادت ولا أبدت . ثم طلبتهم وقالت : قولوا لولدي أرغون : « ما كان مصلحة نهب
بيت جدك هلاون ، وأحمد لما خرج من الياسة أنا الذي أمسكته لكم » . فتوجهوا
وبلغوا // أرغون الحديث عنها . ١٢٧

قال هذه ماتريد تخرج من كلامها ومشورتها . ثم أعطاها بلادها كما كانت في
زمن ابنها : طومان وميافارقين ^(٢) . ولما قتل أرغون أحمد عزّ على حوشكب كونه قتله

(١) وفي يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخر دخل السلطان المنصور إلى دمشق ، فقدم القصاد من
بلاد التتار بقتل أحمد أغا وولاية أرغون ، وفي تلك الليلة ألبس السلطان ألفاً وخمسمائة من مماليكه أقيية
أطلس أحمر بطرز وكلفات مزركش وحوادث ذهب ، وأشعل بين يديه ألفاً وخمسمائة شمعة مع كل مملوك
شمعة ، واستدعى الشيخ عبد الرحمن الواصل في السنة الماضية من بلاد التتار فحضر ومعه رفقة الأمير
صمداغو التتري والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين التتري المسروف بابن الصاحب وزير
ماردين وأخبرهم أن رسائلهم الذي بعثهم قد قتل وتملك بعده أرغون بن أبغا . ثم ردهم إلى قلعة بقاعة
دمشق ، وتلقاهم من قاعة رضوان التي كانوا بها منذ وصلوا إلى دمشق واقتصر من راتبهم على قدر الكفاية
وطولبوا بما معهم من ائال لأحد أغا ، فأنسكروا أن يكون معهم مال ، فتوجه إليهم الأمير شمس الدين
سنقر الأعسر الأستاذار ، وقال : « قد رسم السلطان بانتقالكم إلى غير هذا المكان ، فليجمع كل أحد
قماشه » ، فقاموا يحملون أمتعتهم وخرجوا ، فأوقفهم في دهليز الدار وفتشهم وأخذ منهم جملة كبيرة من
الذهب والؤلؤ ونحوه : منها سبعة لؤلؤ كانت للشيخ عبد الرحمن قومت بمائة ألف درهم . واعتقلوا ، فمات
عبد الرحمن في ثامن عشر رمضان بالسجن وضيق على البقية ثم أطلقوا ، ما خلا الأمير شمس الدين
محمد بن الصاحب فإنه نقل إلى قلعة الجبل بمصر واعتقل بها .

(المقرئى : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٢٣) . و (ابن الفرات ج ٨ ص ٦)

(٢) ميافارقين : بفتح الميم وتشديد المثناة بن تحتها وسكون الألفين بينهما فاء مفتوحة وبعدها راء
مهملة ثم قاف وياء آخر الحروف ونون . وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة
وهى بين الجزيرة وبين أرمينية وهى قاعدة ديار بكر ، بينها وبين الموصل على حصن كيفا نحو ستة أيام
وعلى ماردين نحو ثمانية أيام والنسبة إليها فارقي .
(صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٢٠) .

بغير أمره وندم على ما فعل . فركب وراح من قدام أرغون . فسير طلبه فما أمكنه إلا أن يحضر إليه . فحضر في خمسمائة / فارس وتعاتبوا . فقال له حوشكب : « أنا أعتقتك من يد أحمد وأسرته » . فاعترف له بذلك . وعتبه على جلوسه على التخت وما شاوره . ثم اتفقوا على أن بايدو يحكم على إقليم بغداد ، وهولاجو يحكم على الروم ، وحوشكب يحكم من إربيل إلى تخوم الروم ، وولد أرغون يحكم إلى جوا مكان أبيه // وأجاي يحكم على الكرج .^(١)

ولما توجه حوشكب من عنده سير إليه ليحضر إلى عنده . فامتنع ، فسير أميراً معه ألفا فارس اسمه عزب ، فلم يحضر معه .

وقال المترجم بهذه الأخبار : هذه الأخبار الصحيحة من بينهم .

(١) في القرينى : السلوك ج ١ من ٧١٤ أن أرغون ولي وزارته بسعد الدولة اليهودى ، وولى ولديه خربندا وقازان خراسان . وعمل أتابكهما ، الأمير نوروز .

ذكر قصد العساكر الحلبية /

جهة التّينى وما قدّره الله لها من نصر .

لم تزل الأخبار في هذه الممدد كلها تصل إلى مولانا السلطان من القُصّاد والمناصحين والمترددين بأن جماعة من قلعة التّينى من الأرمن يقطعون الطرقات ويُخيفون السبيل ، ويتوقّعون على القُصّاد ، وكثرت الشكوى منهم . فسير مولانا السلطان إلى النائب بحلب // ١٢٩ المحروسة يأمرهم باغتنام فرصة في هذا المكان . فاهتمّ النائب بحلب بذلك ، وسير جماعة من العسكر مقدّمهم الأمير سيف الدين بلبان الشمسيّ ، وتوجّهت جماعة من الحشود إليها ونازلوها وطمعوا في أخذها ورموا عليها بالمنجنقات وأخربوا برجاً من أبراجها وبدّنة من أسوارها ، فصاح أهلها : الأمان / وسألوا إنقاذ من يتوجّه إليهم ، فسير إليهم نفرين من حلقة حاب . وتحدّثوا معهم في أنهم ينزلون من القلعة ، أو يقطعون عليهم قطيعة برسم تطابق خيل العسكر المنصور ، وقرروا على نفوسهم سبعة عشر ألف درهم ، وحلوا منها ألفي [دره] م وأعطوا رهينة على بقية المبلغ ، وهو أحد النصارى . وهم في أثناء ذلك وفي مخادعة // أهل الحصن حتى تمكنوا منهم ، إذ حضر ابن البابا وبقى على جبل ليسون ١٣٠ بالقرب منهم ليغتنم فرصة . وسير جماعة من القراغول ، فوقع عليهم اليزك^(١) المنصور وجهاً بوجه ، واقتتلوا ، فقتل من التتار أكثرهم وأمسك منهم ستة نفر ، ونهبت بعض خيل القراغول ، وكانت النصره للمسلمين . وكان من^(٢) استشهاد / الأمير شهاب الدين حيدر قبل ذلك بسهم . وعاد العسكر في حرز السلامة ، فوصلوا البيرة^(٣) ضحوة نهار السبت ثامن شهر ربيع الآخر من هذه السنة . وخربت قلعة التّينى وما بقي أحد يقدر على الإقامة بها .

(١) اليزك : أى الحرس المتقدم أو الكشفة وجمعها يزكية .

(٢) كذا . ولعل الأصل : ممن .

(٣) البيرة : بكسر الباء وسكون الياء المثناة تحت وفتح الراء المهملة وألف في الآخر ، وهى قلعة في البر الشرقي في الشمال عن الفرات في الشرق عن قلعة الروم ، والفرات بينهما وقد عدها في « تقويم البلدان » من جند قنسرين من أعمال الشام .

ذكر خروج مولانا السلطان //

في هذه السنة إلى الشام الحروس

وفي هذه السنة رسم مولانا السلطان - خلد الله ملكه - بحضور عساكره جميعاً ،
وجمعها من البلاد . وسير سلاح دارينته لإحضارهم ، فحضروا من كل صوب ، وقدم
خيرة الله ، وركب من قلعتة في يوم الأحد ثامن جمادى الأولى ، وخيم بباب النصر ، ورجل /
منه في يوم الخميس ثاني عشره . واستقر مولانا السلطان الملك الصالح في تدبير أمور الديار
المصرية ، ومباشرة أمورها الجزئية والكلية ، وفي خدمته نائباً عن السلطنة المعظمة الأمير
زين الدين كتبغا المنصوري ^(١) .

١٣٢ فلما وصل إلى غزة وردت الأخبار بأن الملك أحمد مات ^(٢) ، وقوم يقولون : أسر ، وأن //
أرغون اتفق معه جماعة المغل على إمساك أحمد وخلعه من الملك ، وأن فرقة تقدير أربعة
آلاف فارس حضرت مقفرة من التتار طالبين الشام الحروس . فأرسل مولانا السلطان
العنان إلى دمشق الحروسة في تاريخ يوم السبت ثاني جمادى الآخرة . فجرى الناس على
العادة في السرور بقدمه ، وبأشر كل / منهم يكون المصلحة في تقديمه وكان في ابتدائه إحضار
رسل الملك أحمد ، وهم الشيخ عبد الرحمن وصمداغو ، فأحضرهم وقد صبح عند مولانا السلطان
موت الملك أحمد مرسلهم . هذا ولم يعلموا به ولا وصلهم خبر عنه . وبقي كل من يحضر
١٣٣ إليهم يمسك ويحضر إلى أبواب مولانا السلطان وهم لا يعلمون // وتتخذ الكتب وتقرأ وهم
لا يفهمون .

(١) هو السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري ، خلع من السلطنة سنة ٦٩٦ هـ وقع بنبابة
حماة وعاش بها حتى وفاته . (راجع ترجمته بآخر هذا الكتاب) .

(٢) جم أرغون ابن أخيه : جماعة من أمراء المغول الذين تقموا على السلطان أحمد لإسلامه وتواعدوا
على قتله هو وأصحابه ممن دخلوا معه في دين الإسلام وقاموا ليلا على عسكر أحمد أغا السلطان وأصحابه ولم يعلموا
ما الخبر غير أن رقابهم تضرب والسيوف فيهم عمال فانهزموا ودخل أصحاب أرغون على الملك أحمد أغا سلطان
وهو بالآردو وحملوه من على التخت وقصفوا ظهره ورموه على الطريق .

(ابن الفرات ج ٨ ص ٤) وراجع ترجمة هذا الملك في آخر الكتاب .

وجلس مولانا السلطان في الليل وأرقدت الشموع الكثيرة ، ولم يكن حول مولانا السلطان غير خواص مماليكه لا غير ، وهم في أحسن زى وأكمل صورة ، ومولانا السلطان قد بهر جلاله ، وكاد يأخذ العقول بجماله . قد أنزل الله عليه السكينة والوقار وحُفَّتْ به من كل جانب الأنوار .

فلما دخل الشيخ عبد الرحمن اعتقد أن ذلك المقام لا يهول ، وأنه ^(١) يستخف عقولا مثل تلك العقول . فدخل بزى الفقراء ، فرُسم له بتقيل الأرض ، فأبى كبراً منه وزهواً . فأهوي به إلى الأرض حتى كادت أعضاؤه تنفسخ عضواً فعضواً . وفعل ذلك طرُقاً عدّة ، والعين // إليه من مولانا السلطان غير ممتدّة . وكذلك فعل ١٣٤ بصمداغو وبشمس الدين بن الصاحب ^(٢) الواصل معهم .

ولما حضروا سمع مولانا السلطان كلامهم ، وأخذ الكتاب الوارد من الملك أحمد على يد الشيخ عبد الرحمن ، وقاموا من بين يدي مولانا السلطان ، فسير لهم الخلع الفاخرة مراراً ، وتفقدّهم . وأعلمهم / بعد ذلك بموت السلطان أحمد . ثم أحضرهم مرة أخرى . وكان الشيخ عبد الرحمن قد أحضر هديةً قُبِلت . واستقرُّوا على حالهم في الإحسان والإقامات الواسعة . والمعاملة بالجميل .

١٣٥ ونسخة الكتاب المسير على يد الشيخ عبد الرحمن ، وصمداغو : //

بسم الله الرحمن الرحيم بقوة الله تعالى ^(٣) باقبال

قا آن . فرمان أحمد . إلى سلطان مصر . أما بعد فالذى يجب على العاقل بذل الجُهد / وترك الإهمال والتواني ، واستنفاد الوسع في اقتناء الذكر الباقي الذي هو العمر الثاني ، وقد

(١) كذا في الأصل . ولعله : لا يستخف .

(٢) شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين التتبي المعروف بابن الصاحب وزير ماردين .

(السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٢٣) .

(٣) نص خطاب الملك أحمد تكدار ملك المغول بفارس إلى السلطان الملك المنصور قلاوون سنة

٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) مخبراً بانتقاله إلى ملة الإسلام هو ومن معه من التتار .

(السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٩٧٧) . وهو الخطاب الأول ، أما هذا الخطاب فهو الخطاب الثاني .

راجع زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ٢٤٢ ب

انحصر الثناء الجميل والثواب الجزيل في التعظيم لأمر الله ، والشفقة على خلق الله ، واستعمال
 العدل والنصفة المندوب إليها . وأى عدل ونصفة أعظم قدراً ، وأعلى ذكراً في سائر
 الأصقاع والممالك ، // من إنقاذ الأنفس بجريعة الذقن من المهالك وإطفاء نائرة أكباد
 ١٣٦ حررى ، وقلوب جرحى ، ومن أحيائها^(١) فكأنما أحياء . ولما لم يكن لنا بفضل الله العظيم ،
 وإحسانه الجسيم ، افتقار ولا بغية ، ولم يبق في ضميرنا إرادة ولا منية ، سوى رفاية العالم ،
 وطمانينة بنى آدم ، خصوصاً الطائفة / الإسلامية ، وأهل الملة الحنيفية أنفذنا الألفية
 إلى إخواننا : نوقى أقا وتودامنكو وغيرها ، ونهناهم على أن الملك العقيم الذى ادخره لنا
 جدنا جنكيزخان وآباؤنا الكرام بعد الصبر على المشقة في تحصيله والمقاساة ، وتحمل أعباء
 الشدائد والمعاناة ، بمجرّد النزاع والخصام ، // وخلاف الوفاق واختلاف الكلام قد
 ١٣٧ أشرف على شحوب بهجته وبهائه ، وتكدير رونق صفاء مائه / والآل^(٢) أن أن نستبدل
 وحشة النزاع بأنس الصلح ، ونتعوّض عن غيب ليلة النفار والنقار تباشير الصبح ،
 وتعمد السيوف البواتر التى استلّت من الأغمد ، ويعفى أثر الهرج والمرج ونعرض
 عن الأغراض والأحقاد / ويتفق الجميع على القيام بواجب كوج قان وخدمته ، والالتزام
 بواجب طاعته ، والاشتغال على ما ينوط بمصلحته . وحيث تأملوا ذلك بعين البصيرة ، وزأى
 من حنكه دوران الفلك والتجربة تبين لهم أن هذا رأى محض شور لا يشوبه غش
 ولا مداهنة ، وخالص تنبيه لا يغادره سوى // زبدة المناصحة . فقالوا : إن الذى وقع من
 ١٣٨ الخلاف كان بين من قد قضى نجه من الآباء والأسلاف ولم تجر بيننا مخاشنة ، ولا وقع
 خلف ولا مشاحنة ، فعُدنا إلى ما كان عليه آباؤنا القدماء الكرام ، من الاتفاق
 والائتلاف وحفظ العهد والذمام . والتزمنا ألاّ ينحلّ عقد هذا النظام . والله الموفق
 للرشاد ، والهادى إلى السداد . ولما يفرغ البال من إصلاح ذات البين ، واستحكمت مرائر
 الائتلاف بين الجهتين ، أنفذنا الأيلجية^(٣) بعد النية الخالصة لله وللرسول تسكيناً للفتن

(١) اقتباس من قوله تعالى في الآية ٣٢ من سورة المائدة : « ومن أحيائها فكأنما أحياء
 الناس جميعاً » .

(٢) عن زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ٢٤٢ ب وفى الأصل « والآل » .

(٣) الأيلجية : أنفذنا الأيلجية . . . تسكيناً للفتن النائرة . . . فرقة من الجيش .

الثائرة ، وإطفاء للهب تلك النائرة ، وحقناً لدماء المسلمين ، وسدّاً لثلمة الدين . فكانت
 ١٣٩ خلاصة جوابه وزبدة // خطابه عند وقوفه على ما كتب به إليه أنه : لو أنفذ أبو ناسخ
 الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن لكانت أسكن إلى أمانته وأخلد إلى ديانتها
 وأسمع منه ما لم يحتمل إيداعه الكتب وأشافه بما عندي^(١) من المصالح وأخطبه بما ينطوي
 عليه ضميري للمسلمين من النصائح . هذا وغير خاف أنه يعزّ / علينا بعباده ، ويوحشنا بيئته
 وفراقه . وربما اتصل به ما نستفيد من حسن معاشرته ، وجميل مصاحبته . وحيث كان
 التماسه موجباً لإشاعة الخير العام ، وإذاعة شعار الإسلام ، رضينا بتوجهه إلى جهته ، إسعافاً
 ١٤٠ لمقتراحه ، وجعلناه في اتخاذ العهد واليمين ، بدلاً عن شمالنا واليمين ، ولم يكن بين كلامنا //
 وكلامه بون ، إذ هو لنا في أمور الدين نعم العون . والتزمنا بكل ما عساه يسندنا إلينا ، وبما
 يرى ثقة بأنه الناصح^(٢) الذي لا ينطق عن الهوى . وربما شردمة من الجهل (من الجهتين)^(٣)
 من أهل الشقاق والنفاق لا تجتمع كلمتهم على الوفاق ، تنافى طبائعهم الصلح والاتفاق ، يريدون
 ليظفئوا نور الله / بأفواههم والله متمّ نوره ، لاختلاف ملتهم ، وطمعاً في إدراك بغيتهم .
 فالواجب ألا تسمع أقوالهم ، وتترك أفعالهم ، أولئك الذين حبطت أعمالهم ، ومن المعلوم
 أن كل أمر يمكن اعتماده على^(٤) الوجه الجميل بحيث تنحسم فيه مواد القال والقيل ، لا ينبغي
 أن تكون الحال فيه بالضد ، خصوصاً في // الخطب الإذ ، والأمر الجدد .
 ١٤١ « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » وكتب في أوائل ربيع
 الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة . بمقام تبريز .

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم /

(١) زبدة الفكر ج ٩ ورقة ٢٤٤ ب : يهتدى .
 (٢) في زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ٢٤٤ ب « الناصح الأمين » والعبارة غير مقروءة في الأصل .
 (٣) الجملة بين القوسين غير واردة في المصدر السابق .
 (٤) عبارة غير مقروءة في الأصل . وما أثبتناه عن زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ٢٤٤ ب .

ذكر حديث السيل الذي وصل إلى دمشق المحروسة

وسلامة الخزان المعمورة منه

ولما أقام مولانا السلطان في دمشق هذه المدة ووصلت أخباره إلى كل عدوٍّ قريب وبعيد، وأنه متى صد لمخاطب في نفسه يغرُّه بالله الغرور . فلم يوجد لأحد في تلك الجهات ١٤٢ مرور . // وأن وقت اربيع ، ولم يبق إلا التوديع ، تقرر أن يكون توجهه المبارك في يوم الخميس حادى عشر شعبان . وأحضرت جمال الخزان والبيوتات لتُحمل وتُسق . ولم يبق إلا إخراج الخزان . فرسم مولانا السلطان بأن الجمال لا ينزل بها عند باب ولا في تلك الجهة . ولم يرسم بخروج الخزانة في ذلك اليوم توفيقاً من الله / وكانت الجماعة من مماليكه وخواصه نازلين بين النهرين ^(١) فسيّر رحلهم من ذلك المسكان . وتأخر من كآبر . فلما كانت ليلة الأربعاء وصل السيل وجاء كأنه الجبال الرواسى . فأخذ الخانات والفنادق والآدُرَّ وجَرَفَ كل ما كان قدّامه من كل شيء، وهلك للناس شيء كثير من خيل وجمال ١٤٣ وقماش وأموال وهلك عالمٌ // لا يحصى لهم عدد ، واحتمل مالا تعرف قيمته بعد ولا بجملة حساب ، وليس الخبر كالعيان .

وكان هذا السيل هو على الحقيقة طوفان ^(٢) . وسلم كل ما يتعلق بمولانا السلطان : من خزائن وأموال وجمال وبيوتات . وذلك ببركة رأيه الشريف وحسن فكرته الصالحة وآرائه الناجحة .

وتوجه مولانا السلطان من دمشق / عائداً في يوم السبت ثالث وعشرين شعبان فوصل إلى قلعة سالماً في يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر رمضان .

(١) كورة بالعراق .

(٢) يذكر ابن افرات ج ٨ ص ٧ عن هذا السيل فيقول « جاء يوم الأربعاء الحادى والعشرين منه سيل عظيم إلى سوق الخيل بظاهر دمشق المحروسة إلى أن ملأ برداً وطلع الماء إلى طم الدور والفنادق ودخل السيل من باب السلامة وصار أثناء السور وغرق من العالم والخيول والجمال مالا يحصى وعدم من الأقمشة والآلات وغيرها مالا يحصى وغرق أكثر قماش الأمير بدر الدين بكتاش النجمي وخيله وغرق للأمير علم الدين الياشقردى نيف وستون جلا ولغيرهم جمال كثيرة .

وبذكر أيضاً « وجاء في يوم الجمعة الثالث والعشرين سيل ثان يقارب ذلك » .

ذكر وفاة صاحب حماة

وإحسان مولانا السلطان إلى ولده

وفي شهر رمضان انحرف مزاج الملك المنصور^(١) صاحب حماة . وباغ ذلك نائب الشام
فسير إليه // أحد الأمراء المنصورية على البريد يسأل عن مزاجه . ويسلم عليه ويعودُه عنه . ١٤٤

وكتب مولانا السلطان بتفقده وأخذ أخباره، والسؤال عن مزاجه . فلما كان يوم
الأربعاء سابع عشر شوال ورد البريد من جهة الملك المظفر تقي الدين ولده^(٢) ، وعلى يده
كتاب منه وكتاب من عمه الملك الأفضل / يخبران بوفاة رحمه الله ، ويطلبون مراحم
مولانا السلطان . فأحسن مولانا السلطان وجبَّ مصابهم بأن كتب جوابهم بالتعزية
والتسلية وبإجراء الملك المظفر مجرى والده في قيامه في مملكته ، ومخاطبته في مكاتبته
كمكاتبته . وكتب جواب عمه وأجوبة^(٣) أصحابه . // ثم جهز الأمير ١٤٥

(١) الملك المنصور ناصر الدين محمد الأيوبي صاحب حماة . أقام في مملكته إحدى وأربعين سنة
 وخمسة أشهر وأربعة أيام . (راجع ترجمته في آخر هذا الكتاب)

(٢) هو الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور صاحب حماة . أجراه الملك المنصور قلاوون
— صاحب مصر — مجرى والده في التشاريف والمكاتبات وجهز إليه التشريف والتقليد صحبة
الأمير جمال الدين أفس الموصلي الحاجب . (راجع ترجمته في نهاية هذا الكتاب)

(٣) أسفهلارية : جمع أسفهلار وعرفها الدكتور محمد مصطفى زيادة ناشر كتاب « السلوك »
ج ١ قسم ٣ ص ٦٨١ أن أسباسلار في الأصل اسم لوظيفة معروفة في الأنظمة الحكومية بمصر منذ
الدولة الفاطمية وكانت لصاحبها في عهد تلك الدولة : زمام كل زمام وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم، وفي
خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على إختلاف طبقاتهم . ثم صار هذا اللفظ من الألفاظ الخاصة
بأمراء الطبلخانة في دولة المماليك على أنه قد ترك استعماله ، وذلك لأن العامة كانت : تقول لبعض من
يقف بباب السلطان من الأعوان أسباسلار ، وكأن أمراء الطبلخانة كرهوا مشاركة بعض الأعوان فيه
فأضربوا عنه لذلك أو لم يفهموا معناه فتركوه . هذا وأسباسلار تحريف عامي للفظ أسفهلار ومعناه في
الأصل مقدم العسكر وهو من الفارسية أسفهلار

جمال الدين أقش الموصلى الحاحب أحد الأمراء الإسفيسلارية وسير معه جملة من التشاريف
الخاص للتعبير له ولعمه^(١) ولولد عمه ولأمرائه كلهم^(٢) .

وتوجه فى عشية يوم الجمعة تاسع عشر شوال ، وشرف نائبه فى الديار المصرية الذى
على أملاهم ووقوفهم /

وفى أثناء ذلك حضر الأمير علم الدين سنجر الحموى المعروف بأبو خرص^(٣) ، فصادف
الأمير جمال الدين الحاحب فى الطريق فأخذ منه آثريته ولبسه وحضر بين يدى مولانا
السلطان وعرفه وصية صاحبه وإسناد ولده إلى مولانا السلطان فأعاد مولانا السلطان // ١٤٦
إلى المذكور وإليهم . وجدّد المكاتبات إلى النواب فى تلك الجهات جميعها بالصيغة ،
وإجزاء الأمور على ما كانت عليه فى حياة صاحبهم - رحمه الله . وجدّد كل ما لهم
من تواقع وأمور ومهمات . وسافر بكل ما يرضيهم . ووعد مولانا السلطان بأنه إن شاء
الله إذا حضر إلى / دمشق سلطنته وأعطاه تقليده وكل ما ينبغى لمثله من شعار سلطنة
وغير ذلك .

(١) عمه الملك الأفضل وابن عمه الأمير عماد الدين .

(٢) كانت الهدية التى بعثها الملك المنصور « فلاون » فيها عشرة أنداب (الأنداب جمع ندب ،
وهو كيس صغير يسم خمس بندقات) بندق ذهب ، كل ندب خمس بندقات ، زنة كل بندقة عشرة
دنانير ، وعشرون ندب فضة زنة البندقة مائة درهم ، وبدلة حرير غيار زركش فيها ألف دينار ،
وحياصة مكللة ، وجراوة زركش فيها البندق المذكور وعشرون قوسا - وعدة تحف - بلغت قيمة
ذلك ثلاثين ألف دينار .

(المقريزى : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٢٦) .

(٣) الأمير علم الدين سنجر الحموى ويعرف « بأبو خرص » كان من خشداشية الأمير شمس
الدين بهنقر الأتقى المظفرى . تقلد نيابة السلطنة بحياة المحروسة فى ذى الحجة ٦٨٥ هـ وكتب تقليده القاضى
محيى الدين بن عبد الظاهر .

وفى هذا الشهر جهّز من الكسوة والركب إلى مكة شرفها الله تعالى . وجعل
أمير الركب الأمير علم الدين الباشقردي^(١) . وسافر في هذه السنة من الخلق أمم لا تحصى من
مصر // والقاهرة والأرياف . ومن غزّة ومن الشام أميره الأمير عز الدين بن عز الدين ١٤٧
القيمرى .

آخر الجزء الثانى من السيرة السلطانية

الملكية المنصورية

ويتلوه^(٢) /

(١) سنجر بن عبد الله الباشقردي المصرى ويلقب علم الدين . كان من أ كابر الأمراء المتقدمين
الألوف بالديار المصرية . تولى نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة وعزل بالأمير شمس الدين قرا سنقر المنصورى .
توفى فى ليلة الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وستمائة بالقاهرة المحروسة ودفن
بالقرافة بسفح الجبل المقطم تحت بركة الشيخ ابن عبود . ويذكر ابن الفرات ج ٨ ص ٥٨ « ورأيت بخط
القاضى جمال الدين محمد بن المكرم كاتب الدرج الشريف فى تأليفه ذخيرة الكاتب أن سنجر المذكور توفى
فى ليلة الخميس الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين الشهر المذكور والله أعلم أى ذلك كان »
(٢) هنا أراد المؤلف أن يكتب « الجزء الثالث » ، ولكنه أهل ذلك لسبب لم نقف عليه . وربما
سقطت هنا بعض الأوراق .

العوب ويحسن الصّون

هذه نبذة أتت على سبيل التذكّرة ، والوصيّة المختصرة المقتصرة . والله يعمر بالخير
مغنائه ، ويحمي بذبّه حمى الإسلام وحماه ، ويملي بولائه كلّ قلب كلاًه بقاؤه وحماه
كجاءه ، بمنّه وكرمه .

١٤٨ وشرع مولانا السلطان // في تجهيز أمور الغزو من تجهيز المجانيق والعُدَد والآلات ، وأقام
بدمشق إلى يوم الإثنين ثانی صفر ، ورحل منزلة فمَنْزلة ، فنزل عيون القصب ، وشرعت
العساكر في التّوافد من كلّ جهة ، فاندفعت اندفاع السيول من كلّ مملكة . وحلّت
المجانيق من كلّ جهة . وحمل متجنّيق عظيم كان مولانا / السلطان رَسَمَ بعمله بدمشق
بمباشرة الأمير الاسفهلار عزّ الدين الأفرم^(١) أمير جاندار يرمى بحجر زنته مائة وعشرون
رطلاً بالدمشق .

(١) عز الدين الأفرم هو : أبيك بن عبد الله التركي الصالحى النجمي ويلقب « عز الدين » ويعرف
بالأفرم أمير جاندار . (راجع ترجمته في نهاية هذا الكتاب) .

ذكر فتوح حصن المرقب^(١)

وهو حصن عظيم منيع ما زال مولانا السلطان الملك المنصور نصره الله - يذأب في أمره // ويتحيل في تحصيله للإسلام ويستفيد الرأي والتدبير في افتتاحه وإصحاب جماعه ؛ ١٤٩
لأنه كان قد أعجز الملوك ، ولم يقدر أحد منهم على التقرّب منه فكيف النزول عليه .
واجتهد الملك الظاهر في الإغارة عليه مراراً فما قدر الله ذلك ولا سهّله ، ولا عاج على قسميته / ولا عجله وتوجّه إليه مرّة من حمّة فصادفته ثلوج وبرد وأمطار ، وحجبته عنه .
وحجزته المضايق والأوعار . ومرة من غير حمّة ولم يحصل له منه قصد بالجملة الكافية .
وخبّاه الله لمولانا السلطان [ن] ليكون من فتوحاته المنيرة ، ولتطرّزه أحسن سيرة .
وكان بيت الإسبتار الذين به قد زاد // بغيهم وعدوانهم ، وكثر فسادهم ، حتى بقيت أهل ١٥٠
القلع المجاورة لهم كأنهم في حبس ، بل في رمس . وكان الفرنج يعتقدون أنه لا يدرك بحول ولا حيلة ، وأن الحيلة فيه قليلة ، واستمرّوا على هذا الطغيان ، ولم يقفوا عند الإيمان .
وعملوا في نوبة القليعات كل قبيح من الغدر / والأسر والنهب ومولانا السلطان المنصور رابض لهم كالأسد المصور ، وهويهمّ بأمر هذا الحصن من غير إظهار . وكما أوقدوا ناراً
لحرب أمدّته من الهداية الربانية والأنوار .

وجّهز المجانيق من دمشق ولا يعلم أحد إلى أين تسير ، ولا إلى أين المصير . والرجال من

(١) حصن المرقب من الحصون المشهورة بالمنعة والحصانة وهو كبير جداً ، ولم يفتحه السلاطون صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتح ، فأبقاه السلطان الملك المنصور بعد أن أشير عليه بهدمه ورم شعثه واستتاب فيه بعض أمرائه ورتب أحواله .
(النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣١٧)

ويقول ابن الفرات ج ٨ ص ١٧ أن هذا الحصن كان لبيت الاسبتار ، وكان من الحصون المنيعة المشهورة بالمنعة ومركبه على بلدة صغيرة قريبة من البحر وهي قريبة من هذا الحصن وكان صاحبه قد بنى في البرج برجاً عظيماً لا يرام تحصيله ولا يصل إليه النشاب ولا حجارة المنجنيق وكان فيه من الضرر على المسلمين ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

- ١٥١ البلاد مجّهزة // بأزوادهم ومقدّميههم وعددهم وهى كثيرة لا تُحصى كثرة . ومن الناس من يقول إن العزم إلى قلعة الرّوم ، ومنهم من يقول : إلى غير ذلك . وكان قد جّهز مولانا السلطان زردخانه عظمة من مصر ، فيها أحمال كثيرة من النّشاب وغيره . وكذلك فرّق على الأمراء والجند نشاب / يحملونه معهم ليحضروه^(١) إذا طلب منهم ، وجّهزت آلات من الحديد والنّفط مما لا يوجد إلا فى ذخائره وخزائن سلاحه . كل ذلك سبق تجهيزه قبل سفره وتوجّهه . واستخدمت جماعة كبيرة من الصناع الذين لهم خبرة بالحصارات ودربة بالمنازلات . وجّهزت المجانيق التى فى القلاع المجاورة // وجردت رجالها من غير رهج ولا إظهار شيء . وحملت المجانيق والآلات على الأعناق والرؤوس . ورحل مولانا السلطان من على منزلة عيون القصب مُجدداً ، فنازل حصن المرقب فى يوم الأربعاء العاشر من شهر صفر . وللوقت حملت المجانيق على الأكتاف ، فى تلك الأكتاف . وطاف / البلاء بهذا الحصن من كل مكان ، ونفذوا فى حصاره بأعظم سلطان . ونصبت المجانيق الفرنجية والقرايغا^(٢) . ومن جملة ذلك مجانيق فرنجية كباراً ثلاثة ، ومجانيق قرايغا ثلاثة ، ومجانيق شيطانية أربعة ، بحيث إنها طافت بها من كل مكان واستمرت ترمى من الحجارة بما يتطاير شرره ، ويتنوع ضرره . // وأخذت الثّقوب من كل جانب .

واتفق أن المجانيق الفرنجية كسرت مجانيق الفرنج . وتقدّمت الإسلامية إلى قريب القلعة ، فأصلح الفرنج مجانيقهم ورموا على المجانيق الإسلامية ، فكسروا بعضها ، وقتل تحتها جماعة من المسلمين ، ولا خلاف فى أن الحرب سجال ، وما فى كل موطن تسلم فى / الحرب الرجال . وانتهى النّقب السلطانى وحُشي بالأحطاب ، وأوقد فى يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول ، فعملت النيران فى وسط النّقب فى البرج الذى فى قرنة الباشورة .

(١) كذا فى الأصل .

(٢) القرايغا : ونصبت المجانيق الفرنجية والقرايغا . . . مجانيق قرايغا . . . ومجانيق شيطانية ضرب من السلاح وهو نوع من المجانيق .

وزحف المسلمون ليطلعوا بالباشورة . واشتد القتال وقصد المسلمون الصعود، فما تمكنوا، فبطل الزحف . وانفصل // هذا النهار وسقط البرج، وتوهم الناس عُسر التوصل إلى الحصن، وبات ١٥٤ الناس في قلقٍ عظيمٍ لأجل ذلك لأن الحيلة من المجانيق بطلت بسبب ما عَرَضَ، والنقوب انتهت الحال فيها، وما بقي تدبير إلا من الله عز وجل .

فلما كان يوم الجمعة^(١) أنزل الله تعالى لطفه، وأجمل عطفه . وأنجد / بملائكته للمقربين وجنوده أجمعين. فنزلت لنصرة الإسلام مسرعين، وخيّل الله للفرنج أن النقوب في بقية الأسوار على هذه الصورة، وأن النقوب تخرج إلى الخنادق، ومنها إلى الأبراج، وتتعلق حينئذ في الأسوار . وكانت النقوب قد أخذت من تحت الخنادق في أسربة إلى // ١٥٥ تحت الأبراج، والفرنج لا يشعرون بذلك . فاطلعوا على ذلك فسقط في أيديهم، وحل الخذلان في ناديم، وتحققوا أنهم قتل بغير شك، وأن أسيرهم لا يفك . وطلبوا الحديث في الأمان، والمعاملة بالعمو والإحسان . وبعد أن كانوا يؤثرون الموت على الحياة صاروا يؤثرون الحياة / على الموت . وتحققوا أنهم إن غفلوا عن أنفسهم فات فيهم القوت . فطلبوا رحمة مولانا السلطان وعفوه . فافتضى الحال أن مولانا السلطان رأى اختيار الغنيمة بهذا الحصن العظيم أولى من التطويل في حصاره، وأن التأخير له آفات، والأولى الاهتمام بما هو آت، وأن الفرنج الذين // بهذا الحصن إن سلموا ١٥٦ من نار السيوف، لا يسلون من نار الخوف، فأجابهم إلى العفو والأمان، ووثقوا بأن قول مولانا السلطان هو أعظم من الأيمان . فسيروا أكابرهم إلى الدهليز المنصور، ولم يسألوا غير الأمان على النفوس لا غير، وألا يخرج معهم لا مال ولا سلاح متعلق بالحصن خاصة . ومن / له مال يتعلق بنفسه يُنعم عليه به . وشفّع الأمراء فيهم، وقبلوا الأرض بين يدي مولانا السلطان، ورغبوا في إجابة سؤلهم . فأطلق لهم لركوب أكابرهم من الخيل والبغال خمسة

(١). يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول .

(النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣١٥) — وراجع أخبار فتح هذا الحصن بنفس المصدر . وفي (بيريست الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ١٢٥٠)

١٥٧ وعشرون رأساً وملبوساً . وما عَيَّنوه من مال لبعضهم ، وهو ألفان ديناراً صورياً . وكتبت لهم أمانات . وضعِدوا ومعهم // الأمير فخر الدين المقرئ ^(١) الحاجب ، فخلف الجسطلين وبقية الفرسان ، وسلموا الحصن جميعه في ثامن ساعة من نهار الجمعة ثامن عشر ^(٢) شهر ربيع الأول ، وصعد الصنجق الشريف السلطاني المنصوري المنصور ، وارتفعت ألسنة العالم بالأدعية لمولانا السلطان الذي أرتهم أيامه هذا الفتح / الذي طالما تقاصرت عنه الهمة ، وشابت دون الإلمام به الهم ، وطلع المسلمون وأعلن أعلاه بالأذان والتسبيح ، والشكر لله على إهلاك عبدة المسيح ، وإخلاء ديارهم منهم ، وأنهم لم تُغن نيتهم شيئاً عنهم . وكتبت البشائر إلى جميع الأقطار . وسيرت به البريدية إلى كل جهة . وطاع // مولانا الساطن إلى الحصن يوم السبت ، واجتمع الأمراء الأكابر في خدمته ، وضرب مشورة بين يديه في هدم القلعة أو إبقائها . فمنهم من أشار بهذا ، ومنهم من أشار بهذا . ورأى مولانا السلطان يتقد نوره نفاذاً ، فرأى إبقائها لحصاتها ومنعتها ، وتحسينها وتزيينها ، وصمَّم على إبقائها حسرة في قلوب الكفار ، وعضدا للحصون التي لها عليها حق الجوار . ورتب بها ألف راجل أفجية ^(٣) وجرجية ^(٤) ومقاتلة ، أربعائة من أرباب الصنائع . ورتب بها جماعة من الأمراء أصحاب الطبائخانات ، وجماعة من البحرية الصالحية والمنصورية مائة نفر وخمسون نفراً . ونقل // المنجنيقات التي كانت ترمى عليها فصارت ترمى منها . وكذلك الآلات والأخشاب والأحطاب والنشاب والزردخاناه ، والنفط ومن كل شيء كان في الصُحبة الشريفة من أصناف الحصن وآلاته ، ورتب لها خاصاً من

(١) هو إياز بن عبد الله الصالحى النجمى الأمير فخر الدين المعروف بالمقرئ ، توفى سنة ٦٨٧ هـ .
(المنهل الصافي وتاريخ الإسلام) . ويذكر ابن الفرات ج ٨ وفيات ٦٨٧ هـ أنه يعرف « بالمقرئ الحاجب » .

راجع ترجمته في نهاية هذا الكتاب .

(٢) في ابن الفرات ج ٨ ص ١٩ والسلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٢٨ « الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول » .

(٣) أفجية : فرقة من الجيش .

(٤) جرجية : فرقة من الجيش .

بلاد كفر طاب^(١)، ومدينة أنطاكية، ومدينة اللاذقية، والمينا وبلاد المرقب التي كانت /
خاصا له . وما كان مُقَطَّعا قبل الفتح . وجملة ما يتحصَّل منه عند عمارته ألف ألف درهم .
ورتبَّ كُلف عمارته ونفقات رجاله على البلاد إلى أن تعمر وتراجع أهلها .

ولما تمتَّ هذه الأمور^(٢) رحل مولانا السلطان - نصره الله - فنزل بالوطاة على
مدينة بلنيس^(٣) .

(١) كفر طاب - بفتح الكاف وسكون الفاء وراء مهملة ثم طاء مهملة بعدها ألف وباء موحدة -
على إضافة كفر إلى طاب . هذا هو الجارى على الألسنة وهو الصواب ، وأصله من الكفر بمعنى التغطية .
وكفر طاب بلدة صغيرة من جند حمص غربى حلب .
(صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٤) .

(٢) استمر حصار الحصن ثمانية وثلاثين يوماً (بدأ الحصار فى أوائل ربيع الأول وتسلمه الملك
المنصور فى يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول) . ويقول ابن الفرات ج ٨ ص ١٨ « ولما حصل الإستيلاء على
الحصن وأعماله ومرقبه ولطف الله تعالى بفتحه وأراح المساكين منه جهز الملك المنصور أهله إلى طرابلس وصار
الحصن من حصون المساكين وعاد الملك المنصور إلى دمشق المحروسة » .

(٣) بلنيس : بكسر الباء الموحدة واللام وسكون النون ألف وباء مثناة تحت وسين مهملة - وفى
الغالب تضاف إلى المرقب فيقال المرقب وبلنيس وهى مدينة حسنة على الساحل ذات مياه وأعين تجرى ،
وفواكه كثيرة .

(صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٦) .

(١١ تشرىف الأيام)

ومما نظم في هذا الفتوح الحسن الآثار من الأشعار //

قول المملوك عبد الله بن عبد الظاهر^(١) : —

كم لك فتح غير هذا خبي	فاستوع فتح الأرض واستوعب
وأبشر وبشر وإلى سائر الأمص	أز فاكذب عنك واستكتب
وخلق الكتب كاسوارها	بأصفر من رنك المذهب
لا تحسب النصره هذى وخذ	ما شئت من بعدها واحسب
أنت أبو الفتح وكم بعدها	يقول فتح إن هذا أبى
يا مملك الأرض الذى عزمه	قد سهل المرقى إلى المرقب /
يا من له الرعب الذى قد غدا	يملاً من شرق إلى مغرب
يا وارث الأرض الذى مذبدا	يطلبه بالحق لم يحجب
يا من له الجيش الذى ما لمن	يطلبه فى الأرض من مهرب
يا هازم التاتار يا من له قالوا	وهم سيكون للندب
قلاؤن المنصور كم مرة	هلاون المقهور منه سبي
فى مثل آغا ومنكو وفى	أحمد فى أرغون فى حشك
من مات منهم مات من خوفه	ومن بقى من رعبه مختبى //
يا فاتح الحصن الذى فتحه	يأتى به شكرك من يثرب
حصن عظيم القدر فى سيرة	لمن مضى قبلك لم يكتب
إذا بدا والغيم من حوله	تقول نجم لاح فى غيب
وأن تلح للعين أبراجه	يقال هذا موكب الكوكب
أنشبت حرباً فيه كم رامها	قبلك سلطان فلم تنشب
مذ رحت منه تمتطى صهوة	لم يبق حصن ثم لم يحجب

(١) وهو مؤلف هذا الكتاب .

أخذت حق الدين من بعد ما مضت سنون وهو لم يطلب/
وذات خطوكم لها وثبة عظيمة المسرى إلى السرب
قد سقتها غاباً وآساده تحملها في ضيق المذهب
كم نصب الأعداء من هول ما رأوه منها وهي لم تنصب
وكم لها قالوا وقد رُكبت أي حصين بك لم يجرب
كأنما الأعناق أمست لها منابت الأملد والأرطب
وكم نقوب فيه صيرتها مهالكاً تأتيك بالمطلب
أبكارها ما اقتضها معول الا اثنت كالحامل المقرب // ١٦٢
فاهناً بفخر منه قد حُرته أخبره من طيها تطي
وليس حصن بعدها مانع في الأبعد التأني وفي الأقرب
واعلم بأن السعد قد ذا قال وقال نصر الله بالموجب
ومما كتب به في جواب البشارة عن المولى السلطان الملك الأشرف نصره الله :
يا ملك الأرض الذي جيشه يملأ من غرب إلى مشرق
هزئت بالحصن العظيم الذي لفتحته غيرك لم يسبق /
حصن به الكفار قالوا ترى من بعد هذا أي شيء بقي
وقال كل منهم ليتنا لمثل هذا اليوم لم نخلق
فاهناً به فتحاً فكم مثله في باب عكا بكم يلتقى

ورأيت قد وقع في مقصورة ابن دريد قوله :

ومرقت مخلوق أرجاؤه مستنصب الآفاق وعر المرتقى
فاهتدمت^(١) جملة من مقصورة ابن دريد ونقلتها إلى مدح مولانا السلطان وكان بها

أحق وهي : //

(١) الاهتدام ضرب من السرقة الشعرية وهي مقصورة ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، والتي

مدح بها الشاه ابن ميكال وولديه ، ومطلعها :

أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضى

يا شاهرا سيف انتصار قد حكي
ومشعلا نيرانه في كفرهم
وآمن يديسا روضهم بجيشه
وقاذفا ملوكهم في هوة
ومن جرى أبغاله إلى مدى
واستنزل الأعداء قسرا وهي من
ومن له الخيل التي قد أصبحت
يحملن كل شمرى باسل
لو مثل الختف له قرنا لما
ولو حمى المقدار عنه مهجة
والناس ألف منهم كواحد
قلاون الملك الذي سما به
هذا الذي مازال يسمو للعلا
لو كان يرقى أحد بجوده
كم للتتار كسرة بسيفه
قد أصبحت سيرته جميعها
كم قال يوما للعدي حسامه
كم قلعة من مثل صهيون ومن
ومرqb مخلوق أرجاؤه
أوفاه والشمس تمج ريقها
وكم له من بعدها من نصرة
لا زالت الأقدار تحمي ملكه
تعدو المنايا طائعات أمره

طرة صُبح تحت أذيال الدجى
مثل اشتعال النار في جزل النضى
من بعد ما قد كان مجاج الثرى
لا تستبل نفس من فيها هوى
فاعتاقه حمامه دون المدى
عقاب لوج الجو أعلى مستمى
ناشرة أكبادها قب السكلى /
شهم الجنان خائض بحر الوغى
صدته عنه هبة ولا انثنى
لرامها أو يستبيح ما حمى
وواحد كالألف إن أمر عنى
قوم هم للناس غيث وجدى
بفعله حتى علا على العلى
ومجده إلى السماء لارتقى //
فيها العمى أولى بهم من الهدى
فيها حديث حسن لمن وعى
أنا لذي الداء الدفين كالدوا
برزئه قد فض لها صلد الصفا
مستصعب الآفاق وعر المرتقى
والظل من تحت الحذاء كالخذا
يعرق أعداء بها عرق المدى /
من حيث لا يدري ومن حيث درى
ترضى الذى يرضى وتأبى ما أبى

ومما قاله المملوك نثراً في صفة المرقب (١) :

وهذه القلعة لها بالنجم مناط ، وبالسحاب ارتباط ، ولها على الدهر اشتراط ، ولبروجها
ببروج السماء اختلاء واختلاط ؛ كم يسهو إليها السهي ، ولولا المغالاة واستغفر الله //

١٦٥ لقلت تكاد تستظل بسدره المنتهى ؛ كأنما الرياح لجيدها مخفقة ، والغيوم لخصرها
منطقة ؛ تجاور البحر ، وكمل الله القلاع العشر بها ، فأمنت لنحر الأعداء عيداً فما هي
إلا عيد النحر ؛ مصونة السرح وكأنها ما تمناه فرعون على هامان من صرح ؛
أحسن الله بها للأمة الحمدية الإدراك ، وجعل الموهبة / بها بمساعدة الملائكة حسنة
الاشتراك ؛ وما كانت الممالك لتفخر بأن لها حصن أكرادٍ إلا وتزد من هذه حصن
أتراك ، قد أمن بأخذها من بلاد الدعوة النازح ، والمقيم ، وما كان ليكون لها كهف إلا ومن
١٦٦ هذه لها رقيم ، كم عاند أهل الكهف منها شيطان رجيم مريد ، وم شاهدوا منها // كلبا باسطاً
ذراعيه بالصيد . كم سمح إخوة بيت الاستتار في عمارتها من الفضة والذهب بما يوزن
بالقنطار بعد القنطار . وم كانوا إخوة وما تحاسبوا في الانفاق عليها حساب التجار . ما سمى
بالمرقب إلا لأن الأهله به ترقى ومنه ترقب . وما نقب بالفتكات السلطانية إلا لأنه جوهرة
قذفها البحر / إلى ذلك الساحل والجوهرة لا يضمها السلك حتى تنقب ، تجاور رفعتة الأفلاك
بأحاديثها ، وتجاور الفلك لتأثيرها ، وتجاوز الحصر بما أباحتها من سلب جماعتها وأخذ
مواريثها .

ذكر شيء من أخبار حصن المرقب

١٦٧ قال المؤرخون : حصن المرقب هذا مما عمره // المسلمون وهو بساحل جبلة . وهو حصن
منيع لم ير مثله . ولما تكامل بناؤه في سنة أربع وخمسين وأربعمائة أجمع أصحابه رأيهم على
الحيلة بالروم فباعوهم إياه بمال عظيم . وبعثوا منهم شيخاً وولديه إلى انطاكية رهينة فلما
حصل المال عندهم مع الروم دسوا نحو ثلثمائة راجل فقتلوا / الروم وأسروا كثيراً منهم
وباعوهم أنفسهم ، وفدوا الشيخ وولديه . ولم يزل بيد المسلمين إلى أن وصل الفرنج الشام
واستولوا على البلاد وضائقوه . فأرسل صاحبه - ويعرف بابن محرز - إلى أتابك طغديكين
في سنة عشر وخمسمائة يعرض عليه تسليم حصن المرقب لاشتداد الغلاء به وعدم الأقوات //

(١) أي عبد الله بن عبد الظاهر ، مؤلف هذا الكتاب .

١٦٨ وأرسل القاضي أبا محمد بن الصليعة الذي كان صاحب جبلة - وهو يومئذ بدمشق - يعرض الحصن عليه أيضاً وهو بدمشق ويقول : إن لم تلحقونا أعطيناه للفرنجة . فأشار أتابك طغتكين على ابن الصليعة بأخذه ، وأطعمه في أنه يستردّ جبلة به ووعدته المعونة . فخرج ابن الصليعة إليه وابتاع له من حماة / ومن شيزر ما يكفيه من الغلال عدة شهور ، وتسلمه وترك أصحابه أولاد محرز في جانبه معه حسبما استقرت عليه الحال بينهم . وأقام به وامتدت يده ويد نوابه في عمل حيلة وطمعوا في أخذها . واتفق تلاف الزرع بالهواء في جميع الشام ، وعدمت الأقوات . وذلك في سنة إحدى عشرة وخمسمائة . وكاتب // ابن الصليعة أتابك طغتكين على يد ابن محرز صاحب الحصن يسأله المعونة بغلة تحمل إليه . واتفق في أثناء ذلك خروج روجار صاحب أنطاكية إلى حماة وزفنيّة ، فخرج أتابك نحوها ، وجرت بينهما مراسلات في الصلح : فقال له روجار : إن هذين البلدين قد لاح لي أخذهما فاشترهما مني بالمربق فضالحه / على ذلك ودفع إليه أربعة من خواص أصحابه رهينة على الوفاء ، وعاد روجار إلى أنطاكية وراسل الذين بالمربق أتابك وأمرهم بالتسليم للفرنجة على غير قاعدة ولا تعويض . فارتاعوا لذلك ولم يلتفتوا إلى هذه الرسالة وصرفوا رسله والفرنجة . وأشفق ابن الصليعة من أهل بلاد المربق ، فاستدعى ابن عمرون من الكهف // وخرج من المربق وسار معه إلى الكهف ، فوثب أهل المربق على ما كان لابن الصليعة فنهبوه ، وكان ابن محرز قد سير والده قبل ذلك إلى دمشق رهينة ، فلم يلتفت إلى أن والده رهينة بدمشق ، وشرع ابن محرز في مراسلة الفرنجة في بلباس في تسليمه إليهم ويكون أهله في جانب منه فأجابوه / وتسلموا المربق منه . وبعد أيام يسيرة أخرجوه منه وعوضوه بالمنيقة وشحنوا المربق بالفرنجة والأرمن ، وأخذوا بعد ذلك حصن القليعة وحصن الحديد من جبل بهراء ، أحدهما تسليم والآخر هرب أهله ، فأخذوه . وطلب روجار من الرّهائن عشرة آلاف دينار ، فراسلهم أتابك ، وقال قد تسلمتم الحصن // ولولا أنني قطعت آمالهم لم يسلموه ، فلم يلتفتوا إليه وعاقبوا الرّهائن ، وقتلوا بعضهم ، وباعوا بعضهم ، وحصلوا على الحصن والمال ، وبقي جمره في حشى البلاد ، ومقاعد لقتال العباد ، حتى حصل في يد مولانا السلطان ، والحمد لله على ذلك .

ذكر افتتاح مَرْقِيَّة وحصنها وهدمه /

ولما فرغ مولانا السلطان - نصره الله - من مهمات المَرْقَب، ونزل بالوطاة على ما ذكرناه ، وشرع في أمر حصن مَرْقِيَّة^(١)، وأعمل الرأي في افتتاحه ، وتحقق أنه بين أحشاء تلك الحصون داء دخیل ، وأنه لا يحصل راحة ولا أمن بوجوده وبقائه ، وصاحبه يعرف ببرتلما أحداً كابر الفرنج . وكان لما فتح حصن الأكراد^(٢) لم يطق // الإقامة ١٧٢ بهذه البلاد ، وضائق به ، فهجّ على رأسه ، ودخل إلى التتار مستنجراً ومستعيراً ومستنصراً ومستكثراً . وأقام سنين على هذه الحالات .

ولما مات الملك الظاهر - رحمه الله - عاد إلى هذه البلاد ، واغتتم الفرصة وطلب عمارة مرقية ، فعجزت قدرته وخاف أن تؤخذ منه ، فعمر حصناً قبالتها / وحصّنه وحسنه وأعانه الأبرنس صاحب طرابلس عليه وأمدّه وأعانه آخرون من الفرنج الاستبارية أهل المرقب وغيرهم . وهذا البرج بين أنطارطوس^(٣) وبين المرقب في البحر المالح قبالة مدينة مرقية . وبينه وبين البحر رميتان للسهم السريع وأكثر .

(١) كان حصن مرقية من حصون فرسان التبلار وهي طائفة الداوية المشهورة ، وأطلق عليها اسم التبلار أيضاً ومعناه فرسان الهيكل . وكان للتبلار في الحروب الصليبية شأن عظيم منذ أول عهدا حتى حاربهم ليموند السادس صاحب طرابلس ثم خالفهم له وللإسماعيلية على عهد بيبرس ، وكانت له حصون بغراس وعثيث وأنطارسوس وجبيل .
(النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣١٦) .

(٢) حصن الأكراد : بإضافة حصن واحد الحصون إلى الأكراد الطائفة المشهورة وهي قلعة من جند حصن موقعها في الإقليم الرابع ، حصينة مقابل حصن من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان نحو مرحلة من حصن . وهي حصن جليل وقلعة شماء لا تبعد منها السماء وكانت محل النيابة ومقر العسكر قبل فتح طرابلس . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٤)

(٣) أنطارطوس : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء وسكون الراء المهملتين وضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر ، وهي ثغر لأهل حصن ، فتحها المسلمون وخربوا أسوارها ، وكان بها مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه .
(صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٨) .

١٧٣ أنه برج مربع ، عرضه قريب من طوله ، كل جانب منه خمسة وعشرون ذراعاً ونصف بالعمل ، وعرض سوره سبعة أذرع . وهو سبع طباق ، وبنى على مراكب غُرِّقت في وسط البحر ، فيها أحوال كثيرة من الحجارة ، تحت كل قطر منه مُغرَق تسعمائة مركب، فيها حجارة ، وبين كل حجرين في أسوارها قضيبين / من الحديد^(١) متصّين ، وعليهما شبك الرصاص ، وداخله صهريج عظيم ، وفوق الصهريج قبو ، وفوق القبو أخشاب وفوق الأخشاب حصّى صغار ، وفوق الحصى خيش ، وفوق الخيش حبال قنب مشدّدة ؛ حتى إذا نُصب المنجنيق من البرّورمى به لا يبلى بما يرمى فيه ، ويقع الحجر من أعلاه في الماء . وفيه مائة مقاتل // وخاف هذا البرج برج متصل به . وفيه ثلاثة مجانيق منصوبة ، لا يؤخذ هذا الحصن بحصار ولا بضايقة .

وكان النوّاب بحصن الأكراد وتلك الجهات لما بُنى هذا الحصن وعجزوا عن منعهم من عمارته لأن الأصناف والآلات إنما تحضر في البحر ألجأهم الحال إلى عمارة برج بالقرب منه بقرية تسمى ميعار وجرد / خمسون راجلاً بالتبدّل فما أفاد ذلك ، ولا أغنى غناء .

١٧٥ ولما شاهد مولانا السلطان هذا الحصن على هذه الصورة من الحصانة والمنعة ، وأن البرج المبنى قبّالته ضرّاً بانيه وما نفعه ، وأن حصاره لا يمكن لسكونه في البحر ، وما للمسلمين مراكب تقطع عنه الميرة ، ولا تمنع الداخل إليه ولا الخارج منه ، وأن // أمره يطول ، ومسألته تعول ، وأن الأمر الذي منه بدأ إليه يعود ، وأن افتتاحه بجنود التدبير لا بالجنود ، فسير إلى صاحب طراباس فقال له : إن

(١) كذا في الأصل .

العساكر قد تفرغت ، وما بقي لها إلا أنت ، وهذا البرج أنت الذى عمرته فى الحقيقة ، ولولا إعانتك لما بُنى ، وأنت المؤاخذ به ، فإما أن يهدم وإلا أخذنا / قبالتة من بلادك مالا ينفعك فى الدِّفع عنه صاحب مرقية ، وتندم حيث لا ينفعك الندم ويكشف الغطاء ويُسترد العطاء . فلما علم الأبرنس ^(١) هذا التصميم العظيم ، وتحقق ما يترتب على هذا القول من إخراج بلاده وحصونه وإتلاف أحواله ، وأن ملك البسيطة وجيوشه العظيمة على أبواب مدينته ، وأنه بر بوعه / / قد خيم ، وأن القصد له أو هدم هذا الحصن قد تحتم ، توصل فى ١٧٦ تسليمه وهدمه ، وأرضى صاحبه بما وصلت قدرته إليه بجملة من المال ، وتمليك ضياع بعد صعوبة من صاحب مرقية . وكان ولد صاحب مرقية قد حضر مستخفياً إلى أبواب مولانا السلطان ، وتدرّك تحصيل هذا الحصن وتسليمه لمولانا السلطان / وتوجه إلى عكا مخفياً على على البريد ، فأمسكه أهل عكا ، واتصل خبره بأبيه فحضر من طرابلس ^(٢) إلى عكا وتسلمه وقتله بيده فى وسط عكا ، وبطل ذلك السعى وبعد ذلك وافق على تسليمه بوساطة الإبرنس ، وأذن وأجاب إلى تسليمه للمسلمين . وسير الإبرنس جماعة من الفرنج للمساعدة فى هدمه ، فكانوا / / كما قال الله تعالى : ﴿ يَخْرِبُونْ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ١٧٧ وسير صاحب طرابلس شخصاً من أعيان أصحابه للحضور على هدمه مقدماً للجماعة المسيّرين من الفرنج لذلك ، ومزيلاً للأعذار فى استدعاء آلات الهدم من حديد وغيره . وجرد الأمير بدر الدين بكتاش النجمي ^(٣) أمير جاندار ، وصحبته مائة حَجَّار / لهدمه ، وكان الأمير

(١) يسميه صاحب النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٢ « البرنس صاحب طرابلس »

(٢) طرابلس : مدينة من سواحل خمس واقعة فى الإقليم الرابع ، كانت فى الأصل من بناء أكروم . فلما فتحها المسلمون فى سنة ٦٨٨ هـ فى الأيام الأشرفية « خليل بن قلاوون » - رحمه الله - خربوها وعمروا مدينة على نحو ميل منها وسموها باسمها وهى الموجودة الآن . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٢) .

(٣) هو بكتاش بن عبد الله الفخرى النجمي الأمير بدر الدين أمير سلاح كان مقدم العساكر المصرية . توفى سنة ٧٠٦ هـ . والفخرى نسبة إلى فخر الدين بن الشيخ . (النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٩٨ . هامش ٣) وراجع ترجمة هذا الأمير فى نهاية هذا الكتاب .

(١٢) تشريف الأيام)

الاسفهلار ركن الدين طقصوا المنصوري، وصحبته جملة من العساكر الجرّدين قبالة جبلة^(١)
فرسم مولانا السلطان له ولهم بالحضور إلى قبالة البرج^(٢) للمساعدة والمعاوضة على هدمه .
فهديم حجراً فجراً ، وما أبقى الاجتهاد له عيناً ولا أثراً . وذلك بعد تمب عالت المعاول من
شدته ، وقست // الحجارة من حدته ، وتضجّرت القوى من طول مدته ، ولطف الله في
إزالة آثارها ، وإزالة قرارها ، وكفى الله المؤمنين شرّه ، وكفّ ضرّه ، وأبطل مكره ،
وبقى مكانه في قلوب الكفار حسرة ، ومما نظم في ذلك :

كم حاجج الإبرنس عن مرقية من أجل صاحبها وكم قد هربه /
فغدا وسيفك خلفه وأمامه وسيوف كيدك للنحور مصوبة
قتل ابنه في وسط عكا عامداً وأتى إلى البرج الحصين وخرّبه

(١) جبلة : بفتح الجيم والباء الموحدة واللام ثم هاء في الآخر وهي بلدة صغيرة بساحل البحر الرومي .
ولها أعمال واسعة وبينها وبين اللاذقية اثنا عشر ميلاً ، وبينها وبين أنطاكية ثمانية وأربعين ميلاً .
(صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٨) .

(٢) كان هذا البرج من حصون القبلار وهي طائفة الداوية المشهورة . ومعناه فرسان الميكل . وكان
للقبلار في الحروب الصليبية شأن عظيم منذ أول عهدا حتى محاربتهم لليونند الرابع صاحب طرابلس
ثم محالفتهم له وللإسماعيلية على عهد بيبرس وكانت لهم حصون بفراس وعثليث وأنطارسوس وجبيل .
(انظر تاريخ الصليبيين في المشرق لاستيفنسون) . و (فلسطين الإسلامية لاسترنج ص ٤٤٧) .
(وانظر وصف هذا البرج في النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣١٦) .

ذكر متجددات بعد ذلك

منها : حضور ولد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى خدمة مولانا السلطان واستقرار حال والده بوساطة ذلك .

١٧٩ ولما عزم مولانا السلطان على الحركة من منزلته قريب بلنياس / حضر الأمير ناصر الدين صمغار ولد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، واستعان بالأمرء في سؤال مولانا السلطان في العفو والإغضاء ، فخرى مولانا السلطان على عادته في الصفح والاستحياء والمساحة والرافة . وتسلمت منه الشُّعْر وبكاس في رابع شهر ربيع الأول من هذه السنة . وتوجه من الأبواب / السلطانية من استوثق بالآيمان من الأمير شمس الدين سنقر الأشقر . وحضر الأمير ناصر الدين صمغار ولد الأمير شمس الدين في خدمة مولانا السلطان إلى دمشق ، ومنها إلى مصر . واستقر في ذُرَى الإنعام والإرفاد والافتقاد . وأفرج عن مهمات والده وأملاكه وجميع ما يتعلق ^(١) به . //

١٨٠

(١) كان سنقر الأشقر مقيماً بصهيون منذ سنة ٦٧٩ هـ ، ولما كان ما بينه وبين السلطان قلاوون من الجفاء قد انتهى بالصلح منذ شهر صفر سنة ٦٨٠ هـ ، فقد اعتقد السلطان وهو بالمرقب أن سنقر سيسير إليه وهو بها أداء الواجب التابع نحو المتبوع ، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك . وقد ظن السلطان أن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إذا سمع يقربه يبادر إليه ويسعى إلى خدمته كما يجب عليه فتأخر عن الحضور فتغير له باطن الملك المنصور . ثم إنه أرسل واحداً من أولاده يسمى سيف الدين صمغار إلى الخيم ، متلافياً لما قدم ، فحنق السلطان عليه ومنعه العود إلى والده وأمر بتوجيهه إلى الديار المصرية وعاد السلطان إلى الديار المصرية وقد وجد في نفسه على سنقر الأشقر ، لما ظهر له منه من قلة الوفاء وكثرة الجفاء ، وتكدير ما كان قد ترتب من الصفاء .

(انظر : زبدة الفكر ج ٩ ص ١٥٦ « ١ » . وانظر : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٦٧٨ ، ٦٨٧ ، ٧٢٨ ، ٧٣٤ .. والنجوم الزاهرة ورقة ج ٧ ص ٣٠١) .

ومن ذلك تسليم حصن بلاطنس^(١) واسترجاعه

وفي هذه السنة أذعن الأمير علم الدين الألد كزى النائب ببلاطنس إلى تسليمه . وكان مولانا السلطان قد جرد الأمير ركن الدين طقصوا المنصوري ومعه ألفا فارس لأجل المرقب ليحتاطوا به قبل الحصار / والمنازلة . واطلع على حديث تسليم هذا الحصن في الباطن خفية من الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، لأنه كان قد استولى عليه . فعند ذلك أغلق الأمير علم الدين الألد كزى الأبواب وطلب العسكر ، فطلعوا إليه وسلم ثغر بلاطنس وذلك في يوم الأحد ثامن صفر^(٢) الثامنة من النهار^(٣) . ورتب بها جماعة // من المنصورية ، وشمل إحسان مولانا السلطان الأمير علم الدين الألد كزى .

ومن ذلك

الصلح مع التكفور صاحب سيس

لما كان مولانا السلطان منازل حصن المرقب حضر كندور الديوية ببلد الأرمن ومعه مشافهة من صاحب سيس ، وأحضر من جهته مقدمة ومكاتبة من التكفور ومكاتبة من مقدم الديوية ، ومضمونها السؤال في صاحب سيس وطلب العفو عنه وقبول العذر . وسبب التوسل بمقدم الديوية في حضور رسله إلى الأبواب السلطانية أن رسل صاحب سيس كانوا كلما حضروا أمسكوا وعوقوا ، ولا يرده له جواب ، فتحيل في الاستعانة.

(١) بلاطنس : بفتح الباء . الموحدة وبعدها لام ألف ثم طاء مهمل ونون مضمومتان وسين مهمل . في الآخر . وهي قلعة بالقرب من مدينة مصيف في جهة الغرب منها على نصف مرحلة ، وفي جهة الشمال من طرابلس على نحو مرحلتين .

(صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٥)

(٢) في النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٤٥ كان تسليم ثغر بلاطنس في أول صفر .

(٣) الثامنة من النهار أى الثانية بعد الظهر .

- ١٨٢ بمقدم // الديوية حتى حضر الكندور في هذا التوسط وإصلاح الحال . ولتقدم الديوية
على مولانا السلطان خدمة تستوجب إجابة سؤاله في ذلك ، وإقامة حرمة بقبول شفاعته .
وأحضر مولانا السلطان الكندور وأحضر التقدمة ، وهى مقدمة عظيمة من فضيات
وأقمشة وغير ذلك وسأل في تقرير قطعية / عليه يحملها كل سنة ، وكان الطلب مستمراً
بطلب بهسنى منه وهو يكاسر ويعتذر بأعذار كثيرة . فتقرر الحال على أنه يكون يحمل
في كل سنة ألف ألف درهم قطعية من دراهم وأصناف . وتفصيل ذلك فضة حجر خمائة
١٨٣ ألف درهم عنها بحساب الدراهم سبعمائة ألف درهم . ومن // الخيل الجياد والبغال
الجيدة خمسون رأساً ، ومن التطاييق ^(١) الحديد عشرة آلاف تطبيقية
بمساميرها محمولة إلى أى مكان يرسم له به . وتتمه هذه الجملة تقادم وأقمشة وغيرها.
وتقرر أنه يطلق كل تاجر معتقل عنده بأموالهم وبضائعهم . وكل من
مات منهم يطلق عرضه أسير مثله . ويسير مال الميت منهم / ، ويطلق كل مسلم في بلاده
مأسوراً . ونظمت بذلك هدنة حررت . وحلف مولانا السلطان له عليها في يوم الخميس
ثانى شهر ربيع الآخر . وتوجه الأمير فخر الدين المقرئ لتحليف صاحب سيس وإحضار
سنة معجّلة من هذه القطعية ، وإحضار الأسارى من التجارة وغيرهم . وانتظم صلح سيس
على هذه الصورة // المسطورة ، واستقرت الأمور على خير . وانتفعت خزائن الأموال بهذه
١٨٤ الجملة العظيمة التى تحمل في كل سنة . ولو فتحت وعمرت سيس لما فضل عن كلفها هذا القدر.

ونسخة الهدنة واليمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وأقول - وأنا ليفون بن ميتوم بن كستنطين :- والله والله والله ، / وتالله وتالله وتالله ، وبالله
وبالله وبالله ، وحق المسيح وحق المسيح ، وحق الصليب وحق الصليب وحق

(١) تطبيقية وجمعها تطاييق : لوح من الحديد أو النحاس به مسمار وهى لحدو الخيل وقد يتراوح سعر
التطبيقية في ذلك الوقت بين ستين وسبعين درهماً .

١٨٥ الصليب ، وحق الإنجيل وحق الإنجيل وحق الأب والابن وروح القدس ، وحق الصليب الأعظم المستقل بالناسوت الأكرم ، وحق الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد ، وحق // الأناجيل الأربعة التي نقلها متى ولوقا ومرقس ويوحنا ، وحق صلواتهم وتقديساتهم ، وحق التلاميذ الاثني عشر^(١) والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين على البيعة^(٢) ، وحق الصوت الذي نزل على الأردن^(٣) فزجره ، وحق الله مُنزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح القدس وكلمته ، وحق المباركة أم النور / ماري مريم^(٤) ، ويوحنا المعمودى ومار توما ، ومار متى ، وحق الصوم الكبير ، وحق دينى ومعتقدى من النصرانية وما تلقته من الأقسام والآباء من المعمودية ، وحق كل أب مقرب .

١٨٦ إننى من وقتى هذا وساعتى هذه قد أخلصت نيتى ، وأصفيت طويتى فى الطاعة وفى الوفاء لمولانا السلطان الملك المنصور // سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلطين سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحلبية والفراتية وقلاع الروم وبلادها وبلاد الشرق ، ملك البسيطة أبى الفتح قلاون الصالحى قسيم أمير المؤمنين ، ولولده التولى السلطان الملك الصالح علاء الدنيا / والدين أبى الحسن على ، خليل أمير المؤمنين ، وولده الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل ناصر أمير المؤمنين ، بجميع هذه الهدنة المشروحة تأوى هذه اليمين ، التى مدتها عشر سنين كوامل^(٥) متواليات متتابعات ، وعشرة ساعات ، أولها يوم الخميس المبارك مستهل شهر // ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وستائة ١٨٧ للهجرة النبوية صلوات الله على صاحبها وسلامه ، الموافق لذلك اليوم السابع^(٦) من حزيران سنة ألف وخمسمائة وستة وتسعين سنة للإسكندر بن فيلوس اليونانى . وأحفظها إلى آخر

(١) يشير إلى مجمع نيقية

(٢) فى ابن الفرات ج ٧ ص ٢٢١ بعد كلمة « عشر » جملة « والإثنين وسبعين » .

(٣) فى المصدر السابق ج ٧ ص ٢٢١ « الذى نزل من السماء على نهر الأردن » .

(٤) فى المصدر السابق نفسه « وحق الله مُنزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح الله وكلمته . وحق الست مارية أم النور مارت مريم ويوحنا المعمودين ومرثان ومرثاني » .

(٥) فى المصدر السابق ج ٧ ص ٢٢١ « عشرة سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشرة ساعات » .

(٦) فى المله در السابق « يوم الخميس ثالث حزيران » ولم يذكر التاريخ الهجرى .

مدتها ، وأعمل بشروطها شرطاً شرطاً ، وألتزم / الوفاء بها وبما تضمنته ، ولا أخالفها بقول ولا فعل ولا رمز ولا إشارة ، ولا أتأول في يميني هذه ولا في الهدنة المذكورة ، ولا أتحيّل في نقضها ولا نقض شيء منها ولا أستفتي فيها ولا في شيء منها ، ولا في شرط من شروط هذه الهدنة المذكورة . فإن نقضتها أو نقضت شيئاً منها أو استفتيت // فيها أو استثنيت ١٨٨ فيها أو في شيء منها فكل ما أملكه من صامت وناطق صدقة على الفقراء والمساكين من النصارى ، وعلى المشى إلى البيت المقدس حافياً حاسراً راجلاً ثلاثين مرة ، وعلى صوم الدهر كله إن خالفت شروط هذه الهدنة أو شيئاً منها أو اعتمدت ما يناقض الوفاء بها أو بشيء منها من أولها إلى آخر هذه المدة المعيّنة في هذه اليمين وهى :

هذه الهدنة^(١) المباركة التى استقرت بين مولانا السلطان الملك المنصور السيد الأجلّ العالم العادل المظفر سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبى الفتح^(٢) قلاوون الصالحى قسيم أمير المؤمنين // وولده وولىّ عهده المولى السلطان الملك الصالح علاء الدين ١٨٩ أبى الحسن علىّ خليل أمير المؤمنين وولده المولى الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل ناصر أمير المؤمنين خلد الله سلطانهم - وبين الملك الجليل كَيْفُون بن الملك هيوم^(٣) ابن كسطين ملك الأرمن لمدة / عشر سنين كوامل متواليات متتابعات وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات أوّلها يوم الخميس مستهلّ شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين

(١) راجع نص الهدنة فى السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٩٨٥ وكذلك فى ابن القرات ص ٢٧٠ وراجع أيضاً نسخة اليمين التى حلف السلطان الملك المنصور عليها فى هذه الهدنة فى ملاحق هذا الكتاب .
(٢) السلطان أبو الفتح قلاوون بن عبد الله الألفى التركى الصالحى النجمى السابع من ملوك الترك بالديار المصرية من مسه الرق .

ملك الديار المصرية بعد خلع الملك السعيد وصار مدبر مملكة الملك العادل بدر الدين سلامش إلى أن خلع سلامش وتسلطن الملك المنصور قلاوون هذا من بعده فى حادى عشرين وقيل عاشر شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستائة . وجلس على سرير الملك بأبهة السلطنة وشعار الملك وتم أمره . ولما استقل بالمملكة أمسك جماعة كثيرة من الممالك والأمراء الظاهرية وغيرهم واستعبل ممالكهم على البلاد والقلاع ، فلم يبلغ ريقه حتى خرج عليه الأمير سنقر الأشقر نائب الشام ، فإنه لم يحلف ولا رضى بما جرى من خلع سلامش وسلطنة قلاوون ، فلم يلتفت أهل دمشق إلى كلامه . وخطب بجامع دمشق للملك المنصور قلاوون وجوامع الشام بأسرها خلا مواضع يسيرة ، توقفوا ثم خطبوا بعد ذلك . (النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٩٢)
(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : هينوم .

١٩٠ وستائيه الموافق ذلك اليوم السابع من حَزيران سنة ألف وخمسمائة سنة وستة وتسعين سنة
للاسكندر بن^(١) فيابس اليوناني على بلاد // مولانا السلطان الملك المنصور وقلاعه وحصونه
وممالكه ومُدُنُه وأقاليمه ورعايا بلاده من عساكر وجنود وجيوش وحُشود وتُرُكمان
وأكراد وعرب ومسلمين ونصارى وسائر طوائف الناس أجمعين على اختلاف أديانهم
وأنفارهم وعلى ماتحويه من أموال ومواش وصامت وناطق / وسارٍ وسارح ومتحرك وساكن
وبَرٍّ وبحر وموان وسواحل وسهل وجبل وعامر ودائر. وهي مملكة الديار المصرية وثغورها
وبلادها وموانها وسواحلها وبرورها والمملكة الساحلية وسواحلها وموانها وبرورها
والمملكة الكركية^(٢) والمملكة الشوبكية^(٣) ومملكة الصَّلْت^(٤) والبلقاء ومملكة
عجلون^(٥) // ومملكة صَرْخَد^(٦) ومملكة الصببية والمملكة الصفدية والشقيفية والمملكة

(١) الكرك : بفتح الكاف والراء المهملة ثم كاف ثانية ، والألف واللام في أولها غير لازمتين .
وتعرف بكرك الشوبك لمقاربتها لها وهي من البلقاء ، وهي مدينة محدثة البناء كانت ديراً يديره رهبان
ثم كثروا فكبروا بنائه وأوى إليهم من مجاورهم من النصارى فأقاموا لهم به أسواقاً ودرت لهم فيه
معايش وآوت إليه الفرنج فأداروا أسواره ، فصارت مدينة عظيمة . صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥٦
(٢) الشوبكية : نسبة إلى الشوبك بألف ولام لازمتين وفتح الشين المعجمة المشددة وسكون الواو
وفتح الباء الموحدة وكاف في الآخر : وهي من جبل الشراة . وهي بلدة صغيرة أكثر دخولا في البر من
السكر ، ذات عيون وجدول تجري وبساتين وأشجار وفواكه مختلفة . كانت بأيدي الفرنج مع الكرك
وفتحت بفتحها وأقطعها السلطان صلاح الدين مع الكرك لأخيه العادل فأعطاها لابنه المعظم عيسى فاعتنى
بأمرها وجلب إلى الشوبك غرائب الأشجار حتى تركها تضاهى دمشق في بساتينها وتدفق أنهارها .
(صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥٧) .

(٣) الصلت : وهي بألف ولام لازمتين في أوله وفتح الصاد المهملة المشددة وسكون اللام وبعدها
تاء مثناة . بلدة لطيفة من جند الأردن في جبل الفور الشرقي في جنوب عجلون .
(المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٦) .

(٤) سميت بالبقاء بن سورية من بني عمان بن لوط وهو الذي بناها وهي إحدى كور الشراة .
(المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٦) .

(٥) عجلون : بفتح العين وسكون الجيم وضم اللام وسكون الواو ونون في آخره ، قلعة من جند
الأردن مبنية على جبل يعرف بجبل عوف ، وهي محدثة البناء بناها عز الدين بن أسامة بن منقذ ، أحد
أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٨٠ هـ . وكان مكانها دير به راهب اسمه
عجلون فسميت به . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥٥) .

(٦) صرخد : بفتح الصاد ولسكان الراء المهملتين وفتح الحاء المعجمة ودال مهملة في آخره ، بلدة
صغيرة ذات بساتين وكروم ، وهي محدثة البناء بدئت نور الدين الشهيد بقليل . ولما وصلت عساكر
هولاكو ملك التتار إلى الشام هدموا شرفاتها وبعض جدرانها فجندوها الظاهر ببرس .
(المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٧) .

الدمشقية والمملكة البعلبكية وسائر الممالك الشامية والقلاع الإسلامية والمملكة الحمصية والمملكة الرحبية والفتوحات الحصنية : حصن عكار^(١) ، وفتوحاته ، وحصن الأكراد وفتوحاته ، وحصن المرقب / وفتوحاته وموانئه : بلنياس^(٢) وما دخل في هذا الفتوح وبلده ، وجبل^(٣) ، واللاذقية^(٤) ، وبلد الست ، ومملكة بلاطنس ، وبلادها ، ومملكة صهيون وبلادها ، ومملكة شيزر ، ومملكة حماة ، ومملكة حلب ، ومملكة بغراس ، ومملكة الدربساك^(٥) ، ومملكة عينتاب ، وبرج الرصاص ، والراوندان ، // وتل باش^(٦) ، ١٩٢ ومنبج^(٧) ، وقلعة جعبر^(٨) ، ومملكة البيرة ، ومملكة كركر ، ومملكة الكختا ،

✓ (١) حصن عكار : باضافة حصن الى عكار بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وبعدها ألف ثم راء - وهي قلعة على مرحلة من طرابلس في جهة الشرق بوسط جبل لبنان في واد والجبل محيط بها . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٤) .

(٢) بلنياس : بكسر الباء الموحدة واللام وسكون النون وياء مثناة تحت وألف وسين مهملة . وفي الغالب تضاف الى المرقب فيقال المرقب وبلنياس وهي مدينة حسنة على الساحل بينها وبين أنطوطوس اثني عشر ميلا . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٦)

(٣) جبلة بفتح الجيم والباء الموحدة واللام ثم هاء في الآخر وهي بلدة صغيرة بساحل البحر الرومي ، لها أعمال واسعة بينها وبين اللاذقية اثنا عشر ميلا وبينها وبين أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ، وبها مقام « إبراهيم بن أدحم » . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٨)

(٤) اللاذقية : مرفأ يقع في سهل خصيب على مسافة نصف ساعة من البحر ، وهذا السهل غير صحي ، ويتجه خليج اللاذقية نحو الجنوب فيرسم قوساً في شكل نصف دائرة ، وهذا القوس ينتهي من جهة الغرب بالرأس المسمى رأس اللاذقية . ومرفأ هذه المدينة معرض للرياح الجنوبية والغربية .

✓ (٥) في الأصل « الدربستاك » ، وفي ابن الفرات والسلوك وصبح الأعشى « الدربساك » وهي : بفتح الدال المهملة وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف وكاف ، والألف واللام فيه غير لازمتين - وهي قلعة من جند قنسرين وهي حصينة ذات أعين وبساتين وبها مسجد جامع ، ولها من شرقها مروج متسعة حسنة المنظر ، كثيرة العشب يمر بها النهر الأسود (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٢) (٦) تل باش : بفتح التاء المثناة فوق وتشديد اللام ، ثم فتح الباء الموحدة وألف بعدها شين معجمة مكسورة ، وراء مهملة في الآخر - وهي حصن شمالي حاب على مرحلتين منها بالقرب من عينتاب . (المصدر السابق ج ٤ ص ١٢٧) .

(٧) منبج : بفتح الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة وفي آخرها جيم : بلدة من جند قنسرين شرقي حاب على نحو مرحلتين منها . بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشام وسماها « منبه » فعربت منبج « (المصدر السابق ج ٤ ص ١٢٧) .

(٨) قلعة جعبر : بفتح الجيم وسكون الين المهملة وفتح الباء الموحدة وراء مهملة في الآخر . وهي =

وقطيفاً ، وبابلو ، وما انتهت إليه حدود البلاد السلطانية بمالك الشرق والروم وكل
 ما استقر في يد نواب مولانا السلطان الملك المنصور إلى تاريخ هذه الهدنة من البلاد
 والفتوحات والحدود والأراضى / والقلاع وما سيفتحه الله تعالى على يد مولانا السلطان وعلى
 يد عساكره ، وجيوشه ، وبُعُوْثِه من البلاد والأقاليم ، والنغور ، والقرى ، والضياح ،
 والمصايف ، والمشاتي شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ، وعلى ما ذكر من البلاد السلطانية وعلى
 ما لم يذكر منها ، ومن بها ، وما بها وعلى بلاد الملك كَيْفُون ابن الملك هيوم المستقرة // بيده ١٩٣
 إلى حين استقرار هذه الهدنة ، وهى بلاده المعروفة به ، / تستقر بلاد مولانا السلطان الملك
 المنصور وما عيّن منها وما لم يعين ، وبلاد الملك ليفون المستقرة بيده آمنة مطمئنة على قواعد
 الصلح والمهادنة هى ومن بها من رعيّته ، وأمرائه ، وأجناده ، ومن يتعلق به وينسب إليه ،
 وما حوته بلاده من / أموال ومواشٍ وقرى وزروع وضياع محروسة من الجانبين فى الليل
 والنهار ، والغدو والرواح ، والمساء والصباح ، محفوظة المسالك مصونة الأطراف والجهات
 براً وبحراً ، من المتعرضين بالأذية ، والمتعشين بأيدي العدوان والمتلصّصين من الحرّامية
 والمغيرين ، والمفسدين لا تتعرض جهة إلى أخرى // بحالة من الحالات التى تخالف شروط ١٩٤
 هذه الهدنة . ولا يُنقض بها حكم الصلح الذى استقر أمره ، وثبت فى الأذهان علمه . وأن
 تتردد التجار من الجانبين بأموالهم وبضائعهم ومتاجرهم صادرين وواردين . وليخفروا إلى
 حدود البلاد ولا يُمنعوا من التردد ولا يؤذوا بسبب من الأسباب / وعلى أن الملك ليفون
 ابن الملك هيوم يقوم لمولانا السلطان الملك المنصور ولولده وولى عهده السلطان الملك الصالح
 علاء الدنيا والدين وولده السلطان الملك الأشرف فى كل سنة من استقبال تاريخ هذه الهدنة
 وإلى انقضاء مدتها على حكم القطيعة المستقرة عن نفسه وعن رعيّته // وعن بلاده بما يأتى ١٩٥

= قلعة من ديار بكر فى البر الشرقى الشمالى من الفرات . وقال القاضى جمال الدين بن واصل : وكانت هذه
 القلعة تعرف قديماً بالدوسرية نسبة إلى دوسر عبد النعمان بن المنذر وهو الذى بناها أولاً لما جعله النعمان
 على أفواه الشام ثم تملكها سابق الدين جعبر القشيري فى أيام الملوك السلجوقية فمرفت به ، ثم انزعها منه
 السلطان ملكشاه السلجوقي . وخربت فى أثناء دولة الناصر محمد بن قلاوون وعمرت فى آخر الدولة الناصرية
 أو بعدها بقليل ، وهى من مضافات حلب (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣٨) .

ذكره ونقد سنة معجّلة . وهو من الفضة الحجر الطلغم التكفورية^(١) خمسمائة ألف درهم وزناً نصفها : مائتا ألف درهم ، وخمسون ألف درهم . ومن الخيل الجياد ، والبغال الجياد خمسون رأساً ، تفصيله : أكاديش^(٢) جياد خمسة وعشرون رأساً ، بغال جياد / خمسة وعشرون رأساً . ومن التطاييق الحديد الجياد عشرة آلاف تطبيق بمساميرها محمولة إلى أى جهة رسم له بحملها إليها من البلاد السلطانية . وليستقر حمل ذلك فى كل سنة من مملكته . وتكون السنة الأولى معجّلة ، ويستمر حمل هذه الجملة المعينة فى كل سنة إلى انقضاء // هذه الهدنة المباركة ، وعلى أن الملك ليفون يلتزم بإطلاق جميع من فى اعتقاله من ١٩٦ التجار المسلمين على اختلاف طوائفهم وأجناسهم بأموالهم وبضائعهم وبماليكهم وجوارهم وخيلهم وبغالهم ، وإطلاق جميع المسلمين المأسورين المعتقلين فى قلاعه وفى بلاده من سائر أجناس الناس على اختلاف / أجناسهم وأنفارهم وتجهيز الجميع إلى الأبواب العالية ولا يعوق منهم أحداً ويجهزهم جميعهم إلى الأبواب العالية ، ومن كان قد مات فى اعتقال الملك ليفون من التجار المسلمين فيلتزم الملك ليفون بالقيام بمال التجار الذين ماتوا فى اعتقاله لمولانا السلطان الملك المنصور ، وبماليكهم // وجوارهم وبضائعهم ولا يخفى شيئاً من ذلك . ويقوم عن ١٩٧ التاجر الذى مات بأسير مثله .

ومهما كان قد فرط فيه من بضائعه وأمواله ورقيقه يقوم بقيمة ما فرط فيه لمولانا السلطان الملك المنصور - خلد الله ملكه - ويجهز ذلك إلى مولانا السلطان الملك المنصور ولا يعتذر / عنه بعذر . وعلى أن مولانا السلطان الملك المنصور يطلق للملك ليفون من هو معوق من رسله وغلمانهم وأتباعهم المعتقلين بمصر والشام ، وإن كان فى الاعتقال أحد من تجار الأرمن يطلق أيضاً بماله الموجود ، وعلى أن التجار المترددين من الجهتين لا يحدث عليهم حادث ولا تجديد عليهم // مظامة ولا يزداد عليهم حق خفير فى جهة من الجهات ١٩٨ ويسلك بهم منهج العدل والإنصاف ، وعلى أنه من دخل إلى بلد الأرمن من بلد الروم

(١) من الفضة الحجر الطلغم التكفورية ، أى ملكية : ضرب من النقود .
 (٢) أكاديش جياد : *ekdish* أو *ikdish* فارسية ، وهو الحيوان الذى ينتمى إلى فصيلتين عامة ، ثم أطلقها كتاب العرب على الخيل من فصيلتين .
 (٣) يريد : جوارهم جميع جارية . ويتكرر هذا الجمع فى الكتاب .

وبلد المشرق والمغرب والعراق وبغداد والعجم وسائر البلاد قاصداً البلاد السلطانية من التجار
والرعيّة والوافدين وسائر الناس / أجمعين يفسح لهم في الحضور إلى البلاد السلطانية ،
ولا يعوقهم ولا يمنعهم . ولا يقوّهؤلاء من رعيّة التار ولا من أولادهم ولا ممن يتعلّق بهم ،
وعلى أنه متى مات أحد من التجار المسلمين ببلاد الملك ليفون يُحتفظ بماله ويسلم لنواب
١٩٩ مولانا السلطان الملك المنصور ليعتمدوا فيه // موجب الشرع الشريف . وللملك ليفون
مثل ذلك في تجار بلاده الأرمن الذين يموتون في البلاد السلطانية ، وعلى أنه متى انكسر
مركب لأحد الجانبين بالجهة الأخرى يُحتفظ بما يوجد فيه ويُحتز عليه ، ويسلم لنواب الجهة
التي يكون التاجر المتوفّي منها . فإن كان ذلك التاجر / من رعيّة مولانا السلطان الملك المنصور
أو من غلمانه فيسلم لنواب مولانا السلطان الملك المنصور ، وإن كان من رعيّة الملك ليفون
فيسلم لنوابه ليعتمدوا في ذلك موجب العدل والإنصاف ، وعلى أنه متى هرب أحد
٢٠٠ من بلاد مولانا السلطان كائناً من كان ، أميراً كان أو مأموراً ، مملوكاً كان // أو حراً
من سائر الطوائف والأجناس والأديان ، ودخل إلى بلد الأرمن يلتزم الملك ليفون ونوابه
بإمساكه وإنفاذه تحت الحوطة إلى الأبواب السلطانية بجميع من يهرّب معه وبما يوجد
معه من رُقّة وغلمان وخيل وبغال وقماش ومال وغير ذلك . ولو تنصّر الهارب وانتقل عن
دينه يلتزم الملك / ليفون برده إلى مولانا السلطان الملك المنصور ولا يعتذر بعذر ولا يحتج
بحجة في أمره . وإن هرب أحد من رعيّة الملك ليفون وغلمانه وأجناده واستمرّ على دينه
يلتزم نواب السلطان برده إليه .

وإن دخل في دين الإسلام يردّ المال الذي يوجد معه / وعلى أن الممنوعات من السلاح
والعدّد وغير ذلك // من البلاد السلطانية يستقرّ حال المنع فيها على العادة ، وعلى أن الملك
٢٠١ ليفون لا يمنع أحداً من التجار ولا من غير التجار ، من جلب المالك والجوار والخيل والبغال
وسائر أصناف البضائع عن ^(١) الحضور بهم إلى البلاد السلطانية ولا يعوقهم ولا يفسح
لأحد في أن يعوقهم ويفتح الطريق / لهم ليجلبوا المالك والجوار والبضائع والخيل والبغال
وسائر الأصناف وسائر أجناس المالك وأجناس الجوار على اختلافهم ولا يعوق منهم

(١) كذا . ولعله : من

أحداً ، وعلى أنه متى أُخِذَت أُخِيْذَةٌ أُرْقِلَ أحد من الجانبين يسلم القاتل ليقتص منه ، وتردّ الأخيْذَةُ بعينها إن كانت موجودة أو // قيمتها إن كانت مفقودة . والقتيل يقام عنه ٢٠٢ بعد ردّ ماله بأسير مثله^(١) : الفارس بفارس ، والتركيلى بتركيلى^(٢) ، والتاجر بتاجر ، والراجل براجل ، والفلاح بفلاح . فإن خفي أمر القاتل أو أمر الأخيْذة تكون المَهْلَةُ في الكشف عن ذلك أربعين يوماً . وإن لم يظهر أمرها حُلفَ والى تلك الجهة / وثلاثة نفر تختارهم الجهة الأخرى^(٣) . وإن ظهر أمر الأخيْذة أو أمر القاتل بعد اليمين عاد الطلب بالحقّ على حاله وعلى أن قلعة الروم وخليفة الأرمن الكاثوليكوس^(٤) المقيم بها ورهبانه ومن يتعلّق به بهذه الجهة وبما لها وبها من الرعيّة والفلاحين يكونون داخلين في حكم هذه الهدنة ، كما // استقرّ لهم ٢٠٣ في الهدنة الظاهرية .

وعلى أن الملك ليفون لا يستجِدّ بناء قلعة ولا ما يتحصّن به ، وعلى أنه مهما كان في بلاد ليفون من فلاحي بلاد رومص^(٥) والبلاد السلطانية يردهم إلى البلاد السلطانية ، ومن كان في اعتقال من رهبانهم يُطلقه ، وإن كان في البلاد السلطانية أحدهم / فلاحي بلاد الأرمن فيردّ .

تستقرّ هذه الهدنة بشروطها وقواعدها الحرّرة إلى انقضاء مدتها لا تنتقض بموت أحدٍ من ملوك الجهتين ولا بعزل نائب أو والٍ وتولية غيرهم ، ولا بدخول رجلٍ غريبة ولا بيدٍ

(١) أى يكون العوض عنه بنظيره من جنسه .

(٢) كذا في الأصل وفي السلوك ص ٩٩١ وصبح الأعشى ج ١ ص ٥٧ « وبركيل بركيل » ، ويقول الدكتور محمد مصطفى زيادة في معنى كلمة « بركيل » ، « لعل المقصود بالبركيل مرتاد البجار من التجار والمغامرين . وأن البراكية ضرب من السفن ، وأن البركوس ، والبراكوس ، والبريق ، والبريك أنواع من السفن أيضاً » . والتركيلى هو الاسم الذى أطلق على الفرسان من الأجانب في عصر الحروب الصليبية .

(٣) في السلوك ص ٩٩١ « وإن لم تظهر كانت اليمين على والى المكان المدعى عليه ، وثلاثة نفر يقع اختيار المدعى عليهم من تلك الولاية ، وإن امتنع الوالى عن اليمين حلف من الجهة المدعية ثلاثة نفر تختارهم الجهة الأخرى » .

(٤) هو بطريك الأرمن ، ويسمى الكاثوليكوس أو الجاثليق ويطلق عليه بالأرمنية الكاثاغيكوس .

(٥) التسمية الأرمنية للروم ، في صيغة الاضافة .

غالبية من التتار ولا من غيرهم ، بل تكون أحكام هذه الهدنة مستمرة على حالها ، وإلنى
ألتزم // الوفاء بها بجميع شروطها ولا أخرج عن حكم من أحكام هذه الهدنة ، ولا أغز على ٢٠٤

بلاد مولانا السلطان الملك المنصور ولا على عساكره ولا على رعاياه من يقصدهم بغارة ولا
بمضرة ولا بأذية ، ولا أدخل فى مشورة تؤدى إلى اعتماد سوء أو مكروه ، ولا أحسن لأحد
من أعداء مولانا السلطان الملك المنصور ولا / أنجده ولا أساعده ولا أواقفه عليه برمز ولا

خط ، ولا مراسلة ، ولا مكتابة ، ولا مشا [فئة] ، بل أكون مدارياً عن نفسى وعن بلادى ،
وأجتهد كل الاجتهاد فى حفظ بلاد مولانا السلطان الملك المنصور ومنع من يتخطى إليها

من بلاد بأذية أو عدوان ، ومتى وقع - والعياذ بالله - فسخ من أحد الجهتين تكون
التجار والسفار // والمترددون آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم وبضائعهم وماليكهم ٢٠٥

وجوارهم وخيلهم وبغالهم . وتكون المهلة أربعين يوماً حتى يعود كل أحد إلى مأمته
ووطنه ببضاعته وبماله من غير معارض له فى ذلك مدّة هذه الهدنة المباركة التى أولها مستهلّ

شهر ربيع الآخر المبارك من سنة / أربع وثمانين وستمائة للهجرة النبوية الحمديدية صلوات الله
على صاحبها وسلامه ، الموافق ذلك لليوم السابع من حَزيران سنة ألف وخمسمائة وخمسة وتسعين

للاسكندر بن فيلبس اليونانى - وإلنى والله وحقّ دينى ومعبودى واعتدائى - ألتزم بجميع
هذه الهدنة وهذه اليمين يمينى وأنا ليفون بن هيثوم ^(١) // والنّيّة فيها نيّة مولانا السلطان ٢٠٦

الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون الصالحى ونّيّة ، ولديه المولى السلطان الملك الصالح
علاء الدنيا والدين ، والمولى السلطان الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين ، ونّيّة مستحلفى

لهم ، لا نيّة لى غير نيتهم ولا قصد لى غير قصدهم ، أشهد الله علىّ بذلك والله علىّ ما أقول /
وكيل ، والمسيح شهيد علىّ بذلك ، وعلى ذلك وقع الشرط والاتفاق فى التاريخ

المذكور أعلاه .

وتوجه الأمير فخر الدين المقرئ الحاجب وصحبته الرُسل إلى صاحب سِيس وعلى يده
الهدنة وعاد بالمال المقرّر على ما تقدم شرحه ، وأحضر الأسرى من التجار والمسلمين

(١) هو ليفون بن البيل هيثوم ، صاحب سِيس .

بأموالهم وبضائهم . وحضر // رسوله بارون بهرام أحد أكابر دولته . وحضر الكمندور ٢٠٧ الذي كان توسّط في هذا الصلح .

ولمّا حضروا بين يدي مولانا السلطان أطلق جميع الرّسل المعوّقين بدمشق وغلّانهم ورسم بإطلاق رُسُلِهِ الذين كانوا بالديار المصرية ، وتأخّر من الأسرى ومن المال شيء طفيف سيّر من يطالبه به . وكانت الهدنة / تضمّنت إطلاق جميع الأسرى فأخّر من أصحاب ابن قرمان وغيرهم جماعة ، واحتجّ عن القرمانين ^(١) والروميين بأنّه له عندهم أسرى وأنهم أعداؤه ، وبينه وبينهم حروب ، فإن خلّصوا أسراه خلّص أسراهم ، واحتجّ عن الروميين بأنهم في طاعة الكفر فقال مولانا السلطان : المسلمو [ن] // كلهم يلزمني أمرهم ، وما لهم سلطان يفكّ أسره ويقاتل أعداءهم غيري ، ولا بدّ من هؤلاء الأسرى القرمانية ؛ لأنهم في طاعتي ، ولا يستنصرون إلّا برفع علمي . فالتزم الرّسل بردهم . وانفصل الحال على ذلك واستصحبوا من يحضرون صحبته . ٢٠٨

ومن ذلك : / انتظام المودعة مع صاحبة بيروت على أنها تحمل عن المركب وحقّ الماء والنّا [ر] العجمي نيفاً وتسعين ألف درهم . وحكّت من جملة المال ثلاثين ألف درهم ، وتقرّر حمل بقيّته في ثلاثة أشهر .

٢٠٩ ومن ذلك : استقرار هُدنة صور وهي : //

بسم الله الرحمن الرحيم . استقرت الهدنة المباركة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين قسيم أمير المؤمنين وولده ، ووليّ عهده المولى السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين على خليل أمير المؤمنين ، وولده الملك / الأشرف

(١) كذا ، وقد يكون الأصل : القرمانين ، وهم أولاد قرمان أصحاب أرمناك وقسطنونية ، وما والاها من شرق هذه البلاد ولا يخاطب قائم منهم إلا بالإمارة . (راجع ترجمة أولاد قرمان في ملاحق هذا الكتاب) .

صلاح الدين خليل - خلد الله سلطانهما وأدام دولتهم - وبين المملكة الجليلة دام مراريت بنت سيرهري بن الإبرنس بيمند^(١) مملكة صور حال استقرار هذه الهدنة ونائبها بمملكة صور، وهو القومص الجليل سيرهريون يسكند^(٢) لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات أولها // يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الأول^(٣) سنة أربع وثمانين وستمائة للهجرة النبوية . صلوات الله على صاحبها وسلامه ، الموافق لثامن عشر تموز سنة ألف وخمسمائة وستة وتسعين للإسكندر بن فيليبس اليوناني ، وآخرها الرابع عشر من جمادى الأول^(٤) من سنة أربع وتسعين وستمائة الموافق لثامن عشر / من تموز سنة ألف وستمائة وخمسة للإسكندر ، يتبع بعضها بعضاً ، على حكم ما استقر عليه الحال إلى آخر أيام الملك الظاهر - رحمه الله - متواليات الساعات والأيام والشهور والسنين إلى آخرها على جميع البلاد الإسلامية الداخلة في ممالك بلاد مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين // قلاون الصالحى ، قسم أمير المؤمنين ، وبلاده وقلاعه ومدنه وحصونه ، وما اشتملت عليه مملكة الديار المصرية ، وما فيها من الثغور والسواحل والقلاع والمدن ، والمملكة الشامية ، وما اشتملت عليه من الثغور والقلاع والحصون والمدن ، والثغور الساحلية ، وما اشتملت عليه من الحصون ، ومن برور ومن / موانى ، ومن بلاد .

والبلاد البعلبكية والحمصية والحماوية والفتوحات الشريفة بحصن الأكراد [د] وحصن عكار ، وما يضاف إليها ، ودخل في جملتها من ثغور وبلاد معاهديه وحصون وبرور وسواحل ، والمملكة الحلبية والفتوحات الأنطاكية ، وما هو مجاور لصور من المملكة الصقديّة والشقيفية^(٤) وغيرها // من القلاع والحصون والبلاد ، على كل ما هو داخل في مملكة مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين من ممالك وحصون وقلاع وثغور

(١) dame Mararit (= Marguerite), fille de Aire Heri (= Henri).

أى أنه كتب مراريت بدلا من مرجريت ، وهري بدلا من هنري .

fils du prince Boemond.

(٢) le comte illustre Aire Raimond — Jaskend.

(٣) كذا في الأصل .

(٤) الشقيف المعروف بشقيف أرنون ، وشقيف تيرون ، وشقيف ديركوش .

ومدن وقرى وسواحل وموانئ^(١) وبرور، قريها وبعيدها، سهلها وجبلها، عامرها ودانها،
غورها ونجدها، شرقها وغربها، يمنها وحجازها / شاميها ومصريها، وما تشتمل عليه من
قرى ومزارع وأنهار وطواحين، وأبراج وبساتين، وعلى من حوته هذه الممالك وتحويه من
عساكر وجند ورعايا وعرب وتركمان وأكراد وفلاحين وسائر أجناس الناس أجمعين على
اختلاف أجناسهم وتغاير أشكالهم وأديانهم، وعلى أموالهم ومواشيهم على تغاير // أصوافها ٢١٣
وأوبارها والأموال على تغاير أجناسها.

تكون هذه الممالك المذكورة، وما اشتملت عليه، ومن فيها من سائر الناس أجمعين
السالكين بها والقاطنين والمترددن إليها، ومنها وفيها من التجار والسقار آمنين مطمئنين
على أنفسهم وأموالهم ومواشيهم في حالتهم صدورهم وورودهم وسفرهم / وإقامتهم، وما للمعاهدية
من البلاد والجهات، وما سيفتحه الله على يد مولانا السلطان الملك المنصور، وعلى يد
أولاده ويد عساكرهم وجنودهم، وجميعهم من الحصون والبلاد والقلاع يجري عليها وعلى
من فيها، وما فيها حكم هذه الهدنة المباركة إلى آخر مدتها، وعلى بلاد المملوك دامت
سرايت بنت سرهري // بن البرنس يميند المعينة لها خاصاً ومناسبة في هذه الهدنة، ٢١٤
وهي مدينة صور وما دارت عليه أسوارها وضواحيها خاصة، وما فيها من الأراضي التي
تزرع فيها البقول والأقصاب والمعاصر التي لا دمنة لها، وهي المعوقة ورشمون^(٢) - أراضي
الزيتون - من الضواحي التي لا دمنة لها، وبستان / العوجا الذي لا دمنة له، والحكورات
والطواحين التي حول مدينة صور تكون هذه الضواحي المذكورة بما فيها من أراضي
الأقصاب ومزارع البقول والمعاصر التي من جملة الضواحي خاصة لصور. وذلك بشرط أن
تكون رشمون والمعوقة وبستان العوجا أراضي من ضواحي صور بغير دمن، ولا // ٢١٥

(١) كذا في الأصل .

(٢) رشمون : طاق عليها Jean de Mont Fort في خريطته اسم Raissemon في Codice dj
diplomatico, I. p. 168.

قُرى ، وعلى أن يكون لمولانا السلطان الملك المنصور ولأولاده السلطان الملك الصالح ،
والملك الأشرف نصرهم الله خاصاً لهم الخمسُ الضياع من ضياع صور من أجودها وأكثرها
متحصلاً من عين وغلة ، التي استقرت في الخاص الشريف السلطاني من الأيام الظاهرية ،
وهي : قانا ومزرعتها ، القروية ، أصريفيا ومزرعتها ، حانا يخن وما بكالها ، المجادل
بكالها ، كفر دبين بكالها على ما استقر عليه الحال إلى آخر الأيام الظاهرية .

٢١٦ تكون هذه الخمس القرى خاصاً جميعها بأراضيها وحدودها وحقوقها ، وكل ما هو داخل
فيها ومنسوب إليها لمولانا السلطان الملك المنصور ، ولأولاده من غير مشاركة // لهم في ذلك .

وتكون للملكة مزاريت مالكة صور من ضياع صور عشر ضياع من قرايا^(١)
مرج صور خاصاً لها على ما هو مستقر في الهدنة الظاهرية : أن هذه العشر الضياع تكون خاصاً
لملكة صور حسبما عيّنت بأسمائها فيها ، وهي عين أبي عبد الله ، القاسمية ، سدس ، قلب ،
المرفوف ، الجارودية ، الجمادية ، / مرفلة ، رأس العين ، برج الاسبتار ، تكون هذه العشر
الضياع المذكورة بحقوقها وحدودها [دها] وأراضيها وما هو داخل فيها خاصاً للملكة صور
دام مزاريت مالكة صور ، وعلى أن تكون بقية بلاد صور جميعها بما فيها من مزارع وعدتها
بما فيها من المزارع ثمانى وسبعون ضيعة ومزرعة ، وهي الطالية ، // درتية ، الدهرية ، الفنونية
٢١٧ العثية ، وادى الحجاج ، العرتية ، البحتية ، المالكية ، دير عمران ، التعتبية ، الكبية ، بابولية ،
الحمية ، دير قالون ، غرا يغال ، الزيادات ، وحيوية ، ربعين ، بنى دفتح ، مارنين ، عيا ، صديق ،
رسكيانية ، رفلية ، عثليث ومزرعتها ، الملاحات ، السحنونية ، الفراخية ، طرقان / الدير ، المعلية ،
الخميرا ، روتية ، بابوح ، فقعة ، البارورية ، كفر دها ، حوبا ومزرعتها ، سرفية ، مجدل ، بيت
روح ، طرسا ، فسون ، التفاحية ، أمد ، ركنا ، مارون ، طرسنحات ، كفرناى ، بنى باقتلة ،
معولة ، طفلسة ، أشحور ، الرمر ، الفهرون ، دوردغيا ، ابروخية ، هرين ، الصوافي ، حلوسية ،

(١) كذا في الأصل ولعلها « من قرى » جمع قرية .

معروب ، بعليث ، // درفانون ، طرديا ، بدياس ، النعمانية ، بدوث ، الحمرانية ، طورا ، ٢١٨
السرفيات ، بردسيل الجديدة ، العباسة ، الحنيثة ، السفلسة ، أشحور ، الفاه ، شادسة ، العبيلة ،
المصرية ، وذلك خلا المعوقة ، ورشمون ، وبستان العوجا التي ذكرناها ليست بقراه ، وأن
المعوقة اسم المعصرة ، وبستان العوجا غير قرية ، ورشمون / غير قرية ، وإن كانت قرى
كانت من جملة بلاد المناصفت ، وإن لم تكن قرى كانت من جملة ضواحي المختصة بها .

وحدود هذه البلاد جميعها من جهة القبلة مرفلة ، وقرية دير عمران ، وبرج وادي
الحجاج ، والعربية ، وريف ، وبارين ، ومن الشرق عنافه ، سكاسة ، ومجدل شرقية // ٢١٩
والسحنونية الداخل ذلك المناصفت ، وقانا ، ومحروما ، والمجادل ، وكفر دين الداخل في
الخاص الشريف ، ومن الشمال أصريفيا الداخلة في الخاص الشريف ، ونهر القاسمية ،
ومن الغرب البحر تكون هذه القرايا ^(١) المذكورة في هذه الهدنة جميعها بمزارعها وحقوقها ،
وأراضيها وطواحينها وأنهارها / وبساتينها ودمنها ، ومتحصلات مغلّاتها من وجوه العين ،
والغلة مناصفة بين مولانا السلطان الملك المنصور ، وبين الملكة دام مراريت مالكة صور
يقسم جميع المتحصّل بها من وجوه العين والغلة ، وحقوق ، وزكاوات وعدّاد ، وحكورات ،
وأجر وضمانات ، وخرّاجات وجبايات ، وموارث ، وغير ذلك من سائر الحقوق // قليلها ٢٢٠
وكثيرها نصفين بين الجهتين بالسوية .

ويستقرّ الحال في جميع الأشياء ، كما كانت إلى آخر الأيام الظاهرية ، وعلى أن
يكون المباشر لهذه الضياع والمناصفت المذكورة والمستخرج لأموالها وغلالها نواب مولانا
السلطان الملك المنصور عزّ نصره باتفاق مع نواب الملكة دام مراريت مالكة صور / بحيث
لا تنفرد جهة عن جهة باستخراج درهم ولا غيره ، وعلى أن يستمرّ الشخص بأرض الزهرية
في المكان الذي جرت به عادته في الأيام الظاهرية ، وعلى أن تكون هذه البلاد المختصة
بمالكة صور آمنة مطمئنة هي ومن فيها من عسكرها وخيالتها ورجّالتها ورعيّتها وتجارها على
أنفسهم // وأموالهم وأولادهم ومواشيهم في حالتي صدورهم وورودهم وسفرهم وإقامتهم إلى ٢٢١

(١) أنظر الحاشية رقم (١) في الصفحة السابقة .

آخر هذه الهدنة ، وعلى أن التجار والسفّار والمتردّين من الجهتين يتردّدون ويبيعون ويشترّون ويوردون ويصدرون آمنين مطمئنين على نفوسهم وأموالهم ، وعلى أنهم لا يحدث عليهم شيء غير ماجرت العوايد / به من الجهتين ، وأن الممنوعات مستقرّ حالها في البيع على حالتها ، وعلى أن المراكب من الجهتين المتردّدة في البحر تكون كل فرقة منها من الفرقتين آمنة من الفرقة الأخرى مطمئنة في البحور والمراسي والدخول والخروج ، تلتزم كل طائفة من الجهتين كفّ الأذية عن الجهة الأخرى ، وعلى أنه // متى انكسر مركب من الجهتين إن كان لمسلم تسلمه له إن كان موجوداً ، ولنواب مولانا السلطان إن كان مفقوداً . وإن كان لنصراني من بلاد مولانا السلطان - عزّ نصره - فالحكم فيه بحكم المسلم . وإن كان من أهل صور ومن رعيّة الملكة مالكة صور يسلم له المال إن كان موجوداً ، وليدوانها إن كان مفقوداً . وإن مات أحد من الجهتين في الجهة الأخرى ولم يكن له وارث يجري عليه هذا الحكم من الجهتين ولا يخفى ماله ، وعلى أنه متى قتل أحد من الجهتين ووجد القاتل فإن كان القاتل مسلماً يحكم فيه نواب مولانا السلطان الملك المنصور - نصره الله - بما تقتضيه سياسة السلطنة الشريفة المطهرة ، // وإن كان نصرانياً من أهل صور تحكم فيه الملكة دام مراريت مالكة صور ، كلّ جهة بحضور نائب من الجهة الأخرى يباشر الحكم فيه بما تقتضيه أحكام الجهتين . وذلك يكون الحكم في كل من تعدّى وأسرف واغتال ، يتولى ذلك نواب مولانا السلطان تأديب المسلم ، وتأديب النصراني يتولاه نواب / الملكة مالكة صور ، وإن خفي أمر القتل كانت دية الفارس من الجهتين ألفاً ومائة درهم صورّية والتركلي مائتي درهم ، والفلاح مائة دينار ، والتاجر تكون ديته على قدر جنسه وأصله ومقدرته ، يؤخذ ذلك من أهل القرايا^(١) التي يقتل فيها ذلك الشخص جنابة لهم وتأديباً جملة واحدة ، يُعتمد // ذلك من الجهتين . وإن كان المقتول في المناصفت كان متحصّل الجنابة مناصفة ، وعلى أنه متى أخذت أخيدة ترد بعينها إن كانت موجودة أو قيمتها إن كانت مفقودة . وإن خفي أمر القتل أو أمر الأخيدة

٢٢٢

٢٢٣

٢٢٤

(١) أنظر الحاشية رقم (١) صفحة : ١٠٦ .

كانت المهلة في الكشف عن أمره أربعين يوماً . وإن لم يظهر له خبر حُلف وإلى تلك
الجهة وثلاثة / أنفار ممن تختارهم الجهة الأخرى . وإن امتنعوا من البين لزمّت الجناية
المذكورة وقيمة الأخيذة ، وعلى أنه متى هرب أحد من الجانبين يرد بما معه ، ومتى هرب
مملوك من أى جنس كان يرد بجميع ما معه ذكراً كان أو أنثى ، عبداً كان أو حراً ، يعتمد
ذلك من الجانبين . وعلى أن الملكة دام مراريت مالكة // صور لا تستجد بناء قلعة ولا
تجديد سور ولا حفر خندق ولا ما يتحصن به مما يمنع أو يدفع . ٢٢٥

وعلى أن مولانا السلطان لا يفسح لأحد من عساكره ولا من جنوده ولا من أهل
بلاد من التطرق لبلاد صور المعينة في هذه الهدنة بأذية ولا ضرر ولا سرقة ولا
عدوان ولا غدر لافى بر ولا بحر ولا / يتعرض أحد من عساكر مولانا السلطان
وجنوده ومعاهديه للملكة دام مراريت مالكة صور لافى نفسها ولا فى خيالتها وأصحابها
خلا الإسماعيلية الذين تحت حكم مولانا السلطان .

ولمولانا السلطان أن يُجهز من شاء منهم إلى مالكة صور بالسوء والضرر متى أراد .
وعلى أن الملكة دام مراريت // مالكة صور تلتزم حفظ بلاد مولانا السلطان من جهتها من
مُتجرّم أو مفسد أو رجل غريبة وسائر الأفرنجية يتطرق من بلادها إلى بلاد مولانا السلطان
بأذية أو إغارة أو فساد أو عدوان . ٢٢٦

وعلى أن الملكة دام مراريت مالكة صور لا توافق أحداً من سائر الأفرنجية
على أمر فيه أذية لبلاد / مولانا السلطان أو ضرر على ممالكه أو رعاياه وسائر
من فيها ، وما فيها ، ولا تساعد أحداً على ذلك برمز ولا كتابة ، ولا إشارة ، ولا رسالة إلى
حين انقضاء هذه الهدنة .

ولما من مولانا السلطان مثل ذلك ، وعلى أنه متى انقضت الهدنة أو وقع
- والعياذ بالله - فسخ من أحد من الجهتين . كانت المهلة // للتجار والسفّار ٢٢٧
والمرتدين أربعين يوماً حتى يعود كل أحد بما له إلى مأمنه ووطنه آمنين مطمئنين
مخفرين من الجهتين .

تستقر هذه الهدنة بشروطها المحررة ، وقواعدها المقررة ، لا تنتقض أحكامها ، ولا ينفك نظامها بموت أحد من الجهتين ولا بعزل والٍ ولا تولية غيره ، ولا برجل / غريبة ولا بيدٍ غالبية ، بل تستمر مدتها وتوفى عديتها ، وهي عشر سنين كوامل متتاليات ، أولها الرابع عشر من جمادى الأول^(١) سنة أربع وثمانين وستمائة للهجرة النبوية الموافق لليوم الثامن عشر من شهر تموز من سنة ألف وخمسمائة وآخرها الرابع عشر // من جمادى الأول^(١) من سنة أربع وتسعين وستمائة الموافق الثامن عشر من تموز من ألف وستمائة ، وخمسة للاسكندر بن فيليبس اليوناني .

يلتزم كل من الجهتين حفظها إلى آخرها ومن تولى بعد الآخر حفظها إلى آخرها والخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه إن شاء الله تعالى / .

ومن المتجدد في هذه السنة

بزوغ شمس من أفق الذرية الشريفة طالع ، وبدر تتجمل به المطالع . وهو أنه لما كان بتاريخ منتصف الحرم من هذه السنة ولد لمولانا السلطان الملك المنصور - نصره الله - ولد تباشرت بمولده الأسرّة والمهود والسروج ، وأصبحت الممالك^(٢) والحصون والقلاع تودّ لوساهمت في طالعها ما شرفه الله بإيجاده فيه من البروج ، وسمى بمحمد لتفيض عليه أنوار بركة هذا الاسم الشريف ، ونعت بالملك الناصر لأنه نعت حسن التعريف . وهو من

(١) كذا في الأصل .

(٢) وردت البشائر على والده الملك المنصور سيف الدين قلاوون الأتني الصالحى النجمى وهو بمنزلة خربة اللصوص قبل وصوله إلى دمشق الحروسة فاستبشر الملك المنصور بمولده وتبين به وبلغ مقصده من فتح حصن المرقب
(ابن الفرات ج ٨ ص ١٧)

الدار الرومية من العَظم القاني ، جدّه لأمه سكتاي بن باجوا أكبر عطاء التتار / فجمع الله له أطراف الفخار ، وأفيضت الصدقات والخِلم وأُطلِقت جماعة من الخايس وفرّجت عند ولادته كرب . وكان وجهها مباركا بفتوح المرقب^(١) وما اندرج في ثني ذلك من نصر وظفر ، والحمد لله رب العالمين .

ومن ذلك النصر

إغارة آل فضل وجماعة من آل مرّا على بلاد العدو الخذول ، وأخذوا عرب البحرين : آل علي بن ماجد . وكان المذكور في الجملة فقتله أصحابنا وأسروا منهم جماعة وغنموا أموالا كثيرة لا تحصى من خيول وأموال وأمتعة ، وكانت غنيمة عظيمة ، وغزاة وسيمة ، ونعمة // جسيمة .

٢٣٠

وكذلك : أغار الأمير هبة بن الأمير شرف^(٢) الدين عيسى بن مهنا على بلاد الشرق

(١) توجه السلطان الملك المنصور إلى حصن المرقب لاستنقاذه من الفرنج لأن أهله فعلوا ما يوجب نقض الهدنة التي كانت حصلت بينهم وبين السلطان ولم يبقوا عند شروطها .

(ابن الفرات ج ٨ ص ١٧)

(٢) هو عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضة بن فضل بن ربيعة أبو مهنا أمير آل فضل .
(النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٠٩ هامش ١) .

وفي ابن إياس (بدائع الزهور) أنه حضر إلى مصر صحبة الإمام أحمد بن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد الملقب بالحاكم بأمر الله .

ويذكر ابن الفرات ج ٨ ص ٨ أن وفاته كانت في سنة ٦٨٣ هـ وبعد وفاته فوض الملك المنصور لامرة العرب لولده « الأمير حسام الدين مهنا » .

من جهة آمد، ونصيبين وكان معه حُشود كثيرة من أصحابه ومن حشود الرُحبة وغنموا ما يزيد عن ثلاثين ألف رأس من الأغنام وجملة من الأبقار وغير ذلك وخرجوا سالمين غانمين // وارتجت بلاد الكفار بهذه الإغارة وذلت بها الأعداء، وضاق بهم الفضاء . ٢٣١ واعتقد كل أحد منهم أنه المأخوذ، وأن ماله^(١) لهم المنبوذ .

✓ ومن ذلك : أنه في عاشر شهر ربيع الأول من هذه السنة وردت كتب من رسل مولانا السلطان الذين كانوا توجهوا إلى الفنش وهم : الأمير / سيف الدين بلبان المعظمي ، والعتيقه الإمام حميد الدين الحنفي ، والأمير عز الدين أيبك الترجمان المعروف بالسكبيكي ومضمونها : أنهم كانوا توجهوا من الأبواب الشريفة ، وأنهم وصلوا إلى الفنش في مستهل الحرم سنة ٢٣٢ اثنتي عشرة وثمانين وستمائة واجتمعوا به في أشبيلية وأدّوا الرسالة إليه ، فسمعها // منهم ، فوجدوا الحرب قائمة بينه وبين والده ذو صنج ، وقد عصى أهل البلاد على الفونش ، وصاروا مع والده المذكور ، ولم يبق في طاعة والده غير عسكر يسير ، وبقي في يده من البلاد أشبيلية ، وما بقي له من ينصره غير أبي يوسف صاحب مراکش ، وأنهم أقاموا عنده مدة . ولما ضجروا من الإقامة طلبوا منه / الإذن في العود فصبرهم حتى ينفصل أمره مع والده . وبقي يطمئنه مدة سنة . فبعث إليه أبو يوسف صاحب مراکش رسولا وهو يقول له : هؤلاء القوم حضروا من جهة سلطان عظيم وملك كريم ، ولا يحسن تأخيرهم عن العود لغير موجب ، فإما أنك تجهزهم يرجعون ، وإما أنك تسيرهم إلى وأنا أجهزهم إلى // خدمته وأحل هذه الكلفة عنك وأخدمهم خدمة تليق بجرمة صاحبهم . فأعاد الفونش الجواب على أبي يوسف صاحب مراکش بأني إذا سيرت الرسل إليك لتجهزهم من جهتك ✓

(١) يذكر ابن الفرات ج ٨ ص ٢٤ // وفي يوم الثلاثاء سابع شهر رمضان سنة ٦٨٤ هـ وصلت رسل ملوك الفرنج وأحضروا بين يدي الملك المنصور وقدموا ما معهم من التقادم ما هو من جهة الأنبرور ما حمله اثنان وثلاثون حملا سنجاب وسور ، أربعة عشر سقلاط ، خمسة أطلس وبندي ثلاثة عشر . وما هو من جهة الجنوبية سارسينا حامين سناقر ، ستة كاب أبقى - ذكر بغض المؤرخين أنه أكبر من الأسد وما هو من جهة الأشكري : حل أطلس ، وأربعة أحال بسط . فقبلت تقادهم وأجروا على عادتهم في الإحسان والصلة .

يبقى على عار عظيم ! كيف يحضر إلى عندي رسل هذا السلطان الكبير ويجهزهم غيري ؟
أى شيء يُقال عنى ؟ ! .

ولما كان في الحرم / سنة ثلاث وثمانين وستمائة وصل إلى الفونش خبر وفاة أحد
أولاده المسمى دون باروا وكان أحب أولاده إليه، فلبس الفونش ثياب الحزن على ولده
الميت واشتد حزنه عليه . وبينما هو في ذلك ، إذ اشتد به المرض ، وجاء الخبر بموت ولده
دون صنعج العاصي عليه ولم يكن مات إنما كان // مريضاً فقال : الآن راح الملك واشتد
ألمه على هذا الولد مع عداوته له . وأقام عشرة أيام ومات . ٢٣٤

ولما مات لم يكن أحد من أولاده حاضراً موته سوى دون جوان ، ففرق موجود
والده وخزائنه ، وعوفي ولد الفونش دو [ن] صنعج الذى كان قد قيل عنه ، إنه مات وهو
يُحارب أبيه ، وتسلم الملك بعد / ثلاثة أشهر من هلك أبيه . وكان حضوره إلى أشبيلية في
يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

ولما حضر النقاة رسل مولانا السلطان فأكرمهم وأحسن إليهم .

ولما كان يوم الأحد ثالث شهر ربيع الآخر حضر إلى كنيسة أشبيلية التي
كانت جامعاً للمسلمين وعملت // كنيسة وتسلطن بها ، وتوَّج فيها ، وركب بالطلب خاناه
والأعلام ، وصنَّج مولانا السلطان على رأسه . ودار البلد والرَّسل معه . فنزل في قصره ومدَّ
سماطه وجلس الرسل معه عليه . ونظر في أمر الملك وترتيب أحواله . ٢٣٥

ووصلت إليه رُسل صاحب سيس ملك الأرمن . ووصلت إليه رسل أبي يوسف /
عبد الحق صاحب مراکش .

ولما حضرت الرسل أحضر رسل مولانا السلطان ، وكانت رسل مولانا السلطان على
يمينه . وكان مضمون مشافهة رسل أبي يوسف صاحب مراکش إليه تهنئته بالملك
وبصيره إليه والاستبشار بذلك .

٢٣٦ ومن جملة المشافهة طلب رسل مولانا السلطان ليجهزهم من جهته . فقال // : أنا أولى بخدمتهم وأحق بذلك .

ثم إنه اجتمع برسل مولانا السلطان مرة ومرة ، واستعاد منهم القول والمشافهة التي كانت معهم لوالده من مولانا السلطان ، وسأل عن الهدية ، واشتغل بالاختلاف عليه ، وضاعت يده وكثر خروجه فسيّر إلى الرسل رسالة مضمونها : إني الآن ما بيدى / شيء ؛ لأنني ما وجدت في الخزائن شيئاً ، وسيّرت أطلب من ابن الأحمر شيئاً فاسيّر إلى شيئاً إلى الآن ، والبلاد خراب لا دُخْل لها ، وأنا أرى أنكم تتوجهون إلى طليطلة تقيمون بها حتى أجهزكم ، فأبى رسل مولانا السلطان إلا العود ، فأذن لهم فركبوا إلى تونس بخمسمائة دينار ، وسير معهم رسولا // وحكيما إلى صاحب تونس . وسافروا في منتصف جمادى الآخرة فوصلوا إلى تونس في منتصف شهر رمضان ، وقاسوا شدائد في البحر فملاقاهم صاحب تونس بالإحسان والكرامة والتفقد . وحضروا إلى الأبواب الشريفة.

ومما تجدد :

✓ ورود مركب في ثاني عشر شهر ربيع الآخر من نابُل إلى الاسكندرية . وخبر من وصل فيه أن الباب^(١) خليفة الفرنج هلك وأقام الفرنج غيره من الكرديال^(٢) الاثني عشر شخصاً يسمى جاكموا سبلو^(٣) ، وأنه شرع في الصلح بين الجنوية وأعدائهم ، وأن أهل صقلية سيروا إليه رسولا في غرايين^(٤) // بسبب الصلح وخلاص الابرنس بن شرتون المعتقل في صقلية ، وأنه قد عمر في صقلية ستون غراباً ، وأن هذا الباب سير إلى كل جهة بأنهم لا يتحركوا إلا بأمره .

(١) أى « البابا » : يقصد البابا مارتين الرابع الذى توفى في ٢٨ مارس عام ١٢٨٥ م .

(٢) صحته : الكرديال (الكاردينال) .

(٣) هو البابا هونوريوس الرابع (٢ أبريل سنة ١٢٨٥ - ٣ أبريل سنة ١٢٨٧) . وجاكموا سبلو هو اسمه وهو كاردينال .

(٤) ضرب من السفن .

ذكر عود مولانا السلطان

نصره الله إلى مستقر ملكه .

ولما تقررت أمور هذه الفتوحات على / ما سرّ القلوب وأبهج الخواطر ، وأفرح ما للتواريخ والسير من السرائر . توجه مولانا السلطان فنزل بمرّج حمص حتى تكاملت جميع الأمور ، ورحل ودخل دمشق في يوم الأحد ثالث جمادى الأولى . وأقام بها ستة عشر يوماً دَبّر فيها مصالحها ومهد أمورها وأفاض خِلمه وإنعامه // على أمراء الشام ، وأحسن إلى رعايها ، وخرج من دمشق ووصل إلى قلعة بالقاهرة المحروسة في يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان من هذه السنة .

ووصلت العساكر المنصورة صُحبته ، واستقرّ بمحلّ سلطانه ، عمّر الله به مطالعه ، وأعذب مشارعه ، وابتدأ بحسنه يشكر الله فيها خطاءه ، وخطى / جواد امتطاه ، ونزل إلى عماره بالقاهرة المحروسة وتأمّل ما بها من مراكم الجباه ، ومادة الحياة ومهابط البركات ، ومعارج الدعوات ، ومنازل الكرم والكرامات ، وشاهد القبة المعمورة بكتاب الله وحديث النبي صلى الله عليه وسلم والصلوات . والمدارس التي هي مواطن العلوم الشرعية // ٢٤٠ والعبادات ، والممارستان الذي كُشفت به الكربات ، وصحّت المهجات ، وهو جنّة في الأرض قد عُجِّلَتْ لأهلها ، ورحمة من الله ما مثلها رحمة وأين من يقدر على إيجاد مثلها ، وجلس وسمع القراءة والدعاء ، وصلى الظهر وخرج فنزل راجلاً إلى تربة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب / رضى الله عنه فزاره ، وركب منها . وقد كتب الله أجره ، وأجمل من الحسنات ذخره وذكره ، والأدعية له مسموعة ، والأيدى بالابتهاال مرفوعة . وتوجّه إلى قلعة من جهة باب النصر ، وكان قبل ذلك قد اجتمع العلماء والأئمة والقراء بالقبة الشريفة ، وأنشد الشعراء . وذلك بحضور // الأمير علم الدين الشجاعى المنصورى ^(١) ، ٢٤١ ومرّ وقت حسن ، واجتماع شريف . وتقبّلت دعوات صالحة .

(١) سنجر بن عبد الله التركى الشجاعى : يلقب : علم الدين . (راجع ترجمته في نهاية هذا الكتاب).

ذكر مبررة نفعها مُشترك للناس

كان الناس في أيام الخليج^(١) تحصل لهم مشقة عظيمة بعدم توصلهم إلى الأحكار ، التي هي الآن للأمرء دار قرار / ويسلكون طريقاً بعيدة ، ويمشون من الخليج على بُرور عظيمة الأخطار ، فأجرى الله على يديّ مَرَّاسم مولانا السلطان حسنة قرّبت البعيد ، وآوت الطريد ، وردّت الشريد . وحملت الكلف ، ونجّت من التلف ، وذلك ببناء قنطرة على الخليج بين باب الخوخة وبين القنطرة // وبنيت بمباشرة الأمير علم الدين المنصوري في أقرب مدّة ، وجاءت متسعة الفضاء لمن يمرّ ، مرآها يسرّ ، فعمّت بها المنفعة ، وعظمت ، وجادت بها النعماء ، وأنعمت ، ونجّزت عمارتها في العشر الأوسط من جمادى الآخرة .

٢٤٢

(١) هذا الخليج بظاهر الظاهرة من جانبها الغربي فيما بينها وبين القدس ، عرف في أول الإسلام بخليج أمير المؤمنين وكانت تسميه العامة « الخليج الحاكى » و « بخليج الأولوة » . وهو خليج قديم يقال إن أول من حفره طوطيس بن ماليا أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذي قدم لإبراهيم الخليل صلوات الله عليه في أيامه إلى مصر وأخذ منه امرأته سارة وأخدمها هاجر أم إسماعيل صلوات الله عليهما . فلما أخرجها لإبراهيم هي وإبناها إسماعيل إلى مكة بعثت إلى طوطيس تعرفه أنها بمكان جدد وتستغيثه فأمر بحفر هذا الخليج وبعث إليها فيه بالسفن تحمل الخنطة وغيرها إلى جدة فأحيا بلد الحجاز ثم إن أندرومانوس الذي يعرف بإيليا أحد ملوك الروم بعد الاسكندر بن فيليبس المقدوني جدد حفر هذا الخليج وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف وأربعمئة سنة ، ثم إن عمرو ابن العاص رضى الله عنه جدد حفره لما فتح مصر وأقام في حفره ستة أشهر وجرت فيه السفن بحمل الميرة إلى الحجاز فسمى « خليج أمير المؤمنين » يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فإنه هو الذى أشار بحفره . وقد أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بطمه (خطط القرينى ج ١ ص ١١٤) . وكانت تفيض مياهه وقت الفيضان فتغمر القاهرة ويتكون من مياهه البرك وأشهر هذه البرك بركة الرطلى التي تنفى بها الشعراء .

ذِكْرُ حُضُورِ رُسُلِ الْيَمَنِ إِلَى أَبْوَابِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ

✓ في آخر شوال^(١) وصل الأمير سيف الدين المعروف بابن التُّلَيْل بن بُرْطَاس^(٢)، والصَّدر
نَزَكَيَّ الدين المعروف بابن النَّظَام، والرسول هو ابن التُّلَيْل بمفرده، وابن النظام معه مُتَجَبَّرٌ .
وأنزلوا أحسن إنزال وأكرموا أعظم كرامة .

ولما كانت يوم السبت سلخ شوال جلس مولانا السلطان للاجتماع // ٢٤٣
بالرُّسُل المذكورين ، فحضرُوا بعد أن شُرِّفُوا بخلع القدوم وإنعامه . وتجمَّع
الأمراء كلُّهم والمماليك السُّلْطَانِيَّة بِحُسْنِ الْملبُوس الذي تَبَهَّتْ لَهُ النُّجُوم ، واستقرَّ كلُّ
أحد بمقامه المعلوم . وأحضرت التَّقاْدِم والهدايا^(٣) المتنوعة من تحف الهند والسُّنْد واليمن ،
وكلَّ غريبة وكلِّ عَجَبِيَّة . وفي جملة التَّقاْدِم فيل وكرك^(٤) عظيم وخيول نجدية أصابِل ودُرَرٌ .
وأغنام . فشاهد مولانا السلطان من هذه الهدايا كلَّ غريب . وشاهدوا من مولانا السلطان
ومن أمرائه وحواشيهِ كلَّ حَسَنِ التَّرتِيب . وأخذت كتبهم وقرأت بعد ذلك . وتضمَّن
بعضها زُخْرَفا من القَوْل ، وزُورًا مِن // ليس له حَوْل . وهو أنه مُشْتَغِلُ الْخاطر بسبب ٢٤٤
ما يبلِّغه من أن التُّتَار قد استولوا على أكثر بلاد الهند^(٥) ، وأن ملك الحبشة الكافر قتل

(١) يذكر ابن الفرات ج ٨ ص ٢٨ أن وصول رسول صاحب اليمن في يوم السبت أول ذي القعدة
ولم يذكر اسمه .

(٢) ابن برطاس : الأمير سيف الدين بن برطاس . كان متوليا إمارة نجر عدن في سنة ٦٨٤ هـ .
(٣) اشتملت هذه الهدية على : خدام أئمة ، ثلاثة عشر خيل ، فحول عشرة ، فيل واحد ،
كركند واحد ، نماج ثمانية ، طيور بيضاء ثمانية ، ثلاث قطع عود كبار حملت كل قطعة منها على رجلين ،
رماح قنا أربعون حمل حمل ، ومن أصناف البهار ما حمل على سبعين جملا ، ومن القماش ما حمل على مائة
قفص ، ومن تحف اليمن ما حمل في مائة طبق نحاس .

ابن الفرات ج ٨ ص ٢٨ - ٢٩ .

(٤) الكرك بالكاف الفارسية في آخره : هو الكركدن ، وهي في ابن الفرات كركند وفي
السلوك كركدن .

(٥) المقصود بالهند هنا هو الجزء الإسلامي في شمال الهند ويعرف بهندستان وكان قد خرج التتر على
حاکمها ، ولكنه حاربهم حروبا عظيمة وهزمهم . (السلوك ص ٩١٦) .

ملوك الحبشة المسلمين ، واستولى على بلادهم ، وأشياء من هذا النوع لم يقبل فيها عذره . ولا حسن بها ذكره . ولأجل ذلك حصلت تنكّرات في / أجوبته واستهزاء به فيما كتبه من هذه الخرافات التي لا تليق بمملكته . وجّهت رسله إليه في ذى الحجة من هذه السنة . وطلبت منه منفعة الإسلام بنجدة تكون دائمة الاستخدام ، وأن هذه الهدايا بيوت الأموال لا ترضى بمثلها منه ، ولا يرضيها إلا ما ينوب في الجهاد وغزو الكفار // عنه وأشياء من هذه النسبة . (وطلب عساكر يستخدمها تكون تارة بالبيرة ، وتارة بالرحبة ^(١)) وأنه بهذه الهدايا لا يحسن التلاهي ، وهداية السيوف الهندية خير من هداية الصّيني والكلاهي ، إلى غير ذلك من الأقوال الممّعة والتوبيخات المتكرّرة .

وتوجّهت المكاتبات والمشافهة / تأويل ولا يداخل تعويله تعليل . وذلك ما استقرّ بيد الشهيد المرحوم والده برّد الله مضجعه إلى آخر وقت ، من منابر أذن التحويل أن يذكر فيها إسم الله وإسمه ، ومناشير يشرفها قلعه ويصرفها قسمه . وإطلاق لذوى التأمير والتأميل ، وإرفاق لذوى التأثير والتأثيل ، وتفويض لأولى // العقد والحل ، وتقريض لمن في أشرف محلّ للأُمور الدينية قد حلّ ، وفي عقد البُنود وتجنيد الجنود ، وبعث البعث وحشد الحشود ، وفي كل ما تتنارله يد السلطنة الباسطة ، وتتناوله أحكام المعدلة ، تحكما لا راد لحكمه ، وتسليما لا مفنّد لعزمه ، ولا مقنّد لسهمه ، لا يداخله إلا ما / يداخل البدر من زيادة النمو لتمّة والعقد من حسن التّناسق لنظمه ، وضمه ، اللهم إلا وصايا تنزل من هذا بمنزلة النور ، ومن هذا بمكان الشّذور ، إذ ذكرها نافعة لمثله ، وبهداها ما زال يقتدى منه ومن آباءه من أتمّ الله نعمته عليه وعلى أبويه من قبله . وذلك في تمكين كلمة الشرع وبسط // القول الذي يكفّ الضرّ ويحفل بالضرّ ، والقيام بوظيفة الجهاد التي هي الأصل ، وعلى الأصل يترتب الفرع ، فالفرع ، ومنه يهرب الكفر بمدّ الذراع الذي يضيق به منهم الذّرع ، وحماة الدين من أسرته وأمرائه ، فهم نجوم سمائه ، ورجوم أعداء الدين وأعدائنا وأعدائه . فليكونوا من صيالته بمنزلة اليمين ، وبوجه / مولانا السلطان له عند وفاة والده رحمه الله فجهزت عصائب وتشاريف وتقليد

(١) ما بين القوسين معترض بين ما قبله وما بعده . وقد أثبتناه كما جاء في الأصل .

شريف وخيول الجفثاوات^(١) ، وغير ذلك من شعار الملك وأبهة السلطنة . وركب بذلك
في دمشق وحضر إلى الأبواب الشريفة السلطانية وخدم وقرىء تقليده وهو : //

٢٤٨

الحمد لله الذي بهت حُسن التَّحوِيل إلى خير مقامٍ محمود ، وأضَافَ إلى سعادة الجُود
سيادة الحُدود ، وسرَّ سرير الملك بخير وارث استبشرت مرائبه بتوقله من حيث كان في
المُهود ، وشهدت المواكب ، والكواكب ، والسواكب بأنه أفسح من يحول ، وأطمح
من محبوب ، وأسمح من محمود . نَحْمده على نِعَمه / الضَّافِيَةُ البرُّود ، ودِيَمَةُ الصَّافِيَةِ البرُّود ،
ونشكره شُكْرًا حسن الوجوب للفضل العظيم الوجود ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة مرفقة عن الشَّكوك منزَّهة عن الجُحود . ونشهد أن محمداً صلى الله عليه
وسلم عبده ونبيه ، خير نبي بعثه الله بالحث على الوفاء بالعهود ، والإصطفاء المعهود . //

٢٤٩ صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ، ماسنحت بروق ، وما سبَّحت رُعود . وبعد : فإن خير من نار
ييشره الحُكْم ، ودار بنصره الفُكْم ، وسار بفخره كلٌّ مثل سار ليحيا من حَيٍّ عن بَيْتَةٍ ،
ويهلك من قد هلك . مَنْ ورث السلطنة لا عن كَلَالَةٍ ، ومن تصول بذَّبه نُصُولُ الإيالة ،
ومن شكرت / سماء المملكة من بيته السامى السامق شمسهُ ، وبلدره وهلاله ، ومن إذا
عُدَّتْ إنافة بيته الطاهر ، فهي جُلَّ الجلالة ، وأصل الأصالة ، ومن يفخر الجود والوجود
من أبيه ، ومنه بخاتمه وعديه ، ومنصوره ومهديه ، ومن يتسكَّر السحاب بنداؤه ، والأفق
بندِيَّة ، ومن له العوالى السَّمْهَرِيَّة ، والسيوف المشرفِيَّة والعديد // الأكثر ، ومن يبدو
٢٥٠ فوق السوابق وتحت الصناجق كُتِبَ في حَمِيرٍ ، والذي شُغِفَ به حُبًّا ظهر الجواد ، وصدرُ
الدَّست ، وبطن المنبر ، والذي تستمدُّ الشمس والقمر من نوره ، والليل إذا عَسَّس من
عَثِيره ، والصباح إذا تنفَّس من سفوره ، والذي كيفما دار نجاره الطاهر رأى من أسلافه من
كل جهة / ملوكا على الأسرَّة ، وما منهم إلا من إذا عُدَّتْ جنوده كانت أكثر من
نجوم المَجَرَّة ، .

ولما كان المقام العالى المولوى السلطانى الملكى المظفرى التتموي ، ولد المولى الشهيد
السلطان الملك المنصور ناصر الدنيا والدين محمد ولد المولى الشهيد الملك المظفر ولد المولى الملك

(١) الجفثاء : من شاربات الملك التى تحمل فى المناسبات الرسمية .

- ٢٥١ المنصور ولد المولى الملك // المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب أعز الله نص صاحب السند العال ، وساحب هذه الأذبال الطوال ، والذي تغنى مواهبه ، وتغنى قواضيه ، والوارث هذه السيادة عن أب وجد وجد جد . والذي أقام مباني بيته الشريف بما شيد من دعائه وشده ، ولسلفه حقوق / هي أو كد من حرمة النسب ، وحرمان هي لحسن العهد من أوثق ما كسب ، وقد عاش في ذرى الحاشنة لا يخاف دركاً ، ولا يخشى ، ومات على عهد ولاء ما تنقل عن الإنتماش به حتى توكل - رحمه الله - نعشاً ، ولا فارق الدنيا إلا وعينه بنا قريرة على من خلفه ، ومشيرة إلينا باستيداع من على أهله خلفه // اقتضى حسن العهد الشريف - وحسن العهد من الإيمان - وكرم الود - والود ما خالط اللحم والدم ، وليس بتزويق اللسان - أن تنظم عقود هذا التقليد ليوشح بهامنه أجل جيد ، ويحمل بتاجه أشرف مفروق ، كم تشرفت بمثله مفارق ملوك صيد ، وأن يقضى به حق الذهاب سقى الله عهده وحق الحي ، وأنه / إذا أتى به على أعين الناس تلى له « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (١) فلذلك خرج الأمر العالي المولوى السلطاني المالكى المنصور لا زالت الممالك من ثمرات أوراق تقاليده ، والملوك يستغنون بأسانيد اعترائهم إليه عما يبعده نسبهم من أسانيده ، أن يجزى - نصره الله - على ما كن عليه المولى // الشهيد لملك المنصور والده - رضى الله عنه - في المملكة الحموية من استرعاء مستوعب الإحاطة ، مستوجب النياطة ، مستصوب الحياطة ، مستكمل الإباحة ، مستعمل الإتاحة ، ومن كل ما حازته يد الاستيلاء السابق ، والاستجواء المتناسق ، ومن ملك قد عقد على اسم الله لواؤه ، ورتب / على السياقة اقتفأؤه ، وكل ما يجمعه نطاقه ، وتجيبيه أطواقه ، وتضمه أطرافه ، وتدره أخلافه ، ويدور عليه سجاجفه ، وتستطلع سماءه ، وتستتبعه أسماؤه ، وتستقطفه بأمره المطاع ملوكه وأمرأؤه وما يدخل في حُدود ، وما يخرج من أُحدود ، وما تجمع صياصيه ، وما يطعمه عاصيه ، وما تسترزق // منه الجنود ، وما تستنطق به أقلام الجود ، وكل ما يقتطفه تنويل ، وكل ما يسترفهه تعويل ، وكل ما يستسلفه تمويل ، وكل ما تسترعيه مقذلة ،

(١) مشيراً إلى الآية الكريمة : سورة الأنعام

يوكل ما تستدعيه نصفه لمعوج الحيف مُعدلة ، وكل ما يغصّ به للطاعة رواق ، ويخص
 الله من الحق إرفاق ، إرثا لا يطرأ على آياته نسخ ، ولا يُلَمّ بعُقوده فسخ ، ولا يتعقبه /
 الاحتفال بموضع الأسارى من الجبين ، ومن التّجمل بهم بموضع العقد العقد الثمين ،
 وبيوت العبادات ، ومَحالّ الإفادات ، فهي مهبط البركات ، ومعارج الدعوات ، ولا
 يفوّض أمرها إلّا لمن يعمُر ساحاتها المباركة ، ويستهدى بها قري الملائكة ، والحدود ،
 فهي أولى بأن تُقام للإنتقام ، وأجدر بأن تُصان بها // الأموال ، والأجساد ، والأجسام ، ٢٥٥
 والرعية ، فهم عندنا وعنده الوديعه ، وإذا عدت شيع الطاعة ، فهم أول شيعه مطيعه ،
 وبهم عمارة البلاد ، واستثمار أرزاق العباد ، وبهم يُخصب المَراد ، ويحصل المَراد ،
 فلا تُخلهم مما يعمُر السرح ، ويبنى الصرح ، ويُبرىء الجرح ، ويستديم / بذلك
 إليه [النّجح] .

ذكر رُحْمَى عَظْمِي ، للخلائق من جملة النعمى

وهى أنه فى ذى القعدة من هذه السنة وصل فصل فى كتب البريد . أن شخصاً من حلقة دمشق ، يُعرف بالشهاب بن الدُّيُوسى ، اتفق هو ومن زور له مكاتبات سلطانة عليها .
 ٢٥٦ مثال الاسم الشريف السلطانى ، ووصولاً // بجملة من الغلات فى بلد السواد وغيره ، وأن الذى زور له ذلك رجل نصرانى ، ورجل يهودى سامرى . فلما بلغ مولانا السلطان ذلك رسم بأن يكتب بقطع لسان الجندى وتجريسه ، وتسمير النصرانى ، واليهودى .

وتوجه البريد بذلك ، ثم إن مولانا السلطان راجعته فكرته ، وعاودته / رحته ، بأن سائر البطائق برجوع البريدية بكتبهم ، فردوا من الورادة . ورسم باستفتاء الفقهاء فيهم ، فأفتوا بتأديبهم وحبسهم ، نكالا يرتدع به سواهم وتعزيرهم التعزيز الشرعى . فأصاح الكتاب على هذه الصورة رحمة منه وعاطفة ، ورحمة مستأنفة ، وأى منقبة أعظم من هذه .
 ٢٥٧ المنقبة التى // تقصّر عنها الألسنة الواصفة . وكان الذى أخذوه جملة كبيرة من غلال وأموال ، كتب الله أجره ، وأجل بهذه الحسنة ذكركه .

مَعْدِلَةٌ : تُقِيمُ الْحُرْمَةَ وَتَقْضِي بَعْلُوَ الْهَمَّةِ

وفى هذه السنة اجتمعت جماعة من كبراء العربان الثمالة فى مشربة ، وفيهم ولد الأمير فارس الدين رُمَيْح أمير ثعلبة فقتل الولد المذكور / واتهمت جماعة به . وأطلق أبوه الجميع غير رجل واحد اسمه عُسَيْلَة كان قد هرب . وقال أبو المقتول : ليس لى خصم سواه . فطلب أشد الطلب من كل مكان ، فهرب إلى العراق وأبعد واستخفى فى جملة رعاة . فما زالت مراسم مولانا السلطان تطلبه وتبحث عنه حتى سیر نواب الرحبة // [من] أمسكوه وأحضروه . فاعترف وسلم لخصومه . فاقتضوا منه قريب باب النصر . ولم يُنْجِه هَرَبُهُ إلى العراق ، وكان إلى حَتْفَة بسطوة مولانا السلطان المساق .

✖ سنة خمس وثمانين وستمائة

ذِكْرُ تَوَجُّهِ الْأَمِيرِ حَسَامِ الدِّينِ طَرْنَطَايَ

كفيل السلطنة الشريفة إلى الكرك / وتسليمه وحضور من كان فيه

لما كان في أواخر سنة أربع وثمانين وستمائة اهتم مولانا السلطان - نصره الله -
بمجتريد العساكر إلى جهة الكرك؛ لأمر جرت من الذين بها، كلما راحت زادت،
وكما مالت إليها العواطف الشريفة السلطانية مادت وتمادت، // واتسع خرق تلافيتها على
الواقع، ولم يصلحهم إلا عذاب الاقتصاص الواقع. واعتقدوا أنهم ينفعهم من يغيرهم
ويغيرهم، ومن يضرهم فيضرهم. فما ازدادوا بالعفو إلا إثمًا، ولا كسبوا إلا غرمًا ففرمًا،
حتى طال أمد العفو، ولم يفد في ممرق حفاظهم الرِّفْو. وبُقُوا كلما لانت لهم الرَّحمة /
تسوا، وكما ذكروا نسوا، وكما أمهلوا طمعوا، وكما نصِّحوا خدعوا. ثم إنهم كاشفوا
بالبابينة، وعدلوا عن المداينة، ولم تفد فيهم الرسائل ولا الوسائل، ولا صاروا يقبلون نصح
ناصح ولا قول قائل. فعند ذلك رسم مولانا السلطان للأمير حسام الدين طرنطاي كفيل
السلطنة // الشريفة بالتوجه وصحبته العساكر المنصورة. فتوجه في يوم الخميس ثاني المحرم
من سنة خمس وثمانين وستمائة^(١). وسار على اسم الله يحث الركاب، على جواد غير كاب،

(١) في يوم الخميس ثاني المحرم سار الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة بعسكر كثيف إلى
الكرك، فتلقيه عسكر دمشق صحبة الأمير بدر الدين الصوابي فتوجه معه إليها وضايقه وقطم الميرة عنها.
وما زال بدر الدين والأمير حسام الدين يرسلان أصحاب الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر ركن الدين
بيبرس البندقداري الصالح النجمي صاحب الكرك ووعداهم حتى أفسدا أكثر من عنده ثم استدعى الأمير
حسام الدين بعض رجالة الكرك وأحسن إليهم فوافقه على الملك المسعود وأخوه الملك بدر الدين سلامش.
فلما رأيا الحال على ذلك أرسلوا في طلب الأمان وأصر الملك المسعود على أن يكون الأمان عن الملك المنصور
عوخامه، فأرسل السلطان الملك المنصور بأمانه الأمير ركن الدين بيبرس الداودار المنموري فاجتمع بالملك
المسعود وبدر الدين سلامش وأبلغهما أمان السلطان فنزلا من قلعة الكرك إلى الأمير حسام الدين طرنطاي =

وسارت العساكر يتبع أولها الآخر ، فما أحسن السركيون إلا والعساكر قد دكت
حوافرُها تلك الجبال الضمّ ونفذت في مضائق لا / يقدر على النفاذ بها مفوق السهم ،
وظافت بها من كل مكان ، وأحدقوا بها كما بالعين تحديق الأجفان . وللوقت سير الأمير
حسام الدين إليهم بالعفو الشريف السلطاني ، وأنه سامح كربة وكربة ، وأنهم ما أبقوا
ممكنا في إعادة ما بدعوا به من الطغيان أول مرة ، وأنهم ما بقي عذرهم ينجع ، ولا تنصّلهم
يُسمع ، وما ثم إلا // التسليم لمن تسليم هذا الحصن إليه ينفع ، وعنه يدفع ، فقد طال الأمر
في غير شيء إليه يرجع ، وما بقي هذا التمزيق يُرفع . وصمّم الأمير حسام الدين أعظم
التصميم ، وخانهم في الوقت والساعة الصديق الحميم ، وما بقي لهم ما يُمسك الرّفق ،
ولا ما يلحظه من الإلّ والذمة من لهم رمق . فأجابوا / واشترطوا ، وندموا على ما فرطوا .

٢٦١

وحضرت البشارة بالفتوح في يوم الجمعة ثامن صفر . فضربت البشارة بإضافة هذا
الحصن العظيم إلى السلطان العظيم ، ونصّد به عقد الملك النظيم . ووصل في يوم السبت تاسع
صفر المبارك الأمير ركن الدين طَقْصُو^(١) ومعه جماعة من السركيين لاستيثاق العهد ، على //
الأمر المعهود . فجرى مولانا السلطان على سجيته في العفو والإحسان ، لكل إنسان .
وعادوا . وتسلم نواب مولانا السلطان الكرك حسب استشارة الأمير حسام الدين وإشارته .
وخرج من كان فيه حبة الأمير حسام الدين طرناي في صون الحياطة ، وحيطة الصّون ،
وخدموا خدمة أحسن / لهم العون . ووصل الأمير حسام الدين وهم مُحبته : فشمّهم
الإنعام حالة حضورهم ، واكتنف جميل النظر بجميع أمورهم : وبقوا في محلّ البرّ والشفقة ،
وضارت الخيرات إليهم مُستبقة .

٢٦٢

فلما كان يوم السبت سابع وعشرين شهر ربيع الآخر توفي ناصر الدين ولد الملك السعيد .

== وذلك في يوم الثلاثاء خامس صفر ٦٨٥ هـ واستقر الأمير عز الدين أيبك الموصل نائب الشوبك في نيابة
الكرك . وقدم الأمير طرناي بأولاد الملك الظاهر إلى القاهرة فأحسن السلطان إليهما ووفى لهما بأمانته .
ثم بلغه عنهما ما كرهه فاعتقلهما فبقيا في الحبس حتى توفي الملك المنصور .

(النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٨٨ - هامش ٣) و (المقرئ : السلوك ج ٣ ص ٧٣٠ - ٧٣١)
و (ابن الفرات ج ٨ ص ٣٦ - ٣٧) .

(١) هو الأمير ركن الدين بيبرس المعروف « بطقصو » .

٢٦٣ ابن الملك الظاهر بالقاهرة // عند عمته ودفن بالقرافة على جدته . واحتفل بجنائزته وتجهيزه .
 ووالى مولانا^(١) السلطان البرد والمكاتبات بمهمات السكرك ونحل الذخائر إليها من كل
 شيء وكل صنف من الأصناف والغلال والأموال والمواشي والأسلحة وكل ما يعمر
 خزائنها ، ويملا كنائنها ، ويحمي أكفافها ، ويدعم إسعافها . وجرد إليها / جمع كبير من
 الممالك السلطانية المنصورية للإقامة بها لحفظ حوزتها ، وتكثير ميرتها . فتمت أمورها على
 أجل وصف وأحسنه ، وأتم تدبيرها وأكمل وأحصنه . وما من مملكة من الممالك السلطانية
 إلا وحبها ، ورأى رباها وجادها بوفره ، وأجاد لها تنوع بره وبره . وأنشئت السعادة
 بشرفاتها ، وترمت // النعمة بساجاتها^(٢) .

٢٦٤

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
 ولو رامها ملك غيره لزلزلت الأرض زلزالها

(١) في يوم الخميس سابع شهر رجب من سنة ٦٨٥ هـ توجه الملك المنصور إلى غزة ، ثم توجه منها
 جريدة إلى السكرك فوصل إليها في شعبان من هذه السنة وصعد إلى قلعتها ورتب أحوالها ، ورسم بتنظيف
 البركة التي فيها من الطين وعرض حواصلها ورجلها وشحن بها ألفي غرارة قمح ، وقرر بها بحرية ، وجعل
 في نيابة السكرك الأمير ركن الدين بيبرس الدوادر وتقل عز الدين أبيك إلى نيابة غزة ثم نقله إلى نيابة صفد .
 (المقرئ : السلوك ج ٣ ص ٧٣٢) و (ابن الفرات ج ٨ ص ٣٨) .
 (٢) تواردت كتب الأمير حسام الدين طرطاي من حين توجه إلى السكرك إلى حين فتحه إلى
 السلطان الملك المنصور وتولى الإجابة عنها القاضي ففتح الدين بن عبد الظاهر - ابن صاحب هذا الكتاب -
 بخطه فن صدور الأدعية التي كتبها إليه في أجوبته ومكاتباته :
 وفتح على الملك بحسامه مستغلق الحصون وجعل الأسنة مثمرة بنصره أحسن مما شمر الفصون وصان
 بغزائه للإسلام كل حي وأباح منها للعدى كل مصون .
 ومن صدر كتاب :

ولا زالت سعادته تظهر الحفايا وتبرز من الكنوز الحبايا وتوجب على الألسنة شكر ماله من سجايا
 وكرم المزايا وجزيل العطايا وما يصدر عن حسامه المظفر من أفعال تخص الأولياء بمكارم المنى والأعداء
 بمكاره المنايا ومن أقوال تبرئ من الحرمان آمال البرايا أصدرها والعيون تراقب قدومه مراقبتها الأهلة
 والقلوب تروى ما يرد من صوبه كما يروى الثرى المكروب بالأثواء المستهلة والأبام تعد لبوم مقدمه
 وتعدده يوم عيد وتستدق مدى قربه وإن قرب فإنه مع الأشواق بعيد وترغب إلى الله سبحانه وتعالى فد
 أن يحفه بالسلامة كما حفه بالنصر ويفتح على يديه كل معقل يصل إلى أمه فيه أقصر من مدة القصر .
 (ابن الفرات ج ٨ ص ٣٦) .

ونظم القاضي شمس الدين الإربلي قصيدة مطامها :

يا ذا الذي السرحان في أيامه والثناء لاهذا على ذا يعتدى
 وافيئنا والناس بين محرفي نفسه ومخوف ومهدد

(زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ٢٥٩ - مخطوطة) .

ذِكْرُ نَزُولِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ إِلَى الْقَاهِرَةِ

قد ذكرنا الشروع في ربوع هذه الحسنات ، وينبوع هذه الميراثات ، ونزول مولانا السلطان لمساعدة ما كان قد رُتبَ بناؤه ، ولم يتنجَزْ / إتمامه واستعادته .

ولما كان في يوم الثلاثاء مستهل جمادى الأولى^(١) اهتمَّ مولانا السلطان بما يدّخر عند الله نفعه ، وتشيع له في السماوات والأرض به أحسنُ سُمة ، فتقدّم إلى أستاذ داريته بنقل كل شيءٍ يُميرُ الفقيه والفقيه ، والملك والأمير ، من رواتب وأسمطة وغرائب أطعمة متنوعة // ٢٦٥
وما كل كثيرة ونفقات مفرطة ونقلت^(٢) جميع البيوتات السلطانية على اختلاف مواعينها ، وتغاير مكائيلها وموازينها . ولم يبق شيء من الأصناف التي يحصل بها التكاثر ويكثر لها التحصيل إلا شمله الاستنفاد وغزرت له المواد . وما نزل مولانا السلطان في يوم الثلاثاء المذكور إلا وقد نجّزت جميع الأمور / فوجد الأسمطة وقد مدّت ، والحواشي للقيام بوظائفها وقد أُعِدّت ، وفُرِّقت التشاريف والخلع على القضاة الأربعة المدرسين بالمدرسة الشريفة ، وعلى المعيدین وعلى الأئمة وعلى المحدث بالقبة الشريفة والمفسر للقرآن بها ، وعلى الحكماء والمهندسين والصناع وكل من له وظيفة من جميع المُشْدِّين // وأر باب الوظائف وكل من له خدمة وكل وليّ نعمة من مؤذنين وجَرَاحِيَّة وكَحَالِينَ . وشُرِّف الأمير علم الدين سنجر بتشريف يليق به ويتمّ تجلّله بسببه . ونُصبت مراتب الملك بكل مكان من هذه الأمكنة ، وأُحييت تلك الليلة بقراءة القرآن والبحث في المسائل والاستدلال ، والشموعُ توقد ، والبخورات / تستنفد . والأدعية إلى الله لمولانا السلطان تُرفع فتُسمع ، وبالقبول تُستفَع . وحضر مولانا السلطان من جهة باب النصر والناس قد ترتّبوا في أماكنهم ، فدخل هو

(١) كذا في الأصل .

(٢) يريد : أنفقت .

والمملوك أولاده - نصرهم الله - وأكابر الأمراء وحواشييه وهو الله تعالى مخبت ، ولصدقاته مُنبت ، وأقدمه في الجنان مثبت ، فابتدأ بالمدرسة التي بها الأئمة الأربعة // وجلس ٢٦٧ في الحراب على الأسمطة الممتدة من الحراب إلى البركة ، فأكل الناس بين يديه ، وفرقت النوات على الفقهاء والفقراء وعلى كل ذي مسكنة ، قد جعل بهذه الأماكن مسكنة^(١) .

ولما استنفدت بالصدقة^(٢) وشملت التفرقة شرع المدرسون في ذكر الدروس واحداً بعد واحد بين يديه . وقرأ القراء صوتاً / واحداً فلاًوا الدنيا بحسن أصواتهم وطيب أنفاسهم ودُعِيَ له والإجابة تتلقى حسن إفهامهم . وقام من مجلسه هذا وجاز إلى المارستان فجلس بالإيوان الكبير، وأجريت المياه . وكانت تخوت المرضى الجدد قد فرشت بالفرش العتابي واللحف العتابي والكل كجات المطرزة والخاد العتابي والنطوع على قذر المرضى // وعلى طبقاتهم . ٢٦٨ واستدعى مولانا السلطان القضاة الأربعة والأئمة والعلماء والحكام جميعهم ، وأحضرت الأشربة ، فأخذ مولانا السلطان كأساً بيده فيها شراب ، وقال : قد وقفت هذا المكان على من يكون مثلي فمن دوني إلى أنهي طبقات الغنى والفقير والمسكنة في هذا المكان من الحاضرين به والمقيمين فيه / إلا ما كان من تزياق أو مفرح وغير ذلك من عقاير معدومة الوجود عند العطارين وفي الأسواق . وأشهد على نفسه بذلك وأحضر إليه طعامه المختص بنفسه على عادته ، فأكل وأطعم الناس وقرت الأشربة على الحاضرين . ثم قام ودخل الشراب^(٣) خاناه فرأى ما عجب بها من الأشربة والعقاير والأدوية // والآلات ٢٦٩

(١) يقصد من هذا التعبير « مكتب السبيل » وما نسميه اليوم « ملجأ » فند أنشأ السلطان الملك المنصور في هذه العمارة « مكتب السبيل » ورتب فيه فقيهان يعلمان ستين صغيراً من أيتام المسلمين كتاب الله تعالى ورتب لهما جامكية في كل شهر وجراية في كل يوم وهي لكل منهما في كل شهر ثلاثون درهماً وفي كل يوم من الخبز ثلاثة أرطال ، وكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف ، ورتب للأيتام لكل منهم في كل يوم رطلان خبزاً وكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف . (ابن الفرات ج ٨ ص ١٠)

(٢) كذا في الأصل . ولعلها : الصدقة .

(٣) « الشراب خاناه : ومعناها بيت الشراب ، ويشتمل على أنواع الأشربة المرصدة بخاص السلطان ، والمشروب الخاص من السكر والأفسماء وغير ذلك ، وفيها يكون السكر المخصوص بالمشروب ، وبها الأواني النفيسة من الصيني الفاخر من اللازورد وغيره مما تساوى السكرجة الواحدة اللطيفة منه ألف درهم فما حوله . ووظيفة الشاد بها تكون لأمر من أكابر أمراء المثمن المؤمنين ، ولها مهتار يعرف بمهتار الشراب خاناه متسلم لحواصلها ، له مكانة عليا ، وتحت يده غلمان عدة يرسم الخدمة يطلق على كل منهم شراب دار » . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠)

والأواني ، ثم خرج وطاف بالمارستان^(١) ، ثم خرج إلى القبة^(٢) الشريفة فجلس بها ، وقرأ القرآن ، وذكر مدرس الحديث بها أحاديث وتكلم عليها ودرّس المفسر بها ، وأخذ شيئاً من التفسير والفقه .

وخرج مولانا السلطان وقد تنوّعت له الحسنات ، وتضاعفت له المبرات وسُمعت فيه صالح / الدعوات . وكان يوماً يفتخر على الأيام ويسمو الأنعام به على كل إنعام . وعاد إلى

(١) لما أوقف الملك المنصور التيمارستان ورتب أموره استدعى قديماً من الشراب فشربه وقال قد وقت هذا على مثل فمن دوني أوقفه على الملك والمملوك والجندى والأمير والوزير والكبير والصغير والعبد الذكر والأنثى وجعل لكل من يخرج منه من المرضى عندما يرى ويصرف كسوة ، ومات من جهر وكفن ودفن ، ورتب فيه الحكماء الطبائية والكهان والجراحية والمجبرين لمعالجة الرمد والمرضى والمجرحين والمكسرين من الرجال والنساء . ورتب به الفراشين ... وغير ذلك مما يدخل في وظيفتهم وهم أيضاً يحياون بثمر الأصناف على الصندوق كما يفعل في الإدارة وينقل عليهم من الصندوق من المال ما يصرفونه لأرباب الأجر خاصة ويكتبون في كل شهر عمل استحقاق بثمر الأصناف وأرباب الأجر ويحصونه بما أحلوا به على الصندوق وما وصل إليهم من المال ويسوقونه إلى قاضي أو متأخر وترفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حساباتهم مياومة ومشاهرة ومساناة إلى الناظر والمستوفى .

(ابن القرات ج ٨ ص ٩)

(٢) وأما التربة بالقبة فإن السلطان المنصور رتب فيها خمسون مقراً يقرءون كتاب الله تعالى ليلاً ونهاراً بالنوب وجعل لكل منهم في كل شهر عشرون درهماً ، ورتب بها إمام على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وله في كل شهر ثمانون درهماً من أصل الوقف . وفي كل سنة في ليلة ختم قيام شهر رمضان المعظم خلعة من خزانة السلطان كاملة مستحبة مقندرة . ورتب بها ريس ومؤذنون ستة نفر للريس في كل شهر أربعون درهماً والمؤذنون الستة لكل منهم في كل شهر ثلاثون درهماً على أنهم يعلنون بالأذان بالمئذنة الكبرى ويقيمون الصلاة ويلبغون خلف الإمام

ورتب بها درس تفسير لكتاب الله تعالى فيه مدرس يلقيه ورتب له في كل شهر مائة درهم وثلاثة وثلاثون درهماً وثلاث درهم . ومعيد له في كل شهر أربعون درهماً وطلبة عدتهم ثلاثون نفر لهم في كل شهر ثلاثمائة درهم . ورتب بها درس حديث يذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم له مدرس ومعيد وطلبة لهم في كل شهر نظير ما للمدرس التفسير ومعيد وطلبة ، وزيادة على ذلك قارئ يقرأ الحديث بين يدي المدرس في أوقات الدرس ، ويقرأ ميعاداً للعوام بين يديه أيضاً في صبيحة كل يوم أربعاء ورتب له في كل شهر ثلاثون درهماً . ورتب لحازن كتبها في كل شهر أربعون درهماً ولخزانة كتبها من الختمات الشريفة والربعات المنسوبة الخط وكتب التفسير والحديث والفقه واللغة والطب والأديان ودواوين الشعراء شيئاً كثيراً ، ورتب بها لخدام أئمة ستة نفر لكل منهم في كل شهر خمسون درهماً يقيمون بالقبة المذكورة لحفظ حواصلها ومنع من يعبر إليها في غير أوقات الصلاة ، وغير الطواشية جماعة من القومة والفراشين والبوايين ولهم جامكية مختصة بهم .

(ابن القرات ج ٨ ص ١٤)

قامته في حِزِّ السَّلامَةِ ، وَكَتَبَتْ الملائكة الكرام ما حباه الله به من كَرَمٍ وكرامة^(١) .

ولما كان مولانا السلطان جالساً بالمارستان تقدم الأمير عز الدين الأفرم أمير جاندار
وقبَل الأرض وأحضر مكتوبين بوقف مكانين // على المارستان : مكان قريب الركن
الحلق قريب القصر ، والآخر بحارة زويلة . فرسم مولانا السلطان بقبول ذلك منه . وكذلك
اعتمد غيره^(٢) مثل ذلك .

(١) لما تكامل بناء هذه المنشآت أوقف الملك المنصور سيف الدين قلاوون من أملاكه القياس
والرباع والحوانيت والحمامات والفنادق والأحكاو وغير ذلك من ضياع الشام ما يحصل من أجر ذلك وربيعه
وغلاته في كل شهر جملة كثيرة وجعل أكثر ذلك على البيمارستان ثم التربة بالقبة ، ورتب وقف المدرسة
إلا أنه يقصر عن كفايتها ورتب لمنكب السبيل من الوقف بالشام ما يكفيه . (ابن القرات ج ٨ ص ٩)
(٢) كذا . وقد يكون : « من غيره » .

وأن قصرًا عندها قد بُني
 فين ذى القصرين قد صحَّ ما
 إن سُميت قطبية إنها بُني
 وجنة المأوى مرستانها
 فيها رحيق ونها أكوُس
 لا جوعٌ فيها، لا ظمأ عندها
 مجموع أجر ليس مثل له
 من طيبه قد قال منتأبه
 ذات عماد ما رُئي مثلها
 منارة كم قال من أمها
 كم قيل للناس بفانوسها
 شيدها خير ملوك الورى
 دامت له الدنيا بإقبالها
 الدهر يأنيه بما يشتهى

مدرسة يحيا بها السؤدد/
 به تسمى ذلك المعهد
 بها قطب لمن يرصد
 للجنب فيه خير ما يُهد
 وسلسيل للحشا يبرد
 فيها الذى تطلبه يوجد
 وكل إقليمٌ بذا يشهد
 يا ليت كالمضى به العود //
 فى الأرض مما قد بذته يد
 هذا هو الشأو الذى يبعد
 يا قوم هذا فرقد فارقدوا
 قلاؤن دامت له الأسعد
 بأمره الآفاق تسترشد
 والنصر يعطيه الذى يقصد

٢٧٢

وما نظمته فى ذلك من أبيات :

كم صَنَّفَتْ آراءه من حكمة
 ترك العيون بواهتًا لمصرّد
 ومرخّم ومخرّم ومبيّض
 شكرًا لجنّة عدنها فلقد بها
 برء السقيم بها وكل معلل

فيا بنى فعذبت غريب^(١) مُصنّف
 ومصدّر ومنقصّ ومصنّف
 ومروّض ومصنّف ومصنّف
 نهر الحياة وكم بها لطف خفي
 يأنى إليها وهو قد أشفى شفى

(١) توربة بن زيد المصنف . وهو كتاب فى اللغة لأبى عبيد .

شَرَكَ العقول ونزهة ما مثلها
فمائها وهوائها وبنائها
كم للفقير وللغني رابعها
يتصور الجنات رائها بها
وبها بيوت عبادة قد أصبحت
من كل ناحية يرى من ألقها
أبدا لنا يبدو منيفاً صدرها
منها يسير العدل في الدنيا وفي
لا يشتغل سر لها أبداً ولا
وليف وليف تتداول الأعوام من
تبقى ويبقى لا يؤرخ أنها
وبها يمد سماطه وبوسطها
وتزاحم الجبهات حيث مبرأا
وقيام منشد كل مدح ما شدا

ومن أبيات في وصف ذلك :

ملك تخجل البحار إذا ما
قد أرانا أنموذجاً للمعالي
شاركته في جوده وعطائه //
بالذي شاده عظيم بنائه

(١) تضمين مع بعض تغيير للبيت :

شرك العقول ونزهة ما مثلها للمطمئن وعقله المستوف

عَجَزَ الخلق كلهم وأراهم
شاد للدين كل معلم بر
من رأى ما بناه قال أهذا
أتراه فيما بنى استعمل الجـ
أين منه الأهرام فى حسن شكل
إن هذا شبابه ليس يرضى
أين منه خورنق وسدير
لو رآه لشعب بوآن روض
أو رآه كسرى لسام بناه
منهجا ما هدوا لحسن اقتفائه
أقعد الكفر دون خط استوائه
فعل أنس كلا وحق علائه
ن وأخفاهم خفاء عطائه
وانتفاع كم عورضت بانتفائه
هرما^(١) أن يكون من أكفائه
لو رآه لخصه باتمائه
غمض الطرف دونه من حيائه
ضم إيوانه إلى إيوانه

(١) يريد هرم بن سنان ممدوح زهير الشاعر .

٢٧٥

ذكر الاغارة على الموصل^(١) وبلادها

٢٧٥ لما كثر إغارة أهل بلاد الشرق للكفار وتقويتهم بالأموال والأسلحة والعُدَد ، والمدَد بعد المدد ، ومناصحتهم للعدو ، // وأنهم يدُلُّون على عورات المسلمين في الرواح والغُدُو ، جمع مولانا السلطان العلماء واستفتاهم فيهم وكيف يكون العمل في مُقَوِّيتهم فأفتوه بما ركن إليه ، واعتمد عليه ، وبراءة ذمته ممن يكون بهذه المشابة ، وأنه يستحق عقابه وعذابه .

٢٧٦ وكان أهل الموصل قد ركنوا إلى نَوَّاب القتار أتمَّ الرُّكون ، وسكنوا إلى / كفرهم أعظم السكون ورضوا منهم وغنم بأى شيء يكون . وإذا ظفروا بقاصد أساموه وساموه ، وقدموا به إلى طاغيتهم اللعين وقدَّموه ، وظل ذلك حتى حى الكفر بهذه الأفعال عِراضهم وعراضه ، والله تعالى يقول : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصَّة^(٢) » ومولانا السلطان يستقلُّهم فلا يدَّهَمهم بجيش كبير له // سمعة ، ولا يتركهم وهذه الأفعال التى تستدعى السرعة . وجرى النَوَّاب بالملكة الحلبية على العادة فى إنفاذ الحشود وقُدِّم عليهم بدر الدين قابيَّا . فلما كان فى ثالث عشر جمادى الأول وردت مكاتبة النائب بالملكة الحلبية وعشرة من النَوَّاب بها بأن الحشود توجَّهت إلى جهة / الشرق وأنهم لما وصلوا إلى بازار الحجر واشتهر خبرهم وظهر أمرهم ، طلبوا الرُّكون إلى الجزيرة ، واتفقوا على شَنِّ الغارات ، وإعلان الصوت ، وإظهار الصَّيت ، ودَرَسَ البلاد ، ودوَّس الزروع ، فركبوا فى ألف راكب وأغاروا

(١) الموصل : بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة ولام فى الآخر : وهى مدينة من الجزيرة الفراتية ، وهى واقعة على دجلة من الجانب الغربى ، ويقابلها من الجانب الشرقى مدينة نينوى التى بعث يونس عليه السلام إلى أهلها . وفى جنوبى الموصل مصب الزاب الأصغر فى دجلة وهى فى مستوى من الأرض ، ولها سوران قد خرب بعضهما ، وسورها أكبر من سور دمشق . وكانت قاعدة ملك قديم يعرف قديماً بملكة الجرامقة .

(صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١٥)

(٢) سورة الأتفال آية ٢٠ .

من جبل ماردين^(١) إلى الجزيرة^(٢) إلى سنجار^(٣) وأحرقوا ، وما أبقوا ممكناً إلا فعلوه // مما ٢٧٧
يقضى بإضعاف العدو وإذهاب ميرته من أهل البلاد وميرته ، ثم إنهم قصدوا جهة الموصل ،
فعلم بهم القراول وكانوا خمسمائة فارس من المغل . فخرجوا إلى ظاهر الموصل ومعهم أربعة
أعلام بيض ، وأقاموا ثلاثة أيام ، كل يوم يصطفون ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين واستعانوا
بأهل الموصل / فتعبت الحشود قبالتهم ، وجردوا في الجاليش الأمير طلاع^(٤) بمائة راكب ،
فراح إليهم وواقعهم واستخبرهم وعمل عليهم . فساقت الحشود من خلفهم فما ثبتوا ساعة
من نهار ولا وقفوا .

وكانت هذه الواقعة في نهار الإثنين حادى عشرين ربيع الأول ضحوة ، وانكسر
القراول ، وقتل من القراول أكثر من مائتي فارس // ورمى بعضهم نفوسهم في دجلة فغرقوا ٢٧٨
واختنقوا وبعضهم تحصن في الجوسق البدرى ؛ لأن أبوابه حديد ، وتفرقت الجموع بعد أن
نهبوا وقتلوا ، وأقاموا على هذه الحكاية يوماً ، وفي اليوم الثانى إلى ضحوة نهار ورجعوا
سالمين ولم يعد أحد من الجماعة الحلبيين غير نفر يعرف بالبدرلولو العينتابى ومن /

(١) ماردين : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الراء والذال المهملتين ثم ياء مشناة من تحتها ونون .
وهى قلعة بديار ربيعة من الجزيرة الفراتية . وهى على جبل عال ، من الأرض إلى ذروتها نحو فرسخين ،
وهى قلعة حصينة منيعة لا يستطيع فتحها عنوة وبجباها جواهر الزجاج .
(صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١٦)

(٢) الجزيرة ويقصد بها الجزيرة الفراتية وهى أقرب الأقطار لمملكة الديار المصرية ويحيط بها
الفرات من حدود بلاد الروم ، وهو طرف الحد الغربى الجنوبى للجزيرة . وتشتمل الجزيرة على ديار
ربيعة وديار مضر وبعض ديار بكر . وقد كانت هذه الجزيرة بمجموعها مملكة باقية بذاتها فى الدولة الأتابكية
يعنى دولة الأتابك زنكى صاحب الموصل والد نور الدين صاحب دمشق ، وقاعدتها « الموصل » .
(صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١٤)

(٣) سنجار : بكسر السين المهملة وسكون النون وفتح الجيم وألف وراء مهملة وهى مدينة من
ديار ربيعة من الجزيرة الفراتية ، وهى فى جنوبى نصيبين وهى من أحسن المدن . وجبلها من أخصب
الجبال ، وهى فى جهة الغرب عن الموصل ، وهى على قدر المردة من البلاد الشامية ولها قلعة وبساتين
كثيرة ، وحاكمها كان يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . .
(صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٢٢)
(٤) كذا . والواجب : طلاعاً .

الحشود تركاني واحد غير معروف . . . وأتوا من مخاضة زلوية وعادوا منها إلى الجهة الخلفية
وقالوا : إنهم ساقوا خلف ابن البابا يوماً وليلة وهرب فلم يلحق ، وإنهم استصرخوا بعلى
الكردي أمير تلك الجهات وبملوك الشرق المجاورين فلم يجسر أحد أنه ينبغي أن ينجدهم ،
ولا تحرك من مكانه . وطن كل واحد منهم // [أنه] سيقتصد ، وقذفت هذه الحركة الرعب
في قلوب الكافرين ، ولم يجدوا لهم من ناصرين . وبلغت أخبارها إلى أقصى العجم ،
فما من العدو إلا من بها التجمل . وعقبيها ورد الخبر بأن حشكب أخذ تحت الحوطة وتوجه
به إلى الأردن الخدول .

ذكر حركة مولانا السلطان إلى الشام، وتوجهه إلى الكرك^(١) المحروس

في يوم الخميس سادس شهر رجب من هذه السنة - وهو يوم النوروز - خرج مولانا السلطان من قلعته المحروسة مبرراً إلى المنزلة بباب النصر على العادة . ورحل منها في يوم الأحد تاسعه . واستصحب جميع المساكر الإسلامية وخلع على الأمير علم الدين سنجر المنصوري ورتبه // في النيابة بالديار المصرية بين يدي السلطان الملك الصالح . وسار يطوى المنازل والمراحل . فنزل بغزة^(٢) وترتبت المنازل وامتلات تلك الجهات بالخيام . واستمر تخييمه بغزة لاستطلاع ما يتجدد من كل جهة . وكذلك عساكر الشام خيّم وحسبت الأعنة منتظرة خبراً يتجدد فترسل ، ومن كل حذب / تنسل . وبقي مولانا السلطان بغزة

(١) الكرك : بفتح الكاف والراء المهملة ، ثم كاف ثانية ، والألف واللام في أولها غير لازمتين ، وتعرف بكرك الثوبك لمقاربتها لها . وهي مدينة محدثة البناء كانت ديراً يتديره رهبان ، ثم كثروا فكبروا بناءه وآوى إليهم من يهاوهم من النصارى ، فقامت لهم به أسواق ودرت لهم فيه معاش .

وأوت إليه الفرنج فأداروا أسواره ، فصارت مدينة عظيمة ثم بنوا به قلعة حصينة من أجل المعامل وأحصنها ، وبقي الفرنج مستولين عليه حتى فتحه السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب » على يد أخيه العادل أبي بكر .

وكانوا قد عملوا فيه مراكب وقلوها إلى بحر القلزم لقصد الحجاز الشريف لأموار سولتها لهم أنفسهم ، فأوقع الله تعالى بهم العزائم الصلاحية والمهم العادلية ، فأخذوا وأمر بهم السلطان صلاح الدين فحملوا إلى منى ونحروا بها على جرة العقبة حيث تنحر البدن بها ، واستمرت بأيدي المسلمين من يومئذ . وهو بلد خصيب بواديه حمام ، وبساتين كثيرة ، وفواكه مفضلة .

(صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٥٥)

(٢) غزة : بفتح الغين المعجمة ، وتشديد الزاي المعجمة أيضاً ، وفي آخرها هاء . وهي مدينة من جند فلسطين ، وهي على طرف الرمل بين مصر والشام ، آخذة بين البر والبحر بجانيها مبنية على نشز عال على نحو ميل من البحر ، متوسطة في العظم ، ذات جوامع ومدارس ، وزوايا ، وبيارستان ، وأسواق ، صحيجة الهواء ، وشرب أهلها من الآبار ، وبها أمكنة يجتمع بها المطر ، إلا أنه يستثقل في الشرب . فيعدل منه إلى الآبار لحفة مائها ، وبساحلها البساتين الكثيرة ، وأجل فاكهتها العنب والتين ، وبها بعض النخيل .

(صبح الأعشى جـ ٤ ص ٩٨)

يستوحى الأخبار ويستدعيها ، ويستوعبها . فلما لم يصحَّ ما كان نقل من حركة للعدوَّ
تجددت وسكنت الثوار التي كانت تمرَّدت آثر - خلد الله ملكه - التوجُّه إلى جهة الكرك
لتفقد مهمَّاتها ، ومشاهدة ما كان فسد من حالاتها ، وأنه في أثناء ذلك يستبرى // أخبار
٢٨١ العدو وحرركاتها إلى انقضاء أوقاتها .

فرحل من غزة في رابع عشر شعبان ووصل الكرك فابتهجت بمقدَّمه ،
واهتدَّت ببزوغ أنجمه . وكان في خدمة مولانا السلطان جميع الأمراء الأكابر .
فتأنَّست بالقادمين منازلها التي كانت عليها وحشة مُدَّ بانوا عنها ، وبدا الابتهاج بمقدم
الركاب الشريف من أهلها / ومنها فطاف بها ظاهراً وباطناً ، وشمل بإحسانه مقيماً وظاعناً ،
ونظر في مصالحتها ، وعمائرها ، ومؤنَّها ، وذخائرها ، وكان بالكرك [ك] بركة قريبة من باب
النصر مضى عليها زمان وهي لم تحفر ، ودهر وهي لم تذكر ، فوقف مولانا السلطان عليها
بنفسه الشريفة وبمن في صحبته من الأمراء والخواص وجميع الناس حتى حُفرت // ونظَّفت
٢٨٢ في مدَّة ثلاثة أيام .

ولما شملت مبارَّه وإنعامه وخلعه وتشاريفه وافتقاده أهل الكرك من كل ذى خدمة ،
وكل ذى حُرمة وكل وليّ نعمة ، عاد إلى غَزَّة المحروسة في تاسع وعشرين شعبان من هذه
السنة^(١) ، وكانت بقيَّة العساكر مقيمة في غَزَّة حتى حضر مولانا السلطان ، فاستمرَّت إقامة
مولانا السلطان / بغزة ، وكان الملك المظفر - صاحب حماة - قد حضر إلى خدمة مولانا
السلطان ، وأجراه مولانا السلطان - على عادة أبيه - من التلقّي والإنزال والاحتفال والإكرام
التام ووصل معه عمُّه الملك الأفضل وجماعة من أمرائه وخواصه فما منهم إلا من أحسن قِراه
وَنَزَله ، وأعذب علَّه ونَهَله . ولما حصلت // الطمأنينة من جهة حركات العدو ، وأنهم دخلوا
٢٨٣

(١) يذكر المقرئ في « السالك » (ج ٣ ص ٧٢٩) أن وصول السلطان إلى قلعة الجبل كان
في يوم الثلاثاء ، التاسع والعشرين من شعبان (٦٨٤ هـ) بعد أن أقام عدة أيام في تل العجول . ولكن
(ابن الفرات ج ٨ ص ٣٩) يذكر في حوادث (٦٨٥ هـ) « وعاد الملك المنصور من الكرك ،
ونزل بقاية أرسرف ، فأقام بها إلى أن وقع الشتاء ، وأمن حركة العدو ، وعاد إلى الديار المصرية ، وكان
وصوله إلى قلعة الجبل بمصر المحروسة في يوم الاثنين رابع عشر شوال من هذه السنة (وهي ٦٨٥ هـ) .

مَشَاتِيهِمْ ، وَأَمِنَتْ حَرَكَاتٍ مِنْ خَلْفِهِمْ مَنْ يَوَاتِيهِمْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ ، رَسَمَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ أَكْثَرَ^(١) الْعَسَاكِرَ أَنَّهَا تَحْضُرُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لِمَنَافِعِ خِيُولِهَا . فَتَوَجَّهَتْ قَافِلَةٌ بِأَثْقَالِهَا وَحُمُولِهَا وَوَصَلَتْ صُحْبَةُ الْأَمِيرِ زَيْنِ الدِّينِ كَتَبْعَا^(٢) الْمَنْصُورِي ؛ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ / خَامِسِ شَوَالٍ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَنَّى مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْعِنَانَ رَاجِعًا إِلَى مَسْتَقَرِّ سُلْطَانِهِ ، وَمَنْعَجِ جُودِهِ وَإِحْسَانِهِ . وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ^(٣) صَاحِبَ حِمَاةٍ وَعَمَّهُ^(٤) وَجَمِيعَ مَنْ كَانَ حَاضِرًا فِي خِدْمَتِهِ مِنْ خَوَاصِّهِ وَأَحْبَابِهِ . فَوَصَلَ فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ مَنْتَصِفِ شَوَالٍ ، وَدَخَلَ قَلْعَتَهُ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ . وَكَانَ فِي غِيَبَتِهِ // هَذِهِ الْمُدَّةَ رَسَمَ بِنَاءَ قُبَّةٍ فِي الرَّحْبَةِ^(٥) الْحَمْرَاءِ بِالْقَلْعَةِ الْحَزْرُوسَةِ بِمَبَاشَرَةِ الْأَمِيرِ ٢٨٤

عَلَّمَ الدِّينَ الْمَنْصُورِي ، فَجَاءَتْ مِنْ عَجَائِبِ الْأَبْنِيَةِ الَّتِي مَاعَمَّرَ مِثْلَهَا مَلِكٌ فِي مَمْلَكَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ . وَمَنْ عَارِضٌ فِي هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَقُلْ : فَلَانٌ فِي الْمَكَانِ الْقَلَانِي فَتَسَلَّمَ لَهُ ذَلِكَ . وَالَّذِي بِهِذِهِ الْقُبَّةِ خَاصَّةً مِنَ الْعَمَدِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ / الْمُلَوَّنَةِ وَالْمَذْهَبَةِ أَرْبَعَةٌ وَتَسْعُونَ عُمُودًا خَارِجًا عَنْ الرِّوَاqَاتِ . وَالَّذِي أَلْصَقَ بِهَا مِنَ الذَّهَبِ أَلْفَانِ وَثَلَاثُمِائَةٍ دَسَّتْ ذَهَبًا مِصْرِيًّا . وَأَمَّا مِنَ الرُّخَامِ فَمَا لَا تَحْصِي قِيَمَتَهُ وَلَا تَحْصُرُ . وَفِي جِدْرَانِ رِوَاqَاتِهَا صِفَّةٌ قَلَاعُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ قَلْعَةً قَلْعَةً . وَحِصْنًا حِصْنًا ، بِبَحَارِهَا ، وَأَنْهَارِهَا ، وَسَهُولِهَا ، وَأَجْبَالِهَا . // وَكُتِبَ عَلَى لَوْحٍ رِخَامٍ مِنْهَا ٢٨٥

أَنْ الشَّرُوعَ فِيهَا كَانَ فِي مَسْتَهْلِ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَفَرِغَتْ فِي شَوَالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

(١) كَذَا وَلَعَلَّهُ : لَا أَكْثَرَ .

(٢) هُوَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ « زَيْنُ الدِّينِ كَتَبْعَا ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م » . (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ فِي نَهَايَةِ هَذَا الْكِتَابِ)

(٣) الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ تَقِي الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ صَاحِبُ حِمَاةٍ .

(رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ فِي نَهَايَةِ هَذَا الْكِتَابِ)

(٤) عَمَّهُ : الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ : عَلِيُّ بْنُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ مُحَمَّدُ الْأَيْبُونِي الدَّمَشْقِيُّ ، وَيُلَقَّبُ بِنُورِ الدِّينِ ، وَيُنْعَتُ بِالْمَلِكِ الْأَفْضَلِ . (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ فِي نَهَايَةِ هَذَا الْكِتَابِ)

(٥) رَسَمَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ يَهْدِمُ الْقُبَّةَ الظَّاهِرِيَّةَ الَّتِي بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ بِالرَّحْبَةِ ، فَخَصَلَ الْمَشْرُوعَ فِي هَدْمِهَا فِي يَوْمِ الْأَحَدِ « عَاشِرِ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ٦٨٥ هـ » ، وَأَمَرَ بِبِنَاءِ قُبَّةٍ فِي مَكَانِهَا فَعَمَّرَتْ ، وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْهَا فِي شَوَالِ سَنَةِ ٦٨٥ هـ . (ابْنُ الْفَرَاتِ ج ٨ ص ٣٨)

ومما نظمه المملوك فيها :

شيدت للملك كل قصر يُرَبِّي اعتلاء على البرابي
فصرح بلقيس في انقضاض وصرح هاما في انقضاض
وقصر عُمدان في انقلاء وشُعْبُ بَوَّان في انقلاب /
يا حسنها قبة تعالت حتى تناهت إلى السحاب

ولما وصل مولا السلطان جلس بهذه القبة فاستجلى جمالها ، واستحسن كمالها ، واستقبل
إقبالها . وحضر صاحب حماة وعمه والأمراء جميعهم بها ، فأخذت أشعتها بأبصارهم ، وكسبوا
من نورها ما زاد في أنوارهم . ولما شمل الإحسان صاحب حماة وعمه ومن // حضر معه ٢٨٦
من أمراءه وخواصه بالإنعام ، بالتشارييف ، والنفقات ، والتعابى من الأقمشة من كل صنف من
الأصناف ، وكل شيء حسن الإتحاف ، وامتلات حقائبهم من كل نوع من أنواع
التخويل ، وقصدوا العود والتحويل ، زاد مولانا السلطان في مبراتهم . وتوجه الملك المظفر
ومن معه عائداً إلى // مملكته في يوم السبت عاشر ذي القعدة ، وودَّعه مولانا السلطان ٢٨٧
فضلا منه وامتنانا ، وأودعه جوداً وإحساناً .

ذكر حضور صاحب قبرس^(١) إلى عكا^(٢)

واستيلائه عليها وإنفاذ رسله إلى الأبواب السلطانية

كانت عكا قد استولى عليها الرى جاز أخو فرنسيس لأنه قال : إنه اشتراها من امرأة // تستحق ملكها بالإرث من أقارب صاحب قبرس ، وسير إليها نائباً من جهة ٢٨٨ يعرف بالكندر وجير ، وتحكم فيها وفي جميع نواحيها ؛ وتسمى الرى جاز بمالك البيت المقدس والساحل .

فلما كان في هذه السنة قصد صاحب قبرس^(٣) عكا في جماعة وافرة وعدد كبير ومراكب ، ودخلها وعصت قلعة عكا عليه / وبها الكندر وجير فخلاها صاحب قبرس ، ✓ وآخر الأمر أنه تسلمها بالأمان ونزل بها ، وولى في الولايات بعكا ، واستقر حاله بها ، وشرع في إنفاذ رسله وهداياه إلى أبواب مولانا السلطان يطلب مراحمه ومراضيه .

(١) قبرس : بضم القاف ، وسكون الباء الموحدة ، وضم الراء المهملة ، وفي آخرها سين مهملة . جزيرة في مشارق البحر على القرب من ساحل الشام بينها وبين الكرك نحو نصف مجرى .
(٢) عكا : بفتح العين المهملة ، وتشديد الكاف المفتوحة ، وألف في الآخر ، وهى مدينة من سواحل الشام ، بناها عبد الملك بن مروان ، ثم غلبت عليها الفرنج ، ثم انتزعها منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم غلبوا عليها ثانياً ثم استرجعت ، وقد خربت بعد أن استرجعها المسلمون من الفرنج سنة تسعين وستمائة في الدولة الأشرقية « خليل بن قلاوون » وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام وبينها وبين طبرية أربعة وعشرون ميلاً وكانت هى قاعدة هذا الساحل قبل صفد فلما خربت أقيمت صفد مقامها وصارت هى ولاية .

(صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥٢)

(٣) كان على رأس هذه الحملة الملك هيو الثالث (Hugh III) ، ملك قبرس وبيت المقدس ، وكان ذلك الملك قد انسحب من الشام إلى قبرس منذ سنين لكثرة مؤامرات القوى الصليبية ضده ، فعاد تلك السنة إلى الشام يريد محاولة استرداد حقوقه في مملكة بيت المقدس من مقتصبيها من الصليبيين ، ولم يكن غرضه مناوأة المسلمين أو حربهم .

(السلوك ج ٣ ص ٢١٦ - هامش ٣)

ذكر وفاء النيل المبارك

في ثالث وعشرين مسرى وفي النيل المبارك //

٢٨٩

وركب مولانا السلطان ، وجبر الأمة بحضوره كسر الخليج . وفرح الناس بمشاهدة
جلاله ، والتماح جماله . وكان مولانا السلطان مدّة لم يحضر هذا الوسم لاشتغاله بالجهاد ؛ إذ
هو من أعظم أشغاله ، فلذلك ازداد فرح الرعايا وحُبورهم ، وكثرت إبتهاجهم وسرورهم //

٢٩٠

ذكر حضور رسل الملوك

وفي هذه السنة وصل مجد الدين^(١) أطا رسول الملك تنامنكو^(٢) الذي كان حضر قبل ذلك وتوجه إلى مكة شرفها الله - هو ورقفته في صدقات مولانا السلطان التي كثرت مؤتمها وعظمت كلفتها ، وتضاعفت مئوتها . وعاد إلى جهة الملك // تنامنكو . ثم عاد في هذه ٢٩١ السنة ذاكراً أن الإجابة حصلت إلى جميع مطلوب مولانا السلطان ، وسير في جواب ذلك الأمير سيف الدين بلبان الغتمى رسولا وسيرت معه هدايا وتحف وخيل مسومة بسروجها وعُددها وهي ستة رؤوس وتوجهوا .

✓ وفي هذه السنة وصل رسول نوغاي / صحبة زين الدين التيزيني .
✓ وفي شهر رمضان من هذه السنة وصلت رسل ملك الأبواب المسمى أدر^(٣) ، وأحضروا في الهدية فيلا وزرافة ووصل كتابه ببذل الطاعة والتقرب إلى مرضى مولانا السلطان ويشكون من ملك دنقلة وكان قد سير إليه من الأبواب السلطانية^(٤) علم الدين // سنجر ٢٩٢ المعظمي رسولا ، فعاد من عنده صحبة هؤلاء الرسل وحاد عن طريق دنقلة فأمسكه ملك

(١) مجد الدين أطا الفقيه أحد رسل « تدان منكو » بن طوغان بن جنكيز خان ملك القيقاق برسالة تتضمن إسلامه . (راجع السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧١٦)

(٢) هكذا في الأصل . وفي النويري - نهاية الأرب ج ٢٩ ص ٢٨٢ « ١ » (تدان منكو) وكذلك في صبح الأعش ج ٤ ص ٤٧٣ : وصحبة تودا منكو (٦٧٩ - ٦٨٦ هـ) .

(٣) كذا في الأصل وفي ابن الفرات ج ٨ ص ٥٢ والسلوك ص ٧٥٠ « الدو » . وفي الألفاظ الحفية للمؤلف « أدر » .

(٤) في زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ٢٦٧ (أ) : جهز السلطان بعضاً من الأمراء والأجناد وعربان البلاد وقراغلامية الولايات ومن يجرى مجراهم بجميع الجهات صحبة الأمير علم الدين سنجر المسروري متولى القاهرة المحروسة المعروف بالحياط والأمير عز الدين أيدير السيفي أستاذارو أيتمش السعدى متولى الأعمال القوصية لغزو النوبة فتوجهوا ووصلوا دنقلة وأغاروا عليها وعلى أعمالها وسبوا ونهبوا وغنموا و جلبوا شيئاً كثيراً من الرقيق .

دُنْقَلَة^(١) وعزم على إتلافه^(٢) فقام إليه أصحابه وجماعته وقالوا : تريد تخرب ديارنا وأعمارنا ، وأقاموا غيره موضعه ، وحضر رسل ملك الأبواب من طريق عَيْذاب .

وفي هذه الأيام / وصلت جماعة من النجّابين من جهة الملك المظفر^(٣) صاحب اليمن^(٤) وعلى أيديهم المكاتبات بالهناء بفتوح الكرك الحروس وكتبت أجوبته وعاد نجّابوه من جهة الحجاز بعد أن شرفوا وأنعم عليهم على عاداتهم .

وفي سادس شهر رمضان وصلت رسل دنقلة ومعهم هدية : مائة وتسعون رأساً // من الرقيق وأحضروا إلى قوص من الأبقار مائتي رأس هدية .

٢٩٣

(١) دنقلة : المقصود بها القرية التي تعرف في السودان باسم دنقلة العجوز وهي واقعة على شاطئ النيل الشرق ، وقد كانت قديماً قاعدة مملكة النوبة السفلى في زمن النصرانية إلى أن استقر بها المسلمون من سنة ٦٨٦ هـ وهي الآن قرية صغيرة من قرى دنقلة .

(٢) راجع السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٤٢ .

(٣) الملك المظفر شمس الدين أبو المحاسن يوسف بن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي ابن رسول ، التركاني الأصل القسائي صاحب بلاد اليمن ، وقيل اسم رسول محمد بن هارون بن أبي الفتح ابن نوحى بن رستم من ذرية جبلة بن الأبهيم ، وقيل إن رسولاً جده هؤلاء ملوك اليمن كان انضم إلى بعض الخلفاء العباسيين ، واختصه بالرسالة إلى الشام وغيرها فعرف برسول وغلب عليه ذلك .

(النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٧١ وما بعدها)

(٤) اليمن : بفتح المثناة التحتية والميم وفي آخرها نون ، وينسب إليه عني ويعاني وهو قطعة من جزيرة العرب يحدها من الغرب بحر القلزم ومن الجنوب بحر الهند ومن الشمال بحر فارس ، ومن الشرق حدود مكة حيث الموضع المعروف بطلحة الملك ، وما على سمت ذلك إلى بحر فارس .

واختلف في سبب تسميته باليمن فقبل ، سمى اليمن بن قحطان ، وقيل : إن قحطان نفسه كان يسمى يمن . وقيل سمى يمن بن قidar ، وقيل سمى بذلك لأنه عن يعين الكعبة . قال « ابن الكلبي » سميت بذلك لتيامنهم إليها . قال ابن عباس استتب الناس وهم العرب فتيامنوا إلى اليمن فسميت بذلك . وقيل : تيامنت بنو يقطن إليها فسميت بذلك . وقيل : لما كثر الناس بمكة وفرقوا عنها ، التأمت بنو يمن إلى اليمن وهو أيمن الأرض . (صبح الأعشى ج ٥ ص ٦)

ذكر تجهيز ركب الحجاز

وفي هذه السنة : جرى مولانا السلطان على عادة حسناته وحسنات عاداته ، فرسم
✓ بتجهيز جمال السبيل وهي مائة جمال ، وجُهِّزت جميع الأمور على اختلافها ، وجُمِّل / أمير
الركب الأمير الأسقف سلاّر سيف الدين بلبان الحبشي^(١) الصالحى / وجُهِّزت التشاريف
لأمراء الحرمين على العادة ، وأمراء الحجاز وغيرهم ، وجُهِّزت الرؤوم وجميع ما جرت العادة
بتجهيز مثله ، وزُيِّنَت القاهرة ومصر ، وطيف بالمحمل والكُسوة في يوم الثلاثاء منتصف
شوال . وسافروا // في سحرة يوم السبت ثامن عشر شوال ، كتب الله سلامتهم . ٢٩٤

وفي العشرين من ذى القعدة من هذه السنة : جُهِّز الأمير علم الدين سنجر المعظمى رسولاً
إلى ملك النوبة أدُر - ملك الأبواب - وإلى صاحب بارة ، وإلى صاحب التاكه ،
وإلى صاحب كدروا ، وإلى صاحب ديفوا ، وإلى صاحب أرى ، وإلى / صاحب نفال ،
وإلى صاحب الأنج ، وإلى صاحب كرسه . وجُهِّز علاء الدين الحصنى إلى شمامون^(٢)
ملك دنقلة صحبة رساله ، فتوجهوا .

(١) فى الأصل : الجيشى .

(٢) هكذا فى الأصل وفى التويرى - نهاية الأدب : ج ٢٩ ص ٢٧٣ ب - شمامون . وفى صبح

الأعشى ج ٥ ص ٢٧٧ « سيماون » . وكان ذا دهاء ومكر وبأس .

وفى ابن الفرات ج ٨ ص ٥٢ : أن الملك المنصور سيف الدين قلاون جرد فى يوم الإثنين سادس
ذى الحجة من سنة ٦٨٦ هـ جماعة من أجناد الولايات بالوجه القبلى والقراغلامية وجرد الأمير عز الدين
أيدمر السيفى السلاح دار متولى الأعمال القوصية بعنده ومن عنده من الممالك السلطانية المركزين بالأعمال
القوصية وأجناد مركز قوص وعربان الإقليم وهم أولاد أبى بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان
وأولاد السكندر وجماعة من العربان البرلسية وبني هلال . فتوجه الأمير علم الدين الخياط بنصف الجيش من
البر الغربى وتوجه الأمير عز الدين أيدمر بالنصف الثانى من البر الشرقى وهو الجانب الذى فيه مدينة دنقلة .

ذكر حركة العساكر المنصورة

وتوجهها نصبة الأمير حسام الدين طرنتاي ، وما سبّله الله من فتوحات على يده

٢٩٥ في أخريات هذه السنة المباركة : توالّت // الأخبار من جهة العدو^(١) - أباده الله -

بقصد الرحبة ، وأنهم وصلوا إلى مكان يعرف بالمليحة ، بينه وبين الرحبة نصف ساعة . وكان الذين في الرحبة قد جفّوا أهل تلك الجهات فلم يظفر العدو بأحد . وتوالّت الأخبار بأن جماعة من العدو وصلوا إلى جهة دَيْر يسير ، وأنهم صادفوا بعض الأجناد يعرف / بكيكلدي ، كان توجه في مُهمّ فحدثهم من برّ وهم في برّ بالتركية ، وحدّتهم من العساكر فانهزموا ، وما وقفوا . وورد الخبر بأن جماعة من العدو وصلوا الرقة ، فمأجودوا غير ستة أنفار وامرأة ، فقتلوا خمسة منهم واستصحبوا نفراً واحداً والمرأة وعادوا .

٢٩٦ ووردت الأخبار بحركة في بغداد وأنها // مكتمة لا يُظهرونها .

ولما بلغت هذه الأخبار الأمير حسام الدين الغائب بالشام ، سار جماعة من الكشافة قدّم عليهم سيف الدين كجكن السيفي - أحد المماليك السلطانية - فلمّا كان تاسع عشر ذى الحجة ، وردت كتب النواب بأن التتار ، لما أغاروا على الرحبة ، ولم يحصل لهم طائل وحضر سيف الدين كجكن / ومن معه من الكشافة والعربان وصلوا إلى عانا ،^(٢) وكمن هو ومن معه قريباً منها ، فلم يخرج إليهم أحد من النواب التتار ، وتحصّنوا في القلعة واحتّموا بها . وهرب أهل البلد في المراكب . فأقام الكشافة إلى وقت الظهر ، فلم يخرج أحد فساقدوا المواشي من كل صنف ، وعادوا سالمين ، والحمد لله رب العالمين //

٢٩٧

(١) أي التتار .

(٢) هي في ياقوت عانة أو عانات .

وفكر مولانا السلطان في العدو ، وأنهم ربما تنثور منهم ثورة ، أو تحتد لهم سورة ،
أو تحصل لهم أنفة ، أو تأتي جموعهم بالشياطين مُردفة ، فتقدّم للأمير حسام الدين كفيل
السلطنة بالمسير وصحبته العساكر لسد هذه الدريعة ، وافتتاح غيرها من الحصون المنيعه ،
فبرز في يوم الاثنين رابع ذى الحجة / وسافر من القلعة في يوم عيد النحر ، بعد صلاة العيد ،
حضور السَّماط . وركب مولانا السلطان في صبيحة يوم العيد لوداع العساكر ، وتوصيتهم
فتوجهوا على خيرة الله تعالى .

واستهلت سنة ست وثمانين وستائة

ذكر منازل صهيون^(١)

٢٩٨

ولما وصل الأمير حسام الدين وصحبته العساكر // إلى دمشق ، ورأى أخبار العدو قد سكنت ومهاجمتهم أمنت ، كانت في نفسه حاجة لسلطانه قضاها ، وودائع مناحية فأدّاها . فتوجه إلى جهة صهيون ،^(٢) واستصحب عساكر الشام وآلات الحصار ، والعُدَد ، والأسلحة ، فنزل صهيون في ثاني وعشرين المحرم من هذه السنة ، وشرع في نصب الجانيق عليها واستعدّ / من داخلها للحصار . ونصبوا بجانيقهم ، وجرد الأمير سيف الدين جرمك^(٣) ، والأمير نجم الدين قبق ، فأخذوا الدّشّار من قريب برزّيه ، واستمر الحصار على صهيون ، والاجتهاد في أمرها .

(١) بفتح الصاد المهملة وسكون الهاء وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ثم نون في الآخر . وهي قلعة من جند قنسرين ، وهي من القلاع المشهورة ذات حصانة ومنعة مبنية على صخر أصم في ذيل جبل يظهر من اللاذقية وبينهما نحو مرحلة وهي في الشرق عز اللاذقية بميلة إلى الجنوب ، وبها المياه الكثيرة حاصلة من الأمطار .

(صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٥) .

(٢) لما حاصر الملك المنصور سيف الدين قلاوون « الرقب » في سنة ٦٨٤ هـ لم يحضر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ولده الأمير « ناصر الدين صفار » إلى خدمة السلطان الملك المنصور ، فتنكر لذلك وحنق عليه بسببه ، وأرسل الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ولده الأمير « ناصر الدين صفار » إلى خدمة السلطان الملك المنصور ، فبغى السلطان من العود إلى والده وحمله إلى الديار المصرية واستمر إلى سنة ٦٨٦ هـ - هذه السنة - فجرد السلطان نائبه بالديار المصرية الأمير « حسام الدين طرطاي » إلى صهيون في جماعة كثيرة من العساكر فنازلها وراسله في تسليمها ، وذكر له مواعيد السلطان الملك المنصور له ، فامتنع من ذلك فضايقه ونصب الجانيق حتى أشرف على أخذ حصن صهيون عنوة . فلما رأى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ذلك ، أرسل في طاب الأمان والأيمان خلف له الأمير حسام الدين طرطاي أن السلطان لا يضر له سوءاً ، فنزل إلى الأمير حسام الدين طرطاي وسلم إليه الحصن . ورتب فيه طرطاي نائباً ، والياً ، وأقام به رجالاً بعد ما أُنْفِق في تلك المدة أربع مائة ألف درهم في العسكر الذي معه . (ابن الفرات ج ٨ ص ٤٨) و (السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٣٤) .

(٣) جرمك بن عبد الله الناصري التركي ، يلقب : سيف الدين كان من أكابر الأمراء بالديار المصرية . توفي مخنوقاً هو وطلقوا وغيرهما بأمر الملك الأشرف في سنة ٦٩١ .

ذكر فتوح حصن برزیه^(١)

وفي سابع عشر صفر من هذه السنة ، ورد البريد من جهة الأمير حسام الدين طرنتاي كفيل // السلطنة الشريفة ومقدم العساكر بأنه اجتهد في أمر حصن برزیه ، واستمال من ٢٩٩ كان فيه ، ورغبهم في صدقات مولانا السلطان ، وأنهم انقسموا قسمين : أهل صهيون ، قسم وأهل برزیه ، قسم .

ولما كان يوم الثلاثاء تاسع صفر حصل الاتفاق على تسليمها ، وأنه سير الأمير حسام الدين لاجين نائب / السلطنة بالشام المحروس وصحبه عسكر عدته ثلثمائة فارس ، وسير من الرجال ثلثمائة راجل من رجالة بعلبك ، وأنها تسلمت في حادي عشر صفر يوم الخميس ، وذلك لأن أهل برزیه أرخوا الحبال وطلعوا بأصحابنا ، وقاتل الصهاونة ومماليك الأمير شمس الدين سنقر الأشقر وخرجت // جماعة من أصحابنا . ثم لما عجزوا سلموا نفوسهم ، ٣٠٠ ولوقت رُتبت جماعة بالقلعة ونفق فيهم معلوم شهرين ، ورتبت بهارموس الثوب وغيرهم ، ورتب بها الأمير سيف الدين طاجار^(٢) المنصوري ، ومعه عشرون من أصحابه حتى يرسم بتعيين أحد يكون مقياً بها . وصارت في جملة حصون مولانا السلطان / منتظمة . ويدنوا به فيها محكمة .

وأما صهيون

فلما كان في تاسع صفر ، نُصِبَ مَنجَنِيْقُ فرنجي يسمى بِقَشْمَر ، من المجانيق الحاضرة من دمشق ، ورُمي به في اليوم المذكور على صهيون ، فكسر منجنيقاً في صهيون ، ثم

(١) برزیه : حصن قرب اللاذقية على سن جبل شاقق ، والنطق المثبت هنا تقول به العامة والصحيح برزوبه .

(٢) ياقوت - معجم البلدان ج ١ ص ٥٦٥ .

(٢) هكذا في الأصل وفي النجوم ج ٨ ص ٩٩ « الأمير سيف الدين سلاّر المنصوري » .

٣٠٢ أدير، فكسر منجنيقاً آخر في يوم الأربعاء عاشر صفر، ثم أدير فكسر منجنيقاً آخر في يوم الخميس حادى عشر صفر المذكور. وذلك كله في منجنيقات صهيون المنصوبة داخلها، وهى منجنيقات كبار فرنجية. ثم حصل الاستظهار بمنجنيق كبير غير ما نُصِبَ أولاً من المجانيق المنصورية التى عُمِلت بدمشق.

٣٠٢ ولما كان يوم الاثنين ثانى وعشرين صفر، أجاب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى التسليم والدخول فى مراضى مولانا السلطان، والتمس الاجتماع بالأمراء الأكابر المجردين صحبة الأمير حسام الدين طرنتاي، مقدّم العساكر المنصورية، فاجتمعوا به من أسفل السور وهو من أعلاه. واعتذر واعترف، وسير من جهته من حلف الأمراء، وسيروا إليه من حلقه، وتقرر أنه يحضر // ولا يُكلف إقطاعاً ولا شيئاً، وأنه يكون مقيماً فى بيته تحت المراحم الشريفة. وسير ولده شهاب الدين طمغار، ونوابه إلى مولانا السلطان بذلك. فوصل بهم الأمير بدر الدين بكتوت العلأى المنصورى^(١)، فى مستهل شهر ربيع الأول، فأحسن مولانا السلطان الإجابة، وأَجَلَ الإثابة لهذه الإنابة، وتقررت أموره على ما التمسه وزيادة، وعادت رُسُله إليه بأنواع الإفداء والإفادة، ثم ورد البريد بأنه خرج واجتمع بالأمير حسام الدين مقدّم العساكر المنصورية وبالأمراء، ومدّ الجسر، وأخرج من كان عنده من أهل البلاد، ومن النصارى والشمسية والمقاتلة، وحط المجانيق واستأذن فى دخوله لتدبير // مصالحه فدخل وطلب ثمانمائة جمل لحمل ثقله، فحصل الاهتمام بذلك. وطلب شيئاً من جشاره الذى كان أخذه، فأعطى ستين رأساً تخيرها، وبقي كل يوم يخرج فيقف فى سوق الخيل مع الأمراء، ثم يدخل لتدبير أمره، وحصل الشروع فى نقل المجانيق من صهيون ومن المرقب (وإلى غيرها)^(٢) لحصار / برج اللاذقية على ما سيذكر.

(١) هو الأمير بكتوت بن عبد الله التركى العلأى يلقب « بدر الدين » تنقلت به الأحوال وعظم شأنه وسمت همته حتى تعرض لطلب بعض أكابر الأمراء الحاصكية الملكية الأشرفية مقدمين الألوف .
توفى يوم الخميس منتصف جمادى الآخرة سنة ٦٩٣ هـ بالقاهرة . وقيل إنه سقى سمّاً فأت .
(٢) كذا فى الأصل ، وقد يكون « وغيرها » .

ذكر فتوح بُرج اللاذقية^(١)

وهذا البرج شمم في أنف تلك الجهات ، وآفة عليها من أكبر الآفات ، طالما أصبح وأمسى حسرة في قلب المسلمين ، وذخيرة لأعداء الدين . وذلك أنه في وسط البحر ، لا تُسلك إليه طريق من برّ ، ولا يُنقب له سور ، وكيف وخندقه // البحر . وكان يتحصّل به للفرنج ٣٠٤ مال كثير من ميناء اللاذقية التي هي مثل ميناء الإسكندرية . فقدّر الله أن زلازل في شهر الحرم من هذه السنة كثرت ، وفي الحصون أثّرت ، فمنها ما أثّر في أسوار صفد الحروسة ، وتدارك مولانا السلطان تلافياً وإصلاحاً ما تهدّم فيها . وذلك في نصف الحرم .

ومن ذلك ما حصل في قلعة حمص في حادي عشرين الحرم من هدم أسوارها ، وما كاد يأتي على نحو آثارها ، وتدارك ذلك بالعمل والإتقان ، حتى كأن الهدم ما كان .

ولما كان ليلة السبت خامس صفر^(٢) ، جاءت زلزلة عظيمة في جهة اللاذقية هدمت أكثر بُرجها الذي في وسط البحر لأمر يريده الله // للمسلمين من الخير . وهذا البرج^(٣) ٣٠٥

(١) بألف ولام لأزمتين وذال معجمة وقاف مكسورتين وياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في آخرها . وهي مدينة من سواجل الشام ، وهي من أعمال حمص ، مدينة جليلة بل هي اجل مدينة بالساحل منعة وعمارة ، ولها ميناء حسنة ومنها إلى أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٥) .

(٢) في السلوك ج ١ ص ٧٣١ وابن الفرات ج ٨ ص ٣٩ « في يوم الخميس رابع عشر صفر : حصل وقت العصر بناحية القسولة من معاملة مدينة حمص أمر غريب : وهو أن سحابة سوداء أرعدت رعداً شديداً ، وخرج منها دخان أسود اتصل بالأرض على هيئة ثعبان في ثخن العمود الكبير الذي لا يحضنه إلا عدة من الرجال ، رأسه في عنان السماء وذنبه يلعب في الأرض شبه الزوبعة الماثلة ، وصار يحمل الأحجار الكبار ويرفعها في السماء مثل رمية سهم وأزيد ، فتقم على الأرض وتصدّم بعضها بعضاً ، فيسمع لها أصوات مرعبة وتبلغ من هو عنها يبعد . واتصل ذلك بأطراف العسكر المجرد بحمص وعليه الأمير بدر الدين بكنوت العلائي وهم زيادة على ألفي فارس ، فما مر بشيء إلا رفعه في الهواء كرمية سهم وأكثر : فحمل السروج والجواشن وآلات الحرب وسائر اثياب وحمل خرّجا من آدم فيه تطابق نعال للخيول من حديد حتى علا رمية سهم ، ورفم الجبال بأحمالها حتى ارتفعت قدر رمح عن الأرض ، وحمل كثيراً من الجنود والعلماء ، فتلّف شيء كثير جداً ، ثم غاب الثعبان وقد توجه في البرية نحو المشرق ، ووقع بعده مطر .

(٣) في الأصل : « البرزخ » .

كان مالك عصمتها ، وروح حرمتها ، فهدمت الزلزلة منه رُبْعَهُ ، وهدمت بُرْجَ الحمام ومكان القنديل الذى يستضاء به منها ويستدلّ به فى البحر . وكانت زلزلة عظيمة شديدة . وكان ذلك من الأسباب التى سهّلت فتحه ، ومردّت صرحه .

فلما فرغ الأمير / حسام الدين طرناى ، مقدم العساكر من صهيون وانتظمت فى جيد الممالك السلطانية عقودها ، وضفت برودها ، عدل إلى جهة اللاذقية ، وأحضر إليها المجانيق التى لا تبرح تنطق بالنصر ألسنتها ، وتشير بالظفر أصابعها . ونصبها فى أمكنة لا يثبت بها قدم المارّ ، ومدّ عليها وإليها جسراً من الحجار ، وأخذت النقب // من جهة الأمكنة التى هدمتها الزلزلة ، وكشفتها من جهة البحر غير مهملة ولا ممهّلة . فعند ذلك سقط فى أيديهم ، ورأوا أنهم يضلّون إن استمروا فى تماديهم ، وتحقّقوا أن سلطاناً^(١) بالملائكة يقاتل ، ومن جملة أعوانه الزلازل . وأن حكامهم مابق يطير ، وقبّسهم مابق يُنير ، فسأموا ، وطلعت سناجق / مولانا السلطان عليها فى يوم الأحد الخامس من شهر ربيع الأول ، فأمنّوا على الخروح بنفوسهم وأموالهم وأنهم يتركون مابه من عدد وسلاح ، وتسلم وقت الظهر من اليوم المذكور ، ورمى الصليب من أعلاه عند قول المؤذن «الله أكبر» . وتوجّه كل من أهله إلى جهة . وحصل الشروع فى // هدمه ، وأقول نجمه . وجرّ المجانيق التى كانت نصبت عليه إلى المرقب .

ورحل الأمير حسام الدين إلى جهة طرابلس للمطالبة بالدّعاوى ، وأقام حتى أوجب على أهل طرابلس ما يؤخذون به ، ويؤخذون بسببه ، وحقق قوله تعالى : « إن تقولون إلا كذباً^(٢) » ، وأن بغيرهم وعدوانهم لا يُنجح الله لهم / بهما طلباً ، وأنهم لا بد أن توقظهم الفتكات السلطانية من هذا النوم ، وأن لهم يوماً بعد ذلك ، وأى يوم ؟ وأن لوّهم لا يسمع اللّوم . ورحل فوصل إلى الخدمة السلطانية وصحبته الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فى أتمّ حرمة وأسبغ نعمة ، وخدم فى طريقة أعظم // خدمة ، وركب مولانا السلطان فتلقاهم ، وتلقّى

(١) كذا ولعله : سلطاننا .

(٢) آية ٥ : سورة الكهف .

الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بعد أن سَيرَ إليه التَّشاريف ، وأحسن إليه ، وأنعم عليه ، وأقطعه الإقطاعات العظيمة . وركب بِشعارِ الإِمرَةِ ، وخدم بالمنشور على العادة ، وقَبِلَ الصَّنْجَقَ وحافر الفرس ، واستمرَّ في الخَلْعِ والافتقادات ، / فوجدوا على ذلك الماء من خبَرهم أن الملكَ آنى له يومان مذرَّحِل إلى جهة الأتج ، فتبعه العسكر مسافة أخرى ، وعادوا بعد أن قتلوا خلقاً كثيراً ، وأسروا حريمهم ، وأخذوا ما لهم ورجعوا بغنيمة عظيمة . ولم يَسَلِّمَ الملكُ آنى إلَّا ومعه سبعة أنفار وما أَّخر العسكر عن لحاقه إلَّا شدة العطش // ولأن البلاد التي وصلوا إليها بلاد ٣٠٩ خراب ، مأوى الفيلة والقردة والخنازير والزرافات والنعام . وفي أثناء ذلك وصل المُسير من الأبواب العالية الذي رسم أنه يكون ملكاً في بلاد النوبة المسمى « بُدْمَه » ، وحالة حضوره جمع الأمير عز الدين الأفرم^(١) مقدَّم العسكر ، أكابر البلاد بحضور الأمراء / وألبس التاج على عادة ملوكهم ، وحلَّف لمولانا السلطان وحلَّف له الرعيَّة ، وحلَّفت الرعيَّة أنهم لا يطيعونه إلَّا مادام في طاعة مولانا السلطان ، وأنه إذا خرج عن الطاعة يُنزع التاج منه ، ويسير إلى الأبواب العالية . وقال له أهل البلاد : لولا مولانا السلطان ما أطعناك ، ومتى تغيَّرت // أمسكناك ، ونحن نرضى أن يقيم مولانا السلطان لنا مَلِكاً فلاحاً أو جَبَلِيّاً فإن ٣١٠ بلاد النوبة مالها ملك إلَّا مولانا السلطان ونحن رعيَّته .

(١) هو أيك بن عبد الله التركي الصالحى النجمى يلقب « عز الدين » ويعرف بالأفرم أمير جاندار .
(راجع ترجمته في نهاية هذا الكتاب) .

ذكر شيء يتعلق بملوك النوبة^(١)

كان قد ترتب في مملكة النوبة « بعد الملك داوود في الأيام الظاهرية ، ملك اسمه مشكدت^(٢) ، وكان الملك الظاهر قد سَير شخصاً من الأبوابِ فداوياً من الإسماعيلية اسمه « سلامة » يتردد إلى ملك النوبة المذكور وأمره يُخفى أنه فداوى . واتفق أن سلامة هذا استصحب صديقاً لزيقاً . فأظهر سلامة خصومة بينه وبين الصبي اللزريق ، فنفارقا ، وأقام اللزريق عند الملك مشكدت . فأمن الملك إليه // ، وجملة سلاح داره ، فجلسوا في مشربة ، فقفر الصبي على الملك مشكدت فقتله ، وقُتل الصبي ، ومَلَكَ شخص اسمه برك ، وتوَّج في الأيام السلطانية . فبدت منه أمور . فلما توجه الأمير علم الدين سنجر المسرورى أمسه ، وأتلف وولى شخص اسمه شمامون ، فبقى حتى قام عليه أهل / البلاد - كما ذكرنا - ؛ وسير مولانا السلطان من اعتقاله الملك الآن ، فمَلَكَ وتوَّج واسمه « بدمه » وهو الملك الآن . وبعد ذلك عاد الأمير عز الدين الأفرم إلى دُنْقَلَة بعد أن تعدها بمدة ثلاثة وثلاثين يوماً فلما دخلها اجتمعت العساكر ولعبت الحرايق والمراكب بالنفط // والطبل خانات . ودخلوا كنيسة سوس^(٣) وحلفوا الملك ، وحلفوا جريس^(٤) له ، وأن أى من خرج عن الطاعة كان الآخر عوناً عليه لمولانا السلطان ، وحلف الرعية والقسوس . وجرد الأمير عز الدين الأفرم عسكرياً ورجالة وأعطى لهم جملة من دقيق وشعير وغير ذلك . ورجل الأمير عز الدين / الأفرم ومن معه من العساكر راجعين / وبعد رحيله بخمسة أيام وصل كتاب هذا الملك « بدمه » إليه

(١) النوبة : بضم النون وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وهاء في الآخر . ولون بعضهم يعيل إلى الصفاء وبعضهم شديد السواد ، وبلادهم مما يلي مصر في نهاية جنوبها مما يلي المغرب على ضفتي النيل . (صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧٥) .

(٢) يسميه صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧٦ باسم « مرقشكز » ويسميه السلوك ج ١ ص ١٧٥ قسم ٣ ض ٩٧٣ « مشكد » .

(٣) في السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٥٢ « أسوس » وهي أكبر كنائس دنقلة .

(٤) جريس : كان نائب شمامون بجزائر ميكائيل وعمل الدر ، وقد أمره المسامون .

(راجع السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٣٧) .

وهو يذكر تراجع أهل البلاد إليها وعمارتها ووصل كتاب ملك الألبان وهو يذكر أنه ما أخره عن الحضور بنفسه إلا أنه ساق خلف الملك آتني ، وأن بلاد الأنج تغلب عليها ملك غير // ملكها ، وأنه متحيل في أخذها منه ، وإذا أخذها صار جميع بلاد السودان في ٣١٣ قبضة مولانا السلطان وطاعته ، ودخل في قلوب أهل البلاد التي للسودان من عساكر مولانا السلطان رعب عظيم ؛ لأنها وصلت إلى أمكنة ما وصلها جيش قط ، إلا إن كان جيش الإسكندر ذي القرنين ، ولم يُعَدَم من العسكر / المنصور غير نفر واحد قتل في سبيل الله ، وآخر غرق ، ووصل الأمير عز الدين الأفرم إلى جزيرة ميكائيل في يوم الخميس ثالث شهر ربيع الأول ، ووصل الأمير عز الدين الأفرم ومن صحبته من العساكر في يوم الاثنين ٣١٤ خامس شهر ربيع الآخر ، فشرّفه مولانا السلطان الملك الأشرف وشرّف // الامراء الجرّدين معه بتلقّيهم من جهة القراية . وكان الأمير عز الدين الأفرم قد استدعى ثلثمائة رجل لركوب الأسارى ، فسيّرت إليه ، وحضرت جماعة من أكابر النوبة على هيجن بأيديهم حراهم ، وأحضروا فيل وجملة من أنياب الفيلة ، وأحضروا صحبته حولا من البلاد مما كان الأمير حسام الدين رتب استخراجه . / ودخلت العساكر متجملة في أحسن زيّ ، وخرج الناس لمشاهدتهم ، وكان اجتماعا عظيما ، وعبر الجميع تحت القلعة الخروسة ، ومولانا السلطان يشاهد ذلك كله ، ويشكر الله على هذه المواهب التي مكنته حتى في كل يوم تحضر أسارى بين يديه تارة من شرق ، وتارة من غرب وإذ له ولجنوده ، في كل // مكان في الكفار ٣١٥ غزو وحرب ، وطعن وضرب ، وإذ الله قرّب لعساكره الخطأ ، فكل مسيرة شهر لها مرحلة ، وخطوة في الرّوم ، وخطوة في دنقلة ، زاده الله من فضله .

ذكر صلح الرّيدراكون^(١) البرشنوني^(٢)

وأخوه^(٣) صاحب صقلية مع مولانا السلطان

في هذه السنة : وصلت رُسُل البرشنوني / المسمّى ذوفنش^(٤) ، وهو الذى أخذ مُلك
الرى جار أخى الفرنسيس ، ومُلك الأنبرور . وتضرعوا إلى رحمة مولانا السلطان فى الصّلاح
على عادة الأنبرور مع الملك الكامل . وأحضر فى جملة هديته إلى الأبواب السلطانية
سبعين نفرًا من المسلمين الأسارى الذين كانوا فى بلادهم من أزمنة طويلة . وتقرّبوا // من
مراضى مولانا السلطان بكل ممكن / وتكفّلوا بأنهم يكونون أعداء أعداء مولانا السلطان
وأصدقاء أصدقائه . وأقاموا أياما حتى تحرّرت نسخة هدنة كتب رسله نسختها بأيديهم
بالعربى والفرنجى استصحبوها معهم إلى مخدومهم ، وكتبوا خطوطهم على النسخة التى
بالعربى وتدرّكوها حتى يتوجهوا / إلى مخدومهم وإلى أخيه صاحب صقلية ، ويعودون
فيستصحبون رسل مولانا السلطان . وحلّف مولانا السلطان على ما تقرّر ، وحلّف مولانا
السلطان الملك الأشرف .

(١) المقصود، ملك أرغون وكانت قاعدة مملكته برشلونة.

(٢) نسبة إلى برشنونة، وبرشنونة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة وضم
النون وسكون الواو ثم نون مفتوحة وهاء فى الآخر . ويقال (برشلونة) بأبدال النون الأولى .
وهى بجهة شرق الأندلس ، وهى مملكة كبيرة وعمالات واسعة تشتمل على برشلونة وأرغون
وشاطبة وسرقسطة وبلنسية وجزيرة دانتية ومبورقة .

(صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٣٤ ، ٢٧٠) .

(٣) كذا فى الاصل . والواجب : « أخيه » .

(٤) هكذا فى الأصل ، وفى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٨٤ « أدفونش » ويقول صبح الاعشى أن
هذا الإسم كان يطلق اصطلاحا على كل ملوك الفرنج بطليطلة وبرشلونة من أسبانيا ، حتى ولو كان الملك
المقصود يحمل اسما غير ذلك الإسم الشائع فى تاريخ أسبانيا المسيحية ، ويقول أيضاً أن هذه الصفة المتبعة
هنا عامية .

ويوجد فى (زبدة الفكرة ج ١ ص ١٢٩ « ١ ») معلومات عن هؤلاء الملوك .

ونسخة الهدنة

استقرت المودة والمصافاة والمصادقة بين مولانا السلطان الملك المنصور السيد الأجل // ٣١٧
العالم العادل، سيف الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، سلطان الديار المصرية والبلاد
الشامية وحلب، سلطان الملوك، ملك الشرق بأسره، سلطان النوبة - بلاد الملك داود -
سلطان البيت المقدس، سلطان البيت العالي الشريف بمكة، أعزها الله، سلطان اليمن
والحجاز/سلطان جميع العرب، سلطان الإسلام جميعهم، سيد الملوك والسلطين، أبي الفتح
قلاون الصالح وولده - ولي عهده المولى الملك الأشرف السيد الأجل، العالم العادل، صلاح
الدنيا والدين خليل - والملوك أولاده، وبين حضرة الملك الجليل، المكرم، الخطير،
الباسل، // الضرغام، المفخم، المبجل، دون ألفونس الريدراغون وأخيه الملك الجليل ٣١٨
المكرم الخطير الأسد الضرغام، الرى دون جام صاحب صقلية وأخويهما دون فلذريك
ودين بيدروا، من تاريخ يوم الثلاثاء المبارك، ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع
وثمانين وستمائة للهجرة النبوية / الحمديّة - صلوات الله وسلامه وتحياته على صاحبها -
الموافق ذلك لسبع بقين من شهر أبريل سنة ألف ومائتين تسعة وثمانين لمولد السيد
المسيح عيسى عليه السلام. وذلك بحضور رسل الملك الريدراغون، وهم الزعيم الرسول ابن
لنجير ستفنس، وريمون اللمان قرارى برشونة والحكيم // داود بن حسداى الاسرائيلى - ٣١٩
وزير حضرة الملك الريدراغون - وكُتِبَ به بكتابه المختوم بختم الملك المذكور المقتضى
معناه أن تصدقهم فى جميع ما يقولونه ويقررونه من قواعد الصلح والمودة والصدقة،
وما يتكفلونه من الشروط التى يشترطها مولانا السلطان الملك المنصور على الملك /
الريدراغون، وأنه يلتزم بجميع هذه الشروط الآتى ذكرها، ويحلف الملك المذكور عليها،
هو وإخوته المذكورين، ووضع الرسل المذكورون خطوطهم بجميع الفصول الآتى ذكرها،
بأمره ومرسومه، وأن الملك الريدراغون وإخوته يلتزمون بها.

٣٢٠ وهى: استقرار المودة والصدقة من التاريخ // المقدم ذكره على تمر السنين والأعوام،
وتعاقب الليالى والأيام، براً وبحراً، سهلاً ووعراً، قريباً وبعداً، على أن تكون بلاد

مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الأشرف ، والملوك أولاده ، وقلاعهم
وخصونهم وتغورهم ، وممالكهم وموانئهم ، بلادهم وسواحلها وبرورها وجميع أقاليمها /
ومدنها وكل ما هو داخل في مملكتهم ومحسوب منها ومنسوب إليها من سائر الأقاليم
الرثومية ، والعراقية ، والمشرقية ، والشامية ، والحلبية ، والفرائية ، واليمنية ، والحجازية ،
والديار المصرية ، والغرب ، وحد هذه الأقاليم والبلاد وموانئها وسواحلها ، من البر الشرقي
والشامي من القسطنطينية // والبلاد الرومية ، والبلاد الساحلية ، واللاذقية ، وطرابلس الشام ، ٣٢١
وجميع الموانئ والبرور إلى ثغر دسياط ، وبحيرة تنيس ، وحدها من البر الغربي من تونس وإقليم
إفريقية وبلادها وموانئها ، وطرابلس ^(١) الغرب وتغورها وبلادها وموانئها إلى ثغر الاسكندرية
ورشيد ، وبحيرة بنى كليس وسواحلها وبلادها وموانئها / وما تحويه هذه البلاد المذكورة
والممالك التي لم تذكر ، والمدائن ، والتغور ، والسواحل ، والموانئ ، والطرق في البر
والبحر ، والصدور ، والورود ، والمقام ، والسفر من عساكر وجنود ، وتركمان ، وأكراد ،
وعربان ، ورعايا ، وتجار ، وشواني ، ومراكب ، وسفن ، وأموال ، وموا [ني] على
اختلاف الأديان ، والأنفار ، والأجناس // وما تحويه الأيدي من الأصناف ، والأموال ، ٣٢٢
والأسلحة والعُدَد ، والأمتعة ، والبضائع ، والمتاجر ، قليلا كان أو كثيرا ، قريبا كان
أو بعيدا ، برا كان أو بحرا ، / أمانة على النفوس والأرواح والأموال ، والحريم والأولاد من
الملك الريدراغون ومن إخوته المذكورين أعلاه ومن أولادهم وفرسانهم ، وخيالتهم ، /
ومعاهدتهم ، وعمائرهم ، ورجالهم ، ومن كل من يتعلق بهم . وكذلك كل ما سيفتحه الله
على يد مولانا السلطان الملك المنصور ، وعلى يد أولاده وعساكره وجيوشه من القلاع ،
والحصون ، والبلاد والأقاليم ، وأنه ^(٢) يجري عليه هذا الحكم / وعلى أن تكون بلاد

(١) اسمها « أطرابلس » بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملة وألف وباء موحدة بعدها
لام مضمومتان وسين مهملة في الآخر ، وهي مدينة شرق تونس على البحر ، وهي آخر المدن التي شرق
القيروان . وبنائها بالصخر ، وهي واسعة الكورة وبها الحصب الكثير ، وليس بها ماء جار ، بل
بها جياث عليها سواق ، وبها مرسى للراكب .

صبح الأعشى ج ٥ ص ١٠٤ .

(٢) كذا في الأصل . ولعله : « فإنه » .

الملك الريدراغون وبلاد إخوته وأولاده وممالكه // المذكورة وهى بلاد أرغن وثغورها ٣٢٣
 وأعمالها ، ما يرقه وأعمالها وبلادها ، بلنسية وأعمالها وبلادها ، إقليم برشثونة وأعمالها
 وبلادها ، صقلية وجزيرتها وبلادها وأعمالها ، برنوليه وأعمالها وبلادها ، جزيرة مالطة
 وقوصرة وبلادها وأعمالها ، ميرة ومانسة وبلادها ، واربسويات وأعمالها ، / وما سيفتحة
 الملك الريدراغون من بلاد أعدائه الفرنج المجاورين له بتلك الأقاليم ، آمنة من مولانا
 السلطان الملك المنصور وأولاده وعساكره وجنوده وشوانيه وعمائره . وهى ومن فيها من
 فرسان وخيالة ورعايا وأهل بلاد آمنين مطمئنين على الأنفس والأموال والحريم والأولاد
 فى البر والبحر والصدور // والورود لم وعلى أن الملك الريدراغون يكون هو وأخوته أصدقاء ٣٢٤
 من يصادق مولانا السلطان الملك المنصور والملوك وأولاده ، وأعداء من يعاديه من سائر الملوك
 الفرنجية وغير الملوك الفرنجية .

وإن قصد الباب برومة ، أو ملك من ملوك الفرنج متوجاً كان أو غير متوج ،
 كبيراً كان أو صغيراً ، أو من الجنوبية ^(١) / أو من البنادقة ^(٢) أو سائر الأجناس
 على اختلاف الفرنج والروم . والبيوت بيوت الإخوة الديوية والإسيدتارية ، وجميع
 أجناس النصرى مضرّة مولانا السلطان بمحاربة أو أذية ، يمنعهم الملك الريدراغون ويردّهم
 ويعمّر شوانيه ومراكبه هو وإخوته ، ويقصدون بلادهم ويشغلونهم بنفوسهم عن قصد
 مضرّة // بلاد مولانا السلطان وموانيه وسواحله وثغوره المذكورة وغير المذكورة ، ويقاقلونهم ٣٢٥
 فى البر والبحر بشوانيتهم وعمائرتهم وفرسانهم وخيالاتهم ورجالهم وعلى أنه متى خرج أحد من

(١) نسبة إلى مدينة جنوة ، وكانت لهم مملكة تسمى « مملكة الجنوبيين » وقاعدتها « جنوة » .
 وهى على غربى جون عظيم من البحر الرومى ، والبحر فيما بينها وبين الأندلس يدخل فى الشمال ، وهى
 غربى « بلاد البيازنة » . بها جنات وأودية ، وبها مرسى جيد مأمون ومدخل من الغرب ، وهى على
 حافة البحر ومينائها عليها سور وأنها مدينة كبيرة إلى الغاية وفيها أنواع الفواكه ، ودور أهلها عظيمة ،
 كل دار بمنزلة قلعة . (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٠٦)

(٢) البنادقة طائفة مشهورة من الفرنج وقاعدة ملكهم « البندقية » - هى الآن ميناء بايطاليا -
 وهى على طرف الخليج المعروف بجون البنادقة ، وعمارتها فى البحر - وتخرق المراكب أكثرها ،
 تتردد بين الدور ، ومركب الإنسان على باب داره ، وليس لهم مكان يتمشون فيه إلا الساباط الذى فيه
 سوق الصرف ، صنعوه لراحتهم إذا أرادوا التمشى ، وملكهم من أنفسهم يقال له « الدوك » .
 (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٠٤)

معاهدتهم على مولانا السلطان من الفرنج بَعْكَا وَصُور وبلاد الساحل وغيرها عن شروط
الهدنة المستقرّة بينه وبينهم / ووقع ما يوجب فسخ الهدنة لا يُعينهم الملك الريدراغون
ولا إخوته ولا خيالاته ولا فرسانه ولا أصل بلاده بخيل ولا خيالة ، ولا سلاح ولا مال ولا
نجدة ولا ميرة ولا مراكب ولا شوانى ولا غير ذلك / وعلى أنه متى طلب الباب برومية ،
وملوك الفرنج والروم والتتار وغيرهم من الملك الريدراغون // أو من إخوته ، أو من
بلاده إنجاداً ، أو معاونة ، أو خيالة ، أو رجالة ، أو مال ، أو مراكب ، أو شوانى ،
أو سلاح ، لا يُوافقهم على شيء من ذلك ، لا فى سرّ ، ولا فى جهر ، ولا يعين
أحداً منهم ولا يوافقهم على ذلك / ومتى اطلع على أن أحداً منهم يقصد بلاد مولانا السلطان
بمحاربة أو بمضرة يسير يعرف مولانا السلطان بخبرهم وبالجهة التى انفقوا على / قصدها فى أقرب
وقت قبل حركتهم من بلادهم ، ولا يُخفيه شيئاً من ذلك ، وعلى أنه متى انكسر مركب
من المراكب الإسلامية فى بلاد الملك الريدراغون وبلاد إخوته ومعاهدية يكون ^(١) كل
من فيها من التجار والبحّارة ، والمال والماليك والجوار آمنين على الأنفس والأموال والبضائع .
ويلتزم // الملك الريدراغون أن يحفظهم ويحفظ مراكبهم وأموالهم ، ويساعدهم على عمارة
مركبهم ، ويجهزهم وأموالهم وبضائعهم إلى بلاد مولانا السلطان . وكذلك إذا انكسرت ^(٢)
مركب من بلاد الريدراغون وبلاد إخوته فى بلاد مولانا السلطان يكون لهم هذا الحكم المذكور
أعلاه ، وعلى أنه متى مات أحد من تجار المسلمين ومن نصارى / بلاد مولانا السلطان أو ذمة
أهل بلاده فى بلاد الريدراغون وبلاد إخوته وأولاده ومعاهدية لا يعارضوهم فى أموالهم ، ولا فى
بضائعهم ، ويحمل مالهم وموجودهم إلى بلاد مولانا السلطان ليفعل فيه ما يختار . وكذلك
من يموت فى بلاد مولانا السلطان من أهل مملكة الريدراغون وبلاد إخوته ومعاهدية
فأهلهم هذا // الحكم المذكور أعلاه ، وعلى أنه متى عبّر على بلاد الملك الريدراغون رُسل
من بلاد مولانا السلطان قاصدين جهة من الجهات البعيدة أو القريبة صادّرين أو واردين
أو رماهم الرّيح فى بلاده يكون الرّسل وغلمانهم وأتباعهم ، ومن فضّل معهم من رسل الملوك
وغيرهم آمنين محفوظين فى الأنفس والأموال ويجهزهم / إلى بلاد مولانا السلطان . وعلى أن

(١) فى الأصل : « ويكون » .

(٢) كذا فى الأصل .

الملك الريدراغون لا يمكن الحرامية ولا السكرسالية من التزود من بلاده ولا من حمل ماء ،
 ومن ظفر به من الحرامية يمسكه ويفعل فيه الوا [جب] ، ويسير ما يجده معهم من الأسرى
 المسلمين . ومن البضائع والحريم والأولاد إلى بلاد مولانا السلطان . وكذلك إن حضر أحد
 ٣٢٩ من الحرامية إلى بلاد مولانا // السلطان يجرى الحكم فيه لبلاد الريدراغون متى جرى من واحد
 من بلاده قضية توجب فسخ هذه المهادنة ، كان على الملك الريدراغون طلب من
 فعل ذلك ، وفعل الواجب فيه . وعلى أن الملك الريدراغون يفسخ لأهل بلاده ،
 وغيرهم من الفرنج في أنهم يجلبون إلى الثغور / الإسلامية الحديد والبياض والخشب
 وغير ذلك . وعلى أنه متى أسر أحد من المسلمين في البر أو في البحر من مبدأ تاريخ هذه المهادنة
 من سائر البلاد شرقها وغربها أقصاها وأدناها ووصلوا به إلى بلاد الملك الريدراغون ، وبلاد
 ٣٣٠ إخوته ومعاهدية لبيعهه قيلم الملك الريدراغون فك أسرهم وحملهم إلى بلاد // مولانا
 السلطان . وعلى أنه متى كانت بين تجار المسلمين وتجار بلاد الريدراغون معاملة في بضائعهم
 وهم في بلاد مولانا السلطان كان أمرهم محمولا على موجب الشرع الشريف . وعلى أنه متى
 ركب أحد من المسلمين في مراكب الملك الريدراغون ، وحمل بضاعته معهم وعُدمت
 البضاعة ، كان على الملك الريدراغون ردّها / إن كانت موجودة أو قيمتها إن كانت مفقودة .
 وعلى أنه متى هرب أحد من بلاد مولانا السلطان الداخلة في هذه المهادنة إلى بلاد الملك
 الريدراغون وبلاد إخوته ، أو توجه ببضاعة لغيره وأقام بتلك البلاد ، كان الريدراغون ردّ
 ٣٣١ الهارب والمال معه إلى بلاد مولانا السلطان مادام المذكور مسلماً ، وإن تنصّر // فبردّ المال
 الذي معه خاصة . ولملكة الريدراغون ولملكة أخيه فيمن هرب من بلادهم إلى بلاد
 مولانا السلطان ، هذا الحكم المذكور أعلاه ، وعلى أنه إذا وصل من بلاد
 الملك الريدراغون وبلاد إخوته ومعاهديهم من الفرنج ، من يقصد زيارة القدس
 الشريف ، وعلى يده كتاب الملك الريدراغون وختمه / إلى نائب مولانا السلطان
 بالقدس الشريف ، يفسخ له في الزيارة مسموحاً بالحق ليقضى زيارته ، ويعود إلى بلاده آمناً
 مطمئناً في نفسه وماله ، رجلاً كان أو امرأة ، بحيث أن الملك الريدراغون ، لا يكتب لأحد
 من أعدائه ، ولا من أعداء مولانا السلطان في أمر الزيارة بشيء ، وأن الملك الريدراغون

٣٣٢ يحرس جميع بلاد مولانا // السلطان من كل مضرة ، ويحتهد في أن أحداً من أعداء مولانا السلطان لا يصل إلى بلاد مولانا السلطان ، ولا ينجدهم على مضرة بلاد مولانا السلطان الملك المنصور ، ولا بلاد ولده السلطان الملك الأشرف ، ولا رعاياهم ، وأنه يساعد مولانا السلطان وولده الملك الأشرف في البر والبحر بكل ما يشتهونه ويختارونه ، وعلى أن الحقوق / الواجبة على من يصدر ويرد ويتردد من بلاد الملك الريدراغون إلى ثغرى الإسكندرية ودمياط وإلى الثغور الإسلامية ، والممالك السلطانية ، وسائر أصناف البضائع والمتاجر على اختلافها ، تستمر على حكم الضرائب المستقرة في الدواوين المعمورة إلى آخر وقت ، ولا يحدث عليهم فيها حادث ، وكذلك يجري الحكم // على من يتردد من البلاد السلطانية إلى بلاد الريدراغون . ٣٣٣

تستمر هذه المودة والمصادقة على حكم هذه الشروط المشروحة أعلاه بين الجهتين على الدوام والاستمرار ، وتجرى أحكامها وقواعدها على أجل الاستقرار ، فإن المملكتين بها قد صارتا شيئاً واحداً ومملكة واحدة ، لا تنتقض بموت أحد من الجانبين / ولا بعزل والٍ وتولية غيره ، بل تؤيد أحكامها ، وتدوم أيامها ، وشهورها وأعوامها . وعلى ذلك انتظمت واستقرت في التاريخ المذكور أعلاه ، وهو يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وستمائة للهجرة الحمديّة صلوات الله وسلامه على صاحبها ، الموافق لسبع بقين من شهر أبريل سنة ألف // ومائتين تسعة وثمانين لمولد السيد المسيح عيسى عليه السلام . ٣٣٤

حررت في التاريخ المذكور.

نسخة اليمين التي حلف مولانا السلطان عليها للملك

الريدراغون ولأخوته

أقول - وأنا قلاون بن عبد الله الصالحى : والله ، والله ، والله ، وحق دين الإسلام ، وحق القرآن العظيم ، الذى يعتقده المسلمون / إن هذا الصلح والصدقة ، الذى تقرّر بينى وبين الملك الريدراغون لا أغيرة ، ولا أخرج عنه ما دام الملك الريدراغون وافيّاً باليمين

يُحَلِّقُهُ رُسُلِي بِهَا هُوَ وَإِخْوَتُهُ ، عَنْ نَفْسِي وَعَنْ أَوْلَادِي ، وَعَنْ أَهْلِ بِلَادِي جَمِيعِهِمْ . وَاللَّهُ
عَلَى مَا أَقُولُ وَكِيلٌ .

وَنُسْخَةَ الْيَمِينِ الَّتِي حَلَفَ بِهَا مَوْلَانَا السَّلْطَانُ

الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ بِحُضُورِ وَالِدِهِ - نَصْرَهَا اللَّهُ -

أَقُولُ - وَأَنَا خَلِيلُ بْنُ قَلَاوَنَ - : وَاللَّهُ ، وَاللَّهُ ، وَاللَّهُ ، وَحَقُّ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَحَقُّ
الْقُرْآنِ الَّذِي يَعْتَمِدُهُ الْمُسْلِمُونَ / إِنَّ هَذَا الصِّلَحَ وَالصَّدَاقَةَ الَّتِي تَقَرَّرَ بَيْنَ مَوْلَانَا السَّلْطَانِ
الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ سَيْفِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، سُلْطَانِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ،
سَيِّدِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ وَالَّذِي - نَصْرَهُ اللَّهُ - وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمَلِكِ الرَّيْدِرَاغُونِ / لَا أُغَيِّرُهُ
وَلَا أَخْرِجُ عَنْهُ ، وَلَا أَخْلَى أَحَدًا يَغَيِّرُهُ مَا دَامَ الْمَلِكُ الرَّيْدِرَاغُونُ وَافِيًا بِالْيَمِينِ الَّتِي تُحَلِّقُهُ
رُسُلُ مَوْلَانَا السَّلْطَانِ - نَصْرَهُ اللَّهُ - هُوَ وَإِخْوَتُهُ ، عَنْ نَفْسِهِ وَإِخْوَتِهِ .

نُسْخَةَ الْيَمِينِ الَّتِي يَحْلِفُ عَلَيْهَا الْمَلِكُ الرَّيْدِرَاغُونُ

أَقُولُ - وَأَنَا ذُو فَنَشْ - : وَاللَّهُ ، وَاللَّهُ ، وَاللَّهُ ، وَحَقُّ الْمَسِيحِ وَحَقُّ الصَّلِيبِ ، وَحَقُّ السَّتِ
مَارِيَّةِ // - أُمِّ النَّوْرِ - وَحَقُّ الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي نَقَلَهَا مَتَّى وَمَرْقُسُ وَلُوقَا وَيُوحَنَّا ، ٤٣٥
وَحَقُّ الصَّوْتِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى نَهْرِ الْأَرْدُنِّ فَزَجَرَهُ ، وَحَقُّ دِينِي وَمَعْبُودِي وَاعْتِقَادِي :
إِنِّي مِنْ وَقْتِي هَذَا ، وَسَاعَتِي هَذِهِ ، وَمَا مَدَّ اللَّهُ فِي عَمْرِي قَدْ أَخْلَصْتُ نَيْتِي ، وَلَا فَيْتَ سِرِّي رَتِي
وَسَاوَيْتَ بَيْنَ ظَاهِرِي وَبَاطِنِي فِي مَصَادَقَةِ مَوْلَانَا / السَّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ سَيْفِ الدُّنْيَا
وَالَّذِينَ ، سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، سُلْطَانِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَالشَّامِ وَحَلَبَ وَالرُّومِ وَالْعِرَاقِ
وَالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ جَمِيعِهِمْ ، سَيِّدِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، أَبِي الْفَتْحِ قَلَاوَنَ
الصَّالِحِي ، وَمَصَادَقَةِ وَلَدِهِ - وَلِيِّ عَهْدِهِ الْمَوْلَى السَّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ صَلَاحِ الدُّنْيَا وَالِدِ [يُن] // ٣٣٦
خَلِيلِ ، وَالْمُلُوكِ أَوْلَادِهِ ، وَمُودَتِهِمْ وَالْإِسْتِمْرَارَ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ ، وَأَنْ مَمْلَكَتِي وَمَمْلَكَتِهِمْ تَكُونُ
شَيْئًا وَاحِدًا فِي الْحِفْظِ وَالصَّدَاقَةِ وَالْمُودَةِ مَلِكًا وَاحِدًا ، وَإِنِّي وَحَقُّ الْمَسِيحِ وَالصَّلِيبِ ،
وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ ، صَدِيقُ أَصْدِقَاءِ مَوْلَانَا السَّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَأَصْدِقَاءِ أَوْلَادِهِ ، وَمُعَادِي

مُعَادِيهِمْ وَمُحَارِبٍ مِنْ يَقْصِدُ بِلَادَهُمْ مِنْ سَائِرِ / الْفَرَنْجِيَّةِ وَأَجْناسِ التَّصَارِي كَانَتْ مِنْ كَانَ ،
 وَأَقَاتِلَهُمْ وَأَشْغَلَهُمْ بِنَفْسِهِمْ عَنْ قِصْدِ بِلَادِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ بِحَرْبٍ أَوْ مَضَرَّةٍ ،
 وَأَعْتَمِدَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مَقْتَضَى شُرُوطِ الْمِهَادَةِ وَالصَّدَاقَةِ الْمُؤَرَّخَةِ بِيَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ، ثَالِثَ عَشَرَ
 ٣٣٧ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعَةِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةِ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ // الْحَمْدِيَّةِ ، الْمَوَافِقِ لِسَبْعٍ بَقِيْنَ مِنْ
 شَهْرِ أَبْرِيلَ ، وَالتِّي انْتَضَمَتْ بَيْنَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَوَلَدِهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ وَالْمُلُوكِ
 أَوْلَادِهِ ، وَبَيْنَ إِخْوَتِي الثَّلَاثَةِ ، وَهَمْ الرِّى حَاكِمِ صَقْلِيَّةِ ، وَفَلْدَرِيكِ ، وَدُونِ
 يَبْدُرُوا ، بِحُضُورِ رُسُلِي الْمَذْكُورَةِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي الْمِهَادَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَأَمْرِي لِرُسُلِي بِأَنْ يَلْتَزِمُوا
 عَنِّي / وَعَنْ إِخْوَتِي ، بِجَمِيعِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشُّرُوطِ مَا دَامَتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَالشُّهُورُ
 وَالْأَعْوَامُ ، بِمَقْتَضَى كِتَابِي إِلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ وَخَتَمِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَلَا أَنْقُضُ
 شَيْئًا مِنْ شُرُوطِهَا ، وَأَسْتَمِرُّ بِهَا أَنَا وَإِخْوَتِي وَأَوْلَادِي وَمَمْلَكَتِي ، مَا دَامَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي
 ٣٤٨ لِمَمْلَكَةِ مَوْلَانَا // السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَمَمْلَكَةِ وَلَدِهِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ وَأَوْلَادِهِ
 فِي غَيْرِ تَغْيِيرٍ وَلَا تَبْدِيلٍ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ الْعَظِيمِ ، أَحْفَظُ رَعِيَّةَ بِلَادِ الْمَسَامِينِ كُلِّهِمْ فِي بِلَادِي ،
 وَأَتَوَصَّى بِهِمْ ، وَأَفْعَلُ بِهِمْ بِشُرُوطِ الْمِهَادَةِ الْمَذْكُورَةِ . وَمَتَى خَالَفْتَ شَرْطًا مِنْهَا ، فَأَكُونُ
 مُحَرِّمًا مِنْ دِينِي ، مُخَالِفًا لِعَقْدَادِي ، وَاعْتِقَادِ أَهْلِ / مِلَّتِي . وَالْيَمِينُ يَمِينِي ^(١) أَنَا وَالنِّيَّةُ فِيهَا نِيَّةُ
 مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَنِيَّةُ وَلَدِهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، وَنِيَّةُ أَوْلَادِهِ الْمُلُوكِ ، وَنِيَّةُ
 مُسْتَحْلِفِي لَهُمْ بِهَا ، وَالْإِلَهِ عَلَى [مَا] أَقُولُ وَكَيْلُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَأَنَا » .

ذكر صلح الجنوية

٣٣٩ قد ذكرنا أنه كان قد استولى على طرابلس // جنوى^١ اسمه بنيت زكريا هو وبرتلماء
جبالا. فأما برتلماء جبالا فأنفذ الله فيه حكمه وأماته مينة فرعونية. وأما بنيت زكريا،
فإنه خرج من المملكة والتتحكم في طرابلس إلى التجرم في البحر، وصار كرساليا، وصادف
مركباً خرج من إسكندرية فيه تجار، فأخذهم بعد قتال كثير وسفك دماء لأصحابهم / ودماء
التجار وأخذ الأموال. وخاف من كان بالأسكندرية من الجنوية أن يعود شره عليهم،
فركبوا في مركب وهربوا.

ولما بلغ مولانا السلطان ذلك أمسك من بقي من الجنوية في النغور، ولم يتعرض
إلى شيء من أموالهم، وضيق المسالك على جيش الجنوية، وتبرأ منهم أهل عكا وجميع
٣٤٠ الفرنج // حتى الأشكري. وما وسع بنيت زكريا مكان، فراح إلى جنوة فأنكروا عليه
ذلك وأخذوا منه التجار والمال، وسيروا رسلاً إلى مولانا السلطان يتبرءون من هذا الفعل،
ويبعدون نفوسهم من مثل ذلك. وقالوا: هذا وبلنكير بن بنصال الجنوى الذى جرى منه
تعرض من / مدة إلى جهة الطينة، خرجوا عنا وصاروا كرسالية ولا يجسرون أنهم يدخلون
إلينا، وقد رددنا التجار والمال، وكل ما أخذ من في المركب، خوفاً من سطوة مولانا السلطان
وطالباً لمراضيه. وحلف الرسل بأبواب [مولانا] على الإنجيل، بحضور الأساقفة والرهبان
٣٤١ أنهم ما أخفوا شيئاً من المال ولا أحداً / / من التجار. وسألوا في تقرير هدنة من الآن،
فتوقف مولانا السلطان توقفاً كثيراً، واشتد إنكاره عليهم، وهم يتضرعون ويسألون.
وآخر الأمر، لأجل عمارة النغور، ولأن هذا الجيش يجلبون الأموال، ويحصل للديوان منهم
الجمل الكثير، كتبت لهم هدنة هي.

نسخة هدنة مولانا السلطان مع الجنوية

وذلك بحضور الأساقفة والرهبان

أقول—وأنا ألبرت اسبينولا رسول البوذسطا بالرام ذكر كان والسكنطائية أو برت اسبينولا
وكرات دورنا، والمشايع وأصحاب الرأى والمشورة كمون الجنوية — أحلف بالله ، والله ، والله
العظيم، وحق المسيح وحق الصليب المقدس، وحق الإنجيل // المقدس، إله واحد، وحق
الست مارية وحق الأربعة أناجيل: لوقا، ومتى، ومرقس، ويوحنا، وصلواتهم وتقديساتهم،
وحق الصوت الذى نزل من السماء على نهر الاردن فزجره، وحق الآباء المعمودية، وحق
الإنجيل المقدس، وحق ديني ومعبودي: إننى ألتزم لمولانا السلطان الملك المنصور السيد الأجل
العالم العادل، / سيف الدنيا والدين ، سلطان مصر والشام وحلب ، وسلطان اليمن والحجاز،
سلطان بيت مكة ، البيت العالى — أعزه الله تعالى — سلطان القدس والبلاد المقدسة ، وبلاد
الساحل ، وفتوحات المسلمين وفتوحاته ، سلطان طرابلس الساحل إلى طرابلس الغرب ،
سلطان الشرق والغرب ، سلطان الملوك // ملك سائر العرب والعجم ، سلطان جميع الإسلام
قلاون الصالحى ، وولده السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل — الله يحفظهم
وينصرهم — بمرسوم البوذسطا والسكنطائية والمشايع كمون الجنوية — المذكورين — وجميع
الجنوية: إنهم يحفظون ويحترمون ويكرمون جميع المسلمين لمولانا السلطان / الملك المنصور،
ولولده السلطان الملك الأشرف [الذين] يجيئون إلى بلاد مولانا السلطان ، والذين يخرجون
من بلاد مولانا السلطان ، من سائر البلاد والأقاليم ، من بلاد الفرنج والروم والمسلمين ، من
الرسل والتجار وغيرهم سالمين ومكسورين فى السفن والمراكب والطرائد والشوانى ، وغيرها
من المراكب والبضائع والنفوس [س] ، // وأموالهم ومماليكهم وجوارهم فى مراكبهم فى
البر والبحر ، وفى جميع أماكن كمون الجنوية ، وما يفتحونه من البلاد ويحكمون عليه من
تاريخ هذه الهدنة ، وما دامت الليالى والأيام والشهور والسنون والأعوام دائماً ، وأن جميع
الجنوية يكرمون ويحترمون ويحفظون جميع المسلمين ، الذين يحضرون إلى / بلاد مولانا
السلطان ، والذين يخرجون ويسافرون منها فى البر والبحر ، لا يتعرضون إليهم ، ولا يمكنون

من التعرض إليهم بأذية ، ولا ضرر ، ولا عُدوان ، لا في نفس ولا في مال ، لا في مجيئهم ولا في رواحهم . ويكونون آمنين مطمئنين في نفوسهم وأموالهم وأرواحهم / من جميع الجنوية ، ومن تحت حكم كمن // الجنوية - على ما تقدم ذكره - ، وأنهم يحفظون جميع ٣٤٥ التجار المسلمين وغيرهم ، الذين يسافرون في مراكب الجنوية وغيرهم ، راحين وجائين في جميع الأماكن التي تكون الجنوية وغيرهم ، من بلاد الفرنج ، وبلاد الروم ، وبلاد المسلمين . ويكون من يسافر من المسلمين معهم ومنع غيرهم محفوظين آمنين مطمئنين لا يتقوى عليهم أحد / ولا يؤذيهم في سفرهم ، ولا مقامهم ، ولا سكناهم / وإن سافر أحد من المسلمين في مركب غير مراكب الجنوية من أعداء الجنوية أو غيرهم ، لا يتعرضوا لأحد من المسلمين ، وإن أخذوا عدوهم ، يكون المسلمون جميعهم محفوظين آمنين في نفوسهم وأموالهم ومماليكهم وجوارهم ، في رواحهم ومجيئهم ، ولا يعوقهم // الجنوية بسبب أحد ، ولا يأخذوا المسلم عن ٣٤٦ غيره ، ولا يطلبوه بدئ ولا بدم ، إن لم يكن ضامنا ولا كفيلا .

استقرت هذه الفصول ، وهذا الصلح وهذه الشروط بين مولانا السلطان الملك المنصور ، وولده الملك الأشرف ، وبين البودسقا والكنطائية والمشايخ والمشيرين من أصحاب الرأي / والمشورة كمن الجنوية المذكورين . وحلف على ذلك البرت أسبينولا الرسول المذكور ، بحضور بونفاص صورلا ، ودانيال تنكرد ، وافر بيسكير روب ، ورمير بوكيكرورا فوا القنصل ، وتنكوك فيلروي . وكتب بتاريخ ثالث عشر ماي^(١) سنة ألف ومائتين وتسعين سنة لمولد عيسى عليه السلام .

٣٤٧ وكتب بين السطور / / بالفرنجي نسخة ذلك سطرأ ، سطرأ وكلمة كلمة . وكتب الرسول خطه أعلى هذه الهدنة بالفرنجي بيده . والكاتب بالفرنجي بين السطور بجامك البلنسكرير الجنوي ، كاتب الرسول وكمن الجنوية .

نُسخة خط الأسقف الذي حلف الرسول

حلف الرسول / المذكور البرت أسبينولا ومن حضر محبته من القناصل ، وتجار الجنوية ، على نسخة هذه اليمين والصلح والفصول المشروحة فيها ، بتاريخ رابع عشر آيار سنة ستة آلاف

(١) أي شهر مايو .

وسبعائة ثمانية وتسعين ، بحضورى وأنا الحقير بطرس أسقف مصر ، والإنجيل المطهر بين
يديّ ، ويد الرسول وهو واقف // مكشوف الرأس . وكتبت ذلك بخطّ يدي ، شهادة ٣٤٨
عليهم ، بأنهم جلقوا باليمين العظيمة على الإنجيل والصليب بحضور من يضع خطّه من الكهنة
والرهبان .

نسخة خطوط من حضر هذا الحلف

حضرت ذلك وشهدت به ، وكتب الوجيه كان وهو الآن أرساني . غيره : حضرت /
ذلك وشهدت به وكتب أرساني الرئيس بدير القصر . غيره : حضرت ذلك وشهدت به
وكتبه الثرس متى . غيره : حضر ذلك وشهد به ميخائيل الراهب من دير طور سيناء . وبعد
ذلك بالفرنج خطوط جماعة : بونفاص القنصل الجنوى ، أنسكيز صاحب السفينة التاجر ،
دانيال شعار التاجر // رافو القنصل ، المحتشم دينسر برکه تنسكره . ٣٤٩

تحررت هذه الفصول المذكورة ، فى يوم الأحد ثانى جمادى الأول ، سنة تسع وثمانين
وستمئة ، أحسن الله خاتمتها . وقرأ ما فيها من القلم الفرنجى المنقول إلى العربى شمس الدين
عبد الله المنصورى . وترجم عليه لتحقيق التعريب ، والشهادة بصحته سابق الدين / الترجمان
وعز الدين أيبك السبكى الترجمان [ن] فى التاريخ المذكور .

ونسخة اليمين التى حلف عليها الرسل

وكتبوا خطوطهم عليها بالفرنجى بحضور الأسقف

والله ، والله ، وحقّ المسيح ، وحقّ المسيح ، وحقّ الصليب ، وحقّ
الصليب ، وحقّ الأب والابن والروح القدس ، وحقّ الست // مارية أم النور ، وحقّ ٣٥٠
الأنجيل الأربعة ، التى نقلها متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحقّ التلامذة والحواريين ، وحقّ
الصوت الذى نزل على نهر الأردن فزجره ، وحقّ دينى ومعبودى واعتقادى فى دين
النصرانية ، وحقّ اللاهوت والناسوت والثالوث ، وحقّ السيد يسوع المسيح الرب المعبود :
إننى / لم أخف شيئاً مما وجد لهؤلاء التجار المسلمين ، من أموالهم ولا بضائعهم ، ولا اطلعت
على أنه بقى منهم أحد فى الأسر ، ولا على أنه بقى لهم شيء عند أحد من الجنوية وأخفيته ،

وكاسرت عنه ، وإنتى والله وحق المسيح، لم أحضر معى ولا مع رفقتى، مبلغاً عَوَضَ ما عُدِمَ
لهم من السكون، ولا من الجنووية أخذته غير ما// أحضرته ثمن السكر، والسكتان، والنفل،
وثنى المركب وهو ألف وستمائة دينار، ولم أحضر زيادةً على ذلك، وإن هذه الجُمْلَةُ المحضرة
هى التى أُبيع^(١) بها المركب، والسكر، والفلفل، والمركب وعُدَّتْها من غير زيادة على ذلك
ولا نقص . وإن ظهر بعد هذه اليمين ما يُخالف شيئاً منها وظهر / أن نحن أخفينا أحداً من
هؤلاء المسلمين [أو شيئاً] من مال هؤلاء التجار، أو خبأناه، أو تركناه وراءنا، ولم نحضره،
أو أحضرنا صحبتنا مبلغاً عَوَضَ ما عُدِمَ لهم، وشهد علينا بذلك أحد من جنسنا، أو ممن يقبل
قوله من غير جنسنا، كان علينا غرامته وقيمته قيمة ما يظهر، وإنتى والله، وحق المسيح،
ما أخفيت شيئاً من ذلك، وإن كنت // قد أخفيت شيئاً من ذلك من مالهم وبضائهم،
أو أعلم من أخفاه، فأكون سحرُوماً من دينى، مُعْتَقِداً ما يُخالف الرب المسيح ولا هُوتَه،
وإنتى لم أعلم غير ذلك .

نسخة الشهادة عليهم

شَهِد - وأنا بطرس أسقف مصر الملكى - على جميع ما فى أعلى هذه الورقة، على
رسول / الجنووية، واسمه ألبرت أسبينولا رسول الجنووية . وكتبت خطى نهار الخميس تاسع
أيار سنة ست^(٢) آلاف وسبعمائة وثمانية وتسعين :

(١) كذا فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل .

ذكر ورود رُسُل الحبشة إلى أبواب مولانا السلطان

✓ ٣٥٣ في شهر رمضان سنة تسع وثمانين وستمئة ، وَرَدَ رسولٌ من جهة الحبشة ترجمته : //
 المملوك الحُب سُلَيمان / ملك الحبشة يكباب^(١) صهيون مضمونة : أنه أرسل رسولاً بسبب
 السَّلام ، ومعه لأجل البيت المقدس : ثوب عمل الحبشة ، ومائة شَمعة للوقود في الهياكل .
 وسأل إنفاذ ذلك للرُّهبان الحُبوش المقيمين بالقدس الشريف ، ويوصى عليهم بالألّا يُمنعوا
 من دخول / الهياكل . وقال : إنه سِيرَ صُحبة يوسف بن عبد الرحمن شريفي ، حُرَّبة مُذهبة
 مشعل ، ويسأل في إنفاذ مطران لإصلاح بلاد الحبشة التي فيها النصارى والمسلمين . وقال :
 إنه ما هو مثل والده^(٢) ، وإنني أحفظ المسلمين في جميع ممالكتي ، ومولانا يحفظ النصارى في
 بلادِهِ حتى نصير مَشُورَةً واحدة // ويداً واحدة ، وتواصل الرُّسل من الجهتين . والذي
 جَرَت العادة به عند إنفاذ المطران ، من الخدام والجواري ، والذهب والأصد ، ويصل مع
 رسولي . وكان يطلب يُسِيرُ ذلك صُحبة رسوله يوسف ؛ لكن تأخَّرَ لأجل المطران الصريان ،
 الذي أتلَف البلاد في زمان والدي - هو من أعداء المسلمين - واشتَمَى أن تُحضر / المطران
 المطلوب صُحبة رسول السلطان وصُحبة رسولي ، وأنا أنتظر جواب السلطان ، بما يصلح المسلمين
 والنصارى حتى تنصَلح بلاد الحبشة . ولا يقول السلطان : ما وصلتني العوايد^(٣) التي
 جرت العادة بها عند طلب المطران . فإذا وصل صُحبة رسول السلطان ورسلي ، عملت
 ما يشتهي السلطان ويوصي // على البطرك . ٣٥٥

وفي طيِّ الكتاب ورقة مضمونها : إنني سِيرَت الكتاب ، الذي كان السلطان سيره

(١) هو الملك يَجِباً صيون (صهيون) والملقب أيضاً سلمون (سليمان) حكم (١٢٨٤-١٢٩٣م) .

(٢) والده هو الملك يكونو أملاك (١٢٦٩ - ١٢٨٤) .

(٣) يريد : العوائد .

إلى والدى . والكتاب بخط المملوك مؤلف هذه [السيرة] الشريفة عن الملك الظاهر^(١) ،
تاريخه : مُستهل شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، ألقابه ، وصلت مكاتبة حضرة
الملك الجليل الهمام العادل في مملكة حطّى / ملك أحرأ^(٢) ، أكبر ملوك الحبشان ، الحاكم
على ما لهم من البلدان ، نجاشي ، عصره سيف الملة المسيحية ، عضد دين النصرانية ، صديق
الملك والسلاطين ، ومضمونه^(٣) : إن كتابك تضمن طلب مطران ، ولم يحضر من جهتك
رسول يكون الاختيار بحضوره ، لأن كتابكم يتضمن أن المطران المطلوب ، يكون لا يحب
ذهبا // ولا فضة ، ومن يتصف بهذا الوصف ، لا يُختار إلا بحضور رسولك . وكان كتاب ٣٥٦
السلطان الملك المنظر صاحب اليمن ، يذكر أن كتاب الملك وصل إليه صحيفة قاصد بطلب
المطران ، وأنه أقام عنده حتى يسير الجواب ، وقد سير الجواب ، ووصلت ورقة باسم صالح بن
ياسين / بن عبد الرحمن بن شريف ابن أخى الرسول الوامل من الحبشة قال : إنه كان في

(١) راجع كتاب ملك الحبشة إلى الملك الظاهر في ملاحق هذا الكتاب .

(٢) يعرف ابن الفرات ج ٧ ص ٢٣ أحرأ فيقول « اعلم أن أحرأ إقليم من أقاليم الحبشة ، وهو
الإقليم الأكبر وصاحبه يحكم على أكثر الحبشة السجرت إلا القليل مثل بلاد الدماوث والحزلي وصاحب
بلاد أحرأ يسمى حطّى يعنى الخافضة ، وكل من ملكها ينعت بهذا النعت . ومن ملوك الحبشة يوسف بن
أرسماية صاحب بلاد حدايه وشوا وكلجور وأعمالها وفوقهم ملوك مسلمون . وأما بلاد الزيلع وقبائلها فما فيها
ملوك إلا قبائل وهم سبع قبائل مسلمون وخطباؤهم يخطبون باسم مقدمهم . وقصد صاحب اليمن أن يبنى
عندهم جامعا ليخطب له به فما مكن من عمارته . والطريق إلى أحرأ من مدينة اليمن عوان وهى ساحل بلاد
الحبشة وعساكره كثيرة ويحكم هذا الملك على أكثر ملوك الحبشة .

(٣) يذكر ابن الفرات ج ٧ ص ٢٤ « قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك
الظاهر : فكتبت جواب الكتاب عن السلطان وهذه نسخته : ورد كتاب الملك الجليل الهمام العادل
في مملكة حطّى ملك أحرأ أكبر ملوك الحبشان الحاكم على ما لهم من البلدان نجاشي عصره صديق الملوك
والسلاطين سلطان الأحرأ حرس الله نفسه وبني على الخير أسه فوقنا عليه وفهمنا ما فيه ، فأما طلب المطران
فلم يحضر من جهة الملك أحد حتى كنا نعرف الغرض المطلوب ، وإنما كتاب مولانا السلطان المنظر ورد
ومضمونه أنه وصل من جهته كتاب وقاصد وأنه أقام عنده حتى يسير إليه الجواب . وأما ما ذكره من
كثرة عساكره وأن من جملتها مائة ألف فارس مسلمين فآلة تعالى يسكن في عساكر الإسلام ، وأما وخم
بلاده فالآجل مقدرة من الله تعالى ، وما يموت أحد إلا بأجله ومن فرغ أجله مات ، والله أعلم .

مكة، وحَضَرَ إلى عيذاب^(١)، فوجد عمه قد وصل رسولا من الحبشة وأنه مات بعيذاب،
ويشتكى من صاحب زكاة عيذاب، عمر بن الفا كهاني .

ووصل رفيق المتوفى، ووصل الرسول الأصيل وهو حبشي الجنس . ووصل كتاب
بالخط // العربي من داود بن العزّاء النَّصراني - وزير الملك - مضمونة : أنه سير هديّة خادما،
ويعتذرو ويشكو^(٢) من المطران السرياني ، ويقول : إنَّ رَسْم المطرانية يُسيِّره إن شاء
الله تعالى .

تعريب كتاب ورد بالحبشي

إلى البترك^(٣) واسمه بالحبشي يكباسيون^(٤)، وبالعربيّة سالمين، إلى البترك بمصر /
مضمونه : أتوسّل للبترك - بطرك الإسكندرية - أبو يحنس، ونسلمّ عليه بالسلام الذي
سلم به على مرقص، وأنذر يانون يكون عليك : اسمع كلامي، واقض حاجتي، وابعث لي مطرانا
أسقف جيّد صالح، يعلمني كل شيء جيد، ويكون مثل ماضرب داود عليه السّلم^(٥) المثل في
الزّبور من شأننا . وقال : خلّوا رجالا // جيادا من قبْط مصر يحضرون إلى بلاد الحبشة
بعلّونكم العبادة والزّهد . وقال في وصيته : لا تخلي يابني خروفاك يأكله الذّئب ، وهؤلاء

(١) عيذاب : يستخلص مما ورد في كتب رحلتى ابن جبير وابن بطوطة والخطط المقريزية أن عيذاب
كانت على بحر القلزم الذي يعرف الآن بالبحر الأحمر في صحراء لا عمارة فيها ، ولكنها كانت من أشهر
المراسي في البحار تأتي إليها سفن البن والحبشة والهند ، وكانت في الزمن الماضي طريق الحج المصرى يسير
إليها الحجاج عن طريق قوس ثم يركبون البحر منها إلى جدة .

وقد أفام حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتي سنة يتوجهون إلى الحجاز عن طريق صحراء عيذاب ثم
✓ يصل استعمال هذا الطريق في سنة ٧٦٦ هـ . وورد في الخطط التوفيقية (ج ١٤ ص ٥٦) عند الكلام

على عيذاب أنها كانت في محل مدينة بيرينيس (برنيقة) الواقعة على البحر الأحمر تجاه أسوان .

وعيذاب قد اندثرت في القرن العاشر الهجرى وتلاشى طريقها وتحول عنها طريق الحجاج والقوافل

التي كانت تسير بين عيذاب وقوس إلى طريق السويس فالعقبة فالساحل الشرقى للبحر الأحمر إلى جدة .

ولم تكن عيذاب محل مدينة بيرينيس كما ذكر في الخط التوفيقية فإن هذه تقع على البحر الأحمر جنوبى

رأس أبو فاطمة على خط عرض ٢٢ درجة و ٢٠ دقيقة يقابلها من الغرب على النيل قرية أبو سنبل التي

بمركز الدر الواقعة شمال بلدة وادى حلفا على بعد ٦٦ كيلو مترا منها .

(النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٩ . هامش ٢)

(٢) كذا بالأصل .

(٣) البطريرك : هو يوانس السابع (١٢٧١-١٢٩٣) .

(٤) أى يجيأ صيون .

(٥) أى السلام .

السريان المطارنة، الذين عندنا من غير مصر بفضناهم، وماحبيناهم : ولأجل محبتنا في بطركية مصر، ما خليناهم عندنا أساقفة وطردها . وما كانوا قعدوا عندنا إلا بوالدنا / لأنه ما كان عنده أحد من جهتك، والساعة لا تخرب مدينتك ، وتسير إلينا مطرانا حتى يشكر الرب المسيح . واذكر مرقص^(١) لا تخلينا بخطيئتنا ، وإن كنت وحدك تقدر تسير إلينا مطرانا فسيره، وإن كنت ماتقدر فيم رسوم مولانا السلطان . وبعد هذا منهما اشتهيت نسيته إليك ، ولا تخلي هؤلاء السريان // في بلادنا، ونخرجهم إذا قلت : اطردهم . وإن قلت خلوهم خليناهم . وأنت أنكرت علينا بسببهم ، فاغفر لنا هذا الذنب، حتى لا تبقى علينا خطيئة . واغفر لكل من عندنا وتكون بركتك علينا في الحياة والموت .

٣٥٩

كلام آخر: السلام يامنصور، اسمع ياسلطان مصر-نصرک الله: أعطى البطرك/الدستور يبعث لي أسقفاً، فنحن وهم : أمانتنا واحدة من زمن مرقص ، وإلى اليوم . والرسم الذى لك والتقدمة ، أنا أعطيك إن سيرت لي أسقف ، وإذا سيرته أنا أتقصى منه عن رسمك ، ومهما قال فعلته .

كتاب آخر بالحبيشى من سلطان الحبشة إلى القدس الشريف ، إلى قبر المسيح ربى : سلام عليكم // يارهبان الحبوش الذين صبروا على العبادة والزهد إلى هذه الأيام، وصبرتم على الحر والبرد . وقد سيرت لكم ثوب أحمر ديباج، ومائة شمعة، وثيابى وهو زنارى الذى تلبسه السلاطين ، حتى تلبسونه وقت القران : ماهو كل يوم ، إلا من يوم العيد إلى يوم العيد ، ولا يلبسه إلا القسيس الذى يعمل القران ، فعرّفنى / بوصول هذا ، واكتبوا أسماءهم ، واذكرونى في صلواتكم ، بدعواتكم ، واقبلوا ماسيرته : فهو في سرير سلطانى ، وزنارى . ولا تنسونى كل يوم^(٢) .

٣٦٠

(١) أى مرقص الرسول أول بطاركة التيط .
(٢) أى أن يذكر اسمه في القداس اليومى وفي الصلوات اليومية .

ذكر حضور رسول الغرب من جهة تونس

٣٦١ كان قد وفد إلى أبواب مولانا السلطان، جماعة من أكابر الغرب مثل // (١) ولما بلغ صاحب تونس - وهو الأمير أبو حفص (٢) - خبر وصولهم، وما عاملهم مولانا السلطان به من الإكرام، والاحتفال، وما أعطاهم من التثايف والإناعام والافتقار والإقامات، خاف عواقب ذلك، وسارع إلى استعطاف مولانا السلطان، وطلب مرضيه، وقصد تسج المودة واتحاد الخواطر. فسير رسوله قاضي القضاة وفي اصطلاحهم - [قاضي] الجماعة - وبهذا الاسم يسمى قاضي القضاة عندهم. فحضر في جماعة كثيرة وتجمّل عظيم وأبهة.

٣٦٢ ولما وصل إلى مصر، سير مولانا السلطان جماعة من الأمراء الأكابر لتلقيه من مصر، وأنزل بدار الوزارة // وحملت إليه الإقامة، وشمله التثاقف بكل شيء. وكان وصوله في التاسع من شوال.

(١) بياض بالأصل بمقدار ثلاثة أسطر.

(٢) هو الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص. كانت مدة حكمه بتونس إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر - وتوفي ليلة الجمعة رابع عشر ذي الحجة سنة ٦٩٤ هـ. وبويع بعده أبو عبد الله محمد المعروف بأبي عصيدة.

(السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٨١٠)

والحفصيون يدعون النسب إلى عمر بن الخطاب، فيذكر القلقشندي؛ صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٧٦ عن ملكوا تونس، فيقول: «كانت قبل الإسلام بيد البربر حين كان معهم جميع المغرب، ثم اتت عليها منهم الروم والفرنج إلى أن انتهت حال الفتح الإسلامي إلى جرجيس ملك الفرنج في جملة ممالك المغرب، ودار ملكة يومئذ سيطرة إلى أن فتحت في خلافة عثمان - رضى الله عنه - على يد عبد الله بن أبي سرح، وتوالت عليها نواب الخلفاء وصارت دار المملكة بها «القيروان» حتى صارت منهم إلى بني الأغلب، ثم إلى العبيدين بن عبد الله المهدي ثم الموحد بن المهدي بن تومرت. وهي مستقرة بيد الحفصيين منهم وهم يدعون النسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه. وتسلسل بالنسب إلى أن انتهى إلى عمر بن الخطاب.

ولما كان يوم الثلاثاء حادى عشر شوال ، استدعى هذا الرسول فحضر ومعه :
هدية جايلة من خيول عدتها ثلاثون حصاناً وعليها الجلال المذهبة ، وأحضر ماينيف على
الثمانين جمل ، عليها من كل شئ يهدى من الغرب مما يليق بهدايا / الملوك من كل نوع .
وقبل السلطان هديته وأكرمه وشرفه وكتب أجوبته . وجّهز على ما يحب . وكانت
مكاتبتة على عادة أهل المغرب فى مكاتباتهم . وكتب جوابها بمثل ذلك .

ذكر خلاص الأمير عَلَم الدِّين سنجر الحلبي والاحسان إليه

٣٦٣ وفي يوم الخميس سادس شوال ، اقتضت رحمة مولانا السلطان // الإفراج عن الأمير علم الدين الحلبي ، على حين غفلة من أهله ومن الناس . ولم يعلم أحد به إلا وهو قد خلع عليه من باب الحبّ وأحضر إلى السلطان . فنزل له عن منبر المُلْك والتقاء واعتذر إليه . وخرج من عنده ، فحمل إليه كل ما عوّضه عمّا ذهب . وفي ساعة أعاد له كل ما فاتته في هذه المدة ، وعمر بيوته بكل نوع من خيول وأمتعة / ودنانير ودراهم . وحمل إليه مولانا السلطان [ن] الملك الأشرف ماعمّ آماله وأصلح أحواله . وكتب له منشور بمائة طواش ، ونزل له مولانا السلطان الملك الأشرف عن خاصّه الذي كان يجري في ديوانه إشاراً له . ولما خرج السلطان بعد أيام متوجّهاً إلى الشام ، خرج طلبه على أعظم أبهة ، وكثرة وجلالة وتجمل . //

٣٦٤

ذكر الحركة إلى الشام المحروس

لما تأكد عند مولانا السلطان غدر الفرنج بعبكا وبغبيهم، وما جرى منهم، وما اعتمدوه من قتل المسلمين بعبكا، ونهب أموالهم، وتواصلت كتب النُواب من كل جهة بما اعتمدوه وما ارتكبوه، ووصلت كتبهم يقولون: إن هذا الأمر إنما جرى من فرنج الغرب، وقد شفقنا / منهم جماعة، واعتذروا بهذه الأعذار التي ما قبلها السلطان ولا سمعها منهم، وردَّ على من نقلها عنهم، عزم وتوكل على ربه وأذن الأعداء بحربه. وأحضر جميع الجنود إلى يوم الخروج الموعود، ونفق في جماعة الأمراء أموالاً لا تحصى كثرتها، ولا تعدَّ مبرَّتها. وسيرَّ شيئاً كثيراً من الزردخانة العظيمة التي ما // جُهِزَ مثلها في وقت من الأوقات، ٣٦٥ ولا في غزوة من الغزوات. وأمر بتقدُّمها، فتقدَّمت واستخدم جماعة كبيرة من حجاجين وصُنَّاع من الحُدَّادين والنجارين، ونُفقت الأموال في الجميع. وكتب إلى جميع البلاد الشامية بإخراج المجانيق والآلات والعُدَد والأسلحة، وإخراج الأبقار من البلاد لأجل المجانيق / وإخراج الرجال بأزوادهم من كل بلد على قدره، وتوجَّه الأمير عز الدين الأفرم أمير جاندار إلى دمشق لتجهيز ذلك، فجَدَّ المسير، وأحسن المصير، وشرع في ذلك أتمَّ شروع. وكتب إلى الأمير شمس الدين سُنقر البكتُوقي بالنزول هو والأمراء المجرِّدون معه في (١). وجَهِز جيشاً إلى الحجاز لحجِّ مكة // وجيشاً إلى الغزاة لحج ٣٦٦ أهل عكة، وركاباً كثيرة إلى الحجاز لحمل الأزواد لكل معتاز، وركاباً إلى أهل دار

(١) كذا في الأصل ولم يذكر مكان النزول.

الحرب لجل الأسلحة والآلات لكل غاز ، وجَهَّزَ علماء إلى مكة المحروسة يتكثَّر به العلمان ،
وعلماء إلى بلاد الفرنج : فكم داخل الرُّهْب به الرُّهبان ، ولأنَّ للبلاء قسطلان ، فطلب
الأمان ملك / الأمان .

ولما تَجَهَّزَت هذه الأسباب ، ولم يبق إلا حَظَّ رجله في الركاب ، ركب من
قلعته في (^(١)) من شوال والظَّالغ الدالى ، والمريخ في شرفه ، وكان

موكباً عظيماً ماروئى مثله كثرة وجلالة وأبهة ، وحضره رسل الملوك وخيم بباب النصر -
منزلة العادة - ومابقى إلا السَّقر ، والقدر يقول / / أين المفر ، وإذا بالعنان

٣٦٧

المرسل قد اتثنى ، والأمل يقول . قد رفع العنا ، والموت يقول : إلى أين السير ،
والتقديم يصير إلى التأخير . وذاك بأن مولانا السلطان حصل له مرض كان به يُدافع

مزمدة وهو يتجلَّد ، ولا يزداد ألمه إلا شدة ، فلما انقطعت الأسباب ، وبلغ أجله
الكتاب ، ولم تحمه جيوشه / ولا جنوده ، ولا بعوته ، ولا حشوده ، ولا رماحه ، ولا سيوفه ،

ولا سلاحه ، ولا حصونه ، ولا حصنه ، ولا معاقله ، ولا مدنه . وأخذ من بين كثرة عدده
وعدده بمفرده ، وبه نُفِج الغيل بأسده ، والإسلام بسنده ، فيالها مصيبة ، مصيبة السهام ،

ونازلة فُجِع بها الأنام ، وحسرة سوَّدت بها وجوه الأيام ، لولا أن الله تدارك الأمة بلطفه ، //

٣٦٨

وأبقى لهم نوراً لم يُطفئه . وذاك بولده السلطان الملك الأشرف صلاح الدين أبى الفتح
خليل ، فإنه قام بهذا العبء الثقيل . وكان الله في تلافى ذلك حسبه ونعم الوكيل :

وذلك أنه لما اشتدَّ مرض والده باشر الأمور ودبَّها ، ورتَّب القواعد وقررها ،
وصار البريد تُقرأ عليه كتبه الواردة ويحيب عنها / أحسن الإجابة ، وينزل في كل يوم من

قلعته إلى الحُجِّم يتلقى بصدرة جميع الأمور ، ويصلح أحوال الجمهور ، ويعود عشية إلى قلعته .
فلما قضى والده - رضى الله عنه - نحيبه ، ولقى ربَّه ، نزل على عادته فأقام وعاد في خدمته
ممالك والده . وذلك في يوم السبت سادس ذى القعدة .

(١) بياض في الأصل .

ولما أصبح يوم الأحد استدعى / / بالخزائن وجميع البيوتات وجميع الناس ٣٦٩
 وطلعوا إلى القلعة . وكان قد طلع بوالده خفية فغسل وكفن ، وصلى عليه ،
 وجعل في بعض أماكنه من القلعة ، وحصل الشروع في ترتيب مكان دفنه ،
 الذي تتلقاه منه الجنات ، وتهيأ له بعده العرفات . فأها لها خفيعة فصمت ، عرى الجلد ،
 وقصمت ظهور أمة لم يجز ذلك لهم / في خلد . واحتسب الله أجر هذه الغزوة التي علمها
 كل أحد ، وكل بلد ، وكل مدد ، وكل مشرك وكافر ، وكل مناف ومنافر . قال الله تعالى
 « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ^(١) »
 ولا خلاف بأنه قد وقع على الله تعالى أجره ، ورفع عند الله بذلك قدره ، وشاع // بين ٣٧٠
 الكرام الكاتبين ذكره . فرحم الله تعالى تلك الروح الطاهرة ، وتلك النفس النفيسة ، التي
 ما انتقلت من ملك الدنيا إلا إلى ملك الآخرة ، ولم يتلقه الحور المقصورات في الخيام إلا من
 الخيام ، ولم يؤخر دخول الناس للسلام عليه في مرضه إلا لتدخل الملائكة عليه من كل باب
 بالسلام في دار السلام . وقبض الله له / من الميزة ، أن قبض رُوحه الشريفة في سنة تسع
 وثمنا [نين] ، وفي مثلها قبضت روح السلطان الشهيد الملك الناصر صلاح الدين . ولما كان
 () ^(٢) وهي الساعة التي تهيأ لها رضوان خازن الجنان ، وتهافت الحور العين على الظهور
 للعيان ، ووفى بوعده بشير القرآن ، وقالت // الأحاديث النبوية بالقبة الشريفة : إلى ، ٣٧١
 وقالت تفاسير الكتاب العزيز : هلم إلى مكاني الذي به لا ينطق عن الهوى ، ولا يبدل القول
 لدئ ، وقال الضريح الشريف : أنا مهبط لأعظم نور ، وباب إلى قصور الحور ، وإلى
 ينتهي حدود بركات البيت المعمور . فما كان بأسرع مما أقبلت وفود الملائكة في أبهى
 زى / وأبهر زينة ، وأنى التابوت فيه رحمة من الله وسكينة ، والأرض قد كادت تميل
 وتميد ، والألسنة أدباً مع الله لا تبدىء بغير الذكر ولا تعيد ، والسلطان الملك الصالح
 نجم الدين أيوب ^(٣) يقول : مرحباً بأكرم جار جيد جديد ، وأهلاً سهلاً بالضيف الذي
 تولى الله ضيافته ، وإضافته فلم يحوجه / لقار غير قار للكتاب المجيد .

(١) سورة النساء آية ١٠٠ .

(٢) يياض بالأصل على قدر سطر (٣) آية ٥٣ سورة الشورى .

ولمّا وضع حيث ودّت القلوب ، لو كانت من أول وهلة بناء تلك الوهدة ، وكل جبين
لوصير . وساد ذلك الجسد الشريف في تلك الرقّة ، والصفيح لو تجافى تلك الحفرة الطاهرة
التي بها كل خير مجموع ، ولكل رحمة ينبوع ، وألّا يجعل غير السماء سقفها المرفوع ،
تباشرت ملائكة الليل / والنهار بصعودها بصالح الأعمال ، وقعودها بأشرف بقعة يسبح
الله فيها بالغدو والأصا [ل] رجال .

وقال ضريحه الشريف : هذا محراب ملك طالما حمد الله فسمعه ، وأدركه
الموت ، وقد خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ، فوقع أجره على الله فما ضيعه
فيما صنعه . وهذا الذي ترك زينة الدنيا فما لقي الله إلا بلباس // الفقراء ، ودليل ذلك ما على
من هذه المرقعة ليتعظ بذلك كل من دان له الجمهور ، وكل من فاجأه المقدور ، وكل من فتح
الحصون والمدائن والنغور ، وليتل كل ملك ومالك : ألا إلى الله تصير الأمور .^(١) فليهنه رضى الله
عنه ، مقعد صدق عنه مليك مقتدر ، وليهن ولده السلطان الملك الأشرف نصره الله أنه /
بغزوات أبيه وجهاده يفتخر ، وأنه بصدقاته وترحمه على أبيه سامحه الله وأن ذنبه غفر .

ومما نظم المملوك جامع السيرة مرثياً ، ويشرح الحال واصفاً ومهنناً

مولانا السلطان الملك الأشرف نصره الله :

لو تحامى ذا قدرة مقدور	كان يُحمى قلاون المنصور
وحتمه معاقل وحصون	وحتمه مدائن وثغور //
وحماه من خيله كل طرف	كل طرف إذا رآه حسير
وحماه من جيشه كل شهم	كل سهم عن مرتماه قصير
كل ألف للحرب يقدم ألفاً	حبذا الجار منه والجزور
وفداه من ماله كل ما لو كا	ن ماء لقليل هذى البحور
وفدته مراكع كنّ لولا	ه تولى خرابهن الكفور
ملك ممالك عوض الجيب	ش يقول العدو هذا النشور

(١) آية ٥٣ سورة الشورى .

وله من كتائب السكّتب جيش
ما حماه هذا ولا ذا ولا ذا
بعد أن أرسل العنان وقالت
وتهادت إلى البلاد جنود
والجنانيق في الجبال تهادي
قد بكأها الحام حزناً على قطـ
والحديد استغاث مما شجاه
ذاب قلبي ولم أخل قط أنى
والمنايا تقول للحزم والعز
فأتت والسيوف لم يبق إلا
والقنا أرسلت لها عذبات
والخيام اغتدت من الحزن والله
وصهيل الخيل تحكي نواحاً
قائلات خابت لغزو ظنوف
أودعها عزيمة صار منها
وظهور تنوء منه ظهور
كم قلوب لما تمرض قالت
أم ترى الأرض قد بها خسف
وتمتنى كل أمرىء لو يوافيه
قد تجافاه عائدوه وقالوا
كيف لا وهو في جنان خيامه
واغثدوا خيفة عليه ومنه
لم يزل سقمه يزيد وشكواه
فأتاه ما يذهل العقل واللب
باحضرار له ملائكة الرحمة

منه تسطو على الصفوف السطور/
ك وجاءت بعد الأمور أمور
عكة إنتى إلى المصير
كل سهل على سواها عسير
كغياض على الرقاب تسير
مع غصون له بهن وكور
من تلظ وقال ما لى عذير
بعد داود ذالمصير أصير //
م رويداً لا بد أنى أزور
أنها من غمودها ستبور
خاف من عظم فالهن الحذور
كل تراها كأنهن قبهـور
والبواكى فى كل دار تدور
فالعدى للندير منها ندور
للتامدى إلى الأعادى فتور/
وصدور تغتم منه صدور
أما الآمال فيها فطور
الله تعالى بالخلق فهى تمور
له نصيب من سقمه موفور
آذبا ما لنا إليه عبور
وخيام الجنان فيها الحور
لا أمير يرنو ولا مأمور
تنادى أن الحياة غرور
لديه ومنه يعمى البصير //
والعفو والقبول حضور

ووفاة وافى له والزايا
وللنايا تقول أين الذى كان
أين من كان ملكه يملأ الأرض
أين من كان عدله يكشف الظلم
أين من شرّد التتار بحمص
وله المرقب استكان ولولاه
والذى ذلّ فى طرابلس الكفر
بعد أن خيمت بحار لديها
وتسامت على ملوك سواء
حكّمته يد السعادة فيها
سلمت من بها وقالت دماهم
سبقتهم ملائكة السخط للبحر
وأرّتهم فى البحر نار سعيير
كتب الله كل ذاك الملك
فضى وهو فى الجهاد وفى
فائن كان فقدّه أظلم الأرض
ملك أشرف صلاح لدنيا
أكرم الناس راحة وعطاياه
واهب للألوف مالاً وخيلاً
فإذا اردتادكم لديه مشير

٣٧٦

من سطاء وخوفه تستجير
مجبراً إذا الزمان يحور
فكم منبر له وسرير
ومنه داجى الظلام ينير
فإلى اليوم جيشهم مكسور
تعالى لأبلّ تعالت ضخور/
بعرز له ونعم النصير
وعليها جبّ لها مزور
وهى من دونهم إليه تشير
فأتاها من البلاء ثبور
اسمعوا من شهيقتهم أن فور
وقالت من هاهنا لانبجور
وعجيب فى الماء يلقى سعيير//
أجره فى صحائف مذخور
الغزو وفى الفتح سيعه مشكور
فكم بابنه تعقب نسور
ولدين فأنخير منه كثير
تنادى إلى أين الفقير
ويرى ذاك أنه تقصير
وإذا جاد ما عليه مشير

تته

قد آثرت أن ألحق بهذا المتن تنمة تشمل معاهدات ، وعهود ، وتوقيعات ، ومنشورات ، وإيمانات ، وتذكرات ، وتقليدات ، وتقويضات ، صدرت كلها في عهد الملك المنصور قلاوون .

وهي - لا شك عندي - جزء متمم لهذا النص ، لا سيما أن أكثرها من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر - كاتب هذه السيرة - وبعضها من إنشاء القاضي فتح الدين ابن عبد الظاهر ، ثم كاتب الدرج ابن المكرم . هذا ، وقد رتبها ترتيباً زمنياً على قدر المستطاع .

نسخة يمين حلف عليها العساكر للسلطان الملك المنصور « قلاون »

في سنة ثمان وسبعين وستمائة له ولولده وليّ عهده الملك الصالح علاء الدين « على »^(١)

والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله العظيم الذي لا إله إلا هو ، الرحمن الرحيم الطالب الغالب ، المدرك المهلك ، الضار النافع ، عالم الغيب والشهادة ، والسرّ والعلانية وما تخفى الصدور ، القائم على كل نفس بما كسبت والمجازي لها بما احتقبت ، وحق جلال الله ، وعزّة الله ، وعظمة الله ، وسائر أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا - وإننى من وقته هذا ، ومن ساعته هذه ، وما مدّ الله في عمري ، قد أخلصت النية ، ولا أزال مجتهداً في إخلاصها ، وأصفيت طويّتي ولا أزال مجتهداً في إصفاؤها في طاعة السلطان فلان ، وطاعة ولده وليّ عهده فلان ، وخدمتهما وموالاتهما ، وامتنال مراسيمهما ، والعمل بأوامرهما ، وإننى والله العظيم ، حرب لمن حاربهما ، سلم لمن سالمهما ، عدو لمن عاداهما ، وليّ لمن والاهما . وإننى والله العظيم لا أسعى في أمر فيه مضرة على مولانا السلطان ولا في حضرة ولده في نفس ، ولا سلطنة ولا استمالة لغيرهما ، ولا أوافق أحداً على ذلك بقول ولا فعل ، ولا مكتوبة ، ولا مشافهة ، ولا مراسلة ، ولا تصريح .

وإننى والله العظيم لا أدّخر عن السلطان ، ولا عن ولده نصيحة في أمر من أمور ملكهما الشريف ، ولا أخفيها عن أحدهما ، وأن أعلمه بها في أقرب وقت يمكنني الإعلام له بها ، أو أعلم من يعلمه بها .

(١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٢٠ .

نسخة كتاب كُتِبَ به إلى صاحب اليمَن عن السلطان الملك المنصور
قلاون ، مبشراً بفتوح صافينا ، من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر^(١)

أعزَّ الله تعالى نصرته المقام العالى المولى السلطانى الملكى المظفرى الشمسى ، وأشرکه
فى كل بُشرى تشدُّ الرِّحال لاستماعها وتَحُلُّ الحِجى لاستطلاعها، وتَهافت التواريخ والسير على
استرفاعها، وتنافس الأقلام والسيوف على الأفهام بأجناسها وأنواعها، وما خلا موقف جهاد
من اسمه ولا مصرف أجر من قسمه، ولا غرض هذاء من سهمه ، ولا أفق ابتهاج من بزوغ
شمسه وطلوع نجمه .

سَطَّر المملوك هذه البشرى والسيف والقلم يستمدان : هذا من دم وهذا
من نفس ، ويمضيان : هذا فى رأس وهذا فى طرس ويتجاوبان : هذا بالصَّليل وهذا
بالصَّيرير ، ويتناوبان : هذا يستميل ، وهذا يستمير وكل منهما ينافس الآخر على المشافهة
بخبز هذا الفتح الذى ما سمت إليه هم المملوك الأوائل ، ولا وسمت به سيرهم التى بدت
أجبادها من حلاه عواطل ، ولا دار فى خلد أن مثله يتهياً فى المُدد الطويلة ، ولا تشكل فى
ذهن أنه سيدرك بحول ولا حيلة ، وهو النصر المرتب على حركتنا التى طوى الله لركابنا
فيها المراحل ، وألقى بدرر عساكرنا من بحر الحديد المالح إلى الساحل ، وهجومنا على البلاد
الفرنجية : وهى طرابلس وصافينا وانطرسوس ومرقبة والمرقب ، كما يهجم الغيث ، ومصادمتنا
صدورها ، كما يصدم الليث وسلوكننا منها حيث لم يبق جيث ، وما جرى فى هذه الوجهة
من إغارات أحسنت متقاب الأعنة ، ومتعاقب السيوف ، ومخترق الأسنة ، وما تهياً منها من
فتوح صافينا التى هى أم البلاد ، ومنتجع الحاضر والباد ، وكونها قدّمت نفسها فى جملة
ما يُقرى به الضعيف وقالت : هذا فتوح حضر على هذا الفتوح لهذا السيوف ، وتلطفت فى مسح
أطراف الأمان وطلبت شكراً ، ومنا شكران ، وأحضرت إلينا من أهلها الوقت ، وهذّت

(١) صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٣ .

السيوف، في أعناقهم، فتشبهت بها الأغلال، وأنفت أيمان أهل الإيمان من مصاختهم لأنهم أصحاب الشمال، فأطلقهم سيفنا، وأمله يمتد إلى من هو أعز منهم مالا وأكثر احتفالا وأبرز مالا، وأهز سيوفاً قصاراً، ورمحاً طوالاً، واستطار منها شرار نار الحرب الموقدة إلى غيرها من القلاع، واستطال إلى سواها من الحصون منهم الباع، فلا حصن إلا وافترت ثنيته عن نصر مسهل، وفتح معجل ومؤجل.

فمن ذلك : حصن الأكراد الذي تاه بعطفه على الممالك والحصون، وشمخ بأنفه عن أن تمتد إلى مثله يد الحرب الزبون، وغدا جاذباً بضيع الشام وآخذاً بمخائق بلاد الإسلام، وشللاً في يد البلاد، وشجاف في صدر العباد تنقض من عشه صقور الأعداء الكاسرة، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة، وتريض بأرباضه آساد تحمي تلك الآجام، وتفوق من قسيه سهام تصمى مفوقات السهام، تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون، ويصطفى كرام أموالهم وهم صابرون لا مصابرون، كم شكت منه حماة تثنى بنكرها قلة الإنصاف، وكم خافته معرّة، وما من معرّة خاف ما زالت أيدي الممالك تمتد إلى الله بالدعاء عليه تشكو من جور جواره، تلك الحصون والضياع، وتبكي بمدمع نهرها من تأثير آثاره مع عصيانها. وناهيك بمدمع العاصي حتى نبّه الله الحافظ سيوف الإسلام من جفونها، ووفى النصر ما وجب من ديونها، وذاك بأننا قصدنا فسيح ربه، ونزلنا ونازلنا محمى صفعه، وختمنا بنصالنا على قلبه وسمعته، وله مدن حوله خمس؛ هو كالراحة وهي كالأنامل، وتكاد بوجهه ترى كالمطايا المقطرة، وهي منها بمنزلة الزوامل ما خيمنا به حتى استبحنا محمى تلك المداخن، المسكن عنها بالأرباض، وأسحنا بساحاتها بحراً من الحديد ما اندفع حتى فاض، وأخذنا الثقوب في أسوار لا تنقض، ولا ينقض بنيانها المرصوص، ولا تقرأ المعاول ما لخواتم أبراجها من نقوش الفصوص، ونصبنا عليها عدة مجانيق، حملت في شواهد الجبال على رؤوس الأبطال، فتغيّظت السمرية أن الذي تقوم به هذه، تلك به لا تقوم، وأن مامننا إله من الأيدي والرؤوس مقام معلوم، وصار يرمى بها كل كى مختلس، وأروع منتس، ولكل ليث غابة يحميها وتحمي، فشكر الأسود حتى غاباتها تفترس، إلى أن جثت أسوارها على الركب، وكانت سهام مجانيقها تميل من العجب، فصارت تميد من العجب، وكانت تطالب، فصارت تهرب من الطلب، واشتد الأمر

على الكفار ، فقاتلوا قتلاً أقض مضاجع الأسلحة ، وأطار بخارة مجانيقهم بغير أجنحة ،
وأشجى بشجوة النصول المترنمة على غصون السهام المترنحة ، هذا وأهل الإيمان يتلقون
ذلك كله بصبر يستطعمون منه شهداً ، وإقدام يتلقى صدَى الحديد بأكباد ما زالت
إلى موارده قصداً ، يفتحون نار الحرب التي كلاً أوقدوها أطفأها الله ، وقال :
يا نار كوني برداً .

والبلاد الفرنجية قد غصّت منها الأبصار ، وخشعت القلوب ، واعتقد كل منها في نفسه
أنه بعد هذا الحصن المطلوب ، فهذه تود لو أكتنتها البحار تحت جناح أمواجها ،
وهذه لو أسبلت الرياح العواصف عليها ذبول عجاجها ، وهذه لو اجتثت من فوق
الأرض ما لها من قرار ، وهذه لو خسف بها الثرى وعفت منها الآثار ،
وذلك لما باغهم وشاهدوه من ويل حلّ بأهل هذا الحصن المنيع ، ومن
فتك أحمل ربه المريع ، وضيق مجالهِ الواسع ، وقراع أضجر الحديد من الحديد ،
والأبطال لم تضجر ، ونضال أسهر كل جفن حتى جفون السيوف ، لأننا عودناها
مثل جفوننا أن تسهر ، فكم شكت الثقوب من مناكبهم زحاما ، والشرفات
من ترقبهم التزاماً ، والرقاب من سيوفهم اقتساماً ، وكم حدث التجارب من
رأيهم شيخاً ، وحمد الإقدام من ثبوتهم غلاماً ، قد دوّخوا البلاد فلا موطن إلا
لهم به معركة ، وأرسلوا الحلائل فلا مشرك إلا وقد أرسل من مشركه ، وأزعجوا
الكفر فلا قلب إلا به منهم خوف ، ولا سمع إلا لهم به حركة ، وملئوا الأرض كثرة ،
وكيف لا يكثر الله جمعاً للإسلام جعل الله فيه بركة .

وكتابتنا هذا ، والمولى بحمد الله أحق من هنىء بهذا الفتح ، الذي تنبى على كتاب
بشائره الحقائق ، وتجري إلى سماع أخباره الرّكائب ، وتتراحم على المسير تحت البرد الواصلة

به متون الصبا وظهور الجنائب ، وإذا ذكرت ملاحمة قال كل : هذا كتاب أم كتيبة تلوح ،
وإذا شوهدت حمرة طرسه قيل : وهذا ماصبغته في اليد المعلمة عايه دم الكفر المسفوح ،
وينعم - أعز الله نصره - بالإعلان بهذا النبأ الحسن الذي تستروح إليه الأسماع ، وتسر
بالإفهام أخوات هذا الحصن من مدنه ، ومن قلاع العظيمة الامتناع ، فإنه ما برح الأخ
يفرح بأخيه ، وإذا كان الهناء عظيما ، اشترك كل شيء فيه ، إن شاء الله تعالى .

نسخة تقليد الأمير نحر الدين عثمان

إنشاء القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر^(١)

صاحب ديوان الإنشاء الشريف في شهر ربيع الأول

من سنة ٦٧٩ هـ (يوليو ١٢٨٠ م)

الحمد لله ، الذي خصّ من وإلى هذه الدولة بالتقدمة والفخر ، ورمى من عاداها بالمذلة والقهر ، ومدّ في عمر أيامها حتى يستنفد الدهر ، وحتى توصف أيامها وأن قصرت بالمسار بأن كل شهر يمر ، منها كالعام واليوم كالشهر .

نحمده ، على ما منحها من تأييد وظفر ونصر ، ونشر دعوة ، ظافرها بعد الطرى ، وطوى دعوة من عاندها بعد الذشر . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة إن دخات شواهدا تحت الإحصاء ، فلا تدخل فرايدها تحت الحصر ، وأن محمداً عبده ورسوله ، الذي جفل به الهداية في المبدأ والشفاعة في المعاد يوم الحشر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد بعد الشقاء ، وتجبر بعد الكسر .

وبعد فإن الله سبحانه وتعالى لما مكن لنا في الأرض ، وجعل بيدنا البسط والقبض ، وأرانا كيف نصنع الجميل ونجمل الصنع ، وكيف نجبر قلب من جعل في أيامنا جبره بعد الصدع ، وكيف تصبح أنجم ذوى الأقدار في سماء مملكتنا نيرة المطالع ، وكيف يلتقي الخير في عراضها من رame ، إذا كان على الخير في غير أيامنا مانع ،

(١) ابن الفرات ج ٧ ص ١٧٧ .

وكيف تحل التقدمة فيمن إذا دخل في حلها ، قيل هذا هو أخق بها من كان ، وهذا الذى ما برحت التقدمة في بيته في صدر الزمان . وهذا الذى إذا ذكر آل فضل ، وآل على كانت له مرتبة الشرف ، ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف لعثمان ، رأينا أن لا يتطى صهوة العز إلا أهالها ، ولا ينسخ الآية أن تقدم في التقدمة إلا خير منها أو مثلاً ، ولا يتسلم رايتها إلا من تعقد عليه الخناصر ، ولا يتسّم ذروتها إلا من هو أحق بها ، وأهلها في الأول والآخر .

ولما كان المجلس السامى الأمير فخر الدين عثمان بن الأمير مانع بن هبة هو المراد بهذا القول الحسن ، والروح لجسد هذه الممدوح التى تسرّ السر والعلن ، والحقيق من الإحسان بكلّ ما ، والجدير بأن ، والخصيص من سوائف الخدم بما ، والفضل على سائر النظراء ، ولو قيس بمن اقتضى حسن رأى الشريف . أن خرج الأمر العالى ، لا زال ذو القدر فى أيامه يرتفع ، وذو الفضل فى دولته لا يعز عليه مطلب عزولاً يمتنع ، وذو الأصالة يجتمع له فيها من النعماء ما لا ياتى له فى غيرها ، ولا يجتمع أن يفوض له التقدمة على العربان بالشام المحروس ، وهم من يأتى ذكره على ما يستقر عليه الحال فى ترتيبهم ، وأن يكون منازلهم اللازم له حفظها بعدا أوقرباً ، حضراً وبدواً ، عامراً وغامراً رايحاً ، وغادياً من الرستن إلى الملوحة ، والعرب آل فضل ، وآل على ، حيث شاءوا نزلوا بمنزلة المذكور ، أو بمنزل الأمير شمس الدين محمد بن أبى بكر ، والخدمة واحدة ، والكلمة على اتفاق المصالح متعاضدة . فليكن للتقوى جسد روحها ، لا بل روح جسدها . ولجوع القبائل أوجد عددها ، إذ أصبح الأول من عددها وقطب فلسها الذى على تديره مدارها ، وعلى تقريره اقتصادها واقتصادها ، وعلى تقدمته تعويلها ، وإلى نسبة إمارته جملتها وتفصيلها ، وليجمعهم على الطاعة ، فإن الطاعة ملاك الأمر للأمير ، وأساس الخير للبادى والحاضر . وليعلم أن لكل منهم بيتاً به يعرف ، أو علمية أصالة بها يعرف ، ومنزلة يرثها الولد عن الوالد ، ومشيخة ترجع من ذلك البيت إلى ذلك الواحد ، فليحفظ لهم الأنساب ، وليرع لهم الأسباب ، وإذا أمروا بأمر من مهام الدولة يتلو عليهم : ادخلوا الباب . واللازم له ولهم مخاض تحفظ ، ومفاوز تلحظ ، ومطارح لا تلفظ ، ومشاتى ومصايف ومقانس ومصارف ومرايع ومراتب ، ودنو واقتراب ، وتوطن واغتراب ، وإغارة وتهيئ ، وبرق ووميض ، فليرتب ذلك

أجل ترتيب ، وليسلك فيه خير مهذب وتهذيب ، وليردع الصادى ويلاحظ الراجح والغادى ،
وليؤمن ذلك تأميناً تطرب أنبائه المحدث والحادى ، وعليهم عداد مقرر وقانون محرر ، فليكن
على يد شاد شاداً ، ولسبب تأييدهم ماداً ، ويعلم أنه وإن كان قد أغمض من حقوقه فيما مضى
وأعرض عنه فى الزمن الأول من انقضى ، وقدم عليه من كان دونه ، وقد ردت له الله أبكار
الأمر وعونه ، فلا يجعل لقابل عليه طريقاً ، ولا يدخل فى أمر يقال عنه فيه كان غيره به حقيقة ،
بل يفوق من تقدم فى الخدمة والهمة والصراحة والغرمة ، والله تعالى يوزعه شكر النعمة .

وفي شهر ربيع الأول ٦٧٩ هـ (يوليو ١٢٨٠ م)

توجه شمس الدين سنقر الغتمى ، وسيف الدين بلبان الخالص تركى
رسلا إلى الملك منكودمر فى البحر ، وكتب على يدهما كتاب
للسلطان غياث الدين ، إنشاء القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر

نسخته^(١) :

أعزَّ الله نصرته الجناب الكريم العالى السلطانى الملكى المسعودى العالمى الامادى
الذخرى المظفرى المنصورى الغياثى ركن الإسلام والمسلمين نصرته . . . شرف الملوك
والسلاطين ، وأعلى قدره وقدرته ، وحقق ظفره ونصرته ، ركبت أعداءه وحسدته ، وحتم على
الأيام أن تنجز من التأييد عدته ، ولا برحت الأقدار تمده بكل عون ، وتكأؤه بكل عون ،
وتخصه من حسن العناية بما يستخدم لإسغافه الكون ، أصدرناها من سلام يتضمخ نفسها
بطيبه ، وحمد تشنَّف الأسماع بترتيله وترتيبه ، وولاء يجمع بين الحسنين فى نسبه ونسبه ،
واستطلاع لأخباره التى هى للعيون قرَّة ، وللقلوب مسرَّة ، وتشكر من آثاره التى لها فى
قلوب الأولياء أثر جميل ، وفى قلوب الأعداء أثرة ، وتفهمه أنه لما جهزنا الأميرين شمس الدين
سنقر الغتمى ، وسيف الدين بلبان تركى رسلا إلى خدمة القان الأعظم منكودمر ، زيدت
عظمته ، وكان لهم على جنابه مرور ، وبخدمة اقترابه سرور حملناهم من المشافهة والسلام
ما يعيدانه عليه ، وسيرنا على يدهما من الهدية ما يعرض لديه حتى لا يكون السلام خالياً
من إتحاف المسلم ، ولا الحمد فارغاً من جلاوة منطق المشافهة والمتكلم .

والله لا يخلى من بقائه ، ويزيد فى علائه وارتقائه .

(١) ابن الفرات ج ٧ ص ١٧٩ .

نسخة تذكرة كتب، بها عن السلطان الملك المنصور قلاوون
بسبب قلعة صرخد من الشام ، عند استقرار الأمير سيف الدين باسطى نائباً ،
والأمير عز الدين والياً بها في سنة ٦٧٩ هـ من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر^(١)
تذكرة مباركة نافعة لكثير من المصالح جامعة ، يعتمد عليها الأميران : سيف الدين ،
وعز الدين عند توجههما إلى صرخد المحروسة :

يعتمدان العدل في الرعية ، وسلوك منهج الحق في كل قضية ، واعتماد ما يرضى الله تعالى
ويرضينا ، ولكن الإنصاف لهما عقيدة ، والتقوى دنيا ، ولا يتطاع أحدهما إلى مافي يد أحد
من مال ولا نسب ، ولا يعارض أحد أحداً بلا سبب ، وليتقوا الله ، ويخشوه ، ويتجنبوا
الباطل ولا يفشوه ، ولا يظن أحد منهم أنه قد بعد عنا ، فيطمح إلى الظلم أو يطمع ، فإننا منهم
بمرأى ومسمع ، وليكونوا على المصالح متفقيين ، وبأذبال الحق متعلقين ، وعلى الرعية
مشفقين .

فصل

يتقدمان بكشف أسوار القلعة المنصورة وأبراجها وبدناتها وأبوابها ، وما يحتاج
إلى إصلاح وترميم وعمارة ، ويحرران أمر ذلك تحريراً ، ويجتهدان في إصلاح ما يجب إصلاحه
وترميم ما يجب ترميمه ، والمطالعة بما كشفاه وما اعتمداه .

فصل

يتقدمان بعرض حواصل مقدمى رجال القلعة ، وأرباب الجامكيات والرواتب بها ،
ويحرران أمر مقرراتهم : من جامكية ، وجراية ، ويجريان في صرف ذلك على العادة
لجارية المستقرة .

(١) صبح الأعشى ج ١٢ ص ٩٩

فصل

يستوضحان من الأمير عز الدين ، والأمير علم الدين المتصرفين عن المصالح المختصة بهذه القلعة ، وعن أمورها جليلها وحقيقها ، فإنهما قد أحسنا في ذلك التدبير ، وأجملا التأثير وسلكا أجمل مسلك ، ويهتديان بما يوضحانه لهما من المصالح والمهمات ، ليكون دخولهما في هذا الأمر على بصيرة .

فصل

يكون أمر النيابة والحكم العام في القلعة المنصورة ، وتنزيل الرجال واستخدامهم ، وصرف من يجب صرفه - للأمير سيف الدين باسطى بمشاركة الأمير عز الدين في أمر النيابة ، راجعاً للأمير سيف الدين باسطى ، والحكم فيها له ، ويكون أمر ولاية القلعة للأمير عز الدين ، ويجريان في ذلك على عادة من تقدمها في هذه النيابة والولاية ، ويكون الأمير سيف الدين في الدار التي كان يسكنها الأمير عز الدين ، وحكمه في النيابة حكمه ، ويسكن الأمير عز الدين في الدار التي كان فيها الأمير علم الدين ، وحكمه في الولاية حكمه . ولا يعتمدى أحد طوره ، ولا يخرج عما قرّر فيه . ويرعى كل منهما لصاحبه حقه فيما رتب فيه ، ويتفقان على المصالح كلها ، ويكونان كروحين في جسد واحد .

فصل

يتقدمان بأن يترتب في مراكزهم ومنازلهم على العادة في الليل والنهار ، والحرسية على العادة في الليل والنهار ، وإن كان ثم خلل في ذلك ، أو تفريط أو إهمال فليستدرك الفارط ويرتب الأمر فيه على أحسن ترتيب .

فصل

ينتصبان في أوقات العادة في باب القلعة ، لكشف مظالم الرعية والبر ، ويعتمدان لإنصافهم وتلبية داعيهم وسماع كلمهم ، وكف ظالمهم ، وإعانة مظلومهم ، واعتماد ما يجب من العدل ، وبسطه في الرعية وكف الأيدي العادية .

فصل

أبواب القلعة إذا أغلقت في كل ليلة تبيت المفاتيح عند النائب في المكان المعتاد بعد ختم الوالى عليها على العادة ، وإذا تسلمها يتسلمها بختمها على العادة .
الذخائر والغلال يجتهد في تحصيلها بالقلعة ، ولا تُخزن غلة جديدة على غلة عتيقة . وكل هزى يخزن فيه غلة يحرر أمرها ، وتشال عيبتها في كيس ، وتجعل في الخزانة ، ويختم عليها ، ولا يصرف من الجديد قبل نفاذ العتيق ، ويصرف من الجديد . وكذلك بقيّة الحواصل يسلك فيها هذا المسلك .

فصل

مهما جرت العادة بقتمينه على أرباب الجامكيات ، والمقررات ، فليجر الأمر فيه على العادة من غير حيف ، وليدخل الديوان والمباشرون في التّثمين ، لئلا يسلك أمر التّثمين على الرّجالة والضعفاء مع قلة معلومهم ، ويوفر من ذلك أرباب الدواوين مع كثرة معلومهم ، بل يكونوا أوّل من يثمن عايه ، ومن لا قدرة له : مثل راجل ضعيف ، أو رب معلوم قليل به في ذلك نظراً في حق الضعفاء .

فصل

يكثر من الأخطاب ، ومن الفحّم والملح بالذخائر ، وكذلك من كل ما تدعو الحاجة إليه ، ويجتهدون في تحصيل الأموال وتوفيرها بالخزانة المعمورة ، بحيث لا يكون لها شغل يشغلها عن ذلك ، بل يصرفان الهمة في غالب أوقاتها إلى الفكرة في مال يحصلونه ، أو صنف يدخرونه ، ولا يهملان ذلك .

فصل

يطالعان الأبواب العالية في غالب أوقاتها بما يتجدّد عندهما من المصالح ، وبما يتميّز من الأموال ، وبما حمل إلى الخزائن ، وإلى الأهراء من الأموال والغلال ، وكذلك

يطالعان نائب السلطنة بدمشق المحروسة على العادة في ذلك ولتكن مطالعتهم جامعة وعليها
خطهما . ومن لاحت له مصلحة في بعض الأوقات ، واختار أن يطالع بانفراده فليطالع .

فصل

لا يمكن أحداً من الرجال المرتبين بالقلعة المحروسة ، وأرباب الثوب أن يُحل
بنوبته ، ولا يفارقها ولا يخرج من القلعة أحد من الرجال إلا بدستور ، ويعود في يومه
والله الموفق .

قلت : وبالجملة فالتذاكر منوطة بحال المکتوب ، له التذكرة والمکتوب يستدبه ،
فيختلف الحال باختلاف الأسباب ، ويؤتى لكل تذكرة بفصول تناسبها بحسب ماتدعو
الحاجة إليه .

في شهر ربيع الآخر ٦٧٩ هـ (أغسطس ١٢٨٠ م)

رسم الملك المنصور للأمير بدر الدين بكتوت العالائي

بأن يتولى شدّ الدواوين بدمشق المحروسة ، وكتب له تقليد

إنشاء القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر

نسخته (١) :

الحمد لله، رافع منازل البدور، وجاعل أولياء هذه الدولة في نعيم وجور، وميسر الخيرات لمن أصبحت مخالصته لا تتوقف من الخدم في أمر من الأمور، ومختبر أوليائه حتى تغدو آثار الموالاة التي حسنت خفاء حسنة الظهور .

نحمده حمداً يتخير له أبدع الكلام المنظوم والنثور . ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له شهادة سعد من هو بأمرها مأمور، وعلى طول فضلها مقصور .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الشفيع في الأمة يوم البعث والنشور ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، صلاة يكسب قائلها تجارة لن تبور . وبعد ، فإن الله سبحانه، لما علم من أوليائنا خلوص النية وصفاء الطوية، نقلهم كيف شئنا، ونقلهم في الأمور على ما يرضى الله تعالى ويرضيها ، ونهذبهم بأنواع التهذيب ، وتناول عليهم آيات النعم حسنة الترتيل والترتيب فهم لا يزدادون إلا اجتهاداً ، ولا يرتادون غير إرادتنا مراداً .

وكان المجلس السامي الأمير بدر الدين هو من أخص أوليائنا، وأوّل خلصائنا ، والقريب منا، والمناسب إلى تمديدنا انتساباً يراه منا منّا، والذي إن خولناه شكر، وإن منعناه صبر، وإن

(١) ابن الفرات ج ٧ ص ١٨١ .

قدّمناه كان في المضاء حساماً ، وإن رفعناه إلى سماء عز كان بدرّاً تماماً ، وكان شدّ الدواوين بالشام الحروس هو مدار الأمر وملاكه ، وعليه تنصب حباثل التدبير وأشرافه لأنه هوى تحصيل الأموال ، وحل الأحوال ، ومآل الآمال والمقلد أمره ، لا يداخل الوهم في الوثوق به لبس ، وكيف لا ، والمال كما قيل : عدیل النفس . اقتضى حسن الرأى الشريف أن خرج الأمر العالى بأن يفوض إليه شدّ الدواوين المعمورة . بالشام المحروسة على عادة من تقدّمه في ذلك ، فليعمل بتقوى الله عز وجل ، في السرّ والجهر والنهى والأخذ والإعطاء والاستخاط والإرضاء ، ولا يخرج عن سنن الحق إن قال أو فعل ، أو فصل أو جل ، أو ولى أو عزل ، ولا يظلم لنا مخلوقاً فأشدّ الظلم من ظلم لغير ولا يفعل إلا ما يحمد الله والناس فيه الحسنين من سيرته وسيره ، ومهما تعيّن لنا من مال في جهة من الجهات فلا يتركه ولا يبق مسلماً لخلاصه إلا ويسلكه . والوصايا في الأموال كثيرة ، وفي الأمور الديوانية غير محصورة ، وبالمباشرة يحصل الاطلاع والمطالعة للأحوال تنحسم للخونة موادّ الأطاع وأجل الوصايا حسن الضبط ومقابلة اللفظ في تحرير الأمور للخط بحيث يعلم كل ذى قدرٍ وقدره ، وأمر وإمرة أنه لا مطمح لما سوى الحق ، ولا مطمع ولا مرمى ولا منزع لتنحسم المواد ، وينصح لما يتوخّاه من المصالح الجواد والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه .

ذكر تفويض السلطنة بولاية العهد من الملك المنصور

لولده الملك الصالح، وكتب تقليده بذلك، وهو من :

إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر^(١)

الحمد لله، الذي شرف سرير الملك بعليّه، وحاطه منه بوصيّته، وعضد منصوره بولاية عهد مهديّه، وأسمى حاتم جوده بمكارم حازها بسبق عديّه، وأبهج سير الآباء من خير الأبناء بمن سموّ أبيّه منه بشريف الخلق أبيّه، وغذى روضه بمتابعة وسميّة، ومسارة وليه .
نحمده على نعمه التي جمعت إلى الزهر الثمر، وأضافت إلى نور الشمس هداية القمر، وداركت بالبحر وباركت في النهر، وأجملت المبتدأ وأحسنّت الخبر، وجمعت في لذاة الأوقات وطيبها بين رونق الأصال ورقة البكر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تلبس الألسنة منها في كل ساعة جديداً، وتنبأ منها ظلالاً مديداً، ونستقرب بها من الآمال ما يراه سوانا بعيداً .

ونصلي على سيدنا محمد الذي طهر الله به هذه الأمة من الأدناس، وجعلها بهدايته زاكية الغراس، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فهم حسن استخلافه بالأمر له بالصلاة بالناس، ومنهم من بين الله به قواعد الدين، وجعله موطد الأساس ومنهم من جيز جيش العسيرة، ورأسى بماله حين الضراء والباس، ومنهم من قال عنه صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبّه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله فحسن الالتباس

(١) صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٣ - ١٧٧ . ووردت صورته لهذا التقليد في تاريخ ابن الفرات ج ٧ ص ١٨٧ - ١٩٠ وفيها بعض الاختلافات . مثل هنا (صبح الأعشى) « وأبهج سير الآباء من خير الأبناء » وفي ابن الفرات « وأبهج خير الآباء من خير الأبناء » . ومثل « هو المرجولتدير هذه الأمور والمأمول لصالح البلاد » . وفي ابن الفرات « هو المرجولتدير الأمور والمأمول لصالح الممالك » . ومثل « وكفالة السلطنة المعظمة ولاية تامة عامة شاملة كامله شريفة منيفة عطوفة رؤوفة في سائر أقاليم الممالك » وفي ابن الفرات « وكفالة السلطنة الشريفة ولاية تامة عامة شاملة كاملة جامعة وازعة قاطعة ساطعة شريفة منيفة رؤوفة لطيفة عفيفة في سائر الممالك » .

بذلك والاعتباس ، وزاد في شرفه بأن ظهر أهل بيته وأذهب منهم الأرجاس
لا تزال تتردد بتردد الأنفاس ولا تبرح في الآناء حسنة الإيناس . وبعد فإن خير من
شرفت مراتب السلطنة بحلوه وفوق ملابس التحكيم لقبوله ، ومن تزهى مطالع الملك
بإشرافه وتتبادر الممالك مدعنة لاستحقاقه ومن يزدهى ملك منصوره نصره الله موطنه
وولى عهده مكنه الله بانيه ومن يتشرف إيوان عظمته إن غاب والده في مصلحة الإسلام
فهو صدره وإن حضر فهو ثانيه ، ومن يتصل غاب الإيالة منه بخير شبل كفل ليثا ، ويتكفل
غوث الأمة بخير وابل خلف غيثا ، ومن ألهم الأخلاق الملوكية وأوتى حكما صبيها ، ومن
خصصته الأوعية الشريفة بصالحها ولم يكن بدعائها شقيا ومن رفعت به هضبة الملك حتى
أمسى مكانها عاليا ومن هو أحق بأن ينبج الأمل وينجح وأولى بأن يتلى له « أخلفني
في قومي وأصلح » . ومن هو بكل خير ملي ، ومن إذا فوضت إليه أمور المسلمين كان
أشرف من لأمرهم يلي ، ومن يتحقق من والده الماضي الغرار ومن اسمه العالى المنار ، أن
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي .

ولما كان المقام العالى المولوى السلطانى الملكى الصالحى العلائى عضد الله به الدين وجمع
إذعان كل مؤمن على إيجاب طاعته لمباشرة أمور المسلمين حتى يصبح وهو صالح المؤمنين
— هو المرجو لتدبير هذه الأمور والمأمول لصلاح البلاد والنفور والمدخر فى النصر لشقاء مافى
الصدور والذى تشهد الفراسة لأبيه وله بالتحكم : أو ليس الحاكم أبو على هو المنصور ؟
فلذلك اقتضت الرحمة والشفقة على الأمة ، أن ينصب لهم ولى عهد يتمسكون من الفضل
بعروة كرمه ويسعون بعد الطواف بكعبة أبيه لحرمه ويقتطفون أزهار العدل وثمار الجود
من كلمه وقلمه وتستسعد الأمة منه بالملك الصالح الذى تقسم الأنوار لجبينه وتقسم المبار
من كراماته وكرمه .

فلذلك خرج الأمر العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى السيفى أخدمه الله القدر
ولا زالت الممالك تتباهى منه ومن ولى عهده بالشمس والقمر أن يفوض إليه ولاية العهد
وكفالة السلطنة المعظمة ، ولاية تامة عامه شاملة كاملة شريفة منيفة عطوفة رؤوفة فى سائر

أقاليم الممالك وعساكرها وجندها وعربها وتركمانها وأكرادها ونوابها وولاياتها وأكابرها
وأصاغرها ورعاياها ورعاتها وحكامها وقضاتها وسارحها وسانحها بالديار المصرية وثغورها
وأقاليمها وبلادها وما احتوت عليه ، والفتوحات الصفدية والفتوحات الإسلامية الساحلية
وما احتوت عليه . والممالك الشامية وحصونها وقلاعها ومدنها وأقاليمها وبلادها والمملكة
الحمصية والمملكة الحصنية الأكرادية والجبلية وفتوحاتها وفتوحاتها والمملكة الحلبية وثغورها
وبلادها وما احتوت عليه ، والمملكة الفراتية وما احتوت عليه وسائر القلاع الإسلامية
براً وبحراً وسهلاً ووعراً ، شاماً ومصرأً يمناً وحجازاً ، شرقاً وغرباً ، بعداً وقرباً . وأن نلقى
إليه مقاليد الأمور في هذه الممالك الشريفة ، وأن تستخلفه سلطنة والده - خلد الله دولته -
لتشاهد الأمة منه في وقت واحد سلطاناً وخليفة ، ولاية واستخلافاً تسندهما الرواة ، وتترنم
بهما الحداة وتعيهما الأسماع وتنطق بهما الأفواه تفويضاً يعلن لكافة الأمم ولكل رب
سيف وقلم ، ولكل ذى علم وعلم ، بما قاله صلى الله عليه وسلم لسميّه رضى الله عنه حين أولاه
من الفخار ما أولاه « من كنت مولاه فعليّ مولاه » . فلا ملك إقليم إلا وهذا الخطاب يصله
ويوصله ، ولا زعيم جيش إلا وهذا التفويض يسعه ويشمله ، ولا إقليم إلا وكل من به يقبله
ويقبله ، ويتمثل بين يديه ويمثله ، ولا منبر إلا وخطيبه يتلو فرقان هذا التقديم ويرتلّه .

وأما الوصايا فقد لقنا ولدنا وولى عهدنا ما انطبع في صفاء ذهنه وسرت تغذيته في نساء
غصنه ، ولا بد من لوازم للتبرك بها في هذا التقليد الشريف تنير ، وجوامع تصير الخير بها حيث
تصير ، وروائع تنبئك بها يا ولدنا - أعزنا الله ببقائه - ولا ينبئك مثل خبير : فاتق الله كأنك
تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وانصر الشرع فإنك إذا نصرته ينصرك الله على
أعداء الدين وعداك ، واقض بالعدل مخاطباً ومكاتباً حتى يستبقى إلى الإيعاز به لسانك ويمناك ،
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر عالماً أنه ليس يخاطب غداً بين يدي الله عن ذلك سوانا
وسواك ، وانه نفسك عن الهوى حتى لا يراك الله حيث نهاك ، وحط الرعية ، ومر النواب
بحملهم على القضايا الشرعية وأقم الحدود ، وجند الجنود ، وابعثها برأً وبحراً من الغزو إلى كل
مقام محمود واخفظ الثغور ولا حظ الأمور ، وازدد بالاسترشاد بآرائنا نوراً على نور ، وأمراء
الإسلام الأكابر وزعماءه ، فهم بالجهاد والذب على العباد أصفياء الله وأحباؤه ، فضعاف

لهم الحرمة والإحسان . واعلم أن الله اصطفانا على العالمين وإلا فالقوم إخوان ، لا سيما أولو السعي الناجح والرأي الراجح ، ومن إذا فخرُوا بنسبة صالحة قيل لهم : نعم السلف الصالح ، فشاورهم في الأمر ، وحاورهم في مهمات الأمور في كل سر وجهر . وكذلك غيرهم من أكابر الدين هم من تحايا الدول وذخائر الملوك الأول ، أجرهم في هذا الجرى ، وأشرح لهم بالإحسان صدرًا وجيوش الإسلام هم البنان والبنيان فواله إليهم الامتنان واجعل محبتك في قلوبهم بإحسانك إليهم حسنة المربي وطاعتك في عقائدهم قد شغفها حبًا : ليصبحوا بحسن نظرك إليهم طوعًا ، وليحصل كل جيش منهم من التقرب إليك بالمناسبة نوعًا والبلاد وأهلها فهم عندك الوديفة فاجعل أوامرك لهم بصيرة وسميعة .

وأما غير ذلك من الوصايا ، فسنخولك منها بما ينشأ معك توءمًا ، وتلقنك من آياتها حكمًا فحكمًا ، والله تعالى ينمى هلالك حتى يوصله إلى درجة الإبدار ، ويغذى غصنك حتى نراه قد أينع بأحسن الأزهار وأينع الثمار ويرزقك سعادة سلطاننا الذي نعت بنعته تبركا ، ويلهمك الاعتضاد بشيئته والاستئنان بسنته حتى تصبح كتمسكنا بذلك متمسكًا ، ويجعل الرعية بك في أمن وأمان حتى لا تخشى سوءًا ولا تخاف دركا ، والاعتماد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه إن شاء الله (١) .

(١) تاريخ هذا التقليد في يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة من سنة ٦٧٩ هـ (١٣ أكتوبر سنة ١٢٨٠ م) .

نسخة حلف بين السلطان الملك المنصور والملك الأشكري

صاحب القسطنطينية . وكانت وصلت من الملك الأشكري على

يد رسله نسخة يمين عربت فكان تاريخ حلفه في التاريخ

الموافق لأواخر الحرم سنة ثمانين وستائة وكان نسختها ماصورة^(١)

هـ

إذا قد أراد السلطان العظيم النسيب ، العالى العزيز الكبير الجنس الملك المنصور سيف الدين قلاون - صاحب الديار المصرية ودمشق وحلب - أن يكون بينه وبين مملكتي محبة ، فمملكتي أيضاً تؤثر ذلك ، وتختار أن يكون بينهما وبين عز سلطانه محبة . ولهذا وجب أن يتوسط هذا الأمر يمين واتفاق ، لتدوم المحبة التي بهذه الصورة فيما بين مملكتي وعز سلطانه ثابتة بلا تشويش ، فمملكتي من هذا اليوم - وهو يوم الخميس الثامن من شهر أيار من التاريخ التاسع لسنة ستة آلاف وسبعائة وتسع وثمانين لآدم يكون أواخر الحرم سنة ثمانين وستائة

تحلف بأناجيل الله المقدسة ، والصليب المسكرم الحجي ، أن مملكتي تكون حافظة للسلطان العظيم النسب العالى العزيز الكبير الجنس الملك المنصور سيف الدين قلاون - صاحب الديار المصرية ودمشق وحلب - ولأولاده ولوارثي ملك عز سلطانه ، محبة مستقيمة ، وصداقة كاملة نقية ، ولا يحرك ملكي أبداً على عز سلطانه حرباً ، ولا على بلاده ولا على قلاعه ولا على عساكره ، ولا يحرك ملكي أحداً على حرب به بحيث أن هذا السلطان

(١) ابن الفرات ج ٧ ص ٢٢٩ وصبح الأعشى ج ١٤ ص ٧٢ وتاريخها أواخر محرم ٦٨٠ هـ .

العظيم النسب العالى العزيز الكبير الجنس الملك المنصور سيف الدين قلاون - صاحب الديار المصرية ودمشق وحلب - يحفظ مثل ذلك لمملكتي ولولد مملكتي الحبيب ، الكمينوس الأتجاس الدوقس البالاوولوغس ، لبراندرونيقيوس ولوارثي مملكتنا محبة مستقيمة ، وصداقة كاملة ندية ، ولا يحرك عز سلطانه على مملكتنا حرباً قط ، ولا على بلادنا ، ولا على قلاعنا ، ولا على عساكر مملكتنا ، ولا يحرك أحداً آخر أيضاً على حرب مملكتنا ، وأن يكون للرسل المسيرون من عز سلطانه أيضاً مطلقاً أن يعبروا في بلاد مملكتي بلا مانع ، ولا عائق ، ويتوجهوا إلى حيث يريدون من عز سلطانه ، وكذلك يعودوا إلى عز سلطانه ، وأن لا يحصل للتجار الواردين من بلاد عز سلطانه إلى بلاد مملكتي جور ولا ظلم ، بل يكون لهم مباح أن يعملوا متاجرهم . ونظير هذا التجار الواردين إلى بلاد عز سلطانه من بلاد مملكتي لا يجدون من أحد جوراً ، ولا ظلاماً بل يكون لهم مباح أن يعملوا متاجرهم .

وكما أن التجار المزمعين أن يردوا إلى بلاد عز سلطانه من أهل بلاد ملكي يقومون بالحق الواجب على بضائعهم ، فليقم كذلك التجار الواردين من بلاد عز سلطانه إلى بلاد ملكي بالحق الواجب على بضائعهم ، وإن حضر من بلاد سوداق تجار وأرادوا السفر إلى بلاد عز سلطانه فلا ينال هؤلاء تمويق في بلاد ملكي ، بل في عبورهم وعودهم يكونوا بلا مانع ، ولا عائق بعد القيام بالحق الواجب على بضائعهم في بلاد ملكي ، ومثل ذلك إن وافى تجار من أهل بلاد عز سلطانه ، وأرادوا العبور إلى بلاد سوداق يعبروا من بلاد مملكتي بلا عائق ولا مانع . وكذلك إن عادوا وهذا كله بعد القيام بالحق الواجب ، وهؤلاء التجار الذين من أهل بلاد عز سلطانه ، والذين من أهل سوداق إن حضر صحبتهم ممالك وجوار ، فليعدوا بهم إلى بلاد عز سلطانه بلا عائق ولا مانع ، ما خلا إن كانوا نرى لأن شرعنا وترتيب ديننا لا يسمح لنا في أمر النصارى بهذا ولما أن كان في بلاد عز سلطانه ممالك نصارى روم وغيرهم من أجناس النصارى متمسكين بدين النصارى ، ويحصل القوم منهم العتق . فليكن للذين معهم عتائق ومباح ومطلق من عز سلطانه أن يبيع مملوكا نصرانياً .

هذه صورته لأحد من رسل مملكتي أو لتجار وأناس من بلاد مملكتي أن لا يجد

فى هذا تعويقاً ، بل يشتروا المذكور ، ويعدوا به فى البحر إلى بلاد مملكتى يلا عائق .

وأيضاً إن أراد هذا السلطان العظيم النسيب أن يرسل إلى بلاد ملكى بضائع متاجر ، وأرادت مملكتى أن ترسل إلى بلاد عز سلطانه بضائع متاجر فليكن هكذا وهو إن أراد عز سلطانه أن تكون بضائع متاجره فى ملكى منجاة من القيام بكل الحقوق فلتكن أيضاً بضائع متاجر مملكتى فى بلاد عز سلطانه منجاة مثل ذلك من كل الحقوق ، وإن أراد أن تقوم متاجر ملكى فى بلاده بالحقوق الواجبة فلتكن أيضاً متاجر عز سلطانه تقوم فى بلاد ملكى بالحقوق الواجبة مثل ذلك .

وأيضاً أن يطلق عز سلطانه لملكى أن يرسل أناساً من بلاد مملكتى إلى بلاد عز سلطانه ، فيسيرون لى خيلاً جيداً ، ويحملونها إلى بلاد ملكى . وكذلك إن أراد عز سلطانه شيئاً من خيرات بلاد ملكى فمملكتى أيضاً تطلق لعز سلطانه أن يرسل أناسه ليسيروه ويحملوه إلى عز سلطانه .

ولما كان فى البحر « كرسالية » من بلاد غريبة ، وقد يتفق فى بعض الأوقات أن يعملوا خسارة فى بلاد ملكى كذلك يجدون هؤلاء « الكرسالية » قوماً من بلاد عز سلطانه ، فيعملون لهم خسارة ؛ ثم إن هؤلاء « الكرسالية » يفعلون هذا بالاتفاق فى تخوم بلاد ملكى .

لأجل هذا صار إذا حضر قوم من بلاد مملكتى إلى بلاد عز سلطانه بمتاجر يمسكون من أهل بلاد عز سلطانه ، ويفرّمون . ولهذا فليصر مرسوم من عز سلطانه فى كل بلاده إن أحداً من أهل بلاد مملكتى لا يغرم بهذا السبب ولا يمسك . وإن عرض أن يقول أحد من أهل بلاد عز سلطانه أنه غرم أو ظلم من أحد من أهل بلاد مملكتى أنه ظلم ، أو غرم من أحد من أهل بلاد عز سلطانه ، يأمر عز سلطانه ، وتعاد انرامة إلى بلاد ملكى .

وأيضاً إذ قد أزعجت الحجة أن تصير بهذه الصورة وتكون الصداقة بين ملكى وعز سلطانه خالصة حتى أنه أرسل يقول لملكى على معونة ونجدة ملكى فى البحر لمضرة العدو

المشترك . فملككتي تفوض هذا الأمر إلى اختيار عز سلطانه أن يرتب في نسخة اليمين مع بقية الفصول المعينة فيه كيف وبأى صورة تعين وتنجد ، فملككتي في البحر وإن كان لا يريد نجدة ومعونة فملككتي ، فملككتي تسمح بهذا الفصل أن لا يضعه عز سلطانه في نسخة يمينه . وهذه اليمين إذا يحفظه ملكي لعز سلطانه ثابتاً غير متزعزع إن كان هو السلطان العظيم يحلف ، لي يميناً مثلها وأنه يحفظ الحبة لملككتنا ثابتة غير متزعزعة والسلام .

فلما عربت هذه اليمين كتبت نسخة يمين للسلطان الملك المنصور صورته^(١) .

أقول وأنا فلان : أنه لما رغب حضرة الملك الجليل « كرميخائيل الدوقس الانجاس الكنينوس البالاولوغس » ضابط مملكة الروم والقسطنطينية العظمى ، أكبر ملوك المسيحية - أبقاه الله - أن يكون بين مملكته ، وبين عز سلطاني محبة وصدقة ومودة لا تتغير بتغير الأيام ، ولا تزول بزوال السنين والأعوام ، وأكذلك يمين حلف عليها تاريخها يوم الخميس ثامن شهر أيار سنة ستة آلاف وسبعمائة وتسع وثمانين لآدم صلوات الله عليه بحضور رسول عز سلطاني الأمير ناصر الدين بن الجزري ، والبطرك الجليل « انباسيوس » بطرك الاسكندرية . وحضر رسوله فلان وفلان إلى عز سلطاني بنسخة اليمين ، ملتزمين أن يتوسط هذا الأمر أيضاً يمين واتفاق من عز سلطاني لتدوم الحبة فيما بين مملكته وعز سلطاني ، وتكون ثابتة مستمرة على الدوام والاستمرار .

فعر سلطاني من هذا اليوم وهو يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمانين وستمائة للهجرة النبوية الحمديّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، يحلف بالله العظيم ، الرحمن الرحيم عالم الغيب والشهادة والسر والعلانية وما تخفى الصدور ، وبالقرآن العظيم وبين أنزله ، وبين أنزل عليه ، وهو النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم على استمرار الصداقة واستقرار المودة النقية للملك الجليل « كرميخائيل » ضابط مملكة الروم والقسطنطينية العظمى ، ولولد مملكته الحبيب « الكنينوس الانجاس الدوقس البالاولوغس » الملك الاندرونيقوس ، ولوارثي مملكة ملكه ، ولا يحرك عز سلطاني أبداً

(١) ابن الفرات ج ٧ ص ٢٣١ وصباح الأعشى ج ١٤ ص ٧٥ .

على مملكته حرباً ولا على بلاده ، ولا على قلاعه ولا على عساكره في بر ولا بحر ، ولا يحرك عز سلطاني أحداً آخر على حربيه بحيث أن الملك الجليل « كرميخائيل » يحفظ مثل ذلك لعز سلطاني ، وللمسكى ولبلادي ولقلاعي ولعساكري ولولدي الملك الصالح علاء الدين عليّ ولوارثي ملكي من أولادي ويستمر على هذه الصداقة والمودة النقية ، ولا يحرك ملكه على عز سلطاني حرباً قط ، ولا على بلادي ولا على قلاعي ، ولا على عساكري ، ولا على مملكتي ، ولا يحرك أحداً آخر على حرب مملكة عز سلطاني في البر ، ولا في البحر .

ولا يساعد أحداً من أصدقاء عز سلطاني ، ولا أعدائي من سائر الأديان والأجناس ، ولا يوافق على ذلك ، ولا يفسح لهم في العبور إلى مملكة عز سلطاني لمضرة شيء منها بجهده ، وطاقته ، وأن الرسل المسيرين من مملكة عز سلطاني إلى بر « بركة » وأولاده وبلادهم وتلك الجهات ، وبحر سوداق وبرّه يكونون آمنين مطمئنين مطلقاً ، لهم أن يعبروا في بلاد مملكة الملك الجليل « كرميخائيل » من أولها إلى آخرها بلا مانع ولا عائق ، أرسلوا في بر أو بحر على ما يقتضيه مصلحة ذلك الوقت لمملكة عز سلطاني .

ولهم أن يتوجهوا إلى حيث يسيرهم عز سلطاني في تلك البلاد . وكذلك يعودون إلى مملكة عز سلطاني آمنين مطمئنين غير ممنوعين بجميع من يصل معهم من رسل تلك الجهات وغريباً وكل من معهم من ممالك وجوار وغير ذلك .

وأن لا يحصل للتجار الواردين من بلاد مملكة الملك الجليل « كرميخائيل » إلى بلاد عز سلطاني جواز ولا ظلم ، ويترددون آمنين مطمئنين يعملون متاجريهم ، ولهم الرعاية في الصدور والورود والمقام والسفر بحيث يكون لتجار مملكة عز سلطاني في بلاد مملكة الجليل « كرميخائيل » مثل ذلك .

ويكونون مرعيين لا يجدون من أحد في بلاد مملكة الملك الجليل « كرميخائيل » جوراً ولا ظلماً ، ومن عليه حق واجب في الجهتين على ما استقر عليه الحال يقوم به من غير حيف ولا ظلم .

وإن من حضر من التجار من سوداق وغريباً بمالك وجوار ، يمكنهم مملكة
الملك الجليل « كر ميخائيل » من الحضور بهم إلى مملكة عز سلطاني ، ولا يمنعهم
وأن « الكرسالية » متى تعرضوا إلى أخذ أحد من التجار المسلمين في البحر ، وبسبب
« الكرسالية » إلى رعية مملكة الملك الجليل « كر ميخائيل » يسير عز سلطاني
إليه في طلبهم .

ولا يتعرض أحد من نواب مملكة عز سلطاني إلى هذا الجنس بسببهم إلى أن يتحقق
أنهم آخذون أو يُظهر عين المال معهم على ما تضمنه نسخة يمين الملك الجليل
« كر ميخائيل » .

ولمملكة الملك الجليل « كر ميخائيل » من بلاد عز سلطاني مثل ذلك وعلى أن الرسل
المترددين من الجهتين من عز سلطاني ، ومن مملكة الملك الجليل « كر ميخائيل »
يكونون آمنين مطمئنين في سفرهم ومقامهم براً وبحراً .

وتسكون رعية بلاد عز سلطاني ، ورعية بلاد مملكة الملك الجليل « كر ميخائيل »
في الجهتين من المسلمين وغيرهم آمنين مطمئنين صادرين واردن محترمين مرعيين .
وهذه اليمين لا تزال محفوظة ملحوظة مستمرة مستقرة على الدوام والاستمرار .

هدنة متلك طرابلس^(١)

تقررت الهدنة مع متملك طرابلس الشام « بيمند بن بيمند » - ملك الفرنج - لمدة عشر سنين كوامل متواليات ، أولها السابع والعشرين من شهر ربيع الأول من هذه السنة (٦٨٠ هـ - ١٥ يوليو ١٢٨١ م) - الموافق للخامس من شهر تموز سنة ألف وخمسمائة واثنين وتسعين للاسكندر اليوناني - وذلك على بلاد الملك المنصور ، والملك الصالح ولده قريبا وبعيدها ، وسهلها وجبلها ، غورها ونجدها ، قديمها ومستجدها ، وما هو مجاور لطرابلس ، ومجاورها من المملكة البعلبكية وجبالها ، وقراها الرحلية والجبلية ، وجبال الضنين والقصبين ، وما هو من حقوق ذلك ، وعلى الفتوحات المستجدة ، وهي الأكراد وافليس والفايعات ، وصافينا وميعار ، واطليعا وحضن عكار ومرقية ، ومدينتها وبلادها ومناصفاتها ، وهي بلاد الملكية .

وجميع بلاد هذه الجهات التي ذكرناها ومناصفات المرقب التي دخلت في الصلح مع بيت الاسبتار وبلده ومدينته ، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى وبلاد الست وبلاطنس وبلادها ، وجبله ولاذقية ، وأنطاكية والسويدية ، وبلاد ذلك ، وحصن بفراس وحصن ديركوش ، وصهيون ، وبرزية ، وحصن الدعوة ، وغير ذلك من سائر الممالك الإسلامية ، وما سيفتحه الله تعالى على يد الملك المنصور ، ويد ولده . وعلى المواني والسواحل والأبراج ، وغير ذلك . وعلى بلاد الإبرنس ، وعلى طرابلس . وما هو داخل فيها وأنفَه البترون ، وجبيل ، وبلاد ذلك . وعرفا وبلادها ؛ المعينة في الهدنة وعدتها أحد وخمسون ناحية . وما هو للخيالة ، والكنائس وعدتها أحد وعشرون بلداً . وما هو للفارس « روجار دلالولاي » من قبلى طرابلس يكون مناصفة . / وعلى أن يستقر برج اللاذقية ، وميناؤها في استخراج الحقوق والجبايات والغلات وغيرها مناصفة ، ويستقر

(١) ابن الفرات ج ٧ ص ٢٠٦ (سنة ٦٨٠ هـ ١٢٨١ م) .

مقامهم باللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية الركنية ، وعلى أن يكون على جسر ارتوسية من غلمان السلطنة لحفظ الحقوق ستة عشر نفرأ ، وهم المشد والشاهد والسكاتب ، وثلاث غلمان لهم وعشر رجالة في خدمة المشد . ويكون لهم في الجسر بيوت يسكنوها ، ولا يحصل منهم أذية لرعية الإبرنس ، وإنما يمتنعوا ما يجب منعه من الممنوعات ، ولا يمتنعوا بما يكون من عرقاً وبلادها من الغلات الصيفية والشتوية وغيرها لا يعارضهم المشد فيه ، وما عدا ذلك مما يعبر من بلاد السلطان يؤخذ عليه الحقوق .

ولا يدخل إلى طرابلس غلة محمية للإبرنس ، ولا غيره إلا ويؤخذ الموجب عليها ، وعلى أن الإبرنس لا يستجد خارج مما وقعت الهدنة عليه بناء يدفع ولا يمنع . وكذلك السلطان لا يستجد بناء قلعة ينشئها من الأصل في البلاد التي وقعت الهدنة عليها ، وعلى الشوانى من الجهتين أن تكون آمنة كل طائفة من الأخرى ، ولا ينقض ذلك بموت أحدهما ولا بتغييره وأن يحسن لأحد من أعداء السلطان ولا يتفق عليه برمز ولا خط ، ولا مراسلة ولا مكاتبة ولا مشافهة .

وتقررت الحال على ذلك ، وعادت الرسل . وتوجه الأمير فخر الدين أياز المقرى الحاجب ليحلف الفرنج ومقدم الاسبتار على ما انعقد عليه الصلح فحلفهم .

ذكر تحليف الشريف صاحب مكة المشرفة

في شعبان المكرم من هذه السنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) حلف الشريف أبونفى صاحب مكة المشرفة بهذه اليمين (١) :

أخلصت نيتي ، وأصفيت طويتي ، وساويت بين باطني وظاهري في طاعة مولانا السلطان الملك المنصور ، وولده السلطان الملك الصالح ، وطاعة أولادها وارثي ملكهما ، لا أضمر لهم سوءاً ، ولا غدرأ في نفسي ولا ملك ، ولا سلطنة .

وأنتى عدو لمن عاداهم ، صديق لمن صادقهم ، حرب لمن حاربهم ، سلم لمن سلمهم .
وأنتى لا يخرجني عن طاعتها طاعة أحد غيرها ، ولا أتلفت في ذلك إلى جهة غير جبهتهما ، ولا أفعل أمراً مخالفاً لما استقر من هذا الأمر ، ولا أشرك في تحكمهما عليّ ، ولا على مكة المشرفة وحرمة ، وموقف جبلها زيدا ولا عمرو .

وأنتى ألزمت ما اشترطته لمولانا السلطان ولولده في أمر الكسوة الشريفة المنصورية الواصلة من مصر المحروسة ، وتعليقها على الكعبة الشريفة في كل موسم ، وأن لا يعاوها كسوة غيرها ، وأن أقدم علمه المنصور على كل علم في كل موسم ، وأن لا يتقدمه علم غيره .
وأنتى أسبل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين والآمين لحرمة والحاجين والواقفين وإننى أجتهد في حراستهم من كل عاثر بفعله وقوله ، ومتخطف للناس من حوله .

وإننى أوثنتهم في سربهم وأعذب لهم مناهل شربهم .
وإننى والله أستمر بتفرد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصوري ، وأفعل في الخدمة فعل الخالص الولي .

وإننى والله ، والله أمتثل مراسمه امتثال النايب للمستنيب ، وأكون لداعى أمره أول سامع مجيب .

وإننى ألزمت بشروط هذه اليمين من أولها إلى آخرها ولا أنقضها .

(١) ابن القرات ج ٧ ص ٢٤٧ .

نسخة اليمين التي حلف عليها

السلطان الملك المنصور في هدنة عكا^(١)

أقول وأنا والله ، والله ، والله ، وبالله ، وبالله ، وبالله ، وتالله ،
وتالله ، وتالله ، والله العظيم الطالب الغالب ، الضار النافع ، المدرك المهلك ، عالم ما بدا
وما خفا ، عالم السر والعلانية ، الرحمن الرحيم ، وحق القرآن ومن أنزله ، ومن أنزل عليه ،
وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وما يقال فيه من سورة سورة ، وآية وآية ، وحق
شهر رمضان : أننى أفى بحفظ هذه الهدنة المباركة ، التى استقرت بينى وبين مملكة عكا ،
والمقدمين بها على عكا وعثليث ، وصيدا وبلادها ، التى تضمنتها هذه الهدنة ، التى مدتها
عشرة سنين ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ، وعشرة ساعات ، أولها يوم الخميس خامس
شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة^(٢) للهجرة من أولها إلى آخرها . وأحفظها وألتزم
بجميع شروطها المشروحة فيها ، وأجرى الأمور على أحكامها إلى انقضاء مدتها ، ولا أتأول
فيها ولا فى شيء منها ، ولا أستفتى فيها طلباً لنقضها ما دام الحاكمون بمدينة عكا وصيدا
وعثليث ، وهم : كافل المملكة بعكا ، ومقدم بيت الديوية ، ومقدم بيت الاستتار ، ونائب
مقدم بيت استتار الأمن الآن ، ومن يتولى بعدهم فى كفالة مملكة ، أو تقدم بيت بهذه
المملكة المذكورة . والذين باليمين التى يخلقون بها لى ، ولولدى الملك الصالح ولأولادى
على استقرار هذه الهدنة الحرة الآن عاملين بها وبشروطها ، المشروحة فيها إلى انقضاء
مدتها ، ملتزمين بأحكامها ، وإن نسكت فى هذه اليمين فيلزمنى الحج إلى بيت الله
الحرام بمكة المشرفة حافياً حاسراً ثلاثين حجة . ويلزمنى صوم الدهر كله ، إلا الأيام
المنهي عنها .

ويذكر بقية شروط اليمين . والله على ما نقول وكيل .

(١) نص الهدنة ص ٣٤ من هذا الكتاب واليمين .

(٢) الموافق ٣ يونيو ١٢٨٣ م عن ابن الفرات ج ٧ ص ٢٧٠ وصبح الأعشى ج ١٣ ص ٣١٢

وأنتى والله ، وحق دينى ومعبودى ، أسلك فى المعاهدة والمهادنة ، والمصافاة والمصادقة ، وحفظ الرعية الإسلامية ، والمتريدين من البلاد السلطانية ، والصادرين منها وإليها طريق المعاهدين والمتصادقين الملتزمين كف الأذية ، والمدوان عن النفوس والأموال .

وألتزم الوفاء بجميع شروط هذه الهدنة إلى انقضائها ما دام الملك المنصور وافيًا باليمين التى حلف بها على الهدنة . ولا أنقض هذه اليمين ، ولا شيئًا منها ، ولا أستثنى فيها ، ولا فى شيء منها طلبًا لنقضها .

ومتى خالفها أو نقضها ، فأكون بريئًا من دينى ، واعتقادى ومعبودى ، وأكون مخالفًا للكنيسة .

ويكون على الحج إلى القدس الشريف ثلاثين حجة حافياً ، حاسراً ، ويكون على فك ألف أسير مسلمين من أسر الفرنج ، وإطلاقهم ، وأكون بريئًا من اللاهوت الحال فى الناسوت .

واليمين يمينى ، وأنا فلان ، والنية فيها بأسرها ، نية السلطان الملك المنصور ، ونية ولده الملك الصالح ، ونية مستحلفى لهما بهما على الانجيل المكرم ، ولا نية لى غيرها والله والمسيح على ما نقول وكيل .

تمت الهدنة والأيمان . والله أعلم .

في ثامن شهر ربيع الآخر ٦٨٤ هـ (١٣ يونيو ١٢٨٥ م)
تولي الشيخ المذهب أبو الحسن بن الموفق بن النجم
ابن المذهب أبي الحسن بن سمویل المتطبب رئاسة اليهود
وكتب له ابن المسكرم كاتب الدرج الشريف تقليداً

نسخته (١):

أنا لما ألقاه الله سبحانه إلينا من مقاليد الأمور ، وجعله في أيدينا من صلاح الجمهور ،
واثقاً من نصره العزيز ، ومن آتاه نصره فهو المنصور ، نراعى أحوال الرعايا ، ونوجب ملاحظة
البرايا ، لنعم بحياطتنا سائر الأمم ، ونحفظ لسكل أمة ما لها من ذم . فنحن بحمد الله معتنون
بمصالح الرعية ، وإن اختلفت مللهم وآراؤهم ، وتفرقت مذاهبهم وأهواؤهم ، خلقاً شريفاً منا
وسجية مباركة تنسب إلينا ، وتروى عنا ، تحمل كل أمة على شروعيها ونسلك بها سبل أصلها
وفرعها ، ونعتمد حفظ ذمامها ، وإبقاءنا موسماً ، والمحابة عن رئيسها ومرووسها . ويساوى
في المعدلة بين قويهم وضعيفهم ، ونسأهم في الحق بين شريفهم ومشروفهم .

فالحمد لله على هذه النعمة التي علت النعم ، وألهمتنا حسن النظر في مصالح الأمم .

ولما كان الشيخ الجليل الرئيس الكافي ، المقرب الحكيم المذهب تاج الحكمة ،
ثقة الملوك والسلطين ، أبو الحسن المتطبب ، شرح الله صدره ، ويسر أمره ، وروح سره ،
ومن تقدمت له رئاسة على أبناء جنسه ، وقام له شاهد على نبلة من سلفه ، ومن نفسه .
وكان صدراً في أهل ملته ، ورئيساً في مذهبه وشرعته ، قد شهر في عشيرته بديانته ،
وعرف في قومه بكفاية وأمانة ، اقتضت الآراء الشريفة أن نجعل له الحديث في أهل ملته ،
والرياسة على قومه وأمته ، وخرج الأمر العالي لا زال حاكماً على الأمم ، مالكا للعرب
والعجم ، أن يفوض إليه رئاسة اليهود على سائر طوائفهم ، الربانين والقرايين ، والسامرة

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ١٨ .

بالقاهر ومصر الحروستين ، وسائر الديار المصرية تقديمًا له على كل قائل يقوله ، ومقتد بفعله
وعلماء بما هو عليه من الحياطة لأهـور رعيتنا به التي يعيننا ملاحظتها ، وثقة منه بما يأخذ
به نفسه من حراسة أحوالها التي يلزمنا تمهيدنا ، ومحافظتها .

وأمرنا أن يعتمد في حق من وليناه أمرهم إصلاح فاسدهم ، وتقويم ما يدهم ،
وأن يحملهم على منهج دينهم الذي يدينونه ، ويسلك بهم سنن معتقدهم الذي يعتقدونه ،
وأن يحسن السيرة فيهم بما يقضى باستقامة أحوالهم ، ويفضى إلى انتظام شملهم ، وتأنف
أفعالهم وأقوالهم ، لتخلص لنا طاعتهم ، وتصح لنا نصيحتهم .

فليأتمر معاشر طوائف اليهود والسمرية بأمره ، وليقفوا عند حكمه وزجره ، ولا يخالف
أحد منهم ما يحكم به من نص شريعته له ، وعليه ، ولا يعارضه في الحق من ورائه ،
ولا من بين يديه ، ولا يفتح مجلس في صلاة إلا بأمره ، وحكمه ، ولا يخرج أحد من الجميع
من تقدمه ورسمه ، ولا يتجره عليه متجره ، ولا يتوجه إلى غير حله متوجه ، وله أن
يستنيب من يختاره من نواب الرئيس المتقدم وغيرهم من يختاره ، وله أن ينصب لكل
طائفة من يرتضى من تلك الطائفة ، ليحكم فيهم بمذهبهم ورأيهم ، ومن شاققه أو واقفه
أو عانده أو خالفه ، فله أن يؤدبه ، ويقم عليه الحد ، ويحرمه بمقتضى شريعته على ملته .

فليتمسك بالدين ولا يخرج عن « سننه » المستبين ، وليتلق هذا الإحسان بما يجب
من شكر ، والاعتراف بجزيل بره ، وليتهل هو وشعبه بالشكر لإنعامنا والدعاء بإعزاز
نصرنا ودوام أيماننا .

فمن قرأ هذا المرسوم الشريف أو قرئ عليه من كافة النواب والشادين ، وسائر الولاة
والمصرفين ، فليعمل به وليقف عند موجهه ، وليوعز بإكرام الرئيس ، المذكور واحترامه ،
ومعرفة قدر ما قلدها وإعانتته على ما وليناه .

والخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه .

وأنشأ القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

تقليداً آخر فى المعنى فى التاريخ

نسخته (١) :

أما بعد ، حمد الله الذى جعل أطاف هذه الدولة القاهرة تصطفى لذمتها من اليهود
رييساً فرييساً ، وتختار لقومها كما اختار من قومه موسى ، وتبهج لهم نفوساً كلما قدمت
عليهم منهم نفيساً .

والصلاة على سيدنا محمد النبى الأمى ، والرسول الذى أجمل الوصية بالملى والذمى ،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ماهطل ولى ، وما نزل وسمى ، فإن معدلة هذه المملكة
التي تكتنف المال والنحل والاحتياط وتعمهم من إنصافها وإسعادها بأوفر الأنصاء وأوفى
الأقساط ، وتلمهم من حادث الزمن إذا اشتط ، ومن صرفها إذا شاط ، وتضمهم كما ضمت النبوة
إلى جناح النبوة الأسباط ، لا تزال ترقب الآل والذمة فى المسلمين ، وتقضى لهم بحسن الخبرة
ورعاية الحرمة ، وتبيحهم من أمور دينهم ماعليه عوهدوا وتمنحهم من ذلك ماعليه عوقدوا ،
وتحفظ نواميسهم بأخبار ، ويحمل مرادهم إذا شوفوها ، ويحسن مرآهم إذا شوهدها
من كل إسرائيلى أجمل للتوراة الدراسة ، وأحسن لأسفار أنبيائه اقتباسه ، وأجل التماسه ،
ومن نهته نباهته التقدمة فما طعم اجتهاده يوماً حتى صار وجهه للوجاهة فى قومه ، ورأس
الرياسة ، فأصبح فيهم معدم النظير ومعدوداً منهم بكثير ، وموصوفاً بأنه فى شرح أسفار
عبرانيته حسن التفسير ، واستحق من بين شعبه أن يكون رأس الكهنة ، وبأن تصبح
القلوب فى مجامعهم بحسن منطق مرتبهة ، وبأن الجمالة بتثقيفه لشيعته تحجب عقائدهم
عن أن تغدو ممتحنة .

(١) صبح الأعشى ج ١١ ص ٣٨٦ وابن الفرات ج ٨ ص ٢٠

ولما كان الرئيس فلان هو بمحاسن هذا التقرير بهجة ولجسد هذا التفويض مهجة ،
ولمادح هذا الثناء العريض لهجة ، ولعين هذا التعيين غمضا وليد هذه الأيادي بسطها وقبضها ،
ولأبكار أفكار هذه الأوصاف متقاضيا ومقتضاها ، ومن أدنيت قطاف النعماء ليد تقدّمته
على غيظ من غصّ منها فاجتفى غضها .

اقتضى حسن الأمر الشريف أن يُميّز على أبناء جنسه حق التمييز ، وأن يجازله
من التنزيال والتنويه أجل ما جيز ، ورسم الأمر العالي لا زال يمتاز فيجمل الاختيار ،
ويغذو بالغيث الذي يعم بنفعه الربا والوهاد والأثماد والبحار ، أن تفوض إليه رئاسة اليهود
على اختلافهم من الربانيين والقرايين والسمره بالديار المصرية ، حماها الله وكلأها .

فليجعل أسبابهم بالتقوى ، وغروسمهم بالتدبير لا تذوى ، ومقاصدهم لا يمازجها شك
ولا شكوى ، وأنزل عليهم منامنا يسلبهم ضغنا حتى لا يفارقوا المن والسوى . وليتق الله
فيما يذره ويأتيه ، ويحسن في اجتلاب القلوب واختلابها تأتية وإياه والتية حتى لا يقال
كأنه بعد ، لم يخرج التية .

وجاعة الربانيين فهم الشعب الأكبر ، والحزب الأكثر ، فعاملهم بالرفق الأجدى ،
والبر الأجدر ، ولا تكونك منهم لا تميل معهم على غيرهم فيما به من النفس الأمانة بالسوء ،
تؤمر وجاعة القرايين المعروفون في هذه الملة بملازمة الأدلة والاحتراز في أمر الأهله ،
فانصب لأمرهم من لم يتوله ، ومن كان منهم له معتقد فلا يخرج عن ذلك ، ولا يخرج
ولا ياجم منهم باجم من نار إنكار من في ليلة سبته عليه لا يسرج والسمره فهم الشعب
الدين إذن الشظف أهله بحروبه ، ولم يك أحدهم لمطعم لـكم ولا شرب بأكوله ولا شروبه .
فمن قدرت على رده بدليل من مذهبك في شروق كل بحث وغروبه ، فأردده من منهج
تحيده عن ذلك وهروبه ، وإلا فقل له : ياسامري بصرت بما لم تبصروا به ، وليكن
حكمك فيهم بالبت ، وارفق بهم ، فإن المنبت لأرضا قطع ، ولا ظهراً أبقى . فإياك
أن تكون ذلك المنبت ، ومهم بملازمة قوانينهم كيلا يعدوا أحداً منهم في السبت ،

واجعل أمور عقودهم مستتبة ، وأحسن التحرى والتحرير لهم فى إتقان كل كتبه ، ولا تختر
إلا الأعيان من كل « خزان » وديان .

ومن كان له من داود عليه السلام لمحة نسب وله به حرمة نسب فارغ له حقه ، واحببه
من الرفق أكرم رفقة والجزية ، فهى للمائكم وأولادكم ، وعلى دافعها لا دافعها ووصمة ، ولأجاليها
ورد من آذى ذمياً كنت خصمه ، وهى لكم من السيف إجاره ، وهى أجرة دار الإسلام كما
هى لاستحقاق المنفعة بها إجارة ، فأدوها ، وبها نفوسكم فأدوها ، وأن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها .

فعددوا أطفاف الله بها ولا تعدوها ، وداوم على مه زجر التآرك علامة ، ومن قصد منها
خلاصه ، قل له فى الملا وإذا خلاصه .

ومن ركن فى إمرتنا إلى الإخلاد والإخلال ، وسكن إلى الإهمال ، ولم يرض بأن راية
الدولة الصفراء على رأسه ، فأوسع إنكاراً ، والزمه منها شعاراً ، وإن قام بنصره منهم
معشر حسن فأرهم بغد العلامة ، من جر يش الأفسكار خُشكاراً ، وخذهم بتجنب الغش
الذى هو للعهد مغير ، ومغيب ، واكفف من هو بما ينافيه معير ، ومعيب ، وأما من هو مجيب
لذلك فهو لقصده محبب ، وانتقل طباعهم عن ذلك ، وإن أبت على الناقل فانتقامنا يتلو ،
قل لا يستوى الخبيث والطيب .

وقد علم أن الذى تنعاطونه من نفخ فى البوق ، إنما هو كما قلتم للتذكار ، فاجتهدوا
أن لا يكون لتذكار العجل الجسد الذى هو خوار .

هذه وصاياتنا لك ولهم ، فقل لهم هذه موهبة الدولة وإحسانها إليكم ولطفها بكم وعاطفتها
عليكم وبصرهم بذلك كما تلا إحساننا إليهم .

يا بنى إسرائيل : ﴿ اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾ .

في حادى عشر شهر رمضان المعظم سنة ٦٨٤ هـ (العاشر من نوفمبر ١٢٨٥ م)

تولى القضاة مهذب الدين ، وعلم الدين ، وموفق الدين

أولاد أنى خايفة رياسه الطب

وكتب القاضى محمد بن المكرم تقايدهم بذلك

نسخته^(١) :

الحمد لله ، مسدى النعمة ، ومهدى الرشاد للأمة ، ومؤتى الخير الكثير من الحكمة .
نحمده على أن وفر لنا من الملك القسمة ، وأهب بنصرنا على أعدائنا وأعدائه كل نسمة
وصرف عزائمنا المظفرة إلى نصر دينه ، ومصالح خلقه . فليس لنا إلى غير ذلك عزمة .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة ترفع الكلمة وتعالى الهمة ،
وتحفظ الآل والذمة .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة ، وكاشف الغمة ، ومنير الظلمة ،
صلى الله عليه صلاة تعالى ذكره ، وترفع اسمه ، وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين ،
الذين شادوا دينه ، وورثوا علمه ، وسلم تسليماً يديم شرفهم مدى الزمان ، ويبقى حلمه .

وبعد ، فإن أجلّ العوارف ما صادف محلاً ، وخير الصنائع ما يصنع إلى من يكون
له أهلاً . وأحسن المحاسن أن يولى من يقول له المنصب : أهلاً وسهلاً ، لا سيما إذا رجع
الحق به إلى نصابه ، ورد به السيف إلى قرابه ، وعاد المنصب إلى ربه الذى هو أولى به .

ولما كان العلم كما روى من أن العلم علمان : علم الأديان ، وعلم الأبدان ، تعين علينا
أن نحسن فى هاذين العلمين النظر ، ونحمل لهما فى أيامننا المنصورة ما يبقى لهما به على الدوام ،

(١) ابن القرات ج ٨ ص ٢٢ .

وحسن الأثر ، فأقننا من شعارهما ما أبهج من غاب عن ممالكنا الشريفة ، ومن حضر .
ونال كل أحد حظه من ذلك إما غائباً بالسمع ، وأما شاهداً بالبصر .

وأردنا أن نحفظ على رعيتنا ما هم مفتقرون إلى حفظه من صحة الدين والبدن ، وعلمنا
أنه لا يقدر على القيام بالفرائض إلا من صح من بدنه ما ظهر ، ومن دينه يعان .

فأنشأنا لهذين العلمين الشريفين من المباني المباركة ، ما أسس على التقوى وأتقناه
إتقاناً محكماً لا يزول عينه ولا حكمه ، وإن زال رضوى فعم النفع في أيماننا جميع السرية ،
ووصل الخير في دولتنا إلى سائر الرعية . ونصبنا لذلك من العلماء والحكماء من اخترناه
ورضيناه لما اخترناه .

ولما كانت رئاسة الأطباء ، هي المنصب الذى لمتولي الأمانة على الأرواح ، والتصرف
في الأشباح والتصرف لذوى الصلاح ، ولمباشرة الحكم في التجريح والتعديل وعليه
فيمن ينصب للعلاج والمداواة التعويل ، تعين أن نختار من ينصب لذلك ويرتب ،
وأن تنتخب له من الرجال المهذب .

ولما كان المجلس السامى القاضى مهذب الدين من خدم الملوك هو وأبوه ، ونشأ
بين يديهم هو وأخوه وأخوه ، وعرفوا مناصحته ومخالصته ففضلوه وأكرموه ، وشاهدوا
فضيلته فرأسوه من قبل ذلك وقدموه .

وكان قد سبقت له في هذا المنصب أحسن مباشرة ، وسار فيه سيرة أشهرت أظهرت
مناقبه ، وسطرت مآثره ، وعدت الدور إلى الاستضاءة بأنوار مباشرته متبادرة ، وغدت
الأمثال بإشرافه على مباشرته سائرة .

اقتضت الآراء الشريفة أن يحفظ لهذا المنصب قدره ، وأن يحسن تمريره لما أفل بدوره
فلذلك خرج الأمر العالى أن تفوض رئاسة الأطباء إليه وإلى إخوته المجلسين الساميين
القاضى علم الدين إبراهيم ، والقاضى موفق الدين أحمد - أعزهم الله تعالى - على العادة
في التقدمة والرئاسة ، فليأشرك ذلك مباشرة شق الله في أمره مراقب له في سره وجهره ،

عالم بالجازاة مؤمن بالمكافأة ، متبع الحق معتمد للصدق سالك سبل الدين ، راكب سننه المستبين .

وليلق هذه التولية أحسن ملقى ، وليصرف لها وجهاً طلقاً ، وليحكم فى أموره بالنفس ولينصف فى القبض والبسط ، ولينظر فى أحوال المتصرفين من الأطباء الطبائية وليكتف عن أمور الكحالين والجرايمية ، وليقرهم على قواعدهم التى رقوا إليها ، وليجرهم على عوائدهم إلا من ظهرت منه كبيرة وهو مصر عليها .

وليتقدم إليهم بالثبوت والاتفاق على ما يستعملونه بالحديد ، وأن لا يتعرض أحدهم لعمل إلا وعليه من الحكماء المعروفين شهيد .

وليكشف أمور من يقعد على الطرقات ، ويعتمد فى أفعاله الموبقات ممن يعمل بالحديد وغيره ، ولا يؤنس من شره ، ولا يطمع فى خيره فليمنعه من الجلوس ، وليصرفه عن أذى الأجساد ، وتلف النفوس ومن سمع أنه فى الضواحي والبلاد يتعالى ما يتعالى ، ولا يبذل فى مباشرته احتياطاً فليكتب بمنعه وليجتهد فى ردعه ، وليختبر كل متظاهر ، أو متستر بهذه الصناعة ، وليحقق ما عنده فيها من بضاعة . فمن ثبت أنه أهل للتصرف فليصرفه مع الجماعة ، ومن لم يثبت أنه أهل فلا يمكنه أن يطلق لسانه ، ولا أن يمد باعه ، ولينعم النظر فى أمور الأشربة والعقاقير والأدوية ، فليمنظر فى مجموعاتها ومفرداتها وبسائطها ومركباتها مما جرت العادة باختياره . وليتقدم بالاحتراز فيها ، وأن لا يباع منها إلا مالا شك فى جودته واختياره . وليأخذ من رغب فى هذا العلم بالاشتغال بالمصنعات ، وعلم التغذية ومعرفة المسائل ، وحفظ الفصول وبحث القانون والكمليات .

ومن وصل إلى حد التزكية فليقبل عليه بوجه القبول ، ومن استحق الإذن والتصرف فليرجع فيه إلى كلام الحكماء العدول ، وليوف المنصب حقه ، ولا يحرم ذا استحقاق ما استحقه ، فإن حرمان المستحق يوقف غيره ، ولا يرغب فى علم إذا لم يرج طالبه خيره ، ولا يعط الحكمة غير أهلها ، فيظلم ولا يمنعها عن أهلها فيأثم .

وأما أخواه القاضى علم الدين ، والقاضى موفق الدين ، فليعرفا القاضى مذهب الدين

حتى التندرة والسن والفضيلة التي تركن إليها النفس ، وأطمئن ، وليرعيا له حرمة الأخوة
وليعلما أن شدة المضد بالأخ نعمة في حق النبوة ، ولينزلا أنفسهم في احترامه بمنزلة النبوة ،
وليرفعاه عن إذلال الأخوة إلى آداب الأبوة ، وليكن مرجعهما في سماع التركية ونصب
من ينصب ، وإقامة من يقام إليه واعتمادهما في سائر التصرفات عليه ، وإذا أشكل عليهما
أمر فليستوضحاه من لدنه ، وليجمللاه لديه ولا يقطعا أمراً ولا يفصلاه إلا بحضرتة وبين يديه ،
وهو أعزه الله تعالى متى انفرد كان كافياً ، فلا سيما إذا حصل الاتفاق واجتماع الآراء ،
وإن أصاب كل منهما خير من الافتراق فليشكر هذه المنة وليشفع فرض حمدتها بالسنة ،
وليكن مقيما بالقاهرة مرفهاً من الأسفار والبيبا كير متوفراً على ما هو مخصوص به من تدريس
البيمارستان المنصوري .

وهذا المنصب الأثير معطياً لهاتين الرتبين حقهما من جميل التدبير وجليل التأثير ،
فإننا ما ولينا هذا المنصب النفيس ، وجمعنا له بين الرياسة والتدريس ، إلا وقد أقمناه في دولتنا
مقام ابن سينا ، وكيف لا ، وهو الشيخ الرئيس وسبيل كل واقف على هذا التوقيع من النواب
كافة تقوية يده على المصالح المعروفة به في هذا المكتوب الكريم وأعانتة على سلوك طريقه
المستقيم والوقوف عند أوامره ونواهيه وأحكام أحكامه المتقنة ، والعمل بما فيه فإنه هو الأصل
الذي بهرت براهينه وقامت بينانه ونسخ ما قبله ، وأحكمت آياته . فلينزل حكمه وليثبت
علمه ، ولبيض على ممر الدهور رسمه .

واخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه .

في العشر الأوسط من شهر رمضان ٦٨٤ هـ

(منتصف نوفمبر ١٢٨٥ م)

تولى القاضي تقي الدين بن شاس ، المالكى تدریس المدرسة المباركة المنصورية

وكتب له القاضي ابن المكرم ، كاتب الدرج الشريف ، تقليداً بذلك

صورته (١) :

الحمد لله ، الذى جعل العلماء ورثة الأنبياء ، وأمرنا بالاهتداء بهداهم والافتداء ،
وجعل الجنة ميراثاً لعباده الأتقياء . نحمده على ما أسبغ من النعماء وآتانا من الملك والاستيلاء ،
وزادنا من البسطة فى العلم والجسم ، وخصنا به من الاصطفاء .

ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة تجل عن الارتياب والارتياء .
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الخصوص بالشفاعة والإسراء ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه ، صلاة ملء الأرض والسماء .

وبعد ، فإننا لم نزل ، والله الفضل والمنة ، قائمين بالفرض من إقامة شعار هذا الدين
والسنة ، معملين فى تشييده الفكر مرسلين فى تأييده الأعنة ، مسدين إلى إقامة نواميس
أوليائه سهام الآراء ، مصوبين إلى محور أعدائه الأسنة ، باذلين فى نصره ورفع مناره
الأنفس والأموال ، من غير جبن ولا ضنة ، مجاهدين أعداءه الذين استحوذ عليهم
الشيطان ، وصدق عليهم إبليس ظنه ، تالين : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة .

فنحن إما فى تجنيد جنود شاع خبر نصرها للإسلام ، وإما فى تجهيز ركب وسبيل
إلى بيت الله الحرام ، وإما تشييد أمان مكن مباركة تبقى وجوه برها على الدوام ، فمنها ما يتلى

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٢٧

فيه كتاب الله سبحانه وتعالى ، وحديث نبيه عليه الصلاة والسلام ، ومنها ما تلقى فيه
مذاهب الأربعة الأئمة ، وترفع فيه للعلوم أعلام ، ومعه ما يطلب فيه الدواء للداء ، ويرجى
فيه الشفاء من الأسقام ، إقامة لمنازل على الأديان والأبدان ، وحفظاً لصحتي الأبدان
والأديان .

فأيام ملكنا المنصور خير الأيام ، ودولتنا الشريفة موسم الأنام ، ولا بد لهذه الأماكن
من أئمة ينتصب كل منهم لإقراء علمه ، ويجرى فيه طلبته على حكمه ، ويتهدبون بأدبه ،
ويتفقهون عليه في مذهبه .

وقد اخترنا لكل مذهب إماماً ، وقلدناه أحكاماً ، وأحكنا أمر توليته إحكاماً .
وكان المختار لمذهب الإمام مالك من هو لجواهره الثمينة وارث بل مالك ، وهو المجلس
السامى القاضى تقي الدين أبو على الحسن بن القاضى شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم
ابن الشيخ جلال الدين أبى محمد عبد الله بن شاس السعدى ، المالكى . فلذلك رسم بالأمر
العالى ، لازال يحسن الاختيار ، ويظفره الاختبار بالأخيار ، أن يفوض إليه التدريس
بالمدرسة المالكية المنصورية على مذهب الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه ، علماً بأنه
البليغ الذى لا يخشى توقفه إذا خطب عند الخطبة ، والكريم الذى لا يقرع أنفه إذا خطب
عند الخطبة ، والأصيل الذى ورث العلم عن سلفه المبارك ، والجليل الذى تفرد بفضله فلا
يساهم فيه ولا يشارك ، والفريد الذى وجب عندنا أن نوليه هذا المنصب الجليل ، والوحيد
الذى تعين علينا أن نقبل على الطلبة من توليته بوجه جميل .

فليحمد الله تعالى على ما خصه به من الأهلية ، ووهبه له من الأولوية ، وليتلاق هذه
النعمة بشكر يزيد من فضلها ، وبقي عليه من ظلمها ، ولينتصب لإقراء مذهبه المبارك ،
وتقرير قواعده الخمس ، وليعلم أن تفقه رجل واحد من طلبته عليه ، خير له مما طلعت عليه
الشمس ، وليجعل آيات مذهبه ظاهرة مبينة ، وأسباب أدائه قوية مكينة ، وليؤيد رأيه ،
ولينصر دينه ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : يوشك أن يضرب الناس أكباد
الإبل ، يطلبون العلم ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة .

وليلق طلبته بوجه طلق ، وثغرا باسم ، وليقسم لهم من تهديهم وتلهمهم ما ينسبهم
أشهب ، وابن القاسم .

وليعهدهم بملازمة دروسهم ، وحفظ ماضيهم ، وليحسن في استعادتهم ما حفظوه ،
تقاضيهم . ولينصف كبيرهم في بحته ، وليسعف صغيرهم بحضه على الاشتغال ، وحته .
وليحسن التلطف مع الطالبة والإيناس ، وليستعمل في تعليمهم الذكر والفكر والحواس .
وليجهد في أن يكون المتفقهون عليه كثيراً من الناس ، فلا سمعة أحسن من أن يقال
عنه بعده عن حاكم أو مُفتٍ : هذا من طلبة ابن شاس ، متبعاً في ذلك كله شروط الواقف ،
أعز الله نصره ، واقفناً عند أمره العالى ، أعلى الله أمره .
والخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه .

وتولى مذهب الدين تدريس البيمارستان المنصوري المستجد

وكتب ابن المكرم كاتب الدرج تقليده بذلك

ونسخته^(١):

الحمد لله الذي دبر بحكمته الوجود ، وغمر برحمته كل موجود ، وحال بنفع الدواء
بين ضر الداء ، كما حالت عطاياه دون الوعود .

نحمده ونشكره ، وهو المشكور الحمود ، وثنى عليه خير الثناء ، قياماً وقعوداً ، وعلى
الجنوب وفي السجود ، ونستزیده من فضله فإنه أهل الفضل والجود .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، شهادة الله بها والملائكة وأولو
العلم شهود .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المبشر لأمته بالجنات والخلود ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه صلاة دائمة إلى اليوم للموعود .

وبعد : فإننا لما أقام الله بنا شعار الإيمان ، وأصبح دينه بحمد الله منفصراً بنا على سائر
الأديان ، وجاهدنا في الله حق الجهاد باليد والقلب واللسان ، وشيدنا لعلومه وشرائعه
كل بديع الإتيان ، ورتبنا فيه من العلماء الأعيان كل رفيع الشأن ، واخترنا له الأخيار
من أهل العلم بالطب ، والفقه والحديث والقرآن ، ورأينا كل من تقدمنا من الملوك
وإن سلك في سياسة الرعية أحسن سلوك ، قد اهتم بعلم الأديان ، وأهمل علم الأبدان ،
وأنشأ كل منهم مدرسة ، ولم يحفل ببيمارستان ، وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم : العلم

(١) تاريخ هذا التقليد « رمضان ٦٨٤ هـ / نوفمبر ١٢٨٥ م » - ابن الفرات ج ٨ ص ٢٥
وصبح الأعشى ج ١١ ص ٢٥٣ .

علمان . ولم يأخذ أحداً من رعيته بالاشتغال بعلم الطب المضطر إليه ، ولا وقف وقفاً على طلبه هذا العلم المنصوص عليه ، ولا أعد له مكاناً يحضر من يشتغل بهذا الفن فيه ، ولا نصب له شخصاً يتمثل هذا المشتغل لديه ، علماً نحن بحمد الله تعالى من ذلك ما جهلوه ، وذكرنا من هذه القرية ما أهملوه ، ووصلنا من هذه الأسباب الدينية والدنيوية ما فصلوه ، وأنشأنا بمارستاناً يبهر العيون بهجة ، ويفوق الأبنية بالدليل والحجة ، ويحفظ الصحة والعافية على كل مهجة ، لوحه أشفى لعوجل بالشفاء ، أو جاءه من أكده السقم لاشتفى ، أو أشرف عليه العُمر بلا شفاء لعاد عنه بشفا . ووقفنا عليه من الأوقاف المبرورة مائلاً العينين ، ويطرف سماع جملته الأذنين ، ويعيد عنه من أمه مملوء اليدين ، وأبجنا التداوى فيه لكل شريف ومشروف ، ومأمور وأمير ، وساوينا في الانتفاع به بين كل صغير وكبير ، وغنى وفقير .

وعلمنا أن لا نظير لنا في ملكنا ، ولا نظير له في إتيانه ، فلم نجعل لوقفه وشرطه من نظير ، وجعلنا فيه مكاناً للاشتغال بعلم الطب الذي كاد أن يجهل ، وشرعنا للناس إلى ورد بحره أعذب منهل ، وسهلنا عليهم من أمره ما كان الحلم به من اليقظة أسهل ، وارتننا له من علماء الطب من يصلح لإلقاء الدروس ، وينتفع به الرئيس من أهل هذه الصناعة والمرءوس ، ويؤتمن على صحة الأبدان وحفظ النفوس ، فلم نجد غير رئيس هذه الطائفة أهلاً لهذه المرتبة ، ولم نرض لها من لم تكن له هذه المنقبة ، وعلمنا أنه متى وليها أمسى بها معجباً ، وأضحت به معجبة .

ولما كان المجلس السامى مهذب الدين هو الرئيس المشار إليه ، والوحيد الذى تعقد الخناصر عليه ، وكان هو الحكيم بقراط ، بل الجليل سقراط ، بل الفاضل جالينوس ، بل الأفضل ديسقوريدوس .

اقتضت الآراء الشريفة أن تزد جلالته بتولية هذا المنصب الجليل جلاله ، وأن تزف إليه تجرر أذيالها ، ويزف إليها يجرر أذياله ، وأن يقال له : لم يك يصلح إلا لها ، ولم تك تصلح إلا له .

فلذلك رسم بالأمر العالى - لازال للدين ناصراً ، ولأعلام العلوم ناشراً - أن يفرض إليه
تدريس الطب بالبيارستان المبارك المنصورى ، المستجد الإنشاء بالقاهرة المحروسة ، علماً بأنه
التميز فى هذا الفن ، وأنه عند الفراسة فيه والظن ، وأنه سقراط الإقليم إذا كان غيره سقراط
الدين ، وثقة بأنا للجوهر قد التقطنا ، وبالحير قد اغتبطنا ، وعلى الخبير قد سقطنا .

فليتلق هذه النعمة بالشكر الجليل ، والحمد الجزيل ، والثناء الذى هو بالثناء والزيادة
كفيل ، ولينتصب لهذا العلم المبارك انتصاب من يقوم بالفرض منه والسنة ، ويعرف له
فيه الفضل ، ويتقلد له فيه المنة ، ويثنى على آثاره الجميلة فيه ، ونثنى إليه الأعنة ، وليبطل
بتقويمه الصحة ما ألغى ابن بطلان ، وليرنا بتديده جبلة البر ، فإنه جالينوس الزمان ،
وليبيذل النجاة من الأمراض والشفاء من الأسقام ، فإنه ابن سينا الأوان ، وليجمع عنده
شمم الطلبة ، وليعط كل طالب منهم ما طلبه ، وليبلغ كل متعم من الاشتغال أربه ،
وليشرح لهم صدره ، وليبيذل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم المسكون
سره ، وليرهم ما خفى عنهم منه جهره ، وليجعل منهم جماعة طبائعية ، وطائفة كحالين
وجراحية ، وقوماً مجبرين ، وبالحديد عاملين ، وآخرين بأسماء الحشائش ، وقوى الأدوية
وأوصافها عالمين ، وليأمر كلا منهم بحفظ ما يجب حفظه ، ومعرفة ما يزيد به حفظه ، وليأخذ
بما يصلح به لسانه ولفظه ، ولا يفتر عنهم فى الاشتغال لحظة ، وليفرد لكل علم من علوم
الطب طائفة ، ولكل فن من فنونه جماعة لحاسنه عارفة ، وليصرف إليهم من وجوه
فضائله كل عارفة ، وليكشف لهم ما أشكل عليهم من غوامضه ، فليس لها من دون إيضاحه
كاشفة ، لينشر فى هذا المكان المبارك من أرباب هذه العلوم قوم بعد قوم ، ويظهر منهم
فى الغد - إن شاء الله تعالى - أضعاف من هو ظاهر منهم اليوم ، وليقال لكل من طلبته إذا
شرع فى إجازته وتزكيتة : لقد أحسن شيخه الذى عليه تأدب ، وإن من خرّج هذا المذهب
عاملاً فى ذلك كله بشروط الواتف ، أعز الله نصره واقفاً عند أمره ، أمضى الله أمره .

نسخة يمين حلف عليها ملك النوبة

للسلطان الملك المنصور قلاوون

عند استقراره نائباً عنه في بلاد النوبة^(١) :

والله ، والله ، والله ، وحق الثالث المقدس ، والإنجيل الطاهر ، والسيدة الطاهرة العذراء ، أم النور ، والمعمودية ، والأنبياء والرسل ، والحواريين ، والقديسين ، والشهداء الأبرار ، وإلا أجحد المسيح كما جحدته بودس الذي طعن المسيح بالحربة .

إنني أخلصت نيتي وطوبيتي من وقتي هذا ، وساعتي هذه للسلطان الملك قلاوون ، وإنني أبذل جهدي وطاقتي في تحصيل مرضاته ، وإنني ما دمت نائبه لا أقطع المقرر علىّ في كل سنة تمضي : وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما كان يتحصل لمن تقدم من ملوك النوبة ، وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصاً من كل حق ، والنصف الآخر مرصداً لمجارة البلاد ، وحفظها من عدو يطرقها ، وأن يكون علىّ في كل سنة كذا وكذا .

وإنني أقرر على كل نفر من الرعية تحت يدي في البلاد من العقلاء البالغين ديناراً عينا . وإنني لا أترك شيئاً من السلاح ولا أخفيه ، ولا أتمكن أحداً من إخفائه . ومتى خرجت عن جميع ما قررته أو عن شيء من هذا المذكور أعلاه كله ، كنت بريثاً من الله تعالى ، ومن المسيح ، ومن السيدة الطاهرة ، وأخسر دين النصرانية ، وأصلي إلى غير الشرق ، وأكسر الصليب ، وأعتقد ما يعتقده اليهود .

وإنني مهما سمعت من الأخبار الضارة والنافعة طالعت به السلطان في وقته وساعته ، ولا أنفرد بشيء من الأشياء إذا لم يكن مصلحة .

وإنني ولي من وإلى السلطان وعدو من عاداه ، والله على ما نقول وكيل .

(١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٩٠

وفي ذى الحجة من سنة ٦٨٤ هـ (يناير ١٢٨٦ م)

تولى الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ جمال الدين

أبى بكر بن محمد الفارسى الايكي مشيخة الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء

بالقاهرة المحروسة بعد وفاة الشيخ صاين الدحش البخارى

وكتب ابن المكرم كاتب الدرج الشريف له تقليداً بذلك ، نسخته^(١) :

الحمد لله الذى اختار قوماً لولايته يحبهم ويحبونه ، واصطفاهم لخلوته يدعونه فيجيبهم ،
ويدعونه فيستجيبون له ويلبونه ، وكشف عن أبصارهم وبصائرهم حجب الغفلات ، فهم
فى سائر أحوالهم يشاهدونه ، وقربهم لأنسه وأدناهم لحضرة قدسه ، وجالسهم عند ذكره
إذ يذكرونه ، وسر أرواحهم وروح أسرارهم ، وأباحهم أسرارهم ، فنالوا من الغيب
مصونه ، وعرفهم فضاءوا وعرفهم فلم يضيعهم ، وعرفهم مالم يكونوا يعرفونه .

نحمده ونشكره ، وهو تعالى أول من يشكره الشاكرون ويحمدونه ، ونخلص له الثناء
الجميل الذى هو أهله مجمله ومفصله ، وانكاره وعونه ، ونسأله من رحمته ونستزيده من
نعمته ، ونرغب إليه فى رضوانه ، فإننا نرى كل شىء دونه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة بالاخلاص مقرونة . ونشهد أن
محمدًا عبده ورسوله الذى أتم علينا به نعمته ، ورضى لنا الإسلام ، وأكمل لنا بيلاغه
المبين دينه ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وصحبه المنتخبين صلاة تجمع من الشرف
أجناسه وأنواعه وفنونه .

وبعد ، فإن الله تعالى لما شرف محمدًا صلى الله عليه وسلم بأن جعله خاتم الأنبياء ،

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٢٩ .

تصدق على خلقه ورحمهم بإبقاء الأولياء ، ولما أخلى الأرض من النبوة والمعجزات لم يخلها بكرمه من الولاية والكرامات ، منة منه على خلقه ، ورحمة رحمهم بها ، وعروة وثقى تمسكوا بسببها . فبهم تجاب الدعوات ، وبهم تكشف الكربات ، وبهم يتوسل المتوسلون ، وعلى التعلق بآثارهم يعمل العاملون ، فمنهم الأبدال ، والنجباء ، والأوتاد ، والنقباء ، والمختارون بعد العرفاء ، والغوث الذى هو واحد تحت السماء ، ولا بد فى كل وقت أن يصطفى الله سبحانه وتعالى من خلقه من يختاره لولايته ، ويقرب إليه من يختصه بكرامته ، فيلهم أولى الأمر صرف النظر الجميل إليه ، ويوحى إليهم حسن الإقبال عليه ، يعلمون أنه بالمشيخة والتقدمة قمين ، فيتناولونه باليمين ، ويحسنون به اليقين ، فيحلونه محل المتقين . ولم نزل منذ آتانا الله تعالى ملك الأرض وأباحنا الحكم بالبطش والقبض ، فى البسيطة ذات الطول والعرض ، نرى أن الإحسان إلى طوائف الرعية من الواجب القرض ، ونعلم أن أفعال الدنيا قروض برّ تستوفى فى الآخرة فنحسن القرض ، فحسن نظرنا والمنة لله علينا مصروف إلى سائر الأمم ، وجميل اشتغالنا واصل إلى رب السيف والقلم ، والعلم والعلم ، نخص بإقبالنا أهل الإسلام ، ونعم بشريف آياتنا سائر الأنام ، فنعقد للأمرء الأعلام ، ونفوض إلى العلماء الأحكام ، ونولى العالمين ، ونعلى درجات العاملين ، ونرفع الفقهاء ، ونصدر الفقهاء ، ونوفى كل أحد حقه ، ونعطى كل مستحق ما يستحقه .

ولما كانت الطائفة المباركة المشايخ الأجلاء ، الأكابر الصالحاء ، الأبرار الأنقياء ، الأخيار الأولياء ، السراة النجباء الصوفة ، نفع الله بهم ، هم رمز الأنوار ، وأجناد الأسحار وأرباب الآثار ، وأصحاب الإيثار ، وأهل الوفاء وإخوان الصفاء ، وكانوا هم المعروفين بسهام الليل وأرباب الخطى التى تقصر عنها خطوات الخليل ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، وجباههم مضيئة من آثار المجدود ، وهم أضياف الله الذين انقطعوا إليه ، ووثقوا بكرمه فرمى أكياسهم أيكاسهم ، وتوكلوا عليه ، ليس لهم صناعة ولا يملكون بضاعة متجرهم ركعة ، ومنهم لهم دعة ، ورأس ملهم فى الماء والحراب ، وربهم علمهم بأن تراباً ما فوق هذا التراب ، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ويعمون بحجرفهم

فلا يعدلون به عن العامة إلى الخاصة ، يحافظون على الأذكار والجماعة ، ويحاسبون أنفسهم على أقوالهم ساعة فساعة ، ولم يزل يلى أمرهم من يكون لهم شيخاً وقوداً ، وإماماً يهتدون به عشية وغدوة ، إذا خلا للرياضة اهتمدوا في خلواته ، وإذا أتى الحكم في الحقيقة والطريقة أصغوا إلى كلماته ، وإذا ابتهل إلى ربه بالمناجاة شاركوه في مناجاته ، وإذا الشريف أن يولى أمر مشايخهم شيخ من أنفسهم ، وأن يقدم عليهم للنظر في مصالحهم من يبعث إليهم من أنفسهم ، وأن يختار لهم من هو لذلك جدير حري ، ومن إذا شوهده سمته وبهاؤه قيل إن هذا لسرى ، ومن إذا رأى متمجداً بين الصفوف لم يحفل رائيته أنه معروف ، ومن بزهده وفضله يعتاض عن الفضيل بن عياض ، ومن إذا ذكر في مجلسه أبو يزيد قالت أعماله الصالحة : هل من مزيد ، فاختير لهم من وافق الاختيار ، ومن صحت أولويته فلا يحتاج إلى الاختبار ، ومن إذا قال قال خير مقول ومنقول ، وأثنى على سامعه بمعرفة ما يقول ، يفتي في التصوف والشرع ، ويتحدث في الأصل والفرع ، ويبحث في التفسير والتأويل ، ويكشف عن أسرار التنزيل ، وينطق بإحياء علوم الدين ، ويحظى منه بقوت القلوب عن يقين ، ويقتدى به في الفقه والورع ، ويؤخذ عنه ما سن المصطفى في الدين وما شرع ، وهو المجلس السامى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين أبي بكر بن الفقيه أبي عبد الله محمد بن الفارسي الأيكي ، فلذلك رسم بالأمر العالى ، لا زال منصوراً بالملائكة المقربين ، محروساً بالأولياء الصالحين ، أن يكون هذا الشيخ شمس الدين شيخ المشايخ الصوفية ، والناظر عليهم ، وعلى جميع أوقافهم بالخانقاه الصلاحية المعروفة بدار سعيد السعداء ، وخانقاه النقيوم ، وخانقاه المشطوب بالقرافة على عادة من تقدمه ، ومستقر قاعدته ، وضعاً للشىء في محله ، وصنعاً للمعروف في أهله ، وجمعاً لشمل هذه الطائفة المباركة ، وقطعاً بأن توليته فرض عين لا يحمل الاستنابة ولا المشاركة ، وإجابة إلى ما سألته ورغب إليه جماعة المشايخ الأجلاء الصوفية - نفع الله بهم - من أن يفوض إليه أمر المشيخة ، والنظر في أحوال الصوفية ، وأوقاف الخوانق ، وأنهم راضون بتدبيره ، وحسن نظره عليهم في الجهات المذكورة وأن يكون شيخهم . فليقدم الشيخ شمس الدين حرسه الله تعالى ، وليبسط سجادته في المكان لمثله ، ولا يحمل لفظ المثلية على ظاهره ، ولا مثل لفضله ،

وليجلس في المكان الذي يجلس شيخ الشيوخ فيه ، ليفعل في هذا المنصب الجليل ما يقتدى كل أحد به ويقتفيه ، والوصايا كثيرة ، لكنها شرعت لغيره وهو - أعزه الله - غنى عنها لما نتحققه من دينه وخيره ، فليعامل جماعة المشايخ بالتلطف وخفض الجناح والتعطف .

وليعلم أنه ولي على صوفة ، فليخلق لهم بأخلاق التصوف ، وهو الذي يتحقق بعلمه أنهم هم الذين يحسبهم غيره - وحاشاه - أغنياء من التعفف ، وليلن لهم جانبه ما استطاع من حوله ، وليستجلب قلوبهم بنفوله وحوله ، وليستطف منهم في يومه ما لا يستعطفه غيره في حوله ، وليرقق لهم قلبه ، فإننا نخشى لينة أن ينفضوا من حوله ، وليعن النظر في أمور الأماكن الموقوفة على هذه الجهات ، وليصلح منها ما أمكنه ، وليجدد منها ما أخلقته الأزمنة ، وليراع من أمرها ما يجب أن يراعى ، وليشيد منها ما تهدم أو تداعى ، إلى أن تعود إليها عمارتها ، وترجع لها نضارتها ، ويزكو ريعها ويأنس ربعها ، ويصفو شربها ويخصب جذبها ، ويزجو ارتفاعها ، وتجري على السداد أوضاعها ، وليتلاف من أمرها مافات ، وليستدرك فارطها فيما هو آت ، ولينصب لجباية خراجها الأمناء ، وليرتب لخارجها الأكفاء ، وليصرف ذلك كله في مصارفه ، متبعاً في ذلك كله رضى الله تعالى ، وشرط واقفه .

ولينظر في مصالح المشايخ الصوفة نفع الله بهم ، وما شرطه الواقفون رحمهم الله لهم من مطعم ومشرب ، وحلوى وملبوس ، وما تمتد إليه الأطماع وتشرئب إليه النفوس ، وما لعله قد شرط لهم في الأيام ، وقرر لهم في الجمع والشهور والأعوام ، فليحملهم فيه على نية من وقفه عليهم ، وليجعل نفسه أحد المتصدقين في إيصال ذلك مهناً إليهم .

وليكن ممن ولي أمراً فأجاد فيه الولاية وأحسن ، وليسر في الجماعة سيرة يسرون بها حتى يقولوا : إن كنا علمنا حسناً ، فهذا بحمد الله أحسن .

والخط الشريف حجة بمقتضاه .

مثال إلى أكابر بلاد السند والهند والصين واليمن

صورة أمان لمن اختار الحضور إلى الديار المصرية والبلاد الشامية وسير مع التجار

إنشاء القاضي ففتح الدين بن عبد الظاهر

نسخته (١) :

رُسِمَ، أعلى الله الأمر العالی، لازال عدله يحمل الرعايا من الأمن في حصن حصين، ويستخلص الدعاء لدولته الزاهرة من أهل المشارق والمغارب، فلا أحد إلا وهو من المخلصين، ويهيئ برحابها للمعتفين جنة عدن، من أي أبوابها شاء الناس دخولا: من العراق، من المعجم، من الروم، من الحجاز، من اليمن، من الهند، من الصين.

أنه من أراد من الصدور الأجلاء الأكابر التجار، وأرباب التكسب، وأهل التسبب، من أهل هذه الأقاليم التي عدت، والتي لم تعدد، ومن يؤثر الورود إلى ممالكنا إن أقام أو تردد - النقلة إلى بلادنا الفسيحة أرجاؤها الظليلة أفيائها، وأفناؤها فليعزم عزم من قدر الله له في ذلك الخير والخيرة، ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ميرة، ولا إلى ذخيرة، لأنها في الدنيا جنة عدن لمن قطن، ومسلة لمن تغرب عن الوطن، ونزهة لایمها بصر، ولا تهجر للافراط في انحصار، والمقيم بها في ربيع دائم، وخير ملازم، ويكفيها أن من بعض أوصافها أنها شامة الله في أرضه، وأن بركة الله حاصلة في رحل من جعل الاحسان فيها من قراضه، والحسنة من قرضه، ومنها ما إذا أهبط إليها أمل كان له ما سأل، إذ أصبحت دار إسلام يحنود تسبق سيوفهم العذل، قد عمر العدل أوطانها، وكثر سكانها واتسعت أبنيتها إلى أن صارت ذات المدائن، وأيسر المعسر فيها فلا يخشى سورة المدائن، إذ المطالب بها غير متعسرة، والنظرة فيها إلى ميسرة، وسائر الناس وجميع

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٦٥ وصبح الاعشى ج ١٣ ص ٣٤٠ (سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م)

التجار لا يخشون فيها من يحور ، فإن العدل قد أجار .

فن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين باليمن ، والهند ، والصين ، والسند ، وغيرهم فليأخذ الأهبة في الارتحال إليها ، والقدوم عليها ، ليجد الفعال من المقال أكبر ، ويرى إحساناً يقابل في الوفاء بهذه العهود بالأكثر ، ويحل منها في بلدة طيبة ربها غفور ، وفي نعمة جزاؤها الشكر - ولا يجازى إلا الشكور - وفي سلامة في النفس والمال ، وسعادة تجلى الأحوال ، وتمول الآمال ، ولهم منا كل ما يؤثرونه : من معدلة تجيب داعيها وتحمد عيشتهم وداعيها ، ومن أحضر معه بضائع من بهار وأصناف يحضرها تجار الكارم ، فلا يخاف عليه في حق ، ولا يكلف أمراً يشق ، فقد أبقى لهم العدل ماشاق ، ورفع عنهم ماشق / ومن أحضر معه منهم ممالك وجواري ، فله في قيمتهم ما يزيد على ما يريد ، والمساخرة بما يتعوضه بشمنهم على المعتاد في أمر من يجلبهم من البلد القريب ، فكيف من البلد البعيد : لأن رغبتنا مصروفة إلى تكثير الجنود ، ومن جلب هؤلاء فقد أوجب حقاً على الجود ، فليستكثر من يقدر على جلبهم ، ويعلم أن تكثير جيوش الإسلام هو الحاث على طلبهم ، لأن الإسلام بهم اليوم في عز لواؤه النشور ، وسلطانه المنصور ، ومن أحضر منهم فقد أخرج من الظلمات إلى النور ، وذبم بالكفر أمسه ، وحمد بالإيمان يومه ، وقاتل عن الإسلام عشيرته وقومه .

هذا مرسومنا إلى كل واقف عليه من تجار شأنهم الضرب في الأرض (يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله) ليقرأوا منه ما تيسر لهم من حكمه ، ويهتدوا بنجمه ، ويقتدوا بعلمه ، ويمتطوا كاهل الأمل الذي يحملهم على الهجرة ، وييسطوا أيديهم بالدعاء لمن يستدني إلى بلاده الخلائق ليفوزوا من إحسانه بكل نضارة وبكل نظرة ، ويغنموا أوقات الربح فإنها قد أدنت قطافها ، وبعثت بهذه الوعود الصادقة إليهم تحقق لهم حسن التأميل ، وتثبت عندهم أن الخط الشريف أعلاه الله ، خاكم بأمر الله على ما قالته الأقلام ونعم الوكيل .

نسخة عهد كتب بها القاضي محي الدين بن عبد الظاهر

للسلطان الملك المنصور قلاوون

عن الخليفة الإمام أبي العباس أحمد الحاكم بأمر الله^(١) :

الحمد لله الذى جعل آية السيف ناسخة لكثير من الآيات ، وفاسخة لعقود أولى الشك والشبهات ، الذى رفع بعض الخلق على بعض درجات ، وأهل لأموال البلاد والعباد من جاءت خوارق تملأه بالذى إن لم يكن من المعجزات ، فن الكرامات .

ثم الحمد لله الذى جعل الخلافة العباسية بعد القلوب حسنة الابتسام ، وبعد الشحوب جميلة الابتسام ، وبعد التشريد كل دار إسلام لها أعظم من دار السلام .

والحمد لله ، على أن أشهدا مصارع أعدائها ، وأحمد لها عواقب إعادة نصرها وإبدائها ، ورد تشيبتها بعد أن ظن كل أحد أن شعارها الأسود ، مابقى منه إلا ماصانته العيون فى جفونها ، والقلوب فى سويدائها .

ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة يتلذذ بذكرها اللسان ، وتتعطر بنفحاتها الأفواه والأردان ، وتلقاها ملائكة القبول ، وترفعها إلى أعلى مكان . ونصلى على سيدنا محمد الذى أكرمنا الله به ، وشرف لنا الأنساب ، وأعزنا به حتى نزل فينا محكم الكتاب ، صلى الله عليه وعلى آله الذين أنجب الدين منهم عن أنجب ، ورضى الله عن صحابته الذين هم خير صحاب ، صلاة ورضواناً يوفى قائلها أجره يوم الحساب من الكثرة بغير حساب (١) يوم الحساب .

(١) صبح الاغشى ج ١٠ ص ١١٦

وبعد حمد الله على أن أحمد عواقب الأمور ، وأظهر للإسلام سلطاناً اشتدت به
للأمة الظهور ، وشفيت الصدور ، وأقام الخلافة العباسية في هذا الزمن بالمنصور ، كما أقامها
فيما مضى بالمنصور ، واختار لإعلان دعوتها من يحى معالمها بعد العفاء ، ورسومها بعد
الدثور ، وجمع لها الآن ما كان جمع عليها فيما قبل من خلاف كل ناجم ، ومنحها ما كانت
تبشرها به صحف الملاحم ، وأنفذ كلمتها في ممالك الدولة العلوية بخير سيف مشحود ماضى
العزائم ، ومازج بين طاعتها في القلوب ، وذكرها في الألسنة - وكيف لا والمنصور
هو الحاكم ؟ - وأخرج لحياطة الأمة الحمديدية ملكاً تقسم البركات عن يمينه ، وتقسم السعادة
بنور جبينه ، وتقهر الأعداء بفتكاته ، وتمهر عقائل المعادل بأصغر راياته ، ذو السعد الذى
مازال نوره يشف حتى ظهر ، ومعجزه يرف إلى أن بهر ، وجوهره ينتقل من جيد إلى
جيد حتى علا الجبين ، وسره يكمن في قلب بعد قلب حتى علم - والحمد لله - نبأ تمكينه
في الأرض بعد حين ، فاختره الله على علم ، واصطفاه من بين عباده بما جبله الله عليه من
كرم وشجاعة وحلم ، وأتى به الأمة الحمديدية في وقت الاحتياج عوناً ، وفي إبان الاستمطار
غيثاً ، وفي حين عيث الأشبال في غير الافتراس ليثاً ، فوجب على من له في أعناق الأمة
الحمديدية مبايعة رضوان ، وعند أيمانهم مصالحة أيمان ، ومن وجبت له البيعة باستحقاقه
لميراث منصب النبوة ، ومن تصح به كل ولاية شرعية يؤخذ كتابها منه بقوة ، ومن هو
خليفة الزمان والعصر ، ومن بدعواته تنزل بالنصر عليكم معاشر الإسلام ملائكة النصر ،
ومن نسبه بنسب نبيكم - صلى الله عليه وسلم - متشج وحسبه بحسبه متمزج ، أن يفوض
مافوضه الله إليه من أمر الخلق ، إلى من يقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحق ، وأن يوليه
ولاية شرعية تصح بها الأحكام ، وتنضبط أمور الإسلام ، وتأتى هذه العصبة الإسلامية
يوم تأتى كل أمة بإمامهم من طاعة خليفتهم هذا بخير إمام ، وخرج أمر مولانا أمير المؤمنين
- شرفه الله - أن يكون المقر العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى أجله الله
ونصره ، وأظفره وأقدره وأبداه وأيده ، كل ما فوضه الله لمولانا أمير المؤمنين من حكم في
الوجود ، وفي التهاشم والنجود ، وفي المدائن والحزائن ، وفي الظواهر والبواطن ، وفيما فتحه الله
وفيا سيفتحة ، وفيما كان فسد بالكفر والرجاء من الله أنه سيصلحه ، وفي كل جود ومن ، وفي

كل عطاء ومن ، وفي كل هبة وتمليك ، وفي كل تفرد بالنظر في أمور المسلمين بغير شريك ، وفي كل تعاهد ونبذ ، وفي كل عطاء وأخذ ، وفي كل عزل وتولية ، وفي كل تسليم وتخليّة ، وفي كل إرفاق وإنفاق ، وفي كل إنعام وإطلاق ، وفي كل تجديد وتعويض ، وفي كل حمد وتقريض ، ولاية عامة تامة محكمة محكمة ، منضدة منظمة ، لا يتعقبها نسخ من خلفها ولا من بين يديها ، ولا يعتريها فسخ يطرأ ، يزيد لها مر الأيام جدة يعاقبها حسن شباب ، ولا ينتهي على الأعوام والأحباب ، نعم ينتهي إلى مانصبه الله للإرشاد من سنة وكتاب ، وذلك من شرع الله أقامه للهداية علماً ، وجعله إلى احتياز الثواب سلماً .

فالواجب أن يعمل بجزئيات أمره ووكلياته ، وأن لا يخرج أحد عن مقدماته . والعدل فهو الغرس المثمر ، والسحاب الممطر ، والروض المزهر ، وبه تنزل البركات ، وتختلف الهبات ، وتربى الصدقات ، وبه عمارة الأرض ، وبه تؤدى السنة والفرض ، فمن زرع العدل اجتنى الخير ، ومن أحسن كفى الضرر . والضير والظلم فعاقبته وخيمة ، وما يطول عمر الملك إلا بالمعدلة الرحيمة . والرعية فهم الوديعة عند أولى الأمر ، فلا يخصص بحسن النظر منهم زيد ولا عمرو . والأموال ، فهي ذخائر العاقبة والمآل ، والواجب أن تؤخذ بحقها ، وتنفق في مستحقها . والجهاد براً وبحراً ، فمن كنانة الله تفوق سهامه ، وتؤرخ أيامه ، وينتضى حسامه ، وتجري منشآته في البحر كالأعلام ، وتنشر أعلامه ، وفي عقر دار الحرب يحط ركابه ، ويحط كتابه ، وترسل أرسانه ، وتجوس خلالها فرسانه ، فيلزم منه ديدنا ، ويستصحب منه فعلاً حسناً . وجيوش الإسلام وكلماته ، وأمرأؤه وحامته ، فهم من قد علمت قدم هجرة وعظم نصرة ، وشدة بأس ، وقوة مراس ، وما منهم إلا من شهد الفتوحات والحروب ، وأحسن في المحاماة عن الدين الدؤوب ، وهم بقايا الدول ، وتحايا الملوك الأول ، لا سيما أولى السعى الناجح ، ومن لهم نسبة صالحة إذا فخروا بها قيل لهم : نعم السلف الصالح ، فأوسعهم براً ، وكن بهم براً ، وهم بما يجب من خدمتك أعلم ، وأنت بما يجب من حرمتهم أدرى . والثغور والحصون فهم ذخائر الشدة ، وخزائن العبيد والعدة ، ومقاعد للقتال ، وكنائن الرجاء والرجال ، فأحسن لها التحصين ، وفوض أمرها إلى كل قوى أمين ، وإلى كل ذى دين متين ، وعقل رصين . ونواب الممالك ونواب الأمصار ، فأحسن

لهم الاختيار ، وأجل لهم الاختبار ، وتفقد لهم الأخبار .

وأما ما سوى ذلك ، فهو داخل في حدود هذه الوصايا النافعة ، ولولا أن الله أمرنا بالتذكير ، لكانت سجايا المقر الأشرف السلطاني ، الملوكي ، المنصوري ، مكتمية بأنوار المعية الساطعة ، وزمام كل صلاح يجب أن يشغل به جميع أوقاته ، هو تقوى الله ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » .

فليكن ذلك نصب العين ، وشغل القلب والشفقتين . وأعداء الدين من أرن وفرنج وتتر ، فأذقهم وبال أمرهم في كل إيراد للغزو وإصدار ، وثر لأن تأخذ للخلفاء العباسيين ولجميع المسلمين منهم الثار ، واعلم أن الله نصيرك على ظاههم ، وما للظالمين من أنصار .

وأما غيرهم من مجاوريهم من المسلمين فأحسن باستنقاذك منهم العلاج ، وطبهم باستصلاحك ، فبالطب الملوكي والمنصوري ينصلح المزاج .
والله الموفق بمنه وكرمه .

نسخة منشور كُتب به عن الملك المنصور قلاوون

لابنه الناصر محمد في سلطنة أبيه المذكور

من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر^(١)

الحمد لله الذى زين سماء الملك بأنور كوكب بزغ ، وأعز ملك نبغ ، وأشرف
بلغ سلطان إلى ما بلغ ذوو الالكتها من اختيار شرف الخلال وما بلغ .
نحمده حمداً تزيد به النعماء وتنمى ، وتهمل به الآلاء وتهمى ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ، شهادة خالصة من كل ريب ، واقصة كل عيب ، ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله الذى بعثه الله تعالى بمكارم الأخلاق ، ومعاداة ذوى النفاق ، وسأوى بين
الصغير والكبير من أولى الاستحقاق ، فى الإرفاد والإرفاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
ما رق نسيم وراق ، وما خصفت أوراق .

وبعد ، فإن الهوائف أبين ما تشدو ، إذا حفت الرياض بها من كل جانب ، والسماء
أحسن ما تبدو إذا تزينت بالكواكب السيارة والشهب الثواقب ، والسعادة أحمد
ما تحدو ، إذا خصصت بمن إليه ، وإلا ما تشد الركائب ، وعليه ، وإلا ما تثنى الحقائق
والحقائب ، ومن هو الملك فلذة كبده ، ونور مقلته وساعد يده ، ومن تتيمن السلطنة بملاحظة
جبينه الوضى ، وتستنير بالأنور المضى ، ومن تغضب الدنيا لغضبه ، وتزهى إذا رضى ، ومن
نشأ فى روض الملك من خير أصل زكى ، وفاحت أزهاره بأعطر أرج وأطيب نشر ذكى ،
وطلع فى سماء السلطنة نجماً ما لليرين ماله من الإضاءة ، ويزيد عليهما بحسن الوضاعة ،

(١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٦٧ .

ومن تشوف النصر له من مهده ، وتشوق الظفر إلى أنه يكون من جنده ، واستبشرت
الساطنة بأن صار لها منه فرع باسق ، وتقد متناسق ، وزند وارٍ وجناح وارف ، وفخار تليد
وعز طارف وطرفان معلمان تنشر فيهما المطارف .

ولهذه المحاسن التي تشرئب إلى قصدها آمال الخلائق المنتجة - اقتضى حسن البر
الوصول ، وشرف الإقبال والقبول ، أن خرج الأمر العالي - لا برحت مراسمه متزينة زينة
السماء بكراكبها ، ومزاحمة سمك السماك بمناكبها - أن يجرى في ديوان الجذاب العالي
المولوى ، الملكى الناصرى

نسخة منشور ، كتب به للأمير بدر الدين بيدرا أستاذار

المالك المنصور قلاون

من إنشاء القاضي محيي الدين عبد الظاهر^(١)

الحمد لله الذى جعل بدر الدين تماماً على الذى أحسن ، وإما ما تقتدى النجوم منه
بالضياء الأبين ، والنور الأزين ، ونظاماً يجمع من شمل الذرى ما يغدو به حماء الأحمى
وجنابه الأصون .

نحمده حمد من أعلى صوته وصيته أعلن ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك
له ، شهادة تغدو وتبدو عند الذب ، وفى القلب مكانها الأمكن ، ونشهد أن محمداً عبده
ورسوله ونبيه الذى أوهى الله به بناء الشرك وأوهن . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ورضى
عمن آمن به ، وعن آمن .

وبعد ، فإن خير النعماء ما أتى به على التدريج ، وأتى كما يأتى الغيث بالقطر والقطر
لإنبات كل زوج بهيج ، وأقبل كما تقبل الزيادة بعد الزيادة ، فبينما يقال : هذا خليج يمدد
البحر ، إذ يقال : هذا بحر يستمد منه كل خليج ، وبينما يقال : هذا الأمير ، إذ يقال :
هذا المير ، وبينما يقال : هذا الهلال ، إذ يقال : هذا هو البدر المنير .

ولما كان فلان من هذه الدولة ، بموضع الغرة من الجبين ، ومكان الراحة من اليمين ،
وله سوابق خدمة لا يزاحمه أحد فى طرق طروقها ، ولا تستكثر له زيادة بالنسبة إلى موجبات
حقوقها ، وهو من التقوى بالحلل الأسمى ، على غيره من الطراق ، والمكان الأحمى ،
الذى مكانه منه - وإن كان أمير مجلس - صدر الرواق ، وله الكرامات التى ترى الحدود

(١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٦٩ .

لما صعر ، وكم سقت من سم العداة دافعة الذعر ، وكم قابل نوره ناراً فصارت برداً وسلاماً ،
وكم تكلم على خاطر فشاهد الناس منه شيخاً من حيث الشعبية أجل الله قدره غلاماً ،
فهو المجاهد للكفار ، وهو المتهجد في الأسحار ، وهو حاكم الفقراء وإن كان سلطانه جعله
أستاذ الدار ، وهو صاحب العصا التي أصبح يحملها مضافة إلى السيف يتشرف ، ومعجزها
لا يستكثر له أنها لكل حية تتلقف ، وهو الذي تحمد الكشوف والسيوف فتوحه وفتحه ،
والذي يشكر يده عنان كل ساج وزمام كل سبيحه ، وكم أسال بيديه من دماء الأعداء ماء
جرى ، وعمل بين يديه للفقراء ماجرى ، وكم وليّ الله خفي شخصه فأظهر محضه ، فقال
الولى : وما أدري درا لولا بيدرا - اقتضى حسن الرأي الشريف أن يجمّل إحسان
الدولة القاهرة له عملاً ، وأن يحسن له عللاً ونهلاً ، وأن يختار له إذ هو صاحب العصا ،
كما اختار موسى قومه سبعين رجلاً .

وخرج الأمر العالى - لا زال ظله ظليلاً ، بامتداد النىء بعد النىء ، وعطاؤه جزيلاً ،
بتنويل الشىء بعد الشىء - وهو ذو الكرم والكرامات ، وصاحب العصا بالأستادارية
ولا يستكثر لصاحبها سحر الحيات .

كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر

عن المنصور قلاوون ، عهد ولده

الملك الأشرف صلاح الدين خليل وهذه نسخته^(١)

الحمد لله الذى لم يزل له السمع والطاعة فيما أمر ، والرضا والشكر فيما هدم من الأعمار
وما عمر ، والتفويض فى التعويض إن غابت الشمس بقى القمر .

نحمده ، على أن جعل سلطاننا ثابت الأركان ، كل روضة من رياضه ذات أفنان ،
لا تزغزعه ريح عقيم ، ولا يخرج به رزء عظيم ، عن الرضا والتسليم ، ولا يعتبط من جملة
كريم إلا ويغتبط من أسرته بكريم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تزيد قائلها تفويضا ، وتجزل له
تعويضا ، وتحسن له على الصبر الجميل فى كل خطب جليل تحريرا .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذى أنزل عليه فى التسليم : « وما محمد إلا رسول قد
خلت من قبله الرسل » . والنبي الذى أوضح به المناهج وبيّن به السبل ، صلى الله عليه وعلى
آله وأصحابه ، ما تجاوزت الحابر والمنابر فى البكر والأصل ، وما نثرت عقود ونظمت ،
ونسخت آيات وأحكمت ، ونقضت أمور وأبرمت ، وما عزمت آراء فتوكلت ، وتوكلت
فعزمت ، ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من كان للخليقة نعم الخليفة ، ومنهم
من لم يدرك أحد فى تسويد النفس الحصيصة ، ولا فى تبييض الصحيفة مدّة ولا نصيفة ،
ومنهم من يسّر الله لتجهيز جيش العسرة ، فعرف الله ورسوله معروفه ، ومنهم من عمل
صالحاً أرضى ربه وأصلح فى ذريته الشريفة .

(١) صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٦ .

وبعد ، فإن من أُلطف الله تعالى بعباده ، واكتناف عواطفه ببلادهم ، أن جعلنا
كلما وهى الملك ركن شديد شيدنا ركنًا عوضه ، وكلما اعترضت للمقادير جملة بدلنا
آية مكان آية ، وتناسينا - تجلداً - تلك الجملة المعترضة ، فلم يُجوج اليوم لأمره ، وإن كان
حميداً ، ولا الغارس لغرسه ، وإن كان ثمره يانعاً وظله مديداً ، فأطلعنا فى أفق السلطنة كوكباً
سعيداً ، كان لحسن الاستخلاف معداً ، ومن لقبيل المسلمين خير ثواباً وخير مَرَدّاً ،
ومن يبشر الله به من الأولياء المتقين ، وينذر من الأعداء قومًا لداً ، ولم يبق إلا به أنسنا
بعد ذهاب الذين تحسبهم (كالسيف فردا) ، والذي ما أمضى حده ضريبة إلا (قدَّ البيض
والأبدان قدا) ، ولا جهرز راية كتيبة إلا أغنى غناء الداهيين ، وعدَّ الأعداء عدداً ، ولا بعثه
جزع فقال : (كم من أخ لى صالح) إلا لقيه ورع فقال : (خلقت يوم خلقت جلدا) ،
وهو الذى بقواعد السنة أدرى ، وبقوانينها الأعرف ، وعلى الرعايا الأعطف ، وبالرعايا
الأرأف ، وهو الذى ما قيل لبناء ملك هذا عليَّه قد وهى ، إلا وقيل هذا بناء مثله منه أسمى
ملك أشرف ، والذي ما برح النصر يتنسم من مهاب تأميلة الفلاح ، ويتبسم نغره فتتوسم
الثغور من مبسمه النجاح ، ويقسم نوره على البسيطة فلا مصر من الأمصار إلا وهو يشرب
إلى ملاحظة جبين عهده الوضاح ، ويتفتق اشتقاق النعوت فيقول التسلى للتعلى : سواء الصالح
والصلاح ، والذي ما برح لشعار السلطنة إلى توقله وتنقله أتم حنين ، وكأنا كوشفت
الإمامة العباسية بشرف مسماه فيما تقدم من زمن سلف ، ومن حين ، فسمت
ووسمت باسمه أكابر الملوك وأخاير السلاطين ، فخطب كل منهم مجازاً لا كهذه الحقيقة
« بخليل » أمير المؤمنين ، والذي كم جلا بهى جبينه من بهيم ، وكم غدا الملك بحسن روايه
ويعن آرائه يهيم ، وكم أبرأ مورده العذب هيم عطاش ، ولا ينكر الخليل إذا قيل عنه
إبراهيم ، ومن تشخص الأبصار لكمال يوم ركوبه حسيده ، وتلقى البنان سلاحها ذهلاً ،
وهى لا تدرى لكثرة الايمان إلى جلاله إذا يبدو مسيره ، والذي ألهم الله الأمة لجوده ووجوده
صبراً جميلاً ، وآتاهم من نفاسة كرمه وحراسة سيفه وقلمه تأميناً وتأميلاً ، وعظم فى القلوب
والعيون بما من به سيكون ، فسمته الأبوة الشريفة ولداً ، وسماه الله « خليلاً » .

ولما تحتم من تفويض أمر الملك إليه ، ما كان لوقته المعلوم قد تأخر ، وتحين حينه

فكمل زيادة كز زيادة الهلال حتى بادر تمامه فأبدر ، اقتضى حسن المناسبة لنصائح الجمهور ،
 والمراقبة لمصالح الأمور ، والمصاقبة لمناجح البلاد والنغور ، والمقاربة من فوائح كل أمر
 ميسور ، أن نفوض إليه ولاية العهد الشريف بالسلطنة الشريفة المعظمة ، المكرمة المفخمة
 المنظمة ، وأن يبسط يده المنيفة لمصالحتها بالعهود ، وتحكمها في العساكر والجنود ، وفي البحور
 والنغور ، وفي التهاشم والنجود ، وأن يعقد ببسطها وقلمها كل قطع ووصل ، وكل فرع
 وأصل ، وكل نصر ونصل ، وكل ما يحصى سرحا ويهيمى منحا ، وفي المثيرات في الإعداء
 على الأعداء نقما ، وفي المغيرات صبحا ، وفي المنع والإطلاق ، وفي الإرفاد والإرفاق ،
 وفي الخميس إذا ساق ، وفي السيوف إذا بلغت التراقي وقيل من راق ، وفي الرماح
 إذا التفت الساق بالساق ، وفي المعاهدات والهدن ، وفي الفداء بما عرض من عرض والبذل
 بالبذل ، وفيما ظهر من أمور الملك وما بطن ، وفي جميع ما تستدعيه بواعثه ، في السر
 والعلن ، وتستدعيه نوافته ، من كبت وكُتب ، متفرقين أو في قرن ، عهداً مباركاً عودته
 وتمائم ، وفوائح وخواتمه ، ومناسمه ومياسمه ، وشروطه ولوازمه ، وعلى عاتق الملك الأعز نجاده
 وفي يد جبار السموات قائمه ، لاراد لحكمه ، ولا ناقض لبرمه ، ولا داحض لما أثبتته الأفلام
 من مكنون علمه .

ويزيده مَرُّ الليالي جِدَّةً وتقادم الأيام حسن شباب

وتلزم السنون والأحقاب ، استيداعه للذراري والأعقاب ، فلا سلطان ذو قدر وقدره ،
 ولا ذو أمر وإمرة ، ولا نائب في مملكة قربت أو بعدت ، ولا مقدم جيوش أتهمت
 أو أنجحت ، ولا راع ولا رعية ، ولا ذو حكم في الأمور الشرعية ، ولا قلم إنشاء ، ولا قلم
 حساب ، ولا ذوو أنساب ، ولا ذوو أسباب ، إلا وكل داخل في قبول هذا العقد الميمون ،
 ومتمسك بحكم كتابه المكنون ، والتسليم لنصه الذي شهد به من الملائكة الكرام
 السكاتبون ، وأمست بيعته بالرضوان محفوفة ، والأعداء يدعونها تضرعاً وخيفة ، وليشكروا
 الصنيع الذي بعد أن كانت الخلفاء تسلطن الملوك ، قد صار سلطانهم يقيم من ولادة العهد
 خليفة بعد خليفة .

وأما الوصايا ، فأنت يا ولدنا الملك الأشرف - أعزك الله - بها الدرب ، ولسماع

شُدَّوْهَا وَحَدَّوْهَا الطَّرْب ، الذى للغول يضطرب ، فعليك بتقوى الله عز وجل فإنها ملائكة
سدادك ، وهلاك أضدادك ، وبها يراش جناح نجاحك ، ويحسن اقتداء اقتداحك ، فاجعلها
دَفَيْن جِوَانِح تَأْمِيلِك ووعيك ، ونصب عينى أمرِك ونهيك ، والشرع الشريف ، فهو قانون
الحق المتبع ، ومأمون الأمر المستمع ، وعليه مدار إيعاء كل إيعاز ، وبه يتمسك من أشار
وامتاز ، وهو جَنَّة والباطل نار : « فَمَنْ زُحِرَ حَ عَنْ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ » . فلا تخرج
فى كل حال عن لوازمه وشروطه ، ولا تنكب عن معلقه ومنوطه .

والعدل فهو مثمر غروس الأموال ، ومعمّر بيوت الرجا والرجال ، وبه تزكو الأعمال
والأعمال ، فاجعله جامع أطراف مراسمك ، وأفضل أيام مواسمك ، وسنم به فِعْلِك وسنم
به فرضك ونَفْلِك ، ولا تفرد به فلاناً دون فلان ، ولا مكاناً دون مكان ، واقربه بالفضل
« إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

وأحسن التخيول ، وأجل التنويل ، وكثّر لمن حولك التموين والتّمويل ، وضاعف
الخير فى كل مضاف لمقامك ، ومُستضيفٍ بإنعامك ، حتى لا تعدم فى كل مكان ،
وكل زمان ضيافة الخليل . والنغور فى للملك مَيَاسِمُهَا ، والمسالِك مَنَاسِمُهَا ، فاجعل
نواجذها تفرّغ عن حسن ثفايا الصّون ، ومراسفها شِدْبَة الشفاه بحسن العون ، ومُنْهَا ،
بما يحمى السّرح منها ، وأعِنْهَا ، بما يدفع المسكاره عنها ، فإنها للنصر مقاعد ، وبها حفظ
البلاد من كل مار من الأعداء مارد . وأمراء الجيوش فهم السور الواقى بين يدي كل سور
وما منهم إلا كل بطل بالنصر مشهور ، كما سيفه مشهور . وهم ذخائر الملوك ، وجواهر
السلوك ، وأخير الأَكابر الذين خَلَصُوا مِنَ الشكوك ، وما منهم إلا من له خدمات سلفت ،
وحقوق عرفت ، وموات على استلزام الرّعاية للعهد وقفت ، فسكن لجنودهم متحجّياً ،
ولمرابهم مُخَصَّباً ، ولمصالحهم مرتباً ، ولآرائهم مستصوباً ، ولاعتضادهم مستصحباً ،
وفى حدم مطنباً ، وفى شكرهم مُسْنِباً . والأولياء المنصوريون الذين هم كالأولاد ، ولهم سوابق
أُمتٌ من سوابق الإيجاد ، وهم من علمت استكانة من قربنا ، ومكانة من قلبنا ،
وهم المساهمون فيما ناب ، وما برحوا للدولة الظفر والناب ، فأسهم لكل منهم من احترامك

نصيبي ، وأدم لهم ارتياحك ، وألن جهالك : وقوم بسلاحك ، تُجد منهم ضروباً ،
وترى كلا منهم في أعدائك ضروباً .

وكما أنا نوصيك بمحور الإسلام ، كذا نوصيك بالجيش الذي له الجوار المنشآت
في البحر كالأعلام ، فهو جيش الأمواه والأمواج ، المضاف إلى الأفواج من جيش الفجاج ،
وهو الجيش السلياني في إسراع السير ، وما سميت شوائبه غرباناً إلا ليجتمع بها لنا ما اجتمع
لسليان ، صلى الله عليه وسلم ، من تسخير الريح والطير ، وهى من الديار المصرية على ثبج
البحر الأسوار ، فإن قذفت قذفت الرعب في قلوب الأعداء ، وإن أقلعت قلعت منهم
الآثار ، فلا تخله من تجهيز جيشه ، وسكن طيش البحر بطيشه ، فيصبح لك جيشان
كل منهما ذو كبر وفر : هذا في برّ بحر ، وهذا ببحر بر . وبيوت العبادات
فهى التى إلى مصلى سميّك « خليل » الله تنتهى محاريبها ، وبها لنا ولك ، وللمسلمين
سرى الدعوات وتأويبها ، فوفها نصيبها المفروض غير منقوص ، ومُر برفعها ، وذكر
اسم الله تعالى فيها للأمر المنصوص . وأخواتها من بيوت الأموال الواجبات الواجبات ،
من حيث إنها كلها بيوت الله عز وجل : هذه للصلاة ، وهذه للصّلات ، وهذه كهذه
في رفع المنار ، وجمع المبار ، وإذا كانت تلك مما أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فهذه
ترفع ويذكر فيها اسمه ، حتى على الدرهم والدينار ، فاصرف إليها اجتهادك فيما يعود بالثمير ،
كما يعود على تلك بالتنوير ، وعلى هذه بإشحانها بأنواع الصّروف ، كإشحان تلك باستواء
الصفوف ، فإنها إذا أصبحت مصونة ، أجملت بحمد الله المعونة ، وكفلت بالثبوت ، والزيادة
على المئونة ، فتكمل هذه لكل ولى دنياء ، كما كملت تلك لكل ولى دينه . وحدود الله
فلا يتعدّاها أحد ، ولا يرأف فيها ولد بوالد ولا والد بولد ، فأقمها وقم في أمرها حتى تنضبط
أتمّ الضبط ، ولا تجعل يد الفتك مغولة إلى عنقها ، ولا تبسطها كل البسط ، فلا كل من
الجنايات والقصاص شرط شرطه الله وحدّ حدّه ، فلا يتجاوز أحد ذلك الحد ، ولا يخرج
عن ذلك الشرط . والجهاد ، فهو الدّين المألوف من حيث نشأ ونشأتك .

وفى ظهور الخيل ، فمل على الأعداء كل الميل ، وصبّحهم من فتكاتك بالويل
بعد الويل ، وارمهم بكل شمرى قد شمر من يده عن الساعد ، ومن رحمه عن الساق ، ومن

جواده الذيل ، واذهب لهم من كل ذلك مذهب ، وأنز بنجوم الخِرْصان كل غيٍّ وغيهب ،
و-كثّر في غزوهم من الليل بكل أدهم ، ومن الشفق بكل أحمر وأشقر ، ومن الأصيل بكل
أصفر ، ومن الصبح بكل أشهب ، واستنهب أعمارهم ، واجعلها آخر ما يسلب ، وأول
ما يُنهب .

ونرجو أن يكون الله قد خبا لك من الفتوحات ما يستنجزها لك صادق وعده ،
وأن ينصر بك جيوش الإسلام ، في كل إنجاد وإتهام وما النصر إلا من عنده .

وبيت الله المحجوج من كل فج ، المقصود من كل نهج ، فسيّر سبيله ، ووسع له الخير ،
وأحسن تسبيله ، وأوصل من برك لكل من الحرمين ما هو له ، لتصبح ربوعه بذلك
مأهولة ، واحمه ممن يريد فيه بإلحاد بظلم ، وطهره من مكس وغرم ، ليعود نفعا على
البادى والعاكف ، ويصبح واديه وناديه مستغنيين بذلك عن السحاب الواكف .

والرايا ، فهم للعدل زروع ، وللإستثمار فروع ، ولاستلزام العارة شروع ، فتي جادهم
غيث أعجب الزراع نباتهم ، ونمت بالصلاح أوقاتهم ، وصلحت بالنماء أوقاتهم ، وكثرت
للجنود مستغلاتهم ، وتوفرت زكواتهم وتنوّرت مشكاتهم ، والله يضاعف لمن يشاء .

هذا عهدنا للسيد الأجل ، الملك الأشرف ، صلاح الدنيا والدين ، فخر الملوك
والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين ، أعز الله تعالى ببقائه الدين ، فليكن بعروته متمسكا ،
وبنفجته متمسكا ، وليتقلد سيف هذا التقليد ، ويفتح مغلق كل فتح منه بخير إقليد .

وها نحن قد كثّرنا لديه جواهره فدونه ما يشاء تحليته من تقويح مفرق ، وتختيم
أنامل وتيسوير زند ، وتطويق جيد ، ففي كل ذلك تبجيل وتمجيد ، والله تعالى يجعل
استخلافه هذا للمتقين إماما ، وللدين قواما ، وللمجاهدين اعتصاما ، وللمعتدين انفصاما ،
ويطفىء بمياه سيوفه نار كل خطب ، حتي يصبح كما أصبحت نار سمّيه صلى الله عليه وسلم ،
برداً وسلاماً ، إن شاء الله تعالى .

تراجم

لأشهر من ورد ذكرهم في النص

القان أبغا بن هولاكو^(١)

القان أبغا بن هولاكو بن طلوي بن جنكيز خان .
توفي بنواحي همدان عن نحو خمسين سنة ، منها مدة ملكه سبع عشرة سنة .
وقام في الملك بعده أخوه تكدار بن هولاكو .

أولاد قرمان^(٢)

وهم أصحاب أرمناك وقسطنطينية ، وما والاها من شرق هذه البلاد كما تقدم . قال في
« مسالك الأبصار » : وهم أهل بيت توارثوا هذه البلاد ، ولا يخاطب قائم منهم إلا بالإمارة .
قال في « التعريف » : وهم أجل من لدى ملوكنا من التركان : لقرب ديارهم ، وتواصل
أخبارهم ، ولنكائيتهم في ممالك سويس وأهل بلاد الأرمن ، واجتياحهم لهم من ذلك الجانب ،
مثل اجتياح عساكرنا لهم من هذا الجانب .

قال : وأكبرهم قدراً ، وأفتكهم ناباً وظفراً الأمير (بهاء الدين موسى) ، وحضر
إلى باب السلطان وتلقى بالإجلال ، وأحل في ممتد الظلال ، وأورد موارد الزلال ، وأرى
ميامن أسعد من طلعة الهلال .

وحج مع الركب المصري ، وقضى المناسك ، وأسبل في ثرى تلك الربا بقية دمه
التماسك ، وشكر أمراء الركب دينه المتين ، وذكروا ما فيه من حسن اليقين ، وعاد
إلى الأبواب السلطانية ، وأجلس في المرتين مع أمراء المشورة ، فأشرك في الرأي ، وسأل
السلطان في منشور يكتب له بما يفتح بسيفه من بلاد الأرمن ليقاتل بعلمه المنشور ، ويحتني
من شجر المران جنى عسله المنشور ، فكتبه له .

(١) السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٠٤ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٦٥ .

ثم قال : وهم على ما هم عليه يدارون ملوك التتار ، وهو ومن سلف من أهل بيته مع ملوك مصر لا تغب المكاتبات بينهم ، ولا ينقطع بذل خدمته لهم ، وإقبالهم عليه ، واعتدادهم بمولاته .

قال في « مسالك الأبصار » : وهم عصابة ذات أيد و يد ، وجيوش كثيرة العدد ، وهم أصحاب الحروب التي ضعفت الجبال ، ولهم مع الأزمن و بلاد التكفور ، وقائع لا يحجدها إلا الكفور ، تتخطفهم عقبانهم القشاعم ، وتلتهمهم أسودهم الضراغم .

قال : وهم أهل بيت ألقى الله عليهم محبة منه ، وإذا شاء أميرهم جمع أر بعين ألفاً . ثم ذكر بعد ذلك بكلام طويل ، أنهم هم الذين ألفوا بين سلامش وبين المنصور لاجين ، وأنهم هم الذين لا يرتاب في رأيهم ، ولا يطعن في دينهم ، بل مهما ورد من جهتهم تلقى بالقبول ، وحل على أحسن المحامل .

ثم قال : وحكى عن تردد إليهم ، وعرف ما هم عليه أنهم رجال صدق ، وقوم صبر ، لا تستخف لهم حفيظة ، ولا ترد بحنقها لهم صدور مغيظة .

ولهذا أمراء الروم لا يظأون لهم موطنًا يغيط ، ولا يواطئون لهم عدة شهور في مشق ولا مقيظ .

إياز بن عبد الله الصالحى^(١)

إياز بن عبد الله الصالحى النجوى ، يلقب فخر الدين ، ويعرف بالمعزى الحاجب ، تنقلت به الأحوال إلى أن صار أحد حجاب الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، وكان يعتمد عليه ، ويثق به ، وترسل عنه إلى أبغا ملك التتار ، وإلى غيره . ولما تملك الملك المنصور سيف الدين قلاون الألفى جعله حاجب الحجاب ، وأعطاه خيراً كثيراً ، وزادت منزلته عنده ، وكانت الملوك تعتمد عليه فى المهمات الجليلة ، وكان من حسنات الدهر .

وروى الحديث عن ابن المقير . وحدث بدمشق والقاهرة ، وحج من الشام وورد إلى مصر .

وتوفى بعد عوده من الحجاز الشريف فى ليلة يسفر صباحها عن يوم الجمعة العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وستمائة (٢٥ أبريل ١٢٨٨ م) .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٧٤ .

أبيك بن عبد الله التركي^(١)

أبيك بن عبد الله التركي الصالحى النجمى ، يلقب عز الدين ، ويعرف بالأفروم أمير جاندار .

كان الأمير عز الدين الأفروم ، كثير الخير والإحسان إلى خلق الله تعالى ، وعمر المدارس والمساجد والجوامع . وله بإسنا من عمل قوص مدرسة موقوفة على طائفة الشافعية ، وبقوص مدرسة على ساحل البحر كذلك ، وبجوار المدرسة المذكورة مسجد له يجتمع إليه الفقراء من الأبحام القرنديلة فى شهر رمضان من كل سنة ويذبح لهم فى كل يوم رأس وما يحتاجون إليه من التوابل والخبز .

وله بمصر المحروسة مدرسة ، وبكرسى الجسر جامع ، وبالرصد جامع ، وعمر غير ذلك من الأماكن الشريفة المبرورة ، ووقف عليها الأوقاف المبرورة الوافرة .
وقال بعض أهل التاريخ : إن الأفروم المذكور كان حر الأصل ، وأنه كان من بلاد برقة من المغرب ، واسم والده مصطفى ، وولى الولايات وتنقلت به الأحوال حتى صار إلى ما صار إليه .

وكانت الدنيا عليه فى غاية الإقبال ، وكان من وسائط الخير وأهل المعروف ، كثير المروءة ، حسن الديانة ، كثير الخير والصدقة والإحسان إلى خلق الله تعالى ، وله محبة فى أهل الخير ، والفقراء والفقهاء ، وبني لهم الرطب والخوانق ، والزوايا والمدارس ، والمساجد والجوامع والموائد ، وله بصعيد مصر موائد كثيرة لأجل إعلان الأذان ، وهم فى غاية الملاحة والكثرة .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٢١٥

وأوصى فى حال حياته أنه إذا مات أن تلبس خيله أفخر ما لها من العدد ، وكذلك
مماليكه وغلمانه ، كلهم يلبسون آلة الحرب ، ويعمل له طلب كما كان يعمل فى حال حياته ،
وتدق الطبلخانات والبوقات خلف جنازته ، وتحمل الصناجق والأعلام والبيارق .

فلما توفى فى يوم الأربعاء ، سادس عشرى صفر سنة ٦٩٥ هـ (٢ يناير ١٦٩٦ م)
بمصر المحروسة ، عمل جميع ما أوصى به مما ذكر أعلاه ، خلا الطبلخانات ، فإن الأمير
حسام الدين لاجين المنصورى نائب السلطنة بالديار المصرية منعهم عن ذلك وكانت
جنازته حافلة .

أيتامش بن عبد الله السعيدى التركى^(١)

أيتامش بن عبد الله السعيدى التركى ، المصرى وفاة ، يلقب سيف الدين .
كان الأمير سيف الدين أيتامش المذكور ، لما اتصل بخدمة الملك الكامل شمس الدين
سنقر الأشقر حين تغلب على دمشق ، ووقع المصاف بين عسكرى الملك المنصور سيف الدين
قلاون الألفى الصالحى النجمى ، صاحب الديار المصرية ، والملك الكامل شمس الدين سنقر
الأشقر المذكور ، وانهزم شمس الدين سنقر ، ثم عاد الأمير أيتامش المذكور ، والأمير
سيف الدين بليان الهارونى إلى خدمة الملك المنصور ، ثم قبض الملك المنصور عليهما ،
وعلى سنقران الكردى وجماعة من الأمراء ، وحبسهم فى ذى القعدة من سنة ٦٨٠ هـ
(فبراير ١٢٨٢ م) .

توفى أيتامش المذكور فى سابع رمضان سنة ٦٨٤ هـ (٣١ أكتوبر ١٢٨٥ م)
فى محبسه .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٣٣ .

يكتوت بن عبد الله التركي^(١)

يلقب : بدر الدين ، كان من أكابر الأمراء بالديار المصرية .
توفي مخنوقا هو وطفصو ، وجرمك وغيرهم ، بأمر الأشرف في سنة إحدى وتسعين
من هذه السنة (٦٩١ هـ / ١٢٩١ م) .

بلبان بن عبد الله العلائي^(٢)

بلبان بن عبد الله العلائي الصالحى النجيبى المصرى ، يلقب شرف الدين ، ويعرف
بقول « الله كريم » .
هو خشداش الملك المنصور سيف الدين قلاون ، وشمس الدين سنقر الأشقر وغيرهما .
كانوا كلهم مماليك الأمير علاء الدين آقسنقر الساقى العادلى ، وكان الملك المنصور
يرعى له حق الخوشداشية ، ويكرمه ويزوره إذا مرض فى منزله .
توفى بلبان المذكور فى يوم الثلاثاء سادس عشرى جمادى الآخرة سنة ٦٨٧ هـ
(٢٨ يوليو ١٢٨٨ م) ودفن بتربته بالقرافة الصغرى .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ١٥١ .

(٢) ابن الفرات ج ٨ ص ٧٤ .

السلطان الملك الظاهر ركن الدين

أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحى^(١)

السلطان الملك الظاهر ، ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحى ، التركى الجنس أحد المماليك البحرية .

جلس على تخت السلطنة بقلعة الجبل فى ١٧ ذى القعدة سنة ٦٥٨ هـ (٢٥ سبتمبر ١٢٦٠ م) ، فلم يزل حتى مات بدمشق فى يوم الخميس ٢٧ المحرم سنة ٦٧٦ هـ (٣٠ يونيو ١٢٧٧ م) . فكانت مدته سبع عشرة سنة ، وشهرين واثنى عشر يوماً .

وقام من بعده ابنه السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة قان .

ويترجم له ابن شاكر فى فوات الوفيات^(٢) فيقول : قال عز الدين محمد بن على بن ابراهيم بن شداد : أخبرنى الأمير بدر الدين أن مولد الملك السلطان الظاهر بيبرس بأرض القبجاق سنة ٦٢٥ هـ تقريباً .

وكانت العيّارة قد أغارت على القبجاق ، فأسروا جماعة ، وكنت أنا والظاهر فيمن أسر ، فبيع فيمن بيع وحمل إلى سيواس ، فاجتمعت به فى سيواس ، ثم افترقنا ، واجتمعت به بحلب بخان ابن قليج ، ثم افترقنا ، وحمل إلى القاهرة ، فشرأه الأمير علاء الدين أيديكين البندقدار ، وبقي عنده .

فلما قبض عليه الملك الصالح نجم الدين أيوب أخذ الملك الظاهر فى جملة ما استرجعه ، وقدمه على طائفة من الجمدارية ، فلما مات الصالح ، وملك بعده المعظم وقتل ، ولّوا عز الدين أيبيك التركمانى ، وقتل الفارس أقطاي الجمدار ، وركب الظاهر والبحرية ، وقصدوا القلعة ،

(١) القرينى - المخطوط ج ٣ ص ٣٨٧ .

(٢) ج ١ ص ١٥٨ .

فلم ينالوا مقصودهم ، فخرجوا من القاهرة مجاهرين بالعداوة للتركمانى ، مهاجرين إلى الملك
الناصر صاحب الشام ، وكان مع الظاهر بلبان الرشيدى ، وأنوس الدمشقى وسنقر الرومى ،
وسنقر الأشقر ، ويسرى الشمسى ، وقلاون الألفى ، وبلبان المستعرب ، وغيرهم ، فأكرمهم
الملك الناصر ، وأطلق للظاهر ثلاثين ألف درهم ، وثلاث أقطار جمال ، وثلاث أقطار
بغال ، وخيلا وملبوسا ، وفرق فى البقية الأموال والخلع ، وكتب إليه المعز أليك يحذره
منهم فلم يصغ إليه .

وعين للظاهر إقطاعا بحلب فسأله العوض عن ذلك بزريعين ، وجيزين ، فأجابه ،
وتوجه إليها ، ثم خاف الناصر ، فتوجه بمن معه من خوشتاشيته إلى الكرك ، فجز صاحبها
معه عسكريا إلى مصر ، فخرج إليهم عسكري من مصر ، فكسروهم ، ونجا الظاهر وبيليك
الخازندار إلى الكرك .

وتوارب إليه كتب المصريين يحرضونه على قصد مصر ، وجاء إليه جماعة من عسكري
الناصر ، وخرج عسكري مصر مع الأمير سيف الدين قطز ، وفارس الدين أقطاى المستعرب ،
فلما وصل المغيث صاحب الكرك ، والظاهر إلى غزة ، انعزل إليهما من عسكري مصر أليك
الرومى ، وبلبان الكافورى ، وسنقر شاه العيزى ، وبدر الدين بن خاريفدى ، وأليك
الحموى ، وهارون القيمرى ، واجتمعوا وقويت شوكة الظاهر ، وتوجهوا إلى عسكري
الصالحية ، والتقوا بعسكري مصر سنة ست وخمسين وستائة ، واستظهروا عليهم ، ثم انكسر
الظاهر والمغيث ، وهربا ، وأسر جماعة ، وقتلوا صبورا بمن ذكرته أولا .

ثم حصل بين الظاهر والمغيث وحشة ، فقارقه ، وعاد إلى الناصر على أن يقطعه
إقطاعات مائة فارس من جملتها : نابلس وزريعين ، فأجابه إلى ذلك ، ومعه جماعة حلف لهم
الناصر : منهم يسرى الشمسى ، وأوتاش السعدى ، وطيرس الوزيرى ، وأقوش الرومى
الدوادار ، وكسفى الشمسى ، ولأجين الدرفيل ، وأيدغمش الحلبي ، وأليك الشىخى ،
وخاص ترك الصغير ، وبلبان المهرانى ، وسنجر الأسفردى ، وسنجر الهامى وجماعة ،
فأكرمهم ووفى لهم ، فلما قبض على أستاذه حرّض الملك الظاهر الملك الناصر على قصد
مصر ، فلم يجبه ، فسأله أن يقدمه على أربعة آلاف فارس ، أو يقدم غيره لیتوجه إلى شط

الفرات لمنع التتار من العبور ، فلم يتمكن من ذلك ، فمأرقه ، وتوجه إلى الشمرز وريته ، وتزوج منهم ، ثم جهز إلى المظفر قطز من استخلفه له ، وعاد إلى القاهرة ، فدخلها سنة ثمان وخمسين ، فخرج المظفر إلى لقاءه ، وأنزله في دار الوزارة ، وأقطعه قصبة قليوب لخاصته ، فلما خرج المظفر للقاء التتار جهز الظاهر في عسكر لكشف أخبارهم ، فأول ما وقعت عينه عليهم ناوشهم القتال .

ولما انقضت الواقعة بعين جالوت ، تبعهم الظاهر يقص آثارهم إلى حمص ، وعاد ، فوافى المظفر بدمشق ، ولما عاد المظفر إلى مصر اتفق الظاهر مع الرشيدى ، وبهادر المعزى ، وبكتوت الجوكندار ، وبيدغان الركن ، وبلبان الهارونى ، وأنس الأصفهاني على قتل المظفر فقتلوه .

وساقوا إلى الدهليز فبايع الأمير فارس الدين أتابك لملك الظاهر ، وحلف له ، ثم الرشيدى ثم الأمراء ، وركب معه الأتابك ، ويسرى وقلاون وجماعة من خواصه .

ودخل قلعة الجبل سبع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين ، وجلس في إيوان القلعة ، وكتب إلى الأشرف صاحب حمص ، وإلى منصور صاحب حماة ، وإلى مظفر الدين صاحب صهيون ، وإلى الاسماعيلية ، وإلى علاء الدين ابن صاحب الموصل ، نائب حلب ، وإلى من بالشام ، يعرفهم ما جرى ، وأفرج عن في الحبوس من أصحاب الجرائم .

وأقر الصاحب زين الدين بن الزبير على الوزارة ، وكان قد لقب بالملك القاهر ، فقال له الصاحب زين الدين : ما لقب أحد بالملك القاهر وأفلح ، لقب به القاهر بن المعتضد فلم تطل أيامه فخلع ، وسموا عينييه . ولقب به الملك القاهر ابن صاحب الموصل ، فسقم ، ولم تطل أيامه ، فأبطله ، ولقب بالظاهر ، وزاد إقطاعات من رأى استحقاقه من الأمراء ، وخلع عليهم وسير أقوش الخجندى لتوقيع الأمير علم الدين الحلبي ، فوجده قد تسلطن بدمشق ، فشرع الظاهر في استفساد من عنده فخرجوا عليه ، ونزعوه من السلطنة ، وتوجه إلى بلبك فأحضره منها ، وتوجهوا به إلى مصر .

وصفاً للملك بالشام للملك الظاهر ، وضبط الأمور وساس الملك أتم سياسة ، وفتح
الفتوحات وباشر الحروب بنفسه .

وكان جباراً في الأسفار ، وفي الحصارات والحروب ، وخافه الأعادي من التتار
والفرنج وغيرهم ، لأنه روعهم بالغارات والكبسات ، وخاض الفرات بنفسه ، فألقت إليه
العساكر بأنفسها خلفه . ووقع على التتار ، فقتل منهم مقتله عظيمة ، وأسر مائتي نفس .
وفي ذلك قال محيي الدين بن عبد الظاهر :

تجمع جيش الشرك من كل فرقة وظنوا بأنا لا نطيق لهم غلباً
وجاءوا إلى شط الفرات وما دروا بأن جياد الخيل تقطعها وثباً
وجاءت جنود الله في العدد التي تيمس لها الأبطال برسم الوغى عجباً
فعمنا بسيد من حديد سباحة إليهم فما استطاع العدو له نقباً

وعمر الجسور الباقية بالساحل والأغوار ، وأمن الناس في أيامه .

فلما عاد من وقعة إبلاستين أقام بالقصر الأبقى بدمشق فأحسن في نفسه توعكاً ، فشكا
ذلك إلى الأمير شمس الدين سنقر السلحدار ، وكان قد شرب قزاً ، فأشار عليه بالقيء
فاستدعاه ، فاستعصى عليه .

فلما كان ثاني يوم - وهو يوم الجمعة ثاني عشرى الحرم سنة ست وسبعين وستمائة -
ركب من القصر إلى الميدان على عادته ، والألم يقوى عليه ، فلما أصبح اشتكى حرارة في باطنه
فصنعوا له دواء فشر به ، فلم ينجح ، فلما حضر الأطباء أنكروا استعماله الدواء ، وأجمعوا
على أن يسقوه مسهلاً فسقوه ، فلم ينجح ، فحركوه بدواء آخر فأفرط الإسهال به ، ودفع
دماً محتقناً ، فتضاعفت حماه ، وضعفت قواه ، فتخيل خواصه أن كبده تتقطع ، وأن ذلك
من سم شر به ، فعولج بالجوهر ، وذلك يوم عاشره .

ثم أجهده المرض إلى أن توفي يوم الخميس ثامن عشرى الحرم ، سنة ست وسبعين
وستمائة . فأخذوا موته ، وحمل إلى القلعة ليلاً ، وغسلوه وحنطوه ، وكفنوه وصبروه . ودفنه

مهتاره الشجاع عنتر ، والفقيه كمال الدين ، المعروف بابن المنبجى ، وعز الدين الأفرم ، وجعلوه فى تابوت ، وعلقوه فى بيت من بيوت البحرية بقلعة دمشق ، وكتب الأمير بدر الدين بيليك الخزندار مطالعة بيده إلى ولده الملك السعيد .

وركب الأمراء يوم السبت ، ولم يظهروا الحزن ، وكان الظاهر قد أوصى أن يدفن على السابلة قريباً من داريا ، وأن يبنى عليه هناك ، فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل السور ، فابتاع دار العقيقى بثمانية وأربعين ألف درهم ، وأمر أن تبنى مدرسة للشافعية والحنفية ، ودار حديث ، وقبة للدفن . ولما جهزت حضر الأمير علم الدين سنجر الحموى (المعروف بأبى حوض) ، والطواشى صفى الدين جوهر الهندى المصرى إلى دمشق لدفن الملك الظاهر ، وكان النائب عز الدين أيدمر ، فعرفاه ما رسم به الملك السعيد ، فحمل تابوته ليلاً ، ودفن خامس شهر رجب الفرد من السنة ، فقال محيى الدين بن عبد الظاهر :

صاح هذا ضريحه بين جفنى قد دروه من كل فج عميق
كيف لا وهو من عقيق جفونى دفنوه منها بدار العقيقى

وفى سنة سبع وسبعين عملت أعز يته بالديار المصرية ، ونصبت الخيام العظيمة ، وصنعت الأطعمة الفاخرة ، فاجتمع الخاص والعام ، وحضر القراء والوعاظ ، وخلع عليهم وأجيزوا بالجوائز السنية .

كتاب ملك الحبشة إلى الملك الظاهر^(١)

وفي هذه السنة (٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) ، ورد إلى الأبواب الشريفة الملكية الظاهرية / كتاب صاحب الحبشة ، واسمه « محر املاك » ضمن كتاب صاحب اليمن ، وصاحب اليمن يذكر في كتابه : أن صاحب الحبشة قد قصدني في حاجة عند مولانا السلطان ، وقد سيرت كتابه عطف كتابي .

ومضمون كتاب ملك الحبشة إلى السلطان : أقل الممالك يقبل الأرض ، وينتهي بين يدي السلطان الملك الظاهر - خلد الله ملكه - أن رسولا وصل إلى من وإلى قوص بسبب الراهب الذي جاءنا ، فنحن ما جاءنا مطران مولانا السلطان ، ونحن عبيده ، فيرسم مولانا السلطان للبطرك ، يجهز لنا مطران يكون رجلا جيدا عالما لا يحب ذهابا ولا فضا ، ويرسله إلى مدينة عوان .

وأقل الممالك يسير إلى نواب الملك المظفر صاحب اليمن ما يلزمه ، وهو يسيره إلى نواب مولانا السلطان ، وما كان سبب تأخر الرسل عن الحضور إلى بين يدي السلطان إلا أنني كنت في بيكار ، والملك داود قد توفي وقد ملك موضعه ولده ، وعندى في عسكرى مائة ألف فارس مسلمين .

وأما النصارى فكثير لا يحصون ، وكلهم غلمانك ، وتحت أوامرك ، والمطران الكبير يدعو لك . وهكذا الخلق كلهم يقولون : آمين .

وكل من يصل من المسلمين إلى بلادنا نكون له أقل الممالك ، ونحفظهم ونسفرهم ، كما يحبوا ويختاروا . وأما الرسول الذي سيروه من عند وإلى قوص فهو مريض ، وبلادنا بلاد وخة أى من مرض فيها لا يقدر أحد يدخل إليه ، وأى من شتم رأىته يمرض فيموت .

(١) ابن الفرات ج ٢ ص ٢٤ .

والراغب قال : ما يروح رفيق ، ونحن نحفظ كل من يأتي من بلاد المسلمين ، فتسيرو
مطراناً يحفظهم .

قال القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر - مؤلف سيرة الظاهر^(١) - فكتب جواب
الكتاب عن السلطان ، وهذه نسخته :

ورد كتاب الملك الجليل الممام ، العادل في مملكته حتى ملك أمحرا ، أكبر ملوك
الحبشان ، الحاكم على ما لهم من البلدان ، نجاشى عصره ، صديق الملوك والساطين ، سلطان
الأحرة ، حرس الله نفسه ، وبنى على الخير أسه فوقفنا عليه ، وفهمنا ما فيه .

فأما طلب المطران فلم يحضر من جهة الملك أحد حتى كنا نعرف الغرض المطلوب ،
وإنما كتب مولانا السلطان الملك المظفر ورد ، ومضمونه : أنه وصل من جهته كتاب ،
وقاصد ، وأنه أقام عنده حتى يسير إليه الجواب .

وأما ما ذكره من كثرة عساكره ، وأن من جملتها مائة ألف فارس مسلمين ، فالله
تعالى يكثر في عساكر الإسلام .

وأما وخم بلاده ، فالآجال مقدره من الله تعالى ، وما يموت أحد إلا بأجله ، ومن فرغ
أجله مات ، والله أعلم .

(١) مؤلف هذا الكتاب والتهج السديد ص ٢٢٢ .

بيبرس بن عبد الله الناصري التركي^(١)

يلقب ركن الدين ، ويعرف بطقصوا ، كان من أكابر الأمراء بالديار المصرية .

توفي مخنوقا بأمر الملك الأشرف في سنة إحدى وتسعين وستائة (١٢٩١ م) .
وقيل سبب قتله ، أنه لما عاد الملك الأشرف صلاح الدين خليل إلى الديار المصرية ،
قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير سيف الدين جرمك الناصري وغيرها ،
وأمر بحبسهم ، فحبسوا ، ثم أمر بإخراجهم ومن في الحبس من الأمراء وأن يخنقوا قدامه ،
فأخرجوا ، وخنقوا قدامه ، وهم : الأمير سيف الدين الهاروني ، والأمير بدر الدين بكتوت ،
والأمير سيف الدين جرمك ، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير ركن الدين بيبرس
طقصوا الناصري ، وجماعة سواهم .

وجاءوا بالأمير حسام الدين لاجين الصغير ، الذي كان نائب دمشق ، آخر الجماعة .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ١٤٥ و ص ١٥١ .

بيدرا بن عبد الله التركي المنصوري^(١)

يلقب بدر الدين . هو أحد مماليك الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى . تنقلت به الأحوال إلى أن صار أمير مائة فارس مقدم ألف ، واستوزره الملك المنصور ، ولم يزل على وزارته إلى أن توفى الملك المنصور ، وأياما قلائل فى أوائل مملكة الملك الأشرف ، ثم جعله نائب السلطنة بالديار المصرية وأخلع عليه .

ثم اتفق هو والأمراء على قتل الملك الأشرف وقتلوه ، ثم اجتمع الأمراء على سلطنة بيدرا المذكور ، وركب تحت الصناجق السلطانية ، وقتله الأمير زين الدين كتبغا والأمراء . وقيل : لما قتل بدر الدين بيدرا وجد فى جيبه فتية فيها مكتوب بعد البسملة الشريفة : ما تقول السادة الفقهاء فيمن يشرب الخمر فى شهر رمضان ، ويفسق بالمردان ولا يصلى ، فهل على عاتقه ذنب أم لا ؟ فكتبوا فى الجواب : يقتل ولا إثم على قاتله .

ولما انهزم بدر الدين بيدرا ومن معه ، هرب الأمير حسام الدين لاجين ، والأمير شمس الدين قراسنقر ، ودخلا القاهرة ، واختفيا بها ، ثم ظهرا بعد ذلك^(٢) .

(١) ابن القرات ج ٨ ص ١٨٨ . (٢) نفس المصدر ج ٨ ص ١٧٠ .

القائ تكدار^(١)

و يدعى أحمد سلطان بن هولاء كو بن طلوب بن جنكز خان .
فلما أسلم تسمى بأحمد وأخذ يلزم أكابر المغول بالإسلام طوعاً أو كرهاً ، فنقموا عليه
بسبب ذلك .

فلما امتنع أرغون من الدخول في طاعته ، وقبض عليه ، وحبسه عنده قبض على جماعة
من أكابر المغول ، فنفرت منه الخواطر ، واتفقوا على قتله . فجاءوا إلى أرغون فأطلقوه ،
وكبسوا على الناق نائب الملك أحمد أغا فقتلوه ، وقصدوا الأردن فأحس بهم الملك أحمد
أغا ، فركب فرساً وهرب منهم ، فأدركوه ، فقتلوه وأقاموا أرغون وملكوه في سنة ٦٨٣ هـ .
وقيل : كان قتل أحمد أغا في سنة ٦٨٢ هـ عن سبع وثلاثين سنة ، منها مدة ملكه
سنة وأشهر .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٤ والسلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٢٦ .

جرمك بن عبد الله الناصري التركي^(١)

يلقب سيف الدين، كان من أكابر الأمراء بالديار المصرية .

توفي مخنوقاً هو وطفصوا وغيرهما بأمر الملك الأشرف في سنة ٦٩١ هـ (١٢٩١ م) .

السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل^(٢)

قام بعد أبيه ، الملك المنصور في يوم الأحد ، سابع ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ ، وسار لفتح عكا في ثالث ربيع الأول سنة ٦٩٠ هـ (٧ مارس ١٢٩١ م) ، ونصب عليها اثنين وتسعين منجنيقا ، وقاتل من بها من الفرنج أربعة وأربعين يوما حتى فتحها غنوة في يوم الجمعة سابع عشر من جمادى الأولى (١٨ مايو ١٢٩١ م) وهدمها كلها بما فيها ، وحرقها وأخذ صور ، وحيفا ، وعثليث ، وأنطرسوس ، وصيدا ، وهدمها وأجلى الفرنج من الساحل ، فلم يبق منهم أحد والله الحمد .

وتوجه إلى دمشق وعاد إلى مصر ، فدخل قلعة الجبل يوم الاثنين تاسع شعبان ، ثم خرج في ثامن ربيع الآخر سنة ٦٩١ هـ (٢٨ مارس ١٢٩٢ م) بعد ما نادى بالنفير للجهاد ، فدخل دمشق وعرض العساكر ومضى منها ، فر على حلب ، ونازل قلعة الروم ، ونصب عليها عشرين منجنيقا حتى فتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوما غنوة ، وقتل من بها من النصارى الأرمن ، وسبى نساءهم وأولادهم ، وسماها قلعة المسلمين ، فعرفت بذلك ، وعاد إلى مصر فدخل قلعة الجبل في يوم الأربعاء ، ثاني ذى القعدة ، وسار في رابع المحرم سنة اثنتين وتسعين حتى بلغ مدينة قوص من صعيد مصر ، ونادى فيها بالتجهز لغزو اليمن ،

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ١٥١ وراجع ترجمة بيبرس الناصري (طقصوا) في هذا الكتاب .
(٢) المقرئى - المخطوط ج ٣ ص ٣٨٨ . له ترجمة في شذرات الذهب ٥ / ٤٢٢ والنجوم الزاهرة ج ٨ وابن إياس - ج ١ ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١ ص ٣٠٠ .

وعاد ثم سار مخفياً على الهجن في البرية إلى السكر ، ومضى إلى دمشق فقدمها في تاسع جمادى الآخرة ، وقصد غزوه بنسا ، وأخذها من الأرمن فقدموا إليه ، وسلموها من تلقاء أنفسهم ، وسلموا أيضاً مرعش ، وتل حمدون ، ومضى من دمشق في ثاني رجب ، وعبر من حمص إلى سامية ، وهجم على الأمير مهنا بن عيسى وقبضه وإخوته ، وحملهم في الحديد إلى قلعة الجبل ، وعاد إلى دمشق ثم رجع إلى مصر ، فقدم قلعة الجبل في ثامن عشر رجب ، ثم توجه للصيد فبلغ الطرانة ، وانفرد في نفر يسير ليصطاد ، فاقتحم عليه الأمير بيدرا في عدة معه ، وقتلوه في يوم السبت ثاني عشر الحرم سنة ٦٩٣ هـ (١٣ ديسمبر ١٢٩٣ م) فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام ، ثم حمل ودفن بمدرسة الأشرفية وأقيم من بعده أخوه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .

سنجر بن عبد الله التركي^(١)

سنجر بن عبد الله التركي الشجاعى ، يلقب علم الدين ، تنقلت به الأحوال إلى أن تولى وزارة الديار المصرية مرات ، وتولى نيابة دمشق المحروسة عن الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور سيف الدين قلاون ، ثم عزل عنها وعاد إلى الديار المصرية . وكان طويلاً تام القامة أبيض ، أشقر اللحية ، مهمباً ، وقوراً ، وعنده خبرة تامة بالأمور وفطنة قوية .

قتل فى يوم الثلاثاء سابع عشرى صفر ، سنة ثلاث وتسعين وستمائة (٢٧ يناير ١٢٩٤م) وقيل قتل فى يوم السبت رابع عشرى صفر ، وقيل غير ذلك .

واحتال الأمراء على قتل الشجاعى بأن دخل عليه جماعة من الأمراء وفيهم الأمير بهاء الدين الأقوش المنصورى ، وطلبوه إلى عند السلطان فى صورة أنه يستشير ، فلما دخل ، قال له السلطان : يا عمى ، لأى سبب هذا الذى أنتم فيه ؟ قال : لأجلك . قال : فدعونى أعمل شيئاً تبقوا مطمئنين ، وأنا معكم . تروح يا أمير علم الدين تقعد فى مكان بالقلعة ، وترسل وراء الأمراء يطلعوا ، وبعد أيام نوفق بينكم ، ونعطيك قلعة بالشام تروح إليها ، وتستريح منهم . فقام الأمراء الحاضرين ، وقبضوا على الشجاعى وقيدوه ، وأرسلوه إلى مكان يقعد فيه ، فتوجه به الأمير بهاء الدين الأقوش .

فلما كان فى الطريق قتله وقطع رأسه ويده ، وأخذها فى ذيل قرصيته ، ونزل إلى سوق الخيل والبرجية والمالِك الساطانية محتاطين بباب القلعة ، فقاموا ، وقالوا لبهاء الدين الأقوش : ما هذا معك ؟ فقال : خبز سخن ، أرسله السلطان للأمراء ليعلموا أن عندنا الشيء كثير ، فتركوه ، ولو علموا ما معه ، كان أكثر قطعة فيه أذنه ، فنزل

(١) ابن الزنات ج ٨ ص ١٨٨ .

وأعطى الرأس للأمراء فاطمأنوا ، وأرسلوا من جبهتهم من حلف السلطان والأمراء الذين عنده .

وقيل : لفوا رأس الشجاعى فى بقجة وأنزلوه إلى الأمير زين الدين كتبغا ، وفتحوا باب القلعة ، ودقت البشائر ، وطلع كتبغا والأمراء إلى القلعة ، وهم ركاب إلى باب القلعة . وفى يوم مقتله كانت جميع أبواب القاهرة مغلقة غير باب زويلة ، والأسواق معوقة ، وأحوال الناس متوقفة ، إلى أن قتل الشجاعى ، وطلع الأمير زين الدين كتبغا والأمراء إلى القلعة .

وأمر الأمير زين الدين كتبغا أن ينادى بالأمان والاطمئنان ، وأن يطاف برأس الشجاعى القاهرة وظواهرها ، فطاف به المشاعلية على رمح ، وأشهبوا قتله ، وجهبوا عليه القاهرة ومصر والشوارع والطرقات . ويقال إن بعض أهل مصر دفع إلى المشاعلية جملة فضة حتى أخذ منهم الرأس ودخل به إلى بيته ، وضر به بالمداس ، وبعض الناس صفعوا الرأس فى الطرقات ، وفعل الناس ما أرادوا من صفع ، وضرب وغير ذلك .

يقال كان مع المشاعلية برنية لتحصيل ما يحىء من الناس على رأس الشجاعى ، وأن البرنية ملئت ثلاث مرات ، وكلما ملئت فرغوها ، وأتوا بها لأنهم لم يتركوا بمصر والقاهرة ، وظواهرها وضواحيها حارة ، ولا زقاق ، ولا شارع ، ولا حكر ، حتى أما كن التهم والريب ، والنجاسة إلا مروا به فيه ، وهم يصيحون : هذه رأس الملعون الشجاعى ، وما يشبهه من الألفاظ القبيحة .

ويقال : لم يتفق مثل ما اتفق للشجاعى لأحد من الناس فى وقت من الأوقات ، وسبب ذلك كراهيتهم للشجاعى لسوء أفعاله وظلمه ومصادراته للعالم وتنوعه فى المظالم وجبروتيته^(١) .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ١٨٨ .

كيف قتل الشجاعى

وذكر الخلاف الواقع بينه وبين زين الدين كتبغا^(١)

كان الأمير حسام الدين استمر أتابكا ، والأمير زين الدين كتبغا نائباً ، والأمير علم الدين الشجاعى فى الوزارة وتدير الدولة وإحكام أمرها ، فهابه الناس وقويت نفسه وأراد أن يستبد بالأمر ، وشرع فى أعمال الحيلة والتدبير على قبض الأمير زين الدين كتبغا ، وجماعة من الأمراء .

وكان الأمير سيف الدين قنغز - وقيل قنقغ - التترى لما حضر من بلاد التتر فى الدولة الظاهرية ، وأقام بالديار المصرية ، أقطعه السلطان بالحلقة إقطاعاً جيداً ، ورزق من الأولاد اثني عشر ولداً ، كلهم ذكور ، وكانوا كلهم من الحسن على جانب وافر ، أجل الناس صورة ، وأتمهم خلقاً ، وكان منهم ستة أولاد فى خدمة الملك الأشرف ، وخمسة فى خدمة الأمير علم الدين الشجاعى . وله عنده وعند غيره منزلة عظيمة ، وكلمة مسموعة ، وشفاعة لا ترد ، وإطلاع على أخبار الدولة .

وكان أولاده يأتوه بأخبار الدولة مفصلاً . فلما شرع الأمير علم الدين الشجاعى فى التدبير على قبض الأمراء ، استمال الأمراء البرجية ، والمماليك السلطانية ، وبعض الخاصكية ، وأنفق فيهم فى الباطن ما لا جزى لا تقدير ثمانين ألف دينار فى يوم واحد ، واتفق معهم على أن كل من أتاه برأس أمير من الأمراء الذين مع الأمير زين الدين كتبغا كان إقطاعه له ، واتفق الحال بينه وبين الأمير علم الدين سنجر البندقدارى على أنه عند طلوع الأمير زين الدين كتبغا من الموكب إلى قلعة الجبل ، ومد السباط ، قبض على الأمير زين الدين كتبغا ، ومن معه من الأمراء ، فاستعجل البندقدارى لأمر قدره الله تعالى ، ونزل إلى سوق الخيل .

ولما اطلع الأمير سيف الدين قنغز التترى على ما كان فى باطن الأمير علم الدين الشجاعى

(١) ابن القرات ج ٨ ص ١٧٨ .

من الغل والغش ، وسوء الطوية ، والمكائد الذى أراد أن يفعلها مع الامير زين الدين كتبغا من أولاده ، حملته الجنسية حتى أطلع الامير زين الدين كتبغا على ما كان فى باطن الشجاعى ، وذكر له جميع ما بلغه ، فلما تحقق الامير زين الدين كتبغا ذلك بالقرائن الظاهرة مع كلام الامير سيف الدين قنغز ، وولده جاورشى ، احترز عند ذلك على نفسه ، وأخبر بذلك جماعة من الامراء ممن ينتمى إليه ، وكانوا يكرهون الشجاعى فتحققوا ذلك .

فلما كان يوم الخميس ثانى عشر صفر من هذه السنة (٦٩٣ هـ - ١٢ يناير ١٢٩٤ م) اجتمع الامراء بمساطب باب القلعة على العادة ، ينتظرون فتوح باب القلعة ليركبوا فى خدمة الامير زين الدين كتبغا نائب السلطنة فى الموكب على جارى العادة ، فلم يشعروا إلا وقد خرجت رسالة على لسان أمير جاندار بطلب جماعة من الامراء ، وهم : سيف الدين قبجاق ، وبدر الدين عبد الله السلاح دار حامل الجتر ، وسيف الدين قبلاى ، وركن الدين عمر السلاح دار أخو تمر ، وسيف الدين كرجى ، وسيف الدين طرقيجى .

وقال بعض أهل التاريخ ، هم : قفجق وجمال الدين عبد الله ، وركن الدين عمر ، وقرمشى السلاح دار ، ونورى السلاح دار ، ولاجين جركس ، ومغلطاي المسعودى ، وكرد الساقى ، فدخلوا إلى الخدمة السلطانية ، وقام بقية الامراء للركوب . فبينما هم يسرون تحت القلعة بالميدان الاسود جاء الامير سيف الدين قنغز ، وولده جاورجى ، فأخبرا الامير زين الدين كتبغا أن الامراء الذين استدعوا اعتقلوا ، وأن الشجاعى قد دبر الحيلة عليك ، وعلى الامراء إذا طلعتهم إلى القلعة ، ودخلتم إلى الخوان أن يقبض عليكم ، فعرف الامير كتبغا الامراء الذين معه فى الموكب الصورة ، فتوقفوا عن الطلوع إلى القلعة ، وتوهموا أن الشجاعى اتفق مع الامراء المنصورية ، والامراء البرجية ، والماليك السلطانية ، وكان بالموكب الأمير سيف الدين برلقى أمير مجلس ، والامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستاذ الدار .

قال ركن الدين بيبرس : بينما أنا فى الموكب ، ما أشعر إلا وضربة دبوس جاءتني فى رأسى ، ولم يزل أثر الضربة فى رأسه ، وقبض عليه ، وعلى الامير سيف الدين برلقى وأرسلوهما إلى ثغر الإسكندرية .

ولما قبض عليهما حصلت مفاوضة بين الأمير علم الدين سنجر البندقدارى ، وقيل بلبان البندقدارى ، وبين الأمير زين الدين كتبغا ، فقال البندقدارى لكتبغا فى بعض كلامه ابن لاجين أحضره ، فقال له كتبغا ما هو عندى فقال له : بلى ، هو عندك .

وجرد البندقدارى سيفه ليضرب به كتبغا . فلما رأى بدر الدين بكتوت الأزرق ، وقيل بلبان الأزرق مملوك كتبغا ذلك جرد سيفه ، وعلا البندقدارى من وراءه ، وضربه بسيفه حل كتفه ويده ، ونزل بقية ممالك كتبغا فآلقوا البندقدارى عن فرسه ، وذبحوه بوسط سوق الخليل .

وتوجه الأمير زين الدين كتبغا ومن معه من الأمراء وهم : بدر الدين يسرى ، وبدر الدين بكتاش أمير سلاح ، وبدر الدين بكتوت العلأى ، وبهاء الدين يعقوبا ، وسيف الدين نوكيه ، وعز الدين أيبك الموصلى ، وسيف الدين الحاج بهادر ، وشمس الدين آقسنقر كرتيه ، وسيف الدين بلبان الحسينى إلى الباب المحروق ، وخرجوا منه ، ونزلوا بظاهر السور ، وأمروا ممالكهم ، وألزامهم وأجنادهم أن يلبسوا عددهم ، وأرسل الأمير زين الدين كتبغا نقيب الحلقة ، وطلب المقدمين فحضروا إليه ، وطلبوا أجناد الحلقة ، والتتر جمعهم والأكراد الشهرزورية ، فحضروا إليه وركبوا معه .

ولما بلغ الأمير علم الدين الشجاعى قتل البندقدارى ، واجتماع الأمراء مع الأمير زين الدين كتبغا ركب ، وخرج إلى باب القلعة ، وحرك السكوسات ، وأراد بذلك أن يحضر إليه الأمراء ، وأجناد الحلقة . وكان من جملة مآذير من المسكايد أنه صر الذهب فى صرر كبار ، وصغار ، وراسل المقدمين ، وأجناد الحلقة ، ووعدهم بالبطية إذا حضروا إليه ، وصار كل من حضر إليه أعطاه صرة ذهب على قدره . ومع هذا لم يحضر إليه إلا من لا منعة عنده .

فلما رأى الأمير زين الدين ذلك ، راسل السلطان الملك الناصر فى طلب الأمير علم الدين الشجاعى ، وقال إن هذا قد انفرد برأيه فى القبض على الأمراء ، وبلغنا عنه ما أنكرناه ، ونختار حضوره ليحقيق عما نقل عنه ، فراسل السلطان الشجاعى بذلك ، فامتنع عن الحضور ، فعند ذلك شرع الأمير زين الدين كتبغا فى حصار القلعة ، وأمر بقطع الماء عنها ، ولم يزل العسكر محاصرا لها ذلك اليوم بكامله .

فلما أصبح الصباح من اليوم التالي ، نزل الأمراء البرجية من القلعة على حمية ، وقاتلوا زين الدين كتبغا ومن معه من العساكر ، وهزموهم وساقوهم إلى البير البيضاء ، وناخر كتبغا إلى ناحية بلبس .

ولما بلغ الأمير بدر الدين بيسرى ، والأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ، وجماعة أمراء من بقية عسكر الديار المصرية - وكانوا قد تأخروا عن الركوب في هذا اليوم - ما اتفق للأمير زين الدين كتبغا ، ومن معه من الكسرة أرادوا نصرهم وركبوا ، والتقوا الأمراء البرجية والمماليك السلطانية ، فكسروهم وردوهم حتى طلعوا بهم قلعة الجبل . وانضم إليهم الأمير زين الدين كتبغا ومن معه من الأمراء ، وجدوا في حصار القلعة ، وطلع الملك الناصر على البرج الأحمر وترأى الأمراء ، فنزلوا وقبلوا الأرض من مواقفهم ، وقالوا : نحن ممالك السلطان ، ولم نخلع يدا عن الطاعة ، وليس قصدنا إلا حفظ نظام الدولة ، واتفاق الكلمة ، وإزالة أسباب المضار والفساد عن المملكة .

وصار الشجاعى ينزل في كل يوم إلى الأمير كتبغا ، ومن معه ويناولهم القتال ، ومعه طائفة من الأمراء ، وهم : الأمير سيف الدين بكتامر السلاح دار ، وسيف الدين طنجى ، وجماعة من المماليك السلطانية ، ثم فارقه الأمراء والمماليك ، فكانوا يتسللون عشرة عشرة ، واستمر الحصار سبعة أيام .

ولما رأت الست والدة الملك الناصر ما هم فيه من شدة الحصار ، وطالت المدة طلعت على سور القلعة ، وقالت للأمراء : إيش غرضكم حتى نفعله لكم ؟ قالوا : مالنا غرض إلا القبض على الشجاعى ، وإخاد الفتنة ، ونحن لو بقى من بيت أستاذنا بنت عمياء كنا ممالكها لاسيا ولده الملك الناصر حاضر ، وفيه كفاية ، فعند ذلك اتفقت مع الأمير حسام الدين لاجين الأتابك ، وغلقوا باب القلعة الذى بقلعة الجبل ، وصار الشجاعى بداره فى القلعة محصوراً ، فلما شاهده أصحابه فى هذه الحالة ، وصار فى أنحس تقويم ، تفرقوا عنه أولاً فأولاً ، وتركوه ونزلوا إلى كتبغا ، وصار جمع الشجاعى إلى نقص ، وكتبغا إلى زيادة . فلما رأى الشجاعى حاله انتهت إلى هذه الغاية ، طلب الأمان ، فلم يوافقوا الأمراء

على ذلك ، فقال : إن كنت أنا الغريم ، فأنا أتوجه إلى الحبس طوعاً منى ، وأبرأ إلى الأمراء مما نقل إليهم عنى . وحضر إلى باب الستارة السلطانية ، وحل سيفه ، وذهب نحو البرج ، وتوجه معه الأمير بهاء الدين الأقوش ، والأمير سيف الدين صمغار ليحبسا بالبرج الجوانى .

وقيل لما عجز الأمير علم الدين الشجاعى ، وطلب الأمان من الأمراء ولم يوافقوه ، طلع إليه وقت العصر بعض الأمراء من جهة الأمير زين الدين كتبغا ، وفيهم بهاء الدين الأقوش المنصورى . وجاء إليه جماعة من خاصكية الملك الناصر ، وطلبوه إلى عند والده السلطان فى صورة كأنهم يستشيرونه فيما يعمل ، فمضى معهم ، وتكاثر عليه المماليك ، فوثب عليه مملوك من مماليك الأقوش من وراءه ، وجرد سيفه وضربه به ضربة قطع بها يده ثم بادره بضربة أخرى حز بها رأسه عن جسده ، وأخذ رأسه فى الحلة الراهنة ، ورفع على سور القلعة حتى رآه الأمراء والعساكر .

وقال بعض أهل التاريخ : دخل على جماعه من الأمراء ، وفيهم الأمير بهاء الدين الأقوش المنصورى ، وطلبوه إلى عند السلطان فى صورة كأنه يستشيرهم ، فلما دخل قال له السلطان : يا عمى لأى سبب هذا الذى أتم فيه ؟ قال : لأجلك . قال : فدعونى أعمل شيئاً تبعوا مطمئنين ، وأنا معكم . تروح يا أمير علم الدين تقعد فى مكان بالقلعة ، وترسل وراء الأمراء يطلعوا ، وبعد أيام نوفق بينكم ، ونعطيك قلعة بالشام تروح إليها ، وتستريح منهم فقام الأمراء الحاضرين ، وقبضوا على الشجاعى وقيدوه ، وأرسلوه إلى مكان يقعد فيه . فتوجه به الأمير بهاء الدين الأقوش .

فلما كان فى الطريق قتله وقطع رأسه ويده ، وأخذها فى ذيل قرصيته ونزل إلى سوق الخيل والبرجية ، والمماليك السلطانية محتاطين بباب القلعة ، فقاموا وقالوا لبهاء الدين الأقوش : ما هذا معك ؟ فقال : خبز سخن أرسله السلطان للأمراء ليعلموا أن عندنا الشىء كثير فتركوه ، ولو علموا ما معه ، كان أكثر قطعة فيه أذنه ، فنزل وأعطى الرأس للأمراء فاطمأنوا وأرسلوا من جهتهم من حلف السلطان والأمراء الذين عنده .

وقيل : لفوا رأس الشجاعى فى بقجة وأنزلوه إلى الأمير زين الدين كتبغا ، وفتحوا باب القلعة ، ودقت البشائر ، وطلع كتبغا والأمراء إلى القلعة ، وهم ركاب إلى القلعة .

ولما قتل الأمير علم الدين الشجاعى ، وطلع الأمير زين الدين كتيبغا والأمراء إلى القلعة ،
أفرج السلطان الملك الناصر عن الأمراء الذين اعتقلوا ، وأعيدت لهم أموالهم وكل ما أخذ
منهم واقطاعاتهم . وجددت الأيمان للملك الناصر ونائبه ، الأمير زين الدين كتيبغا ، وأنزل
الملك الناصر من كان بالأبراج والطباق من المماليك السلطانية الذين اتهموا بهذه الفتنة ،
فأسكنوا طائفة منهم فى مناظر الكيش ، وطائفة فى دار الوزارة ، وطائفة فى مناظر الميدان
الصالحى والميدان ، واعتقل منهم جماعة .

سنقر بن عبد الله الصالحى النجمى^(١)

يلقب شمس الدين ، ويعرف بالأشقر . تولى السلطنة بدمشق وتلقب بالملك العادل .
توفى مخنوقاً هــ وجرمك ، وبكتوت ، وطقصوا وغيرهم بأمر الملك الأشرف
فى سنة ٦٩١ هـ (١٢٩١ م) .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ١٥١ .

ذكر سلطنة شمس الدين سنقر الأشقر^(١)

كان الملك المنصور سيف الدين قلاون الألفى الصالحى النجمى فى زمن أتاكيتيه ، فى سلطنة الملك العادل بدر الدين سلامش ، جهز الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى الشام ، نائب السلطنة الشريفة بدمشق الحروسية ، عوضاً عن الأمير جمال الدين أقش الشمسى .

ونقل الأمير جمال الدين أقش الشمسى من دمشق إلى نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية . فلما جامع الملك العادل بدر الدين سلامش ، وملك الملك المنصور سيف الدين قلاون ، واستقل بالسلطنة ، خطر ببال الأمير شمس الدين سنقر الأشقر أن يستبد بسلطنة الشام ، ويصير الأمر على ما كان عليه فى أواخر الدولة الأيوبية ، فصار يمهّد الأمور لنفسه .

فلما أرسل الملك المنصور مملوكه الأمير حسام الدين لاجين إلى قلعة دمشق ، ووصل إليها وسكنها ، وتخيل منه شمس الدين سنقر ، جمع الأمراء الذين عنده بدمشق ، وأوهم أن الأخبار وصلت إليه أن الملك المنصور سيف الدين قلاون قد قتل ، وهو يشرب القمزم ، ودعاهم إلى طاعته واستحلفهم لنفسه ، فأجابوه ، وحلفوا له ، وتلقب بالملك الكامل ، وركب بشعار السلطنة وأبهة المملكة بدمشق ، وذلك فى الرابع والعشرين من ذى الحجة من سنة ٦٧٨ هـ (٢٦ أبريل ١٢٨٠ م) .

وفى الوقت قبض على الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق الصالحى لامتناعه عن اليمين ، وقبض أيضاً على الأمير حسام الدين لاجين نائب قلعة دمشق الذى أرسله الملك المنصور ، وعلى صاحب تقى الدين توبة التكريتى ، وجهز الأمير سيف الدين بلبان الحيدشى إلى سائر الممالك الشامية ، والقلاع ليحلف من بها من النواب وغيرهم ، وولى فيها من جهته من يريد .

(١) ابن الفرات ج ٧ ص ١٦٢ .

واستوزر الصدر مجد الدين أبا الفداء اسماعيل بن كسيرات الموصلى ، وجعل وزير
الصحبة الصدر عز الدين أحمد بن ميسر المصرى ، وانتقل بأهله من دار السعادة التى يسكنها
نواب السلطنة بدمشق إلى قلعتها ، وأمر عند انتقال أهله بأن يغلق باب النصر ، وفتح
باب سر القلعة المقابل لدار السعادة بجوار باب النصر ، ففعلوا ذلك فتطايروا الناس له بأشياء ،
وقالوا اغلق باب النصر ، وانتقل من دار السعادة ، وسكن القلعة ، وولى وزارته ابن كسيرات ،
فهذا لا يتم أمره فكان كذلك .

السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش^(١)

السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس ، قام بالسلطنة بعد أخيه
وعمره سبع سنين وأشهر .

وقام بتدبيره الأمير قلاون أتابك العساكر ، ثم خلعه بعد مائة يوم ، وبعث به
إلى الكرك ، فسجن مع أخيه بركة بها .
وقام بعده الملك المنصور قلاون .

(١) المقريزى : الخطط ج ٣ ص ٣٨٧ .

حسام الدين طر نطاي وسبب قتله^(١)

كان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور يكره الأمير حسام الدين طر نطاي ، نائب السلطنة بالديار المصرية ، أشد الكراهة لأموار منها :
ما كان يعامله به من الاطراح لجانبه والغض منه وإهانة نوابه . وأذى من ينسب إليه . ومنها :

ترجيح جانب أخيه للملك الصالح علاء الدين - رحمه الله تعالى - على جانبه ،
والليل إليه .

ولما مات الملك الصالح ، وانتقلت ولاية العهد بعده إلى الملك الأشرف ، مال إليه من كان يميل عنه ، وتقرب إلى خاطره من كان يحقره ، ولم يزد ذلك الأمير حسام الدين إلا تمادياً في الإعراض عنه ، وجرياً على عادته في أذى من ينسب إليه ، وأغرى الملك المنصور بنظر ديوان الملك الأشرف القاضي شمس الدين بن السلعوس حتى ضربه وصرفه ، وعامله بمثل هذه المعاملة ، والملك الأشرف لا يستطيع دفع ذلك لتمكن الأمير حسام الدين من الملك المنصور ، ويكتم ما عنده منه ، ويصبر من ذلك على ما لا يصبر مثله على مثله .

ولما ملك الملك الأشرف ، واستقر له الأمر ، وقف الأمير حسام الدين طر نطاي بين يديه في نيابة السلطنة على عادته مع السلطان الملك المنصور أبيه ، وتحقق أنه يحقد عليه أفعاله ، وأن خاطره لا يصفوله ، فشرع في إفساد نظامه سرّاً ، وإخراج الأمر عنه .

وتحقق الملك الأشرف منه ذلك ، ووشى به بعض من باطنه ، فلما ركب الملك الأشرف في ركوبه ، وعزم على قتله عند انتهاء التسيير إذا قرب من باب الاسطبل ، فشمع الملك الأشرف بذلك .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٩٩ والسلوك : ١ قسم ٣ ص ٧٥٧ .

فلما سير الملك الأشرف أربعة ميادين ، والأمير حسام الدين طرنطاي ومن وافقه عند باب سارية .

فلما انتهى السلطان إلى رأس الميدان وقرب من باب الاسطبل ، وفي ظن الناس أنه يعطف إلى جهة باب سارية ، ليكمل التسيير على العادة عطف إلى جهة القلعة ، وأسرع وعبر من باب الاسطبل ، ولما عطف الملك الأشرف ، ساق الأمير حسام الدين طرنطاي ومن معه ، ملء الفروج ليزدركوه ، فما وصلوا باب الاسطبل إلا والملك الأشرف قد دخل منه ، وحف به بماليكه وخواصه ، فبطل على طرنطاي ما دبره ، وبادر الملك الأشرف ، ونزل من الركوب ، واستدعى الأمير حسام الدين طرنطاي ، فنهاه الأمير زين الدين كتبغا المنصوري عن الدخول على الملك الأشرف ، وحذره منه وقال : والله أخاف عليك منه ، فلا تدخل عليه إلا في عصابة وجماعة ، تعلم أنهم يمانعون عنك إن وقع لك أمر . فلم يرجع إلى قوله ، وظن أن أحداً لا يجسر أن يقدم عليه لمهابته في القلوب ، ومكانته من الدولة ، وظن أن الملك الأشرف لا يبادره بالقبض عليه ، وقال للأمير زين الدين كتبغا فيما حكى عنه : والله لو كنت نائماً ما جسر خليل ينهني .

وقام ودخل على الملك الأشرف ، فحمل الأمير زين الدين كتبغا الاشفاق عليه ان دخل معه . فلما صار الأمير حسام الدين طرنطاي بين يدي الملك الأشرف ، وكان قد قدر مع الأمراء الخاصكية القبض عليه ، فبادروا إلى ذلك ، وقبضوا على يديه ، وأخذوا سيفه ، فصرخ كتبغا ، وجعل يقول : ايش عمل ، ايش عمل . يكرر ذلك ، فأمر الملك الأشرف بالقبض على الأمير زين الدين كتبغا أيضاً ، فقبض عليه واعتقل .

ثم إن الملك الأشرف أمر أن يقتل الأمير حسام الدين طرنطاي ، فقتل في يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة (١٩ نوفمبر ١٢٩٠م) . وقيل إنه عوقب بين يدي الملك الأشرف حتى مات .

وقيل إن الملك الأشرف ضربه بيده إلى أن مات في ساعته ، وأشاع أنه وجدته لما دخل عليه كان لابساً آلة الحرب من تحت ثيابه .

وقيل : كانت وفاته في يوم الخميس ثامن عشرى ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ (٢٢ نوفمبر ١٢٩٠ م) بقلعة الجبل ، وبقى ثمانية أيام بعد وفاته مطروحاً بحبس القلعة ، ثم أخرج من القلعة ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ (٣٠ نوفمبر ١٢٩٠ م) .

وقد لف في حصيد وحمل على جنوبية إلى زاوية الشيخ أبى السعود بترافة مصر المحروسة فغسله الشيخ عمر السعودى شيخ الزاوية ، وكفنه من ماله ، ودفنه خارج الزاوية قبليها ليلا ، وبقى كذلك إلى أن ملك الأمير زين الدين كتبغا المنصورى ، فأمر بنقل جثة حسام الدين طرنطاي إلى تربته التى أنشأها بمدرسته المعروفة بالحسامية التى بجوار داره ، بنحط المسطاح .

ولما قبض الملك الأشرف على الأمير حسام الدين طرنطاي ، نذب الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، لإيقاع الحوطة على موجوده واستصفاء أمواله ، لما كان بينهما من العداوة ، فنزل الشجاعى إلى دار الأمير سيف الدين طرنطاي التى بالقاهرة ، وحمل ما فى خزائنه وذخائره ، وطلب ودائعه ونبش مواضع من داره ، وتتبعها ، وحمل من أمواله إلى الخزائن وبيت المال جملة عظيمة يقال إن جملة ما حمل من ماله من الذهب العين ستمائة ألف دينار عينا مصرى ، ومن الدراهم سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل بالمصرى . ومن العدد والأقشة ، والخيول والممالك ما لم تحصر قيمته كثرة . ويقال إنه كان قد جمع ذلك ، وادخره لطلب السلطنة لنفسه ، ولم ينل ما تمناه .

وحكى الجزرى فى تاريخه قال : أخبرنى بعض أكابر الأمراء ، أن من جملة ما أخذ من دار الأمير حسام الدين طرنطاي ، وحمل إلى القلعة ، وانفق على الأمراء فى أول الدولة الأشرفية من الذهب العين ستمائة ألف دينار مصرى ، ومن الدراهم مائة قنطار وسبعين قنطار بالمصرى خارجاً عن الغلال ، والخليل ، والبغال ، والجمال ، والآلات ، والأملاك . وكان ذلك مالا يحصى كثرة .

ومن العدد والنحاس المكفت والمطعم ، والزردخانة ، والسروج ، واللجم ، وقماش الركاب ، والطشتخانة ، والفراش خانة ، والحوائص ، ما لم يوجد عند غيره من الأمراء والملوك .

هذا خارج عن البضائع والأموال المسفّرة على اسمه ، والقراضات ، والودائع ، والقنود ،
والأعسال ، والأبقار ، والأغنام ، والرقيق ، فإن ذلك لا يحصر كثرة ، ولا تعرف له قيمة .
هذا بالديار المصرية خارج عما أخفاه دراوينه ، ونوابه بمصر والشام . وأما مماله -
فإن الملك الأشرف ، اعرضهم وأخذ منهم ما يختاره ، وفرق ما بقي على الأمراء .

وبعد أيام من مقتل الأمير حسام لدين طرنتاي ، سأل ولد الأمير حسام الدين -
وكان أعمى - الدخول على الملك الأشرف ، فأذن له ، فلما وقف بين يديه ، جعل المنديل
على وجهه وبكى ، ومد يده ، وقال : شيء الله ، وذكر أن لأهله أياماً ما عندهم ما يأكلونه ،
فرق عليه : وأفرج عن أملاك طرنتاي ، وقال : تبلغوا بريعتها .

فسبحان من لا تغيره الأيام ، والدهور ، ولا يحول ، ولا يزول ، ولا يشغله شأن عن
شأن ، وكل يوم هوفى شأن .

الملك الصالح على بن الملك المنصور^(١)

الملك الصالح بن الملك المنصور على بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى المصرى . يكنى أبا الفتح ، ويلقب علاء الدين ، وينعت بالملك الصالح . كان على الهمة ، حسن النعمة ، معدودا فى نجباء الأبناء ، وأبناء النجباء . عهد أبوه المنصور إليه ، واعتمد فى تدبير الملك عليه . خطب له بالعهد بعده معه على المنابر ، وقطعت بمراسمه السنة الأقالام فى أفواه الحابر .

ولم يزل الملك الصالح متنعما ، مبتهجا بوالده إلى أن خرج السلطان الملك المنصور فى يوم الأحد خامس عشر شهر رجب من سنة ٦٨٧ هـ مبرزاً إلى دهليزه المنصور بظاهر القاهرة المحروسة ، مسافراً إلى الشام المحروس بعساكره المنصورة ، وركب معه ولده الملك الصالح إلى الخيم المنصور ، وحضر سباطه ، وأقام إلى أواخر النهار ، ورد إلى القلعة المنصورة ، وبات ليلته مريضاً بإسهال ذريع دموى مفرط ، فأقام أياماً ، وعولج بأصناف العلاج ، وسقى جوهراً كثيراً وزمرداً له قيمة جلية ، وركب إليه والده السلطان ، وطلع القلعة لعيادته فى يوم الأربعاء ثامن عشر شهر رجب المذكور ، وعاد من يومه إلى المعسكر المنصور .

ولما ثقل مرض الملك الصالح ، عاد والده السلطان إلى القلعة المنصورة ، وطلعت الخزانة المعمورة فى يوم الثلاثاء أول شعبان من سنة ٦٨٧ هـ ، وطلعت الصناجق والكوسات والطلب ، فى يوم الأربعاء ثانى شعبان . ولم يزل مرض الملك الصالح وضعفه يزداد إلى بكرة يوم الجمعة رابع شعبان ٦٨٧ هـ .

توفى بقلعة الجبل . وقيل كانت علته دوسنطاريا كبدية ، وقيل إن أخاه الملك الأشرف صلاح الدين خليل حسده على ما كان من إقبال أبيه عليه فسمه فمات . وقيل غير ذلك .

(١) السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٤٦ .

ووصل على الملك الصالح بالقلعة قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن قاضي القضاة
تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز الشافعي ، وصلى خلفه والده الملك المنصور ، وأخوه
الملك الأشرف ، وصلى عليه في الساعة الرابعة من يوم الجمعة خارج القلعة المحروسة ، قاضي
القضاة معز الدين نعمان بن قاضي القضاة تاج الدين الحسن بن يوسف الخطيبي الحنفي ،
قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية .

ودفن بتربة والده التي أنشئت بالقرب من السيدة نفيسة رضي الله عنها ، وخلف
ولداً واحداً من زوجته منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكيه ، وهو الأمير مظفر الدين
موسى .

وحصل للملك المنصور على ولده الملك الصالح من الألم مالا يزيد عليه ، وجلس
للمرءاء في الإيوان الكبير في يوم الأحد ثالث وفاة ولده .

وأنشئت كتب الغزاء إلى أكابر النواب بالبلاط ، وأمر فيها أن لا يتعرض أحد لقطع
شعر ، ولا إلى تغيير زي ولا لبس حداد .

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر من جملة كتاب كتبه على لسان الملك
المنصور إلى بعض النواب : « ونحمد الله تعالى الذي جراننا بالصبر المثوبة الباطنة والظاهرة ،
وكان من غرضنا أن نجعله ملكاً في الدنيا ، فجعله الله ملكاً في الآخرة » .

عيسى بن مهنا^(١)

عيسى بن مهنا بن مانع بن حذيفة - أمير العرب - يلقب شرف الدين ، كانت إمارة العرب لعلى بن حذيفة بن مانع بن حذيفة ، وكان كثير السفك للدماء . ويقتل مفسدى العرب بأنواع القتل ، وكانت له قدر كبيرة منصوبة لا تزال على النار ، مملوءة ماء ، والنار توقد تحتها ، فمضى وقع له مفسد من العرب ، ألقاه فيها حيا فيسقط لحمه لوقته ، وقتل خلقا كثيرا بذلك ، وبغيره من أنواع العذاب . هذا والفساد في أيامه مستمر ، وأمر العرب لا يزداد إلا شدة .

فلما توفى في ابتداء دولة الملك الظاهر - ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى - فوض الملك الظاهر إمارة العرب بعده لابن عمه الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا بن مانع بن حذيفة ، وكان رجلا دينيا خيرا ، فلما ولى إمارة العرب ، أنزل القدر الذى كان لابن عمه ، وامتنع من سفك دم إلا بحكم الله تعالى ، فعلم الله تعالى صدق نيته ، فأصلح له من أمر العرب ما فسد في أيام غيره ، وصلحت سيرتهم ، وقل فسادهم ، بل كاد يعدم في أيامه ، وانحسرت مادة أذاهم المقفول وغيرها ، مع لينه ، وحسن سياسته ، وانتفع الإسلام به في مواطن كثيرة منا من الله تعالى ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى ، وصلى عليه صلاة الغائب بجامع دمشق المحروسة ، في يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الأول سنة ٦٨٣ هـ (٢٦ مايو ١٢٨٤ م) .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ١٢ والسلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٢٦ .

السلطان الملك العادل زين الدين ككتبغا المنصورى^(١)

أحد ماليك الملك المنصور قلاون . قام بعد الملك الناصر محمد بن قلاون ، وجلس على التخت بقلعة الجبل ، فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة ٦٩٤ هـ ، وتلقب بالملك العادل ، فكانت أيامه شر أيام ، لما فيها من قصور مد النيل ، وغلاء الأسعار ، وكثرة الوباء فى الناس ، وقدم الأويراتية ، فقام عليه نائبه الأمير حسام الدين لاجين ، وهو عائد من دمشق بمنزلة العوجاء فى يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم سنة ٦٩٦ هـ (١٩ نوفمبر ١٢٩٦ م) ، ففر إلى دمشق ، واستولى لاجين على الأمر ، فكانت مدته سنتين وسبعة عشر يوماً ، وقدم لاجين بالعسكر إلى مصر .

(١) المقرئزى : الخطوط ٣ ص ٣٨٨ .

(١) السلطان الملك حسام الدين لاجين المنصوري

كان حسام الدين لاجين من مماليك الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز ، عز الدين أيبيك ، فلما خلع من السلطنة بالديار المصرية ، وسفر إلى بلاد الأشكرى ، ملك القرنج ، تأخر لاجين بالقاهرة ، فاشتره سيف الدين قلاون الألفي الصالحى النجمى فى حال إمرته بسبعائة درهم وخمسين درهما من غير مالك شرعى ، ثم تبين لسيف الدين قلاون بعد ذلك أن لاجين من مماليك الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز . وقيل له إنه غائب ، ولا يصح بيعه إلا من حاكم شرعى ، فاشتره ثانياً من قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز بما يزيد عن ألف درهم ، وباعه على الغائب بالعبطة له ، فاشتره سيف الدين قلاون فى أيام إمرته مرتين ، وكان يوم ذاك شقى ، وفى عهده كذا لاجين المدعو شقى ، ثم صار فى بيت الأمير سيف الدين قلاون يعرف بلاجين الصغير ، وتأمر عن السلطنة بدمشق وهو لا يعرف بين الناس إلا بلاجين الصغير .

قال بعض الرواة : سألت بعض أكابر الأمراء من المماليك المنصورية الذين كانوا فى خدمة الملك المنصور سيف الدين قلاون فى زمن إمرته عن لاجين الكبير ، الذى ميز هذا الصغير بسببه ، فما عرفوه ، ثم سألت القاضى فخر الدين ، ناظر الجيوش عن ذلك ، وكان يلى ديوان المماليك السلطانية هو ووالده من قبله من زمن إمرة الملك المنصور قلاون ، فأخبرنى أن لاجين الكبير كان مملوكاً تركياً من أكابر المماليك المنصورية ، وأن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون فوض إليه نيابة السلطنة بحمص فى أوائل الدولة المنصورية ومات فى أوائل الدولة ، ولم تطل مدة حياته ، وليس لاجين الكبير هذا لاجين الجدار الصالحى النجمى ، الذى ولى نيابة حمص ، وأن لاجين الصالحى مات بطرابلس ، بعد أن أسروا وخلص من الأسر .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٢٢٢ وله ترجمة بخط المقرئ ج ٣ ص ٣٨٩ .

تفعل ولاجين الصغير في خدمة سيف الدين قلاون الصالحى النجمى من وظيفة
الأوشاقية إلى السلاحدارية . فلما ملك الأمير سيف الدين قلاون الديار المصرية والبلاد
الشامية، وتسلطن، استناب الأمير حسام الدين لاجين الصغير بدمشق الحروسنة، ولم يزل بها
إلى أن توفى الملك المنصور .

فلما مات الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور سيف الدين قلاون ،
قبض على الأمير حسام الدين لاجين بعد عزله من نيابة دمشق ، ثم أفرج عنه ، وجعله
سلاح دارا ، كما كان في خدمة أبيه الملك المنصور قبل أن يستنبيه بدمشق ، ثم أراد أن
يقتله من جملة الأمراء الذين قتلهم ، ثم شفع فيه ، وعفى عنه إلى أن صار نائب السلطنة
بالديار من الملك العادل ، ثم اتفق له مع الملك العادل بمنزلة العوجاء من بلاد الساحل ،
وقيل باللجون بالقرب من وادى فحمة .

ولما نزل الأمير حسام الدين لاجين بالدھليز السلطانى ، اجتمع الأمراء وتشاوروا فيمن
ينصبوه فى السلطنة ، ثم اتفقوا على سلطنة حسام الدين لاجين ، وإقامته فى مملكة الديار
المصرية ، والبلاد الشامية وشرطوا عليه شروط منها :

أن يكون معهم كأحدهم ، وأن لا ينفرد برأى دونهم ، وأن لا يبيسط أيدي مماليكه
فيهم ، ولا يقدمهم عليهم ، وحلفوه على ذلك بعد أن قبل جميع ما شرطوه ، والتزمها
وحلف عليها ، ثم قال له الأمير سيف الدين قبجاقى المنصورى ، وكان من جملة الأمراء
المشار إليهم يومئذ ، يخشى أنك إذا جلست فى المنصب ، تنسى هذا الذى تقرر بيننا وبينك
وتقدم مماليكك ، وتحول منك وتمنح فكررك الحلف أنه لا يفعل ذلك ، ولا يخرج عما التزمه ،
وشرطوه عليه ، فعند ذلك حلف له الأمراء جميعهم ، وأر باب الدولة على جارى العادة .

وتلقب الملك المنصور ، وركب بشعار السلطنة ، وتوجه بالعساكر من منزلة العوجاء
فى الثامن والعشرين من شهر الله المحرم من شهور سنة ست وتسعين وستائة ، نحو
الديار المصرية .

ولما وصل إلى غزوة حمل الأمير بدر الدين بيسرى الجتر على رأس الملك المنصور

حسام الدين لاجين . وقيل إن حسام الدين لاجين لما نزل بالدهليز السلطانى أخذ الخزانة السلطانية والعساكر المصرية ، وتوجه نحو الديار المصرية ، ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى غزة ، فعند ذلك ركب بشعار السلطنة ، وتلقب الملك المنصور ، وحمل الأمير بدر الدين بيسرى على رأسه الجتر ، وحلف له الأمراء ، وأر باب الدولة عل جارى العادة .

حكى لى بعض الإخوان قال : بلغنى أن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى ، اجتاز ببعض الأحواض وهو سلطان ، والأمير سيف الدين قلاون فى خدمته ، وحسام الدين لاجين أمير أخور ، يجر الجنيب فى خدة قلاون ، فأشار الملك الظاهر إلى قلاون أن يتقدم ويسقى فرسه من الحوض ، فتقدم إلى جانب قلاون ، ثم إن السلطان الظاهر التففت إليهما وقال : لا إله إلا الله ، ثلاث ملوك وقفوا يسقوا خيلهم على حوض واحد ، فدعيا له بطول البقاء ، وانصرفوا .

وكان الأمر كما قال الملك الظاهر ، وأطلعه الله عليه : ولى سيف الدين قلاون السلطنة ، وكذلك حسام الدين لاجين .

ولما حلف الأمراء للملك المنصور ، واستقر أمره فى السلطنة ، أرسل الأمير سيف الدين سلار على خيل البريد لحفظ الخزائن التى بقلعة الجبل بالديار المصرية ، وأن يحلف له من بها من الأمراء ، وأن يقيم الخطبة له بالديار المصرية قبل حضوره ، ففعل الأمير سيف الدين سلار ذلك ، ورحل الملك المنصور حسام الدين لاجين بالعساكر من غزة ، وتوجه إلى نحو الديار المصرية ، ووصل وصعد قلعة الجبل يوم الخميس تاسع صفر من شهور هذه السنة ، وجلس على تخت السلطنة بقلعة الجبل فى يوم الجمعة عاشر صفر المذكور .

وركب الملك المنصور حسام الدين لاجين بخلة الخلافة ، وشق مدينة القاهرة ، وقدامه التقليد الخليفى . وقيل : استقر للملك المنصور حسام الدين لاجين الأمر بالديار المصرية فى العشرين من صفر الشهر المذكور .

وقيل : عند حضور الملك المنصور حسام الدين لاجين ، ووصوله إلى قلعة الجبل ، أخرج أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله العباسى ، وبايعه ولبس خلة الخلافة ، وهى جبة

هؤداة بزىق وأكام واسعة ، وركب بها إلى الميدان السلطانى ، والخليفة إلى جانبه ، وأمر الخليفة أن يسكن حيث أحب ، وأباح له التصرف كيف شاء .

وفوض الملك المنصور حسام الدين لاجين نيابة السلطنة بالديار المصرية ، مقرر ملكه للأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ، وجعل الأمير سيف الدين سالار أستاذ الدار ، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، أمير جاندار ، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي حاجباً ، واستمر بالصاحب فخر الدين الخليلي فى الوزارة بالديار المصرية على جارى عادته .

وفوض نيابة السلطنة بدمشق إلى الأمير سيف الدين قبيجاك المنصورى .

هذا ما كان من أمر الملك المنصور حسام الدين لاجين بالديار المصرية .

وقتل السلطان الملك حسام الدين لاجين المنصورى فى ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ٦٩٨ هـ (١٦ يناير ١٢٩٩ م) . فكانت مدته سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوماً . ودبر الأمراء بعده أمور الدولة حتى قدم من السكرك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون .

محمد بركة قان بن الملك الظاهر^(١)

محمد بركة قان بن الملك الظاهر ، ركن الدين أبي سعيد بيبرس بن عبد الله البندقدارى الصالحى النجعى ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب ناصر الدين ، وينعت بالملك السعيد ، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية . وهو الخامس من ملوك الترك ممن ملك الديار المصرية فى الدولة التركية .

كان والده عهد إليه فى حال حياته فلما توفى والده ، استقر ولده الملك السعيد فى السلطنة بالديار المصرية ، وما أضيف إلى ذلك من البلاد الشامية ، والأقطار الحجازية .

وكان ملكا عادلا كريما جوادا محبا لفعل الخير كثير الصدقات والمعروف ، أزال كثيرا من المظالم والمنكوس ، والضمانات المتجددة فى السكر فى دولة الناصر الأيوبى صاحب السكر ، وكذلك جميع ما كان أحدثه والده الملك الظاهر . ولما انفصل عن السلطنة بالديار المصرية ، واستقر بالسكر ، قصده جماعة فكان ينعم ، ويبذل ويعطى .

ولد فى صفر سنة ٦٥٨ هـ (يناير ١٢٦٠ م) . وتوفى فى يوم الخميس حادى عشر ذى القعدة من سنة ٦٧٨ هـ (١٤ مارس ١٢٨٠ م) بقلعة السكر ، وورد الخبر بوفاته إلى الملك المنصور سيف الدين قلاون بقلعة الجبل ، ظاهر القاهرة الخروسة فى العشرين من ذى القعدة الشهر المذكور .

وقيل كانت وفاته فى ثالث عشر ذى القعدة الشهر المذكور (١٦ مارس ١٢٨٠ م) ، وقيل توفى فى الثامن عشر منه . واختلف فى سبب وفاته ، فقيل مات مسموما ، وقيل حصل له مرض « الدق » ، وقيل لعب بالأكرة فى ميدان السكر ، فتنظر عن فرسه فصدم ، وحمل أياما قلائل ومات . ودفن بأرض برية عند جعفر الطيار ، رضى الله عنه . ثم نقل إلى دمشق ، وقيل صبر ووضع فى تابوت .

(١) ابن الفرات ج ٧ ص ١٦٦ ، وله ترجمة فى خطط المقرئى ج ٣ ص ٣٨٧ .

ولما بلغ الملك المنصور سيف الدين قلاون وفاته ، عمل له عزاء بقلعة الجبل في الثاني والعشرين من ذي القعدة ، وحضره وعليه ثياب البياض ، وحضر الأمراء ، والقضاة ، والعلماء ، والوعاظ ، وحزنت عليه زوجته بنت الملك المنصور سيف الدين قلاون ، ولم تنزل بأكية عليه إلى أن ماتت بعده بقليل .

وفي سنة ثمانين وستمائة (١٢٨١ م) حمل الملك السعيد في تابوت ، ووصلت به والدته إلى دمشق المحروسة في ثامن عشر شهر ربيع الآخر ، وللك المنصور يوم ذاك بدمشق ، ولم يدخلوا به من باب المدينة ، وإنما رفعوا تابوته من أعلى السور ، ودلوه من الجانب الآخر . وحملوه إلى تربة والده الملك الظاهر بالليل .

ووضع في قبره ، وألحده القاضي عز الدين بن الصايغ ، كما ألحد والده ، وحضر الملك المنصور في بكرة دفنه إلى التربة الظاهرية ، ومعه القضاة ، والعلماء ، والقراء ، والوعاظ ، وأظهر الحزن عليه ، وذلك في سلخ شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٠ هـ (٢١ يوليو ١٢٨١ م) .

الملك المنصور صاحب حماء^(١)

محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور ، ناصر الدين محمد بن الملك المظفر ،
تقي الدين عمر بن شاهان شاه بن أيوب ، والد الملوك بن شادي بن مروان الأيوبي الحموي
يلقب ناصر الدين ، وينعت بالملك المنصور ، ويكنى أبا المعالي صاحب حماء .

ملك حماء يوم السبت ثامن جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، فكانت
مدة مملكته بمجاه إلا أن توفي عن إحدى وأربعين سنة ، وخمسة أشهر ، وأربعة أيام .

ولد في الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول ، سنة اثنتين
وثلاثين وستمائة .

توفي في حادى عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة عن إحدى وخمسين سنة
وسنة أشهر وأربعة عشر يوماً .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ١٣ ، والسلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٢٥ ، ونهاية الأرب ج ٢٩ ص ٢٨٤
ب - ١٢٨٠ .

فهرس الأعلام

أبو محمد بن الصليعة : ٨٦
 أبو مروان بن مكي : ٤٦
 أبو الليل بن أحمد شيخ عوف : ٤٦
 أبو نمي : ٤٨ م ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١٢
 أبو يخنس : ١٧٢
 أبو يزيد : ٢٣٤
 ابن أبي بكر (شمس الدين محمد) :
 ٧٢ م ، ١٩١
 ابن أبي الشوارب (شمس الدين محمد) :
 ٥٥
 ابن أبي القاسم (الأمير عماد الدين داود) :
 ٦٠ م
 ابن الأثير (تاج الدين) : ٥٤ م ، ٨٨ م
 ابن الأحمر : ١١٤
 ابن الاصفوني (نجم الدين) : ٥٨ م
 ابن أطلس خان (حسام الدين ايتشمس) :
 ٦٧ م
 ابن البائنا : ٦٧ ، ١٣٦
 ابن برطاس : ١١٧
 ابن بركنخان : ٥٦ م ، ٧٢ م
 ابن بطلان : ٢٣٠
 ابن بنت أبي سعد (فخر الدين عثمان) :
 ٦٢ م
 ابن بنت الاعز (قاضي القضاة) : ٥٨ م ،
 ٥٩ م ، ٨٠ م ، ٨٥ م ، ٢٨٩ ، ٢٩٢
 ابن بنصال (ويلنكير الجنوى) : ١٦٥ ،
 ١٦٧
 ابن التليل (الأمير سيف الدين) : ١١٧
 ابن توبة التكريتي (تقي الدين) : ٥٤ م ،
 ٥٥ م ، ٥٦ م ، ٥٨ م ، ٦١ م ، ٦٦ م
 ٦٧ م ، ٧١ م ، ٧٥ م ، ٢٨٢
 ابن الجزري (الأمير ناصر الدين) : ٧٣ م ،
 ٢٠٧ ، ٢٨٦
 ابن حجي (شهاب الدين أحمد) : ٦٥ م ،
 ٦٧ م
 ابن حذيفة (علي) : ٢٩٠
 ابن الحرسثاني (الخطيب) : ٦٩ م
 ابن حنبل (الإمام أحمد) : ٨٥ م
 ابن الخشاب (مجد الدين عيسي) : ٦٠ م

(١)
 الآباء المعمودية : ١٦٦
 آجاي : ٦١ ، ٦٦ ، ٥٣
 (آبغا القنان آبغا هولكو) : ٢٢ م ،
 ٦٨ م ، ٧٦ م ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦١ ، ٦٢ ،
 ٨٢ ، ١٦٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧
 أرجي (جيبا) : ٦١
 الآسي (مظفر الدين موسى) : ٥٥
 آقسنقر السناقي (الأمير علاء الدين) : ٢٦١
 آقسنقر كرتيه (شمس الدين) :
 ١٨ م ، ٢١٧
 آقوش الخجندی : ٢٦٤
 آقوش الرومي : ٦٣
 آل عامر : ٧٢ م
 آل علي بن ماجد : ٨ م ، ٢٧ م ، ٧٢ م ،
 ١١١ ، ١٩١
 آل فصل : ٢٧ م ، ٧٢ م ، ١١١ ، ١٩١
 آل مرا : ١١١
 آنوس الدمشقي : ٢٦٣
 آني : ١٥٣ ، ١٥٥
 أبو اسحاق : ٤٥
 أبو الحجاج يوسف : ١٧ م
 أبو الحسن (الشيخ أبو الحسن بن
 الموفق) : ٢١٦
 أبو حفص : ١٧٤
 أبو خرص (الأمير علم الدين سننجر
 الحموي) : ٢٦ م ، ٧٤ ، ١٢٦ ، ١٩٥ ،
 ٢٦٦
 أبو خليفة : ٢٢١
 أبو زكريا بن يحيى : ٤٥
 أبو العباس أحمد (الحاكم بأمر الله) :
 ٣٩ م ، ٤٣ م ، ٢٣٨ ، ٢٩٤
 أبو عبد الله المغربي : ٧٣ م
 أبو عثمان : ٥٠
 أبو علي : ٢٠١
 أبو الفتح : انظر قلاون
 أبو الفدا (مجد الدين) : ٦١ م ، ٢٨٣
 أبو المحاسن : ٣٥ م

الانجيل : ٦٤ ، ١٦٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٣١
 الاندرونيقوس : ٤٥ م ، ٥٤ ، ٢٠٧
 اندريانون : ١٧٢
 انس الاصفهانى : ٢٦٤
 انكينز : ١٦٨
 انوس الدشقى : ٢٦٣
 اهل الصعيد : ١٨ م
 اهل المغرب : ١٧٥
 اهل الكهف : ٨٥
 الالهة : ٨٥
 اوتاش السعدى : ٢٦٣
 الاوحد (الملك) : ٥٧ م
 الاوشاقية : ٢٩٣
 اولاد قرمان : ٢ ، ١٠٣ ، ٢٥٥
 اود (السنجال) : ٣٤
 اوكجى (الملك) : ١٧ ، ٥٥
 اياز (الامير فخر الدين) : ٥٥ م ، ٨٣ م ، ٨٧ م ، ٤٣ ، ٢١١ ، ٢٥٧
 ايبك (الامير عز الدين ايبك) : ٣٨ م ، ١١٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢
 ايبك الحموى : ٢٦٣
 ايبك الرومى : ٢٦٣
 ايبك الشيخى : ٢٦٣
 ايبك الفخرى (عز الدين) : ٧٩ م
 ايبك الكيكى (عز الدين الدين) : ١٦٨
 ايمش (حسام الدين) : ٦٥ م
 ايمش (سيف الدين) : ٨٥ م ، ٨٦ م ، ٢٦٠
 ايدغدى (الامير علاء الدين الحوانى) : ٣٣
 ايدغدش (سيف الدين الحلبى) : ٨٤ م ، ٨٥ م ، ٨٦ م ، ٢٦٣
 ايدمر (الامير سيف الدين محمد) : ٢٠
 ايدمر (عز الدين) : ٥٩ م ، ١٨ ، ٢٦٦
 الايدمرى (بدر الدين بيليك) : ٥٧ م ، ٦٠ م ، ٦٣ م ، ٦٤ م ، ٦٥ م
 ايدكين (علاء الدين البندقدارى) : ٨٠ م ، ٢٦٢
 الايطاليون : ٥١ م
 الايكى (شمس الدين محمد) : ٢٣٢ ، ٢٣٤

ايلخان : ٦٣
 ايوب (الملك الصالح نجم الدين) : ٣٦ م ، ٣٧ م ، ٤٣ م ، ٥٣ ، ١١٥ ، ١٧٩ ، ٢٦٢
 الايوبيون : ٣٥ م ، ٣٧ م ، ٣٨ م ، ٤٤ م ، ٤٩ م ، ٥٠ م
 (ب)
 الباشقردى (الامير علم الدين) : ٦٥ م ، ٦٧ م ، ٧٤ م ، ٧٥
 الببالاولوغس (الكماتلينوس الاتجالس) :
 الدوقس : ٥٤ ، ٢٠٥
 بايدو : ٦٤ ، ٦٦
 بايستر فيلب الاسبينولى : ٢٠
 برتلما : ٨٧
 بدر الدين بن خار يغدى : ٢٦٣
 بدر الدين بن رزين (القاضى) : ٤٣
 بدر الدين بكتاش النجمى (الامير) :
 ٦٤ م ، ٦٥ م ، ٦٧ م ، ٧٦ م ، ٨٠ م ، ٨٦ م ، ٨٩ م ، ٣٣ ، ٢٦٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩
 بدر الدين بدر الصوابى : ١٩
 بدر الدين بكتوت العلانى : ٢٩ م ،
 بدر الدين السنجارى : ١٠ م
 بدر الدين سلامش (الملك العادل) :
 ٤٣ م ، ٥٦ م ، ٥٧ م ، ٦١ م ، ٨٤ م ، ٢٦ م ، ٣٣ ، ٢٥٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣
 بدر الدين بكتوب الازرق : ٢٧٨
 ٣٠ م ، ٥٩ م ، ٦٧ م ، ٧١ م ، ٧٣ م ، ١٥٠ ، ١٩٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨
 بدر الدين بيدرا : ٢٤٤ ، ٢٤٥
 بدر الدين بيليك الايدمرى : ٧٥ م
 بدر الدين بيليك الحلبى : ٦٤ م ، ٧١ م ، ٨٨ م ، ٢٦٦
 بدر الدين بيليك الطيار : ٥٧ م
 بدر الدين بيسرى : ٨٤ م ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٣
 بدر السنجارى : ٥٦ م
 بدر الدين قايبا : ١٣٤
 بدر الدين كنجك الخوارزمى : ٦٤ م
 البدر لولو العيشتابى : ١٣٥
 بدمة : ١٥٣ ، ٥٤
 برتلما جيلات : ٨٧ ، ١٦٥

حسام الدين دراج : ٧٢ م
حسام الدين طرنتاي : ٧٢ م ، ٥٥ م ، ١٣٣ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ٥٦ ، ٢٠ ، ٨٥ م ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ م
حسام الدين لاجين : ٥٧ م ، ٦٠ م ، ٦١ م ، ٦٦ م ، ٦٧ م ، ٧١ م ، ٧٢ م ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ م
الحكيم داود بن حسداي الاسرائيلي : ١٥٧

الحليون : ١٣٥
الحنفية : ٢٦٦
حميد الدين الحنفي : ١١٢
حمير : ١١٩
الحواريون : ١٦٨ ، ٢٣١

(خ)

خاتون (تبايون) : ١٨
خاتون (توتلين) : ١٨
خاتون (سلطان) : ١٨
خاتون (خطلو) : ١٨
خاتون (توني) : ٦٤
خاتون (قنو) : ٤٠ ، ٦٣
الخضر (الملك الظاهر) : ٨٨ م ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ١٠٤ ، ١٢٥ م
الخلفاء العباسيون : ٣٥ م ، ٣٦ م ، ٣٨ م ، ٣٩ م ، ٤٠ م ، ٤٨ م ، ٤٩ م ، ٥٠ م ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ م
الخلافة الفاطمية : ٣٥ م ، ٤٨ م
الخوارزمي (ناصر الدين الطنباغ) : ١٩

(د)

دام مراريت (الملك) : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ م
داريا : ٢٦٦
داتيال تنكرد : ١٦٧
داتيال شعار : ١٦٨
داود (النبي عليه السلام) : ١٧٢ ، ٢٢٠
داود (الملك) : ١٨ م ، ٤٦ م ، ١٥٤ م ، ٢٦٧ ، ١٥٧

تقي الدين بن رزين : ٨٠ م
تقي الدين بن عبدالرحمن : ٨٥ ، ٢٨٩ م
تقي الدين بن شاهنشاه (الملك المظفر) : ٥٣ م ، ٦٧ م ، ٨٨ م ، ٤٦ م ، ١٢٤ ، ٢٩٢ م
التكفور : ٢٥٦ ، ٥٩٢ م
التلاميذ الاثني عشر : ٢١٤
تمر : ٢٧٧
تنامنكو : ١٨ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ١٤٣ م
تنبوك فليروي : ١٦٧
توتامنكو : ١٧ ، ٧٠ م
توران شاه : ٣٨ م ، ٤٦ م
التوراة : ٢١٨

(ث)

الثاوث : ١٦٨
الثعالبية : ١٢٢

(ج)

جاروشي : ٢٧٧
الجاشنكير : ٤١ م
جاكفوا سبلو : ١١٤
جالينوس : ٢٢٩ ، ٢٣٠ م
الجاموس : ٧٩ م
جيك خاتون : ١٨٠
جرمك : ١٤٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨١

جريس : ١٥٤
جعفر الطيار : ٢٩٦
جعفر الهمداني : ٩ م
جلال الدين الخطير : ٥٩ م
جمال الدين بن مصري : ٦٩ م
جمال الدين بن عبد الكافي : ٧١ م
جمال الدين عبد الله : ٢٧٧
جمال الدين الهمامي : ٦٠ م
الجمدارية : ٤١ م ، ٥٧ م ، ٢٩٢ م
جنكيز خان : ٧٠ ، ٢٥٥ م
جيمس : ٥٠ م ، ٥٢ م

(ح)

حرص : ٦١
حشكيب : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٢ ، ١٣٦ م
حسام الدين بلال اللالا : ٨٥ م

روجار دلالولاي : ٨٣ م ، ٨٦ ، ٨١٠
 رودلف : ٥٢ م
 الروس : ٣٧ م ، ١٠١
 رومير بوكيكر : ١٦٧
 الري جار : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١٤١ ،
 ١٥٦ ، ١٦٤
 الريدراغون : ٥١ م ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ،
 ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،
 ١٦٣
 ريمون الملمان : ١٥٧

(ز)

الزبور : ١٧٢
 زكي الدين (الصدر) : ١١٧
 زين الدين بن الزبير (الملك القاهر) :
 ٢٦٤
 زين الدين التيزيني : ١٤٣
 زين الدين كتيغا : ٦٩ م ، ٨١ م ، ٦١ ،
 ٦٨ ، ١٣٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
 ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
 ٢٩١

(س)

سابق الدين سليمان : ٦٤ م ، ١٦٨
 سابق الدين لاح الدوادار : ٧٣ م
 السامرة : ١٢٢ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
 ٢١٩
 ساطع (السلحدار) : ٤١ م ، ٨٤ م ،
 ٨٥ م

السبعة الشهب : ١٣٠
 السحرة : ٣
 السريان : ١٧٢ ، ١٧٣
 سقراط : ٢٢٩ ، ٢٣٠
 سكتاي بن باجو : ١١١
 سكتور : ٦٤ ، ٦٥
 سكتير : ٦١
 سلاز : ٣٨ م ، ٢٩٤ ، ٢٩٥
 سلامه : ١٥٤
 السلطان الملك المنصور (انظر قلاون)
 سلطان مصر (انظر قلاون)
 سليمان (ملك الحبشة) : ١٨ م ، ١٧٠ ،
 ١٧٢
 سليمان (النبي) : ٢٥٠

الدوا دار : ٤٠ م ، ٤١ م
 دقلياتوس : ٨٢ م
 الدولة الاشرفية : ٢٨٦
 الدولة الاموية : ٤٨ م
 الدولة الايوبية : ٦١ م ، ٢٨٢
 الدولة التركية : ١٠ م ، ٤٢ م ، ٢٩٦
 الدولة الصالحية : ٧٠ م
 الدولة العلوية : ٢٣٩
 الدولة المنصورية : ٢٩٢
 دوسالين : ٧ م ، ٨ م
 دون الفونش : ٥٠ م ، ٥٧ م ، ٢ ، ٦١ ،
 ١١٢ ، ١١٦ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٣
 دون جام : ١٥٧
 دون حوان : ١١٣
 دون بيدرا : ١٥٧ ، ١٦٤
 دون صنع : ١١٢ ، ١١٣
 دون فلديك : ١٥٧
 ديسفوريديوس : ٢٢٩
 دنيسر بركة انكره : ١٦٨
 الديوية (الاخوة) : ٢٠ ، ١٥٩
 الديلم : ٣٥ م

(ذ)

ذو العقار : ٣١ م ، ٢٠١

(ر)

رافوا : ١٦٧ ، ١٦٨
 الربانيين : ٢١٦ ، ٢١٩
 الرئيس : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨
 الرشيدى : ٢٦٤
 رشيد الدين بصاقفة الاسكندراني : ٨٩ م
 ركن الدين بيبرس (طقصوا) : ٨٦ م ،
 ٩٠ ، ٩٢ ، ١٢٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨١
 ركن الدين بيبرس الجاشنكير : ٢٧٧
 ركن الدين عمر : ٢٧٧
 رشيد الدين بن عبد الظاهر : ٢٦ م ،
 ٥٤ م ، ٥٦ م
 روجير (الكند) : ٨٦ ، ١٤١
 الروم : ٣٧ م ، ٤٥ م ، ٧٦ م ، ٥١ ،
 ٢٧ ، ٣٠ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٨٥ ،
 ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ،
 ١٦٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٥٦ ، ٢٧٢

شمامون : ١٥٤
سمعان : ٤٦ م
سنجر الاسفردى : ٢٦٣
سنجر البدرى : ٦٤ م
سنجر الحلبي : ٦٧ م
سنجر الهمامي : ٢٦٣
سنقران الكردي : ٢٦٠
سنقر الرومي : ٢٦٣
سنقر شاه العزيزي : ٢٦٣
ستدرت (الكند) : ٦٠
السودانيون : ٣٥ م
سونج : ٦١
السيدة نفيسة : ٢٨٩
سيف الدين ابو بكر : ٧٤ م
سيف الدين باسطى : ٧٩ م ، ١٩٤ ، ١٩٥
سيف الدين برلقى : ٢٧٧
سيف الدين بليان الجوادى : ٥٧ م
سيف الدين بكتمر : ٥٦ م ، ٢٧٩ ، ٢٩٥
سيف الدين الجوكاندار : ٦٦ م
سيف الدين الحاج بهادر : ٢٧٨ ، ٢٩٥
سيف الدين الحيشي : ٧٤ م
سيف الدين صمغار : ٢٨٠
سيف الدين طاجار : ١٤٩
سيف الدين طرقي : ٢٧٧ ، ٢٧٩
سيف الدين قبحاق المنصوري : ٢٩٣ ، ٢٩٥
سيف الدين قبلاي : ٢٧٧
سيف الدين قطز : ٢٦٣
سيف الدين قنفر (قنقغ التتري) : ٢٧٦ ، ٢٧٧
سيف الدين كجكن السيفي : ١٤٦
سيف الدين كرجي : ٢٧٧
سيف الدين كوندك : ٨٥ م ، ٨٦ م
سيف الدين الناصري : ٥٦ م
سيف الدين نوكيه : ٢٠ ، ٤٤ ، ٢٧٨
سيف الدين الهاروني : ٢٦٩
(ش)
شافع العسقلاني : ١٤ م
الشافعية : ٢٥٨ ، ٢٦٦
الشاميون : ٦٣ م

الشجاع عنتر : ٢٦٦
الشجاع موسى : ٢٩
شجرة الدر : ٣٨ م
الشراكسة : ٣٧ م
شعب بوان : ١٣٣ ، ١٤٠
شمامون : ١٤٥
شهاب الدين طمغار : ١٥٠
شهاب الدين قرطاي : ٥٦ م
شهاب الدين محمد : ٥٧ م
شمس الدين احمد بن خلكان (انظر ابن خلكان)
شمس الدين الحنبلي : ٦٩ م
شمس الدين سنقر الاشقر (انظر الاشقر)
شمس الدين سنقر البكتوني : ١٧٧
شمس الدين قراسنقر الجوكندار : ٨٧ م
شمس الدين سنقر السلحدار : ٢٦٥
شمس الدين سنقر الفتمي : ٥٠ م ، ٦٤ م ، ٧٣ م ، ١٧ ، ١٩٣
شمس الدين عبد الرحمن : ٨٥ م ، ٨٧ م
شمس الدين قراسنقر المعزى : ٦٤ م ، ٦٦ م ، ٢٧٠
شمس الدين عثمان العجمي : ٧٥ م
شمس الدين يوسف (الملك المظفر) : ٤٩ م
شكند (الامير) : ٤٦ م
شمس الدين المنصوري : ١٦٨ ، ٢٩٥
(ص)
صارم الدين الحاجب : ٥٦ م
صاين الدحش التجارى : ٢٣٢
الناصر (الملك صلاح الدين يوسف) : ٥٥ م
صدر الدين بن خلكان : ٨٥ م ، ٨٦ م
صدر الدين عمر : ٧٩ م ، ٨٥ م
الصريان : ١٧٠
الصفدي (الشيخ صلاح الدين) : ١٠ م ، ١١ م
صفى الدين جوهر الهندى (الطواشى) : ٢٦٦

علم الدين سنجر البندقداری : ١٩ ،
٢٧٦ ، ٢٧٨
علم الدين بن عبد الله التركي : ٢٧٤
علم الدين سنجر الحلبي : ٦٥ م ، ٦٧ م ،
٦٩ م ، ٧٠ م ، ٧١ م ، ٧٢ م ، ٧٤ م ، ٧٥ م ،
١٧٦ ، ٢٦٤
علم الدين سنجر الكرجي : ٥٧ م
علم الدين سنجر المعظمي (الامير) :
١٤٣ ، ١٤٥
علم الدين سنجر التكريتي : ٦٤ م
علم الدين سنجر الحسوني الابغاني :
٧٤ م
علم الدين سنجر الدوادار : ٧٣ م ، ٨٧ م
علم الدين سنجر الشجاعی : ٥٤ م ،
٥٥ م ، ٥٦ م ، ٨٠ م ، ٥٥ م ، ١١٥ م ، ١٥٤ م ،
٢٧٥ م ، ٢٧٦ م ، ٢٧٧ م ، ٢٨٠ م ، ٢٨١ م ، ٢٨٦ م
علم الدين سنجر المسروقي : ٧٩ م ،
١١٦ م ، ١٥٤ م
علم الدين سنجر الفتمی : ٦٤ م ، ١٧ م
علم الدين سنجر المنصوري : ٥٦ م ، ١٢٦ م ،
١٣٧ م ، ١٣٩ م
علاء الدين بن حسام الدين كسربك :
٦٤ م ، ١٧ م
علاء الدين بن القاضي تاج الدين : ٩٠ م
علاء الدين الحبيشي : ٦٤ م
علاء الدين الحصني : ١٤٥ م
علاء الدين علي (الملك الصالح) : ٣٠ م ،
٣٢ م ، ٣٧ م ، ٧٧ م ، ٨٢ م ، ١٩ م ، ٢٠ م ، ٢١ م ،
٢٢ م ، ٣٠ م ، ٣٤ م ، ٣٩ م ، ٤٠ م ، ٤٤ م ، ٥٢ م ،
٥٣ م ، ٥٥ م ، ٦٨ م ، ٩٤ م ، ٩٥ م ، ٩٨ م ، ١٠٢ م ،
١٠٣ م ، ١٠٦ م ، ١٣٧ م ، ١٨٥ م ، ٢٠٠ م ، ٢٠١ م ،
٢٠٨ م ، ٢١٠ م ، ٢١٢ م ، ٢١٣ م ، ٢١٤ م ، ٢١٥ م ،
٢٦٤ م ، ٢٨٤ م ، ٢٨٨ م ، ٢٨٩ م
علاء الدين الكبي : ٦٣ م ، ٦٦ م
علاء الدين كشتغدي : ٥٦ م ، ٨٥ م ،
٨٧ م
علي التركماني (ابن عز الدين ايبك) :
٣٨ م ، ٣٩ م
علي الكردي : ١٣٦ م
علي ناي : ٦٢ م ، ٦٣ م ، ٦٤ م
عمدان : ١٤٠ م
عمر السعودی (الشيخ) : ٢٨٦ م

صلاح الوين يوسف : ٣٦ م ، ٢٨ م ، ٤٦ م
٤٩ م
صلاح الدين داود (الملك الناصر) : ٥٧ م
٨٨ م ، ٢٩٦ م
الصليبيون : ٣٧ م ، ٤٥ م ، ٤٩ م
صمدآغو : ٤٤ م ، ٤٨ م ، ٤٩ م ، ٦٢ م ، ٦٨ م ،
٦٩
صفار (الامير ناصر الدين) : ٩١ م ، ١٢٤ م
(ط)
طفدكين (الاتابك) : ٨٥ م ، ٨٦ م
طلاع (امير) : ١٣٥ م
الطومار : ٨ م ، ٢٠ م
طينوس الوزيري : ٢٦٣ م
طينغا بن انكوا : ٢٣ م
طيرا : ١٨ م
(ع)
العباس بن عبد المطلب (المستنصر بالله) :
٣٩ م
عبد الرحمن (الشيخ) : ٤٣ م ، ٤٤ م ، ٤٨ م ،
٦٢ م ، ٦٨ م ، ٦٩ م
عبد الرحمن النجار : ٤٨ م
عبد الله بن عبد الظاهر : ٨ م
العثمانيون : ٩ م
العجم : ٤٣ م ، ٤٨ م ، ١٣٦ م ، ١٦٦ م ، ٢١٦ م ،
٢٣٦ م
العرب (عربان) : ٣٢ م ، ٣٥ م ، ٣٧ م ،
٦٥ م ، ٦٦ م ، ٦٧ م ، ١٦٦ م ، ٢١٦ م ،
٢٩٠ م
عرب البحرين : ١١١ م
العرب الثعالبية : ١٢٢ م
عزب : ٦٦ م
عز الدين ازدمر العلائي : ٧٣ م
عز الدين ايبك كرجي : ٦٨ م
عز الدين ايبك الافرم : (انظر الافرم)
عز الدين ايبك الفخري : ٧٤ م
عز الدين الحنبلي : ٥٩ م
عز الدين الغزي : ٦٤ م ، ١٨ م
العقايبات : ٧٢ م
مسيلة : ١٢٢ م ، ٢٢١ م ، ٢٢٢ م ، ٢٢٣ م
علم الدين ابراهيم : ١١ م

القرايين : ٢١٦ ، ٢١٩
 قرمشى : ٢٧٧
 قریش : ٢٦ م
 قطر (الملك المظفر) : ٣٩ م ، ٤٣ م ،
 ٤٩ م ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٧١ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨
 ققجق : ٢٧٧
 قلاون (السلطان الملك المنصور) : ٧ م ،
 ٨ م ، ٩ م ، ١٠ م ، ١١ م ، ١٢ م ، ١٥ م ،
 ٢٦ م ، ٣٠ م ، ٣٢ م ، ٤٣ م ، ٤٤ م ، ٤٥ م ،
 ٤٦ م ، ٤٧ م ، ٤٨ م ، ٤٩ م ، ٥٠ م ، ٥١ م ،
 ٥٢ م ، ٥٣ م ، ٥٤ م ، ٥٥ م ، ٥٦ م ، ٥٧ م ،
 ٥٨ م ، ٥٩ م ، ٦٠ م ، ٦١ م ، ٦٣ م ، ٦٤ م ،
 ٦٧ م ، ٦٨ م ، ٦٩ م ، ٧٠ م ، ٧١ م ، ٧٢ م ،
 ٧٤ م ، ٧٧ م ، ٧٨ م ، ٧٩ م ، ٨٠ م ،
 ٨١ م ، ٨٢ م ، ٨٤ م ، ٨٥ م ، ٨٦ م ،
 ٨٧ م ، ٨٨ م ، ٨٩ م ، ٩٠ م ، ٩١ م ،
 ٩٦ م ، ١٠٠ م ، ١٠٩ م ، ١١٠ م ، ١١٢ م ، ١١٣ م ،
 ١٢٢ م ، ١٢٣ م ، ١٢٤ م ، ١٢٥ م ، ١٢٦ م ، ١٢٧ م ،
 ١٢٨ م ، ١٢٩ م ، ١٣٠ م ، ١٣١ م ، ١٣٤ م ، ١٣٧ م ،
 ١٣٨ م ، ١٣٩ م ، ١٤٠ م ، ١٤١ م ، ١٤٢ م ، ١٤٣ م ،
 ١٤٥ م ، ١٤٧ م ، ١٤٩ م ، ١٥٠ م ، ١٥١ م ، ١٥٢ م ،
 ١٥٤ م ، ١٥٥ م ، ١٥٦ م ، ١٥٧ م ، ١٥٨ م ، ١٥٩ م ،
 ١٦٠ م ، ١٦١ م ، ١٦٢ م ، ١٦٣ م ، ١٦٤ م ، ١٦٥ م ،
 ١٦٦ م ، ١٦٧ م ، ١٧٠ م ، ١٧٣ م ، ١٧٤ م ، ١٧٦ م ،
 ١٧٧ م ، ١٧٨ م ، ١٨٣ م ، ١٨٥ م ، ١٨٦ م ، ١٩٤ م ،
 ١٩٨ م ، ٢٠٠ م ، ٢٠٤ م ، ٢٠٥ م ، ٢٠٧ م ، ٢١٠ م ،
 ٢١٢ م ، ٢١٣ م ، ٢١٤ م ، ٢١٥ م ، ٢٢٦ م ، ٢٣١ م ،
 ٢٣٩ م ، ٢٤١ م ، ٢٤٢ م ، ٢٤٤ م ، ٢٤٦ م ، ٢٥٧ م ،
 ٢٦٠ م ، ٢٦١ م ، ٢٦٣ م ، ٢٦٤ م ، ٢٧٠ م ، ٢٧٢ م ،
 ٢٧٤ م ، ٢٨٢ م ، ٢٨٣ م ، ٢٨٤ م ، ٢٨٨ م ، ٢٨٩ م ،
 ٢٩١ م ، ٢٩٣ م ، ٢٩٤ م ، ٢٩٦ م

عيسى عليه السلام (المسيح) : ٨٠ ،
 ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ،
 ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ٢١٥ ، ٢٣١
 (غ)
 الفرز : ٣٥ م
 غياث الدين (السلطان) : ٢٩ م ، ٧٣ م ،
 ١٨ ، ١٩٣
 الغيابة : ١ ، ٢٦٢
 (ف)
 فارس الدين رميح (الامير) : ١٢٢ ،
 ٢٦٤
 الفرس الحكيم : ٢
 فتح الدين بن عبد الظاهر : ٩ م ، ١٠ م ،
 ١١ م ، ٢٦ م ، ٢٧ م ، ٢٩ م ، ٣٣ م ، ٥٤ م ،
 ٥٦ م ، ٧٣ م ، ٧٥ م ، ٧٩ م ، ١٨٣ م ، ١٩٠ م ،
 ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٣٦
 فخر الدين الخليلي (صاحب) : ٢٩٥
 فخر الدين (القاضي) : ٢٩٢
 فخر الدين الطنبى الزيدى : ٥٤ م
 الفرنج : ٤٩ م ، ٨٠ م ، ٨٢ م ، ٨٣ م ،
 ٨٤ م ، ٥٧ م ، ٥٨ م ، ٦١ م ، ٧٨ م ، ٨٥ م ، ٨٦ م ،
 ٨٧ م ، ٨٩ م ، ١١٤ م ، ١٥١ م ، ١٥٩ م ، ١٦٠ م ،
 ١٦١ م ، ١٦٥ م ، ١٦٦ م ، ١٦٧ م ، ١٧٧ م ، ١٧٨ م ،
 ٢١٠ م ، ٢١١ م ، ٢١٤ م ، ٢١٥ م ، ٢٤١ م ، ٢٦٥ م ،
 ٢٧٢ م ، ٢٩٢ م
 الفرس : ٣٥ م
 فرعون : ٨٥
 فرنسيس : ٥٨ ، ١٤١
 فيليب الرابع : ٥٢ م
 فلدرىك : ١٦٤
 فهد : ٣٤
 فيليب الرابع : ٥٢ م
 (ق)
 قاتان : ٦
 القان : ١٨
 قاضى القضاة : ٥ ، ١٧٤
 القاضى الفاضل : ٩ م
 القاهرة بن المعتضد : ٢٦٤
 القبط : ١٧٢
 قبيلة مصمودة : ٣٥ م
 قبيلة يرجو غلو : ٤٣ م
 قراغول : ٩ ، ١٣
 قرانوفاى : ٦٤
 القراول : ١٣٥

الاستا (ملوك الحبشة) : ٤٧ م
اللاهوت : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢١٤ ، ٢١٥
لبراند رونيقيوس : ٢٠٥
لوقا : ٩٤ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩
ليفون (الملك ليفون بن هيوم) : ٢٢ م
٣١ ، ٣٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢

(م)

المامون : ٣٥ م ، ٤٨ م
مارتوما : ٩٤
مارمتي : ٩٤
ماري مريم (انظر أم النور)
ماوو : ١٨
مبارز الدين : ٢
متي : ٩٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ٢١٤
مجد الدين (الامير) : ٤٩ م
محر املاك (صاحب الحبشة) : ٢٦٧
محمد بن طفج الاخشيدي : ٣٥ م
محمد بن قلاون (الملك الناصر) : ٤٢ م
٤٣ م ، ٥٦ م ، ١١٠ ، ١٧٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٢٩٥
محمد بن محمود (المنصور ناصر الدين) :
٥٨ م

محمد رسول الله (النبي) : ١٠ م ، ٢٦ م ، ٢٧ م ، ٣٠ م ، ٣١ م ، ٣٢ م ، ٣٤ م ، ٥٠ م ، ٦٠ م ، ١٠٠ م ، ١١٠ م ، ١١٥ م ، ١٩٠ م ، ١٩٨ م ، ٢٠٠ م ، ٢٠٧ م ، ٢١٣ م ، ٢١٨ م ، ٢٢١ م ، ٢٢٥ م ، ٢٢٦ م ، ٢٢٨ م ، ٢٣٢ م ، ٢٣٨ م ، ٢٣٩ م ، ٢٤٢ م ، ٢٤٤ م ، ٢٤٦ م ، ٢٥١ م

محمد (الملك المنصور صاحب حماة) :
٧٧ م ، ٨٨ م ، ٢٦ م ، ٥٣ م ، ٧٣ م ، ١١٩ م ، ٢٦٤ م
محمد امينه (الشيخ) : ٧٣ م

الحوجب : ٧٩ م
محيي الدين بن النحاس : ٦٩ م
المرابطون : ٥٠ م
مرتمان : ٢١٤
مرج بن عامر : ٣٣ م
مرجريت : ٤٥ م

مرغم بن صابر (الامير) : ٤٥ م ، ٤٦ م ، ٩٤ م ، ١٦٣ م ، ١٦٦ م ، ١٦٨ م ، ١٧٢ م ، ١٧٣ م ، ٢١٤ م

قلب : ١٨
القلقشندي : ٥٢ م
قنجي : ٦١
قنغراطاي : ٤ ، ١٦ ، ٦١
القومص : ١٠٤
قيدو : ٥٥
قيران : ٧٣ م
القيمرى : ٧٥

(ك)

الكبكي : ١١٢
كنامة : ٣٥ م
كتاغيكو (خليفة الارمن) : ١٠١
كتور : ٦٤
كرات دورنا : ١٦٦
الكرذبال (الكردينال) : ١١٤
كرد الساقى : ٢٧٧
الكرسالية : ١٦١ ، ١٦٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩
كر ميخائيل : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩
الكريلدى : ٨٩ م
الكركيون : ١٢٤
كسرى : ١٣٣
كسفىدى الشمسى : ٢٦٣
كمال الدين بن سلامه : ٨٩ م
كمال الدين عبد الرحمن : ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٢٠

٧١

كليام ديباجوك افرير : ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩

الكمندور : ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٣
الكمينوس الدوقس : ٥٤ ، ٢٠٧
كمون : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩
الكند : ٦٠

الكنطايبية (اوبرت اسبيتولا) : ١٦٦ ، ١٦٧

كوج قان : ٧٠
كوجي : ١٨
كورات (المرشان افرير) : ٣٥ ، ٣٩
كوندك : ٨٤ م
كيكلدى : ١٤٦

(ل)

لاجين جركس : ٢٧٧
لاجين الدرفيل : ٢٦٣

مهلذب الدين : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،
٢٢٩ ، ٢٢٨

مويرج : ١٥ م

الموحدون : ٥٠ م

موسى (عليه السلام) : ٢١٨ ، ٢٤٥

موفق الدين : ٦٨ م ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

مولانا السلطان : (انظر قلاون)

ميخائيل الراهب : ١٦٨

ميخائيل الثامن : ٤٥ م

(ن)

الناسوت : ٩٤ ، ١٦٨ ، ٢١٤ ، ٢١٥

ناصر الدين باشقردي : ٤٦ م

ناصر الدين محمد (الملك) : ٥٣ م ،

٦٧ م

ناصر الدين (الامير) : ١٢٤

الناصر الشافعي : ١٥ م

النبي (انظر محمد صلى الله عليه وسلم)

النجاشي : ١٧١ ، ٢٦٨

نجم الدين أحمد : ٨٥ م

نجم الدين الخضر (الملك المسعود) :

٥٧ م ، ٦٣ م

نجم الدين السابي : ٧١ م

نجم الدين قبق (الامير) : ١٤٨

النسيبي : ٧٤ م

نورالد على بن الملك المعز (الملك) : ٣٦ م ،

٤٦ ، ٢٩٢

نورالد على بن الملك الناصر (الامير) :

٥٥ م ، ٢٩٢

نورى : ٢٧٧

التودوز : ٢٦ م ، ٧٤ م ، ١٢٧

نوغاي : ١٧ ، ١٨٠ ، ٥٥ ، ١٤٣

نوكية (الامير سيف الدين) : ٢٠ ، ٤٤

(هـ)

هامان : ٨٥ ، ١٤٠

هارون القيمري : ٢٦٣

هبة (الامير) : ١١١

هرم بن سنان : ١٣٣

هولاكو (هولاجو) : ٤٤ م ، ٦٤ ، ٦٥

(و)

والدة السلطان الملك الصالح : ٥٥

الوجيه كان : ١٦٨

ولد الميت : ٥٩

مروان (الامير شهاب الدين) : ٣١
المريني : ٦١

المسلمون : ٢٢ م ، ٢٩ م ، ٣١ م ، ٣٢ م ،

٤٠ م ، ٤١ م ، ٤٧ م ، ٤٨ م ، ٥٠ م ، ٥١ م ،

٥٢ م ، ٥٨ م ، ٧٦ م ، ٧٧ م ، ٨٠ م ، ٤٤

٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٢٤ ، ٣١

٤٧ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٤

٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٨

١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢١٨

٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

٢٧٢

السيح (انظر عيسى بن مريم)

مشككت : ١٨٤

مظفر الدين موسى : ٢٦٤ ، ٢٨٩

المعتصم : ٣٥ م

معز الدين الحنفى : ٥٩ م

معز الدين نعمان : ٢٨٩

المفل : ٤٥ م ، ٧٦ م ، ٣ ، ٤ ، ٤٨

٤٩ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ١٣٥ ، ٢٧١

مغلطاي المسعودى : ٢٧٧

المغيث (صاحب الكرك) : ٢٦٣

مقدم الديوية : ٩٢ ، ٩٣ ، ٢١٣

المقرى (الامير فخر الدين) : ٨٠ ، ٩٣

١٠٢

المقريزي : ١٤ م ، ١٥ م ، ٣٥ م ، ٥٢ م

المماليك : ٣٥ م ، ٣٦ م ، ٣٧ م ، ٣٨ م ،

٣٩ م ، ٤٠ م ، ٤٢ م ، ٤٣ م ، ٤٤ م ، ٤٨ م ،

٥٠ م ، ٥١ م

المماليك البحرية : ٣٦ م ، ٥٩ م

المماليك البرجية : ٤٣ م ، ٤٧ م ، ٤٧٦

٢٨٠

المماليك السلطانية : ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٤٦

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

المماليك الصالحية : ٣٦ م

المماليك الغفارية : ٣٦ م

المماليك الناصرية : ٥٥ م

المماليك المنصورية : ٩٢ ، ١٢٥ ، ٢٩٢

المنصور لاجين : ٢٥٦

المنصوري (الامير علم الدين) : ١١٦

منكبك (ابنة الامير سيف الدين نوكية) :

٢٨٩

منكوتر : ٢٩ م ، ٧٣ م ، ٧٦ م ، ٣

١٧٤٤ ، ١٨ ، ٦١ ، ٨٢ ، ١٩٣ ، ٢٩٣

يوحنا : ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ٢١٤
يوسف بن المخلّى : م ٩
يوسف بن عبد الرحمن شريفى : ١٧٠
يكونو املاك : م ٤٧ ، م ٤٩
اليهود : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،
٢٣١

(ى)
يونس السابغ (انظر البطرك)
يونس الثامن : م ٤٧
يجبىاصيون (الامبراطور) : م ٤٧ ،
١٧٢
يوحنا العمودى : ٩٤ ، ٢١٤

فهرس الأماكن

(١)

أشحور : ١٠٦ ، ١٠٧
 أشبيلية : ١١٢ ، ١١٣
 أصريفا : ١٠٦ ، ١٠٧
 الأطراف : ٩ ، ١٣
 أصليعا : ٨٣ م ، ٢١٠
 الأطرون : ٣٦
 افامية : ٣٨
 أفرنسة (فرنسا) : ٥٨ ، ٥٩
 أفرقية : ١٥٨
 أفليس : ٨٣ م ، ٢١٠
 الأقاليم الحلبية : ١٥٨
 الأقاليم الروسية : ١٥٨
 الأقاليم الشامية : ١٥٨
 الأقاليم الشرقية : ١٥٨
 أقلوقية : ١٨
 أقليم كيشاك : ٤٣ م
 أمحرا : ١٧١ ، ٢٦٨
 الانج : ١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٥٥
 الأندراوى : ٥٠
 الاندلس : ٤٩ م
 أنطاكية : ٤٧ م ، ٥٤ م ، ٨٣ م ، ٨٧ م ،
 ٣٩ ، ٥٨ ، ٨١ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ٢١٠
 أنطرسوس : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٨٧ ،
 ١٨٦ ، ٢٧٢
 أنعة : ٨٣ م
 أهروراي : ٦٣
 الأهرام : ١٣٣
 أوربا : ٣٧ م ، ٥٠ م ، ٥١ م
 الأوقاف : ١٣
 أياس : ٣١
 إيطاليا : ٥١ م
 الأيوان الكبير : ١٢٧

(ب)

الباب : ٣٩
 باب أسكندرونة : ٣١
 باب الاسطبل : ٢٨٥
 باب الجب : ١٧٦

الاء : ٥٠
 آسيا الصغرى : ٣٧ م
 آمد : ٢٧ ، ١٠٦ ، ١١٢
 أبو سهر : ٥٠
 أبو قبيس : ٣٩
 أبو معيط : ٥١
 أبو عبدة : ٥١
 أبخاز : ٢٣
 الأبله : ٥١
 أبلستين : ٢٦٥
 الأبواب السلطانية : ٦٤ م ، ٧٢ م ،
 ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ٢٥٥
 الأبواب الشريفة : ٣٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ،
 ١١٩
 أبروخية : ١٠٦
 أثيوبيا : ٤٧ م
 أربل : ١٦ ، ٦٦
 أرتوسية : ٨٣ م ، ٢١١
 أرجون : ٥٠ م ، ٥١ م
 الأردن : ٣٦ ، ٩٤ ، ٢٧١
 أرسوف : ٣٦
 أرض الزهرية : ١٠٧
 أرض عبادان : ٥١
 أرض القبحان : ٢٦٢
 أركلنا : ١
 أرمناك : ٢٥٥
 أرمي : ١٤٥
 أريسوبات : ١٥٩
 أسبانيا : ٥٠ م
 أسنا : ٢٥٨
 أسناس : ٥٠
 أسكندرونة : ٤٥ م ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ،
 ٣٨ ، ٤٠
 أسكندرية : ٤٧ م ، ٥١ م ، ٨٩ م ،
 ١١٤ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ،
 ٢٠٧ ، ٢٧٧
 أسوان : ٤٦ م

بعلبك : ٦٥ م ، ٦٦ م ، ٧٦ م ، ٨٥ م ،
٩٧ ، ١٤٩ ، ٢٦٤

٢١٠

بعليث : ١٠٧

بغداد : ٣٨ م ، ٣٩ م ، ٤٨ م ، ٤٩ م ،
٥١ ، ٦٦ ، ١٠٠ ، ١٤٦

بغراس : ٦٧ م ، ٨٧ م ، ٣٩ م ، ٩٧ ،
٢١٠

البقاع الغزنوى : ٣٨

بكاس : ٦٧ م ، ٨٧ م ، ٣٩ م ، ٩١

البلاد الاوربية : ٣٧ م

بلاد الارمن : ٢٥٥

بلاد ارغن : ١٥٩

البلاد الاسلامية : ٤٢

البلاد البعلبية : ١٠٤

بلاد الجزيرة : ٤

البلاد الحجازية : ٣٦

بلاد حصن الاكراد : ٢١

البلاد الحلبية : ٩٤

البلاد الحمصية : ١٠٤

البلاد الحموية : ١٠٤

بلاد الدعوة : ٨٥

بلاد الروم : ٢ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ٢٣٦

بلاد الساحل : ١٦٠ ، ١٦٦ ، ٢٩٣

بلاد الست : ٨٣ م ، ٩٧ م ، ٢١٠

البلاد السلطانية : ١٠٠ ، ١٠١

البلاد الشامية : ٥٦ م ، ٦٥ م ، ٧٦ م ،

٧٨ م ، ٨١ م ، ٨٨ م ، ٢١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،

٩٤ ، ١٥٧ ، ٢٣٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦

بلاد العجم : ٦٢

بلاد العربية : ٢١

البلاد العكاوية : ٤١

بلاد الفتوح السعيد : ٣٧

البلاد الفراتية : ٨٢ م ، ٩٤ ، ٢٦٣

٢٦٥

بلاد القزن : ٣٧

بلاد القفجاق : ٣٧ م

بلاد ماوراء النهر : ٣٧ م

بلاد المغرب : ٤٩ م

البلاد المقدسة : ١٦٦

بلاطنس : ٢٦ م ، ٥٤ م ، ٦٧ م ، ٨٣ م ،

٨٧ م ، ٢١ ، ٣٨ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٢١٠

بليس : ٢٧٩

باب زويلة : ٦٤ م ، ٧٩ م ، ١٢٩ ،
٢٧٥

باب سارية : ٢٨٥

باب الفتوح : ٥٨ م

باب الفرج : ٦٧ م

الباب المحروق : ٢٧٨

باب النصر : ٦١ م ، ٤٣ ، ٦٨ ، ١١٥ ،
١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ٢٨٣

بابوج : ١٠٦

بابولية : ١٠٦

بابلو : ٩٨

باريس : ٧ م ، ٨ م

البارودية : ١٠٦

بارة : ١٤٥

بارين : ٥٩ م ، ١٠٧

بازار الحجر : ١٣٤

بانياس : ٣٨

بترا : ٥١ م

البيرون : ٨٣ م ، ٢١٠

البحثية : ١٠٦

البحيرة : ٢٤ ، ٢٥

بخارى : ٣٥ م

بدن مزية : ٥١

بدوث : ١٠٧

بدياس : ١٠٦ ، ١٠٧

برنولية : ٥٨ ، ١٥٩

البرج الاحمر : ٢٧٩

برج استبار : ١٠٦

برج الحمام : ١٥٢

برج الرصاص : ٩٧

برج وادي الحجاج : ١٠٧

برزية : ٦٧ م ، ٨٣ م ، ٨٧ م ، ٣٨٠ ،

١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢١٠

بردسيل الجديدة : ١٠٧

برشتوتة : ١٥٧ ، ١٥٩

برقة : ٢٥٨

البرية : ٥١

بزاغا : ٣٩

بستان العوجا : ١٠٥ ، ١٠٧

البصرة : ٥١

بصرى : ٣٦

بطريكية مصر : ١٧٣

التفاحية : ١٠٦
تركستان : ٣٧
التعبية : ١٠٦
تل باشر : ٩٧
تل بوخنير : ٤
تنيس : ١٥٨
تل حملدون : ٢٧٣ ، ٣٢ ، ٣١
توريز : ٦٢
تونس : ٧٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١١٤
١٧٤ ، ١٥٨
تيزين : ٣٩
التينى : ٦٧

(ج)

الجارودية : ١٠٦
الجاليش : ١٣٥
جبلة : ٨٣ ، ٢١ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٨٥
٢١٠ ، ٩٧ ، ٩٠ ، ٨٦
جبين : ٣٣ ، ٧٩ ، ٣٧ ، ٢٦٣
جبيل : ٨٣ ، ٢١٠
الجزيرة : ٥١ ، ٦٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥
جزيرة الجاشك : ٥٠
جزيرة خارك : ٥١
جزيرة الروضة : ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٨
جزيرة القرم : ٣٧
جزيرة ميكائيل : ١٥٥
الجزيرة : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٦
جعبر : ٩٧
الجمادية : ١٠٦
جتوه : ٣٢ ، ٥١ ، ١٥٩ ، ١٦٥
١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩
الجواهر : ٥١
الجوسق البدرى : ١٣٥

(ح)

حارم : ٣٩
حائليخن : ١٠٦
حبابة : ٥١
الحبشة : ٧ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ١١٧
١١٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٦٧
الحجاز : ٣٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٠
٥٦ ، ٦٢ ، ٨٥ ، ١٠٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ٢٠٢ ، ٢٥٧
٢٩٦

البلقاء : ٥٤ ، ٩٦
بلنياس : ٨١ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٧
بلنسية : ١٥٩
بنو باقتلة : ١٠٦
بنو دفتح : ١٠٦
البندقية : ٥١ ، ١٥٩
بهيت : ٥٩
بهسنا : ٣٠ ، ٣٢ ، ٩٣ ، ٢٧٣
البورجى : ٧٩
بوط : ٢٣
بيت الاستبار : ٨٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٨٥
٢١٠
بيت الديوية : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٤
٣٥

بيت جبريل : ٣٦
بيت الله الحرام : ٤٨ ، ٢١٢ ، ٢١٣
٢٢٥

بيت روح : ١٠٦
بيت المال : ٦٩ ، ٥٦
بيت لحم : ٣٦
بيت المقدس : ٤٧ ، ٩٥ ، ١٤١
١٧٠ ، ١٥٧

بيروت : ٤٨ ، ١٠٣
البيرة : ٦ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٩ ، ٦٧
١١٨ ، ٩٧

بيرم : ٥٠
البر البيضاء : ٢٧٩
بيكار : ٢٧٦
البيمارستان المنصوري : ٢٢٤ ، ٢٢٨
٢٣٠ ، ٢٢٩

بيسان : ٣٧
بين القصرين : ٥٥
بين النهرين : ٧٢

(ت)

التاكة : ١٤٥
تاوانة : ٥٠
تبريز : ٧١
تبين : ٣٧
تحيلو : ٥٠
تخوم الروم : ٦٦
تدمر : ٣٩
ترتوزا : ٤٥

خانقاه الفيوم : ٢٣٤
 خانقاه المشطوب : ٢٣٤
 الخانقاه النجيبية : ٦٩ م
 خط المسطاح : ٢٨٦
 الخليج : ١٤٢
 خليج الذكر : ٧٣ م ، ٧٤ م
 الخميرا : ١٠٦
 الخورتق : ١٣٣

(د)

دار رضوان : ٥٠
 دار السعادة : ٦١ م ، ٧٢ م ، ٢٨٣
 الدار الرومية : ١١١
 دار العقيقى : ٢٦٦
 الدار القطبية : ٥٦
 الدرب الكبير : ٦٦ م
 الدربسك : ٧٦ م ، ٣٩ ، ٩٧
 درتية : ١٠٦
 درفانون : ١٠٧

دمشق : ١٠ م ، ١٢ م ، ٢٤ م ، ٢٥ م ،
 ٤٣ م ، ٥٤ م ، ٥٦ م ، ٥٩ م ، ٦٠ م ،
 ٦١ م ، ٦٢ م ، ٦٣ م ، ٦٥ م ، ٦٦ م ، ٦٧ م ،
 ٦٨ م ، ٦٩ م ، ٧٠ م ، ٧١ م ، ٧٢ م ،
 ٧٥ م ، ٧٦ م ، ٧٨ م ، ٨٥ م ، ٨٦ م ،
 ٨٧ م ، ٨٨ م ، ٨٩ م ، ٩٦ م ، ٩٨ م ، ٩٩ م ،
 ٦٨ م ، ٧٢ م ، ٧٤ م ، ٧٦ م ، ٨٦ م ، ٩١ م ، ٩٣ م ،
 ١١٥ م ، ١١٩ م ، ١٢٢ م ، ١٤٨ م ، ١٥٠ م ، ١٧٧ م ،
 ١٩٧ م ، ١٩٨ م ، ٢٠٤ م ، ٢٠٥ م ، ٢٥٧ م ، ٢٦٠ م ،
 ٢٦٢ م ، ٢٦٤ م ، ٢٦٥ م ، ٢٦٦ م ، ٢٦٩ م ، ٢٧٢ م ،
 ٢٧٣ م ، ٢٧٤ م ، ٢٨١ م ، ٢٨٢ م ، ٢٨٣ م ، ٢٩١ م ،
 ٢٩٢ م ، ٢٩٣ م

دمياط : ٥١ م ، ٣٥ ، ١٥٨ ، ١٦٢
 دنقلة : ١٨ م ، ٤٦ م ، ١٤٣ ، ١٤٤
 ١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥

الدهرية : ١٠٦

الدهليز : ٧٩ ، ٢٦٤

دورديغ : ١٠٦

الديار المصرية : ٩ م ، ١٠ م ، ٣٢ م ،
 ٥٥ م ، ٥٦ م ، ٥٧ م ، ٥٨ م ، ٦٣ م ،
 ٦٥ م ، ٧٦ م ، ٧٧ م ، ٧٨ م ، ٧٩ م ،
 ٨٠ م ، ٨١ م ، ٨٤ م ، ٨٥ م ، ٨٦ م ،
 ٨٨ م ، ٩١ م ، ٩٣ م ، ٩٤ م ، ٩٦ م ،
 ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥٧ ، ١٥٨ م

الحجر الاسود : ١٣٠

حرفلة : ١٠٦

الحرم الشريف : ١٩ ، ١٤٥

الحسا : ٨٨ م

الحسينية : ٥٨ م

حصدود : ٢٣ م

الحصكونة : ٤

حصن الاكراد : ٦٠ م ، ٦٣ م ، ٨٠ م ،
 ٨٣ م ، ٨٧ م ، ٨٨ م ، ٩٧ م ، ١٠٤ م ، ١٨٧ م

حصن الحديد : ٨٦

حصن اللعوة : ٨٣ م ، ٢١٠

حصن عكار : ٨٣ م ، ٣٨ م ، ٩٧ م ، ١٠٤ م

٢١٠

حصن المرقب : ٤٥ م ، ٧٧ م ، ٧٨ م

حطى : ١٧١ ، ٢٦٨

حطب : ٤٤ م ، ٥٩ م ، ٦٣ م ، ٦٥ م ،

٦٦ م ، ٦٩ م ، ٧٠ م ، ٧٦ م ، ٧٧ م ،

٧٨ م ، ١ ، ٦ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ م ،

٤٩ م ، ٦٧ م ، ٩٧ م ، ١٠٦ م ، ١٣٦ م ، ١٥٧ م ،

١٦٦ م ، ١٦٣ م ، ٢٠٤ م ، ٢٠٥ م ، ٢٦٢ م ، ٢٦٣ م ،

٢٦٤ ، ٢٧٢

حلب الرفوف : ١٠٦

حلوسية : ١٠٦

حماة : ٥٨ م ، ٥٩ م ، ٦٥ م ، ٦٦ م ،

٧١ م ، ٧٦ م ، ٨٨ م ، ٢٤ م ، ٢٨ م ، ٥٣ م ،

٧٣ م ، ٧٧ م ، ٨٦ م ، ٩٧ م ، ١٣٨ م ، ١٣٩ م ،

١٤٠ ، ٢٦٤

الخمراية : ١٠٧

حمرة بيسان : ٨٤ م

حمص : ١٠ م ، ٤٤ م ، ٦٦ م ، ٦٧ م ،

٦٨ م ، ٧٦ م ، ٨٠ م ، ٨٩ م ، ١٨ م ،

٢٩٢ م ، ٢٩٣ م ، ٢٦٤ م ، ٢٧٢ م ، ٢٩٢ م ، ٣٨ م ، ٩٧ م ، ١٥١ م ،

الحنيثية : ١٠٧

حوبا : ١٠٦

الحوطة : ١٣٦

حيرانه : ٥١

خيفا : ٤٠ ، ٢٧٢

الحيلة : ٥١

حيوية : ١٠٦

(خ)

خان ابن قليج : ٢٦٢

خانقاه سعيد السعداء : ١٧ م ، ٢٣٢ م

٢٣٤

طرابلس : ٤٥ م ، ٨٣ م ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٩٢
 طرابلس الساحل : ١٦٦
 طرابلس الشام : ٨٢ م
 طرابلس الغرب : ٤٥ ، ١٥٨ ، ١٦٦
 الطرانة : ٢٧٣
 طردية : ١٠٧
 طرسا : ١٠٦
 طرسنحات : ٢٦ ، ١٠٦
 طرغان الدير : ٦ : ١٠٦
 طفلة : ١٠٦
 الطشت خاناه : ٤١ م
 طليطلة : ١١٤
 طورا : ١٠٧
 طومان : ٦٤
 طيوا : ٢١
 الطيرية : ٢٤ ، ٢٥
 الطينة : ١٦٥
 (ع)
 العادلية : ٧٠ م
 عانا : ١٤٦
 العباسية : ٥٣ ، ١٠٧
 عتاقة : ١٠٧
 عثيث : ٣٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٧٢
 العثية : ١٠٦
 عجلون : ٣٨ ، ٩٦
 العجم : ١٠٠
 العجيلة المصرية : ١٠٧
 عدن : ٥٢
 عنرا : ٦٦ م
 العراقى : ٨١ م ، ٤٣ ، ٤٩ ، ١٠٠ ، ١٢٢ ، ١٥٨ ، ١٢٢ ، ١٦٣ ، ٢٣٦
 العربية : ١٠٧
 العربية : ١٠٦
 عراقا : ٨٣ م ، ٢١ ، ٢١٠ ، ٢١١
 العريش : ٦٣ م
 العربية : ٢١ ، ٣٨
 عسقلان : ٣٦
 عفا : ٤٠
 عكا : ١٢ م ، ٦٧ م ، ٨٢ م ، ٢٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢

الشراب خاناه : ١٢٧
 الشرق : ٢٠٢ ، ٢٣١
 الشجر : ٦٧ م ، ٨٧ م ، ٣٩ ، ٩١
 الشقيف : ٣٧ ، ٩٦ ، ١٠٤
 شقيف ارنون : ٣٧
 شقيف تيرون : ٣٨
 شقيف ديركوش : ٣٩
 شميس : ٣٩
 الشهرزورية : ٢٦٤
 الشوبك : ٥٦ م ، ٥٧ م ، ٦٠ م ، ٦٣ م ، ٧٤ م ، ٣٣
 شيخد : ٦٨ م
 سيزر : ٦٧ م ، ٦٨ م ، ٧٥ م ، ٧٦ م ، ٨٨ م ، ٣٨ ، ٨٦ ، ٩٧
 (ص)
 صافيتا : ٨٣ م ، ٣٨ ، ١٨٦ ، ٢١٠
 الصالحية : ٧٠ م ، ٢٦٣
 الصبية : ٣٨ ، ٩٦
 صديقي : ١٠٦
 الصرافى : ١٠٦
 صرخد : ٧٩ م ، ٨٥ م ، ٩٦
 صفد : ٥٧ م ، ٦٣ م ، ٩٦ ، ١٥١ ، ٢٠٢
 صقلية : ٥٠ م ، ٥٢ م ، ٥٩ ، ١١٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٤
 الصلات : ٥٤ م ، ٣٦
 صهيون : ٦٤ م ، ٦٦ م ، ٦٧ م ، ٦٨ م ، ٧٦ م ، ٨٣ م ، ٨٥ م ، ٨٧ م ، ٣٨ ، ٨٤ ، ٩٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢١٠ ، ٢٦٤
 الصواقي : ١٠٦
 صور : ٤٥ م ، ٤٨ ، ٥٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٦٠ ، ٢٧٢
 صيدا : ٣٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٧٢
 الصيمرة : ٥٠
 الصين : ٢٣٦ ، ٢٣٧
 (ض)
 الضنين : ٢١٠
 (ط)
 الطالية : ١٠٦
 طبرية : ٨٥ م ، ٣٧

٥١ م ، ٥٤ م ، ٥٨ م ، ٥٩ م ، ٦٠ م ،
 ٧٧ م ، ٧٩ م ، ٨١ م ، ٨٥ م ، ٨٩ م ،
 ٩٠ م ، ٩٢ م ، ٩٤ م ، ٩٥ م ، ٩٦ م ،
 ١٤٥ م ، ١٤٧ م ، ١٤٨ م ، ١٤٩ م ، ١٥٠ م ،
 ٢٦٢ م ، ٢٦٣ م ، ٢٦٤ م ، ٢٧٠ م ، ٢٧٥ م ، ٢٨٦ م ،
 ٢٨٨ م ، ٢٩٢ م ، ٢٩٤ م ، ٢٩٦ م ،
 قبرص : ٤٧ ، ٥٨ ، ١٤١
 القبة الشريفة : ٥٥ ، ٥٦ ، ١١٥ ، ١٢٦
 ١٢٨ ، ١٧٩
 القدس الشريف : ٢٣ ، ٣٦ ، ١٦١ ،
 ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢١٥
 قدقيا : ٣٨
 قرقص : ٨٣ م
 قرية عبد الله : ٥١
 قسطنطينية : ٢٥٥
 القسطنطينية : ١٥٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧
 قشتالة : ٥٠ م
 القصبين : ٨٢ م ، ٢١٠
 القصر الأبلق : ٦٦ م ، ٢٦٥
 القصير : ٥٤ م
 القطيعة : ٦٦ م
 قطينا : ٢٧ ، ٣٠ ، ٩٨
 القفجاق : ٤٦
 القلاع الإسلامية : ٩٧
 قلاع الدعوة : ٢١
 قلعة أحمد نكر : ٥٠
 قلعة البارودية : ١٠٦
 قلعة بعلبك : ٣٨
 قلعة تلا : ٣
 قلعة الجبل : ٥٦ م ، ٥٩ م ، ٦٠ م ،
 ٦٤ م ، ٧٢ م ، ٧٣ م ، ٧٤ م ، ٨٠ م ، ٩٢ م ،
 ٢٦٢ م ، ٢٦٤ م ، ٢٧٢ م ، ٢٧٣ م ، ٢٧٦ م ، ٢٧٩ م ،
 ٢٨٨ م ، ٢٩١ م ، ٢٩٤ م ، ٢٩٦ م ،
 قلعة حصن الاكراد : ٢١
 قلعة الروم : ٧٨ ، ٩٤ ، ١٠١
 قلعة الزنج : ٥٠
 قلعة صرخد : ١٩٤
 قلعة نجم : ٣٩
 قلورية : ٥٩
 القليعات : ٨٣ م ، ٢١ م ، ٧٧ م ، ٢١٠
 القليعة : ٣٨ ، ٨٦ ، ١١٥
 قليبوب : ٢٦٤
 القنونية : ١٠٦

٤٧ ، ٤٨ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٤١ ، ١٦٠ ،
 ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٧٢
 عنافة : ١٠٧
 العوجا : ٣٧ ، ٢٦٧ ، ٢٩٣
 عينا : ١٠٦
 عين أبو عبد الله : ١٠٦
 عين تاب : ٧٦ م
 عين جالوت : ٣٩ م ، ٤٤ م ، ٣٧ ،
 ٢٦٤
 عذاب : ١٤٤ ، ١٧٢
 عيون القصب : ٧٦

(غ)

غرابغال : ١٠٦
 الغرب : ٦١ ، ١٥٨ ، ٢٠٢
 غزة : ٦٣ م ، ٦٤ م ، ٦٥ م ، ٧٨ م ،
 ٣٦ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٣٦٣ ،
 ٢٩٤ ، ٢٩٣

(ف)

الفاروث : ٥١
 فاس : ٤٦
 الفاه : ١٠٧
 فارس : ٣٧ م ، ٤٤ م
 فامية : ٨٧ م
 الفراخية : ١٠٦
 فرنسا : ٥٢ م ، ٥٨
 الفتوحات الإسلامية الساحلية : ٢٠٢
 فسوق : ١٠٦
 فقعة : ١٠٦
 قم الدرب : ٥١
 الفنادق : ٧٢
 فنس : ٥٠
 فنونية : ١٠٦
 الفهرون : ١٠٦
 فوة : ٣٥

(ق)

القاسمية : ١٠٦
 قاقون : ٣٧
 قانا : ١٠٦ ، ١٠٧
 القاهرة : ٩ م ، ١٥ م ، ٤١ م ، ٤٨ م ،

قوص : ١٤٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢
 قوصرة : ١٥٩
 القوقاز : ٣٧ م
 قيسارية : ٤٣ م ، ٤٤ م ، ٣٦ ، ٤٠
 القيمورية : ٣٧
 (ك)
 الكبية : ١٠٦
 الكختا : ٢٨ ، ٣٠ ، ٩٧
 كدروا : ١٤٥
 الكرج : ٢٣ ، ٦٦
 كرستان : ٥٠
 الكرك : ٥٦ م ، ٥٧ م ، ٦٠ م ، ٦٣ م ، ٨٨ م ،
 ٣٢ ، ٣٣ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٧ ،
 ١٣٨ ، ١٤٤ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٦
 كرسه : ١٤٥
 كركر : ٢٧ ، ٣٠ ، ٩٧
 كرما شاهان : ٣
 الكرمل : ٤٠
 الكعبة : ٤٨ م ، ٢١٢
 كفردين : ١٠٦ ، ١٠٧
 كفردهال : ١٠٦
 كفر زمار : ٤
 كفر طاب : ٨٧ م ، ٨١
 كفرناي : ١٠٦
 كنيسة الناصرة : ٤٢ ، ٤٣
 الكهف : ٨٦
 كوكب : ٣٨
 الكيل : ٥١
 (ل)
 اللجون : ٩٧ ، ٢٩٣
 اللد : ٦٠ م ، ٢٧
 اللوق : ٧٩ م
 (م)
 ماردين : ٧٦ م ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٦٣
 مارن : ٣٧ ، ٤٠
 مارون : ١٠٦
 مارثين : ١٠٦
 مالطة : ١٥٩
 المالكية : ١٠٦

مانسة : ١٥٩
 ماثريقة : ١٥٩
 المارستان : ٥٦ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 ١٢٩
 المارستان المنصوري : ٥٥
 المجادل : ١٠٦ ، ١٠٧
 مجدل : ١٠٦ ، ١٠٧
 المحرري : ٥١
 محروما : ١٠٧
 مخاضة زلوية : ٨٤ م ، ١٣٦
 المخرج : ٦٦ م
 المداخن : ٥١
 المدارس : ٥ ، ٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١١٥ ،
 ١٢٧
 مدرسة الاشرقية : ٢٧٣
 المدرسة الحسامية : ٢٨٦
 مدرسة زين التجار : ٩٠ م
 المدرسة الشريفة : ١٢٦
 المدرسة العادلية : ٧٠ م
 المدرسة المالكية المنصورية : ٢٢٦
 المدرسة المنصورية : ٢٢٥
 المدينة : ٤٨ م
 مراکش : ١١٢
 المرج : ٢٦
 مرج بنى عامر : ٧٩ م
 مرج حمص : ١١٥
 مرج صور : ١٠٦
 مرعش : ٢٧٣
 مرسيلينا : ٨٩ م
 مرفلة : ١٠٧
 المرفوف : ١٠٦
 المرقب : ٨٢ م ، ٨٣ م ، ٩٠ م ، ٨٣ ،
 ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١١١ ،
 ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢١٠
 مرقية : ٨٣ م ، ٢١٠ ، ٣٨ ، ٨٥ ، ٨٩ ،
 ٩٠ ، ١٨٦ ، ٢١٠
 المساجد : ٥ ، ٨ ، ١٣
 مسجد التبتن : ٨٠ م
 مسينا : ٥٩ ، ٦٠
 المشاهد : ٨
 المشرق : ٥٥٨ ، ١٠٠
 مشغرا : ٣٨

٩٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ٢١٠ ،

٢١١

لايا : ٣٨

(ى)

يافا : ٣٦

اليمن : ٢٣ م ، ١٥ م ، ٤٣ ، ٥٢ ،

١٠٥ ، ١١٧ ، ١٤٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ،

١٧١ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٦٧ ،

٢٧٢

(و)

وادي الحجاج : ١٠٦

وادي قمحة : ٢٩٣

الوجه البحري : ٥٨ م ، ٢٥

الوطاة : ٨١ ، ٨٧ ، ٤١

ولاية الاعمال الغربية : ٥٥ م

(لا)

اللاذقية : ٨٣ م ، ٨٧ م ، ٢١ ، ٨١ ،

الأنهار والبحار والجبال

جبال الالب : ٥١ م
جبل بلغار : ٢
جبل بهرا : ٨٦
جبل الجرديين : ٦٨ م
جبل الخروب : ٤٨
جبال الضنين : ٨٢ م
جبل ليسون : ٦٧
جبل ماردن : ١٣٥

نهر جهان : ٣٢
نهر دجلة : ١٣٥
نهر الفرات : ٤٤ م ٦٣٥ م
نهر الفولجا : ٣٧ م
نهر القاسمية : ١٠٧
نهر النيل : ٦٢ م
البحر الاحمر : ٥١ م
بحر قزوين : ٣٥ م ٣٧٤ م
بحيرة بنى لبيس : ١٥٨

مصادر التحقيق

(١) العربية (مخطوطة ومطبوعة)

- ابن أبي الفضائل (مفضل) ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م
النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد - باريس ١٩١١ م
١٩٢٠ ، ١٩٣٢
- ابن الأثير (على بن أحمد بن أبي الكرم) ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م - بولاق ١٢٩٠ هـ
الكامل في التاريخ
- ابن أبيك (أبو بكر عبد الله صاحب صرخد)
كنز الدرر وجامع الغرر (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٨ تاريخ)
ابن أبياس (أبو البركات محمد بن أحمد) ٩٣٠ هـ / ١٢٥٣ م
بدائع الزهور في وقائع الدهور
١٣١٢ هـ بولاق
- ابن تغري بردى (أبو المحاسن يوسف) ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م
(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - دار الكتب ١٩٢٩ - ١٩٤٩ م
(ب) منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور - كالمفورنيا
١٩٣٢/١٩٣٠ م
- ابن الجيعان (شرف الدين يحيى علم الدين شاكِر بن المقر) ٨٨٥ هـ / ١٤٥١ م -
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية القاهرة ١٣١٦ هـ
- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين بن علي) ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)
(١) مقدمة ابن خلدون
(ب) العبر وديوان المبتدا والخبر
- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم) ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
ابن دقماق (إبراهيم بن محمد المصري) ٧٠٩ هـ / ١٤٠٦ - ١٤٠٧ م
الانتصار بواسطة عقد الامصار القاهرة ١٣٠٩ هـ
- ابن شاكِر (فخر الدين محمد بن أحمد الكتبي) ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م
فوات الوفيات بولاق ١٢٩٩ هـ
- ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهري) ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ - ١٤٦٩ م
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك باريس ١٨٩١ م
- ابن الشحنة (أبو الفضل محمد) ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م
الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب بيروت ١٩٠٩ م
- ابن طباطبا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي) أتم كتابه سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م
وولد سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م ولم تعلم سنة وفاته
القاهرة ١٣٤٥ هـ
- الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية
ابن عبد الظاهر (محيي الدين) ٦٩٢/١٢٩٢ م
الجزء الثالث من اللطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الاشرفية
لندن ١٩٠٢

- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحى)
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب
القاهرة ١٣٥١ هـ
- ابن العميد (المكين جرجس بن الياس) ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م
تاريخ المسلمين - ليدن ١٦٢٥ م
ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم بن على بن الفرات المصرى الحنفى ناصر الدين)
٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م
تاريخ بن الفرات ، نشر الدكتور قسطنطين رزيق - الاجزاء ٩٤٨٧ ، بيروت
١٩٣٦ / ١٩٤٨ م
- ابن فضل الله العمرى (٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م)
مسالك الايصار فى ممالك الامصار - مخطوط بدار الكتب المصرية - رقم
٢٥٦٨ تاريخ
ابن الوردي (عمر بن مظفر بن أبى الفوارس الوردي المعروف بالشافعى ٧٤٩ هـ
١٣٤٩ م
تتمة المختصر فى أخبار البشر
أبو صالح الارمنى (أبو المكارم جرجس بن مسعود) السابع الهجرى / الثانى
عشر الميلادى
كنائس وأديرة مصر
أبو الغداء (الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة) ٧٢٣ هـ / ١٣٣١ م
المختصر فى أخبار البشر
القسطنطينية ١٢٨٦ هـ
أحمد زكى
- قاموس الجغرافيا القديمة - القاهرة ١٣١٧ هـ
الإدفوى (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن على) ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م
الطالع السعيد الجامع لاسماء الفضلاء بأعلى الصعيد - مصر ١٣٣٢ هـ
بيبرس الدوادار (٧٢٥ / ١٣٢٥ م)
زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة / مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٧
الحسن بن عبد الله (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)
آثار الاول فى ترتيب الدول
- القاهرة ١٣٠٥ هـ
الخالدى (بهاء الدين محمد بن لطف الله العمرى) ٩٢٧ هـ / ١٥٣١ / ١٥٣٠ م
المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الانشا - مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة
رقم ٢٤٠٤٥
زترستين : تاريخ سلاطين المماليك (نشر ك . ف . زترستين) لندن ١٩١٩
السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد) ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م
حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة
القاهرة ١٣٢٧ هـ
الشوكاتى (محمد بن على) ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
القاهرة ١٣٤٨ هـ
الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م
الوافى بالوفيات
الاستانة ١٩٣١ م
- على بهجت
قاموس الامكنة والبقاع
على مبارك
الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة
بولاق ١٣٠٦ هـ
العيني (بدر الدين محمود) ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان - مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ

- القرماني (أحمد بن يوسف الدمشقي
أخبار الدول وآثار الاول في التاريخ
القلقشندي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي) ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م
صباح الاعشى في صناعته الانشا
محمّد مصطفى زيادة (الدكتور)
بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك بمصر - مجلة كلية الآداب -
جامعة القاهرة / مايو ١٩٣٦
المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م
القاهرة ١٣٤٦ هـ
مروج الذهب ومعادن الجوهر
المقرئزي (تقى الدين بن أحمد) ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م
(١) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار
(ب) السلوك في معرفة دول الملوك
نشر وتحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة
التويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م
نهاية الارب في فنون الادب (الاجزاء من ١ الى ١٤) مطبوع بدار الكتب المصرية
١٩٣٨ م
اجزاء ٢٨ ، ٢٩ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٤ معارف عامة
ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي) ٦٢٢ هـ / ١٢٢٩ م
معجم البلدان
يوسف الدبس
تاريخ سوريا
بيروت ١٨٩٣ - ١٩٠٢ م

٣٢٨
ص

ب - المراجع الأوربية

- ALLEN : The Cambridge Shorter History of India (Cambridge, 1924).
- ALY (BAHGAT) : Les manufactures d'Étoffe en Egypte, au Moyen Age (Le Caire, 1904).
- ARCHER & KINGSFORD : The Crusades.
- ARNOLD (T.W.) : The Caliphate (Oxford 1924).
- ATIYA (A.S.) :
1. The Crusades in the Later Middle Age (London 1938).
 2. Egypte and Aragon (Leipzig 1938).
 3. Embassies and Diplomatic Correspondence between 1300 and 1330 A.D.
- BECHER (C.H.) : Beitrage Zur Genhichte Aegyptens unter dem Islam, (Strassburg 1902).
- BIOCHET (E.) : Histoire d'Egypte de Makrizi (Paris 1908).
- BROCKELMAN (S.) : Geschichte der Arabischen Litteratur (Weimair 1898/1902).
- BROWNE (E.G.) :
1. Literary History of Persia from the Earliest Times until Firdawsi (London, 1909).
 2. Literary History of Persia under Tatar Dominion (1265-1502 A.D.) vol. 11. (Cambridge 1928).
- BUDGE (E.A.W.) : A History of Ethiopia : Nubia and Abbassinia (Bulletin of the School of Oriental Studies B.S.C.G.).
- DEMOMBYNES (G.) : Le Syrie A L'Epoque des Mamelou ks Paris 1922
- DE SACY (S.) : Bibliothèque des Arabissants Français (Le Caire, 1933) .
- D'HOSSON (BARON) : Histoire des Moagols depuis Tchinguiz Khan . jusqu'a Timour Bey au Tamerian, vol. III. (The Hague Amisterdam, 1834/1835).

HASSAN (H.I.) : Relations between Egypt and the Caliphate (Cairo, 1940).

HITTI (P.K.) : The History of the Arabs (London 1940).

HAWARTH (SIR HENRY) : History of the Mongols (London 1876-1888).

LANE-POOLE (S.) :

1. The Story of Cairo (London, 1902.

2. History of Egypt in the Middle Ages (London 1925).

LE STRANGE (C.) : Palestine under the Moslems.

MICHEL (B.) : L'Organisation Financière de l'Egypte sous les Sultans Mamlouks d'après Qualqachandi (Le Caire 1925).

NIEMEYER (W.) : Aegypten Zur Zeit der Mamluken, (Berlin 1936).

QUATRMIERE (E.) : Histoire de Sultans Mamlouks de l'Egypte (Paris 1837/1845).

ZAMBAUR (E.) : Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam, (Hannover 1927).